وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الحاج لخضر باتنة

كلية الآداب و العلوم الانسانية

قسم التاريخ

مواثيق الثورة الجزائرية

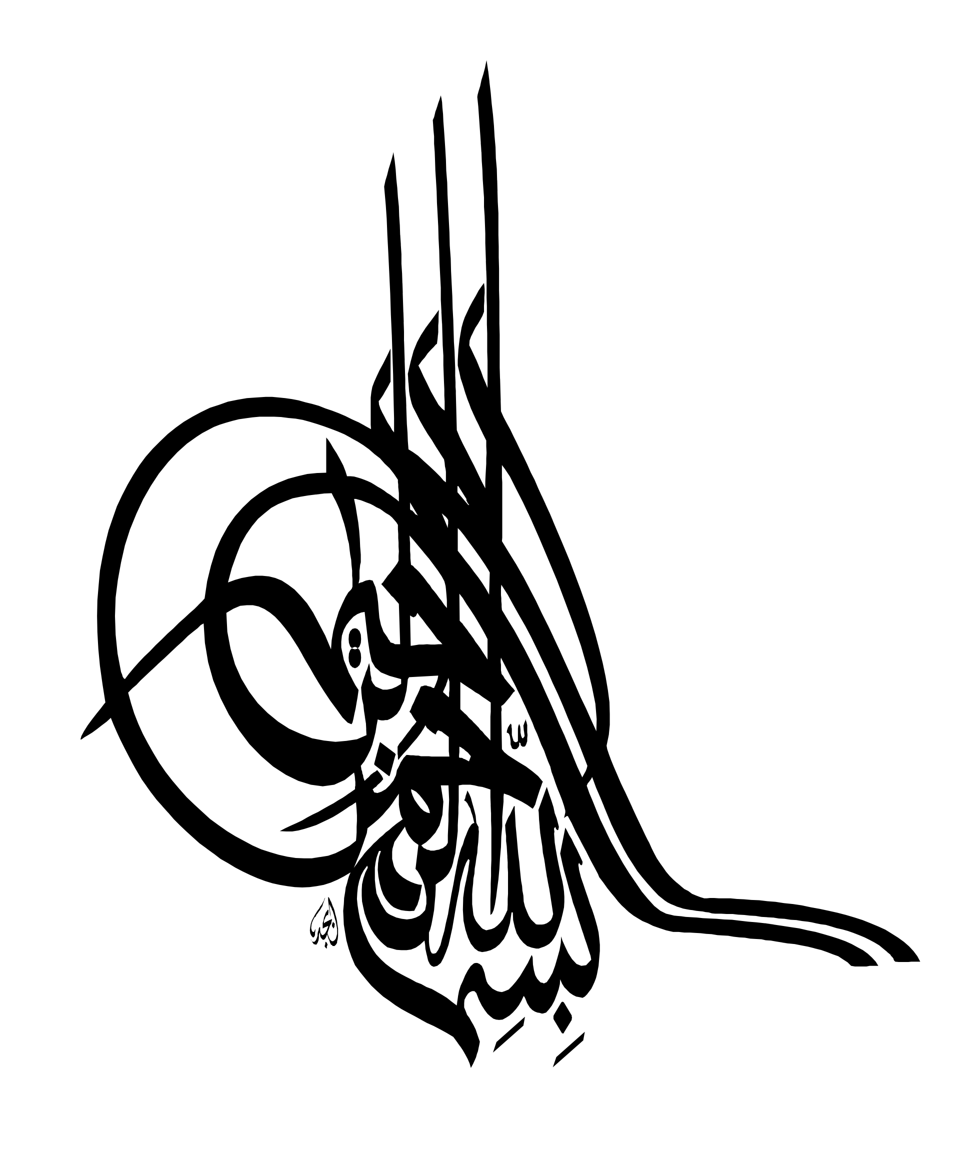
: دراسة تحليلية نقدية (1954- 1962)م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ

تقديم:
قاسمي يوسف

إشراف الدكتور:
بوصفصاف عبد الكريم

السنة الجامعية : 2008-2009





طه ، الآية 114

الإهـــــداء

إلى روح والدي الطاهرة؛ الذي علمني - رغم أمية القراءة والكتابة - قيم ومعاني: العفة، الشرف، نكران الذات، وفعل الخير ؛ قدر الاستطاعة. فإليه والى أرواح كل شهدائنا ومجاهدينا المخلصين- الذين احتسبوا أجرهم على الله - لهم الجزاء الأوفر، والغفران والرحمة الواسعة.

إلى زوجتي الفاضلة " **أم حاتم** "، براءة، أصالة... التي غمرتني بحلمها وكرمها، وتحملت - مع أطفالي- حرقة البعاد وتبعاته، والتنازل عن الكثير من الحقوق الطبيعية المشروعة؛ في سبيل توفير جو العمل المناسب لقدوم هذا "**المولود العلمي**"... فهي شريكة فيه من لحظة تخمره كفكرة ومشروع، إلى أن اكتمل انجازه، وظهر على النحو الذي هو عليه.

يوسف

المقـــدمـــــة

تعرض المجتمع الجزائري مطلع القرن التاسع عشر الميلادي لغزو عسكري فرنسي، وهجمة استعمارية غربية، تبعهما احتلال استيطاني أوروبي؛ حركته دوافع تاريخية وحضارية عميقة، وأخرى اقتصادية رأسمالية جشعة، إلى جانب الأهداف السياسية المرتبطة أساسا بالواقع الداخلي الفرنسي المضطرب، وطموحات سياسييها المغامرين، ناهيك عن الهدف الاستراتيجي البعيد المدى؛ الطامح إلى تعزيز المكانة الدولية للإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية في العالم. وقد تطلعت فرنسا - ومن ورائها الدول الأوروبية المتحالفة معها- إلى تصفية القوة العسكرية والوجود السياسي للدولة الجزائرية الحديثة، ونفوذها في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، لإزالة واحد من أركان الدولة الإسلامية العالمية؛ ممثلة في **"السلطنة العثمانية"**، تلك الدولة التاريخية - الحضارية التي طالما وقفت وحالت دون امتداد النفوذ الصليبي في البلاد العربية مشرقا ومغربا، على مدى زمني قارب الخمسة قرون .

وقد وقفت البحرية الجزائرية - المدعومة عثمانيا- حاجزا منيعا في وجه مشروع الغزو الفكري والثقافي الأوروبي الهادف إلى تحويل الحوض المتوسطي إلى بحيرة رومانية ، تصل حاضرها بأمجاد الدولة الرومانية الاستعمارية القديمة... وفي سبيل تحقيق تلك الأطماع عمد المحتلون منذ البداية إلى زعزعة الكيان الاجتماعي الوطني، وتفكيك بنيته السياسية كمدخل للهيمنة الفكرية والحضارية. وباعتبار الغزو الفكري والثقافي يمثل روح الاستعمار ومحركه الأول؛ فان الاستعمار الاستيطاني لم يكن- في حقيقته - سوى مرحلة انتقالية محضرة بنسق محكم للاستعمار الثقافي الدائم، وهيمنة المشروع الثقافي الغربي على منطقة المغرب العربي أولا، وباقي الوطن العربي لاحقا.

ولأجل تحقيق هذا الهدف- الغاية تاريخيا واستراتيجيا، حشد الفرنسيون كل طاقاتهم وقدراتهم المعنوية والمادية - عبر قرن وثلث القرن من الاستعمار المنظومي - لنسف مقومات الشخصية الجزائرية، وضرب مؤسساته الفكرية والحضارية. كما صوبت طلقات رشاشاته ومدافعه، وقاذفات الطائرات والبوارج الحربية... وغيرها، باتجاه دك كامل البنى التحتية الاجتماعية والاقتصادية. وتفكيك عناصرها، إلى جانب تخريب النسيج الاجتماعي ، للقضاء على عنصر **"الإنسان"** كمقوم للوجود، وعنوان بارز للهوية الوطنية والقومية، ومحورا لحركة المقاومة والصمود، وثابتا من ثوابت المجتمع الموحد والمتماسك.

وقد حرم الجزائريون بفعل تلك السياسة الاستعمارية المطبقة من حقهم الطبيعي في الحياة الكريمة، كما تعرضت حياتهم للمصادرة، فحاق بمعاشهم وأمنهم الدمار المحقق؟.. لكن الشعب الجزائري بكل مكوناته وفعالياته الوطنية، الاجتماعية، والسياسية، لم يرضخ لواقع الاحتلال، ولم يستسلم للمخطط الاستعماري المطبق؛ بل قاوم بثبات وعزم، وآمن **"بخيار المقاومة"** كمبدأ تبناه من منطلق وطني قومي وإنساني. كما أدرك بوعي كامل بأن التنكر للوجود والتاريخ، والقفز على الحاضر بغير مبرر مقنع؛ معناه اغتيال المستقبل والحكم بالموت سلفا على جيل بكامله؛ بل وعلى الأجيال القادمة، ومن ثم إنهاء دورة الحياة واستمراريتها...

قامت المقاومات الوطنية من وحي هذه القناعة الراسخة، ومثلت إرثا تاريخيا ووطنيا للأجيال اللاحقة، كما استلهم منها جيل نوفمبر خلاصة القيم الوطنية والثورية ، فأرسى بها الأسس الفكرية والمرجعية الإيديولوجية للمشروع الثوري الوطني؛ وكانت ملحمة الثورة، ومجد الشعب الجزائري عنوانها الثابت أبد الدهر.

فالثورة الجزائرية (1954-1962)م لم تولد من العدم أو الفراغ، بل رعيت طفولتها بحضانة طويلة من المقاومات الشعبية، ونضال سياسي وطني استمر زهاء نصف قرن ؛ وجاءت جبهة التحرير الوطني كمولود شرعي لها، وإطار مرجعي جامع لهذا الرصيد التاريخي الزاخر؛ مستلهمة الدرس من سنين الجمر التي عاشها الشعب الجزائري برمته تحت نير وغطرسة الاحتلال. ومن ثم فان نوفمبر الثورة لم يتنكر لجزء فضلا عن كل من هذا الميراث؛ بل هو نتيجة طبيعية ومنطقية، وخلاصة تاريخية مكثفة لكفاح طويل مرير ضد استعمار استيطاني أعمى. وقد تضمن " **بيان أول نوفمبر- تشرين الثاني 1954م** " التشخيص الدقيق، والجواب الشافي والكافي لعلاج الوضع المأسوي الذي آل إليه الشعب الجزائري - وخاصة بعد مجازر 08ماي- ايار1945 التي راح ضحية لها 45الف شهيد، بعدها استمرت المعاناة على مدى عقد من الزمن- فجاء هذا السياق التاريخي والسياسي على درجة كبيرة من الأهمية في إعطاء **"التعريف الوطني والثوري"** للثورة الجزائرية ومشروعها التحرري.

كان الرهان الحاسم على الشعب الجزائري، كمصدر للقوة وجامع لمقومات الوطنية الجزائرية في أبعادها: العقدية الإسلامية، وعمقها التاريخي العربي، وسند التراث الأمازيغي الثري...الخ. كل ذلك صاغه بيان الثورة الأول ثم مواثيقها اللاحقة في تفاعل خلاق؛ صنع جهاد الثورة والتحرير، كما أرسى قواعد مرجعية واضحة وصريحة لقيم الحرية والعدالة والسلام. في إطار هذه الصيرورة التاريخية، و سياق هذا التطور، جاء

نوفمبر- تشرين الثاني 54م، ومن ثم يجب فهمه كونه محطة كبرى لبعث وتحرير الإنسان الجزائري، وإعادة التأسيس للدولة الوطنية الجزائرية - المغيبة قسرا- وفرصة لاسترجاع مكونات شخصيتها العربية الإسلامية.

تركز موضوع عملنا في هذا البحث، على متابعة وتجلية عناصر المناخ الفكري والسياسي، وكذا أهم الأسس النظرية والفكر الفلسفي الذي حضر لميلاد الثورة التحريرية، وأوجد المفاهيم الثورية النظرية، والسياسية الوطنية؛ لإدارة السلطة والحكم خلال الثورة وفي مرحلة الاستقلال. و شكلت هذه الأخيرة مجتمعة ما يمكن تسميته "**بمواثيق الثورة الجزائرية** " ومرجعيتها الإيديولوجية؛ تلك التي أطرت ووجهت المشروع الثوري، وأدارت الاستقلال و نظمت حياة الجزائريين: الاجتماعية، الاقتصادية، والثقافية.

يعد بيان أول نوفمبر- تشرين الثاني 1954 ، ميثاق الصومام56م، وبرنامج طرابلس 62م مادة هذه الدراسة ومحاور البحث العلمي- التاريخي لها. على اعتبار كونها تشكل المخزون الفكري والإيديولوجي الذي غرفت منه الثورة مقومات النشاط والحركة، وعناصر التوجيه السياسي والدبلوماسي، وكذا الأدوات التنظيمية في الميدانين الإداري والعسكري. وبذلك توفرت لها قنوات واطر تفريغ الجهد الثوري الشعبي من أجل التحرير، وبعث الدولة الوطنية الجزائرية من جديد.

دوافع اختيار الموضوع:

جاء هذا البحث بتحريك جملة دوافع أقنعتني كما أغرتني بتناوله، والتصدي لاشكاليتة العلمية؛ ومن بينها على الخصوص :

1- متابعة ملامح وعناصر الفكر السياسي الوطني للحركات والاتجاهات الجزائرية قبل الثورة، والكشف عن مبادئها الإيديولوجية التي شكلت إطارا مرجعيا لعملها، ودور ذلك كله في صناعة المناخ الثوري المحضر لاندلاع ثورة التحرير الوطنية.

2- القراءة العلمية التاريخية للمضامين الفكرية والسياسية - في إطار الأسس والحقائق الموضوعية- للنصوص الأساسية والمواثيق الكبرى للثورة، في مقدمتها: **" بيان أول نوفمبر"**، **"ميثاق الصومام"**، و**"برنامج طرابلس"** ؛ بما تمثله من أرضية فكرية، منطلقات إيديولوجية، وأسس لنظرية سياسية

للتحرير والاستقلال. إلى جانب توفرها على الآليات التنظيمية التي أطرت وزودت معركة التحرير بما تحتاجه في مواجهة عدو منظم وشرس بامتياز.

3- غياب - فيما أعلم- دراسة تاريخية أكاديمية تفرد الحديث حول موضوع **"مواثيق الثورة الجزائرية"** ، وتبحثه في جوانبه الفكرية، الإيديولوجية، وآفاقها السياسية. ضمن إطار المنظور التاريخي، والفكر والرؤية المنهجية، والنقاش العلمي المجرد والهادئ؛ بحيث تثمن المكاسب، وتقوم الأخطاء كما يكشف عن الانحراف، وتفعل المبادئ والقيم؛ لتقدم للأجيال في ثوب علمي، وروح وطنية ملتزمة، وتفتح مستنير على حقائق العصر وتطوراته. فتكون بذلك مصدرا للإلهام والتواصل الايجابي بين الجيل الصانع لهذه المواثيق والأدبيات، وأجيال الاستقلال، والإقلاع الحضاري المنشود لجزائر: التاريخ، الأصالة، والعصرنة في تناغم ووئام كاملين.

4- الرغبة في المساهمة - المتواضعة- فكريا وعلميا، في إعادة تفعيل وبعث المشروع الثقافي الثوري الوطني؛ الذي نعتقد أن هذه الأدبيات والنصوص؛ هي التي شكلت مادته الأولى ، وملامحه ومنطلقاته الأساسية. وبالتالي إثراء النقاش السياسي الوطني- من منظور تاريخي وثائقي- حول طبيعة **"المنظومة الفكرية المجتمعية"** التي يجب أن تحكم حياة الجزائريين. وبالتالي الحسم في خياراتها الكبرى؛ باعتبار أن الرؤية التاريخية العلمية هي السند الحقيقي والموضوعي لكل محاولة أو عمل في هذا الاتجاه، والسبيل الأوحد لتفعيل الرسالة الحضارية، والإنسانية لثورتنا المجيدة.

إشكـالية الأطـروحـة:

تكمن إشكالية الأطروحة في بحث طبيعة المشروع الكولونيالي وعناصره الفكرية والثقافية، باعتباره أساس الصراع الحضاري الشامل الدائر في الجزائر على عهد الاحتلال الفرنسي؛ حيث تعززت خطوطه الأمامية مع إحكام السيطرة الاستيطانية على البلد. وخوض المعركة ضد الجزائري العربي المسلم **"بالوكالة"** عن بقية الدول الأوربية المتحالفة مع فرنسا، من أجل القضاء على **"الخطر الأخضر"** المهدد للصليب. هذا من جهة، ومن جهة أخرى الكشف عن عناصر وأسس المشروع الفكري الثقافي الوطني المقاوم، في جانبيه السياسي والثوري؛ ذلك المشروع الذي تبلور في خضم معركتي النضال والكفاح الوطني المسلح، ومن خلال أدبيات الحركة الوطنية

السياسية، والنصوص والمواثيق الكبرى لثورة التحرير، فاحتضنه الجزائريون قادة وشعب حتى النصر وإعلان الاستقلال. وعليه فإن من بين أهم الأسئلة التي ستحاول هذه الدراسة تقديم إجابات علمية لها هي:

ما هي طبيعة المعركة التي قامت بين السلطة الاستعمارية الفرنسية، وبين الفعاليات والجمعيات والأحزاب السياسية الجزائرية قبل اندلاع الثورة التحريرية ؟ هل هي مجرد معركة إصلاحات وحقوق انتخابية، ونقابية جزئية..، أم هي معركة وجود ومصير شعب ووطن؟ ما هي مضامين برامج الأحزاب والمنظمات الوطنية، ومواقفها من مسألة انتماء الجزائر التاريخي والحضاري؟ وعلاقة ذلك بمشاريع التغريب، الفرنسة، والإدماج... المطروحة من قبل فرنسا ؟ ما لمجهود الفكري والإيديولوجي الوطني المقدم في هذا الاتجاه؟ وما مدى توافقه أو تعارضه مع مقومات الشخصية الوطنية، وطموحات الأمة الجزائرية ؟... ماذا قدمت وثائق الثورة الأساسية من مضامين فكرية وسياسية بهذا الخصوص ؟ هل جسدت القطيعة الإيديولوجية مع الماضي، أم كانت امتدادا طبيعيا وتاريخيا له ؟ وماذا أضافت من جديد، هل تواصلت نصوص الثورة مع بعضها فكريا وروحيا أم تناقضت ؟ إلى أي مدى حسمت في **"مشروع المجتمع"** الذي أدار معركة التحرير، وهيأ لمرحلة الاستقلال والبناء؟ هل تحقق الإجماع الثوري والسياسي حول هذه المواثيق أم العكس؟.. هذه وغيرها من الأسئلة الإشكالية التي توخت هذه الأطروحة التصدي لها، وتقديم إجابات حولها؛ من وحي البرامج والنصوص والوثائق المتوفرة والمتاحة لنا ، ومن خلال رصد شهادات وأقوال الأشخاص التاريخيين الفاعلين، وكتابات الباحثين والمؤرخين والمهتمين.

حـدود الموضـوع :

إن المساحة الزمنية للموضوع تدور بين سنتي 1954-1962م، وتمثل حدي صناعة نصوص هذه المواثيق، مع العودة قليلا إلى فترة ما قبل اندلاع الثورة التحريرية؛ باعتبارها تشكل الأرضية الممهدة فكريا وسياسيا لانطلاقتها. خصوصا والكل يعلم بأن الحدث التاريخي لا يولد من فراغ، كما أنه لا يصنع فجأة وبصورة ميكانيكية آلية. بل يجيء في سياق إرهاصت ومقدمات تتفاعل فيها عناصره، مهيأة أجواء ومناخ حضوره. من جانب ثان فإننا تجاوزنا - من جهة تتبع التطورات والتداعيات- الحد الزمني الثاني "1962م" قليلا؛ لنبين مدى تأثير التطبيقات العملية لنصوص ومواثيق الثورة، على الواقع الاجتماعي والسياسي للجزائريين... ومن ثم اجتهدنا في تقديم بعض الاقتراحات- اعتقدنا في سلامتها- كوصفة علاج للمرض، ومنطلقات لتصحيح ما اعوج؛ وتعزيزا وتفعيلا لما تبين لنا صلاحيته وجدواه.

مناهج البحث:

إن طبيعة الدراسة التاريخية عامة، وخصوصية الموضوع الذي تصدينا لاشكاليتة تحديدا؛ فرض علينا استعمال ثلاثة مناهج علمية رأينا ضرورتها لمعالجتها وهي:

1 - **المنهج التاريخي العام** : وقد استخدمناه في سياق عرض بعض الوقائع التاريخية، وسرد عناصرها، وكذا رصد وتسجيل أهم النصوص، الآراء والمواقف، والتصريحات... المدونة بشأنها الصادرة عن الأشخاص الفاعلين والزعماء، والمنظمات والأحزاب الوطنية.

2 - **المنهج التحليلي**: اعتمدناه في تحليل وقراءة مضامين النصوص والمواثيق المدروسة، وتحليل مادتها الخبرية، إلى جانب البحث وراء السطور عن المعاني والأفكار والمواقف... الخ، المتعلقة بها أو بآراء وتفسيرات من استأنسنا بأقوالهم وتعليقاتهم بشأنها.

3 - **المنهج المقارن**: لجأنا إليه في سياق عمليات المقارنة التي أجريناها بخصوص بعض القضايا الملتبسة والحساسة، للكشف عن صحة ما ورد بشأنها. وكذلك في إطار مقارنة مضامين ومواقف مواثيق الثورة حيال العديد من القضايا المطروحة، بخصوص المسار الثوري وتطوراته، وكذا التصورات والأفاق التي رسمتها لمرحلة الاستقلال وبناء المجتمع.

صعوبات البحث:

بخصوص الصعوبات التي واجهتها في إعداد هذا البحث - في واقع الأمر- كثيرة، لكن أغلبها ذات طابع روتيني تعترض سبيل كل باحث أكاديمي، خاصة في حقل الدراسات التاريخية؛ فهي كثيرة التشابك والتعقيد. حيث ضرورة بذل المزيد من الجهد والصبر في سبيل تحري صدق الحدث وأمانته، وتفحص النصوص، ونقد الأقوال والآراء والمواقف بمعزل عن التأثيرات الشخصية، والقناعات الفكرية، وتجاذبانها الإيديولوجية والسياسية... الخ. ذلك أن الكتابة التاريخية الملتزمة أكاديميا؛ تفرض على صاحبها- كما يؤكد الأستاذ قنانش- توخي الحداثة كأسلوب، والأصالة التاريخية كمضمون، والموضوعية كمنهج، وخدمة الحقيقة التاريخية كهدف وغاية.

عموما فان أهم صعوبات البحث تجلت لي في التالي:

1- نقص المادة التاريخية الفكرية المتخصصة في الموضوع المتناول، وتركز جل جهود الكتابة والتأليف على الجانب التاريخي العام للنشاط السياسي الوطني، وعلى البعدين: السياسي والعسكري تحديدا إبان الثورة. في حين بقيت جوانب الصراع والمعركة الفكرية والإيديولوجية فيهما، حبيسة الظل والإشارات المقتضبة إلا ما ورد عرضا.

2- حساسية الموضوع المطروق، والتجاذبات الفكرية والإيديولوجية ذات الخلفيات والأبعاد الشخصية والسياسية المرتبطة به؛ خاصة بين صانعي هذه المرحلة من المناضلين والثوار، والقيادات والزعامات التاريخية...الخ. إلى جانب دخول بعض الكتاب والمؤرخين الإيديولوجيين، ورجال السياسة على الخط؛ انتصارا لطرف ضد آخر، أو لفكرة وتوجه على حساب آخر. مما شكل صعوبة بالغة التعقيد، فرضت علينا مزيدا من الحذر العلمي والتاريخي، والتزام الصرامة المنهجية قدر الإمكان، والاجتهاد من اجل التحرر من مختلف أشكال الضغوطات: النفسية، الفكرية، والاجتماعية... وغيرها. لتجاوز الخصومات والخلافات الشخصية، والتاريخية القديمة، التي لا فائدة ترجى من إعادة إحيائها من جديد.

3- تناولنا للموضوع من زاوية عدم ارتباطه **"مواثيق ونصوص أساسية"**، بالمسار التاريخي الثوري العام، ومعركة التحرير والاستقلال فحسب؛ بل **"بمشروع المجتمع"** الشامل؛ وضرورة المساهمة في الحسم في خياراته الكبرى المتعلقة بحياة الأفراد وقيم المجتمع، ونظام الدولة. وهو عمل كبير وضخم لا يقوى عليه شخص مهما أوتي من علم وخبرة، فضلا عن جهد باحث مبتدئ قليل الزاد مثلي؛ بل تضطلع به نخبة من ذوي الاختصاصات المختلفة في ميادين: التربية والشريعة، والقانون والسياسة، وعلم الاجتماع والتاريخ... وغيرها. وهو جهد يلزم بالضرورة فتح ورشات لبحثه وتحضيره، وإخراجه في صورته المتكاملة.

نقد المصادر والمراجع:

فيما يتعلق بنقد المصادر والمراجع، فقد اجتهدنا أن تكون متنوعة وثرية بالقدر الذي يمكن من الإحاطة بمادة البحث، وعكس كافة وجهات النظر حول الموضوع؛ وعليه فقد استفدنا من الرسائل العلمية المتاحة **"ماجستير ودكتوراه"** التي بحثت الموضوع أو جانب منه، ومن الدراسات التاريخية المتخصصة، ومذكرات الصانعين والشاهدين على الثورة. إلى جانب العديد من الأعمال الفكرية والفلسفية لمفكرين وكتاب، تناولوا الموضوع من

زوايا اختصاصاتهم، ناهيك عن عدد من المجلات والصحف التي عالجت موضوع الثورة، من منطلق الاختصاص أو الاهتمام الثقافي، والصحفي العام... وغيرها. ومن بين هذه على الخصوص: **"النصوص الأساسية للجبهة التحرير الوطني"**، وهي بمثابة الوثيقة المرجعية الأولى للبحث، ثم مؤلفات الزعماء التاريخيين: فرحات عباس؛ **"ليل الاستعمار"**، **"تشريح حرب"**... وقد تضمنت تحليلات عميقة، ومواقف تاريخية كشهادة لأبرز الفاعلين في الحركة الوطنية والثورة الجزائرية. وكتب: **"تحضير أول نوفمبر، أزمة صيف 1962"** ، **"اتفاقيات أيفيان، عبان وابن مهيدي"** لابن يوسف بن خده؛ و**"روح الاستقلال"** لآيت احمد الحسين، و**"مذكرات"** احمد بن بله، علي كافي، توفيق المدني، الشيخ خير الدين. و**"اغتيال الثورة"** للحضر بورقعة، و**"الجهاد الأفضل"** لعمار أوزقان، ومؤلف **"في قلب المعركة"** للشيخ البشير الإبراهيمي، و**"الكفاح القومي والسياسي"** لصاحبه إبراهيم بن العقون، و**"الجزائر الثائرة"** للفضيل الورتلاني، و**"المهمة المنجزة"** لسعد دحلب... وغيرها. وقد شكلت جميعها مصادر أساسية للبحث؛ باعتبار أصحابها من صناع الثورة أو مشاركين فيها من موقع القيادة.

يضاف إلى ما ذكرنا مؤلفات محمد حربي: **"حياة واقفة مذكرات سياسية"**، **"جبهة التحرير بين الأسطورة والواقع"**، **"أرشيف جبهة التحرير"**، **"الثورة الجزائرية سنوات المخاض"**. وقد ضمنها صاحبها مادة تاريخية غزيرة، وتحليلات وتفسيرات على جانب كبير من الأهمية التاريخية؛ على الرغم من الرؤية اليسارية التي طبعتها، والأسلوب الانتقائي في توظيف بعض الأحداث والمواقف. كذلك كان لمؤلفات: احمد محساس، محمد قنانش، مصطفى الأشرف، عمار ملاح، محفوظ قداش،محمد يوسفي، محمد لبجاوي،الدكتور عبد الكريم بوصفصاف، والدكتور رابح بلعيد وآخرون؛ أهميتها في إثراء أفكار وعناصر الموضوع.

أما الدراسات التاريخية المتخصصة فان أهمها: مؤلفات الدكتور سعد الله، كناشط في الثورة وأكاديمي بامتياز، والدكتور يحي بوعزيز التي تكتسي كتاباته نفس الأهمية، والدراسة القيمة للدكتور العربي الزبيري **"تاريخ الجزائر المعاصر"** التي كانت حقا بمثابة السند العلمي لبحثنا؛ بما تضمنته من تحليلات وقراءات تطابقت إلى حد بعيد مع الكثير من الوقائع التاريخية، وحملت من الصراحة والشجاعة في النقد وتسجيل المواقف، ما جعلنا نطمئن لها بل ونتبناها دون حرج؟.. كما استفادت دراستنا هذه من مؤلفات الكاتب محمد عباس: **"رواد الوطنية"**، **"ثوار عظماء"**، **"فرسان الحرية"**، **"مثقفون في ركاب الثورة"**، **"اغتيال حلم"**. حيث تضمنت

مادة تاريخية خام، والعديد من الشهادات الحية. أما كتابات المفكر الجزائري الشهير مالك بن نبي: **"مذكرات شاهد للقرن"، "بين الرشاد والتيه"، "في مهب المعركة"، "النجدة الشعب الجزائري يباد"، "القضايا الكبرى"**؛ فقد قدمت تحليلات فكرية وفلسفية للاستعمار، ونظرة سوسيولوجية لمشروع الثورة التحريري؛ اتسمت بكثير من العمق المنهجي، والأصالة التاريخية، والمقاربة العلمية الموضوعية، لم يسبقه إليها غيره - في تقديرنا- بهذا الاتجاه، وكانت استفادتنا منها لا تنكر. وبخصوص الدراسات باللغة الأجنبية الفرنسية، فقد تدعم البحث بالعديد منها، ومن بينها كتابات: شارل روبير أجرون، فرانز فانون، جون ماري ديراك، وليام كواندت، أندري موان، هنري ألاق، فرانسيس جونسون، جون بول سارتر، مبروك بن الحسين،وابن اشنهو... وغيرهم. ولا ننسى في هذا المجال **"مذكرات الأمل والتجديد"** للجنرال ديغول؛ التي حملت وجهة النظر الفرنسية من حرب الجزائر وثورتها، ودافع عنها من موقع الفرنسي المسؤول الأول عن هذا الملف الثقيل من سنة1958 إلى 1962م .

وبخصوص الرسائل العلمية الجامعية فقد كان لهذا البحث حظ الاستفادة من رسائل الماجستير: **"الأمير خالد الهاشمي"**، لابن الشيخ حكيم، و**"المنظمة الخاصة"** لمصطفى سعداوي، و**"الاتجاه العربي الإسلامي في الثورة الجزائرية"** لأحمد بلاشي، و**"المثقفون الجزائريون والثورة"** لصاحب البحث. ورسائل الدكتوراه: **" التجربة الديمقراطية في الوطن العربي"** للباحث إبراهيم لونيسي، والبحث القيم: **"الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين"** لسليمان الشيخ، ورسائل الأصدقاء: **"الجنرال ديغول والثورة الجزائرية"** لرمضان بورغدة، و**"أبرز القيادات السياسية والعسكرية"** لمحمد شرقي،و**"حزب الشعب الجزائري وحزب الدستوري التونسي"** لقادرة شايب... وغيرها. كما شكلت المقالات المنشورة في بعض المجلات التاريخية ، والصحف الثورية والإعلامية، مصدرا هاما في تغذية البحث وتدعيمه، من هذه: مجلة **" التاريخ"** ،**"المصادر"، "الذاكرة"، "العلوم وصدى ، الاجتماعية"، "الحوار الفكري"**، وصحيفة **"المجاهد"** الناطقة باسم الثورة، و**"لوموند"** الفرنسية و**"الحرية"**، و**"الجمهورية الجزائرية"**، والعديد من الصحف الوطنية الصادرة حاليا؛ ك: **"الخبر"** ، **"رسالة الأطلس"**، و**"الشروق اليومي"** وغيرها.

يبقى أن أشير كذلك إلى أ نني قمت بزيارات عديدة لمؤسسات البحث، والأرشيف التاريخي، والمكتبات داخل الوطن وخارجه؛ للحصول على مادة البحث، من هذه على الخصوص: مديريات المجاهدين لولايات: خنشلة،

باتنة، قالمة، قسنطينة، سكيكدة. وأرشيف ولاية قسنطينة، ومركز الأرشيف الوطني بالعاصمة، إلى جانب مركز البحث في تاريخ الحركة الوطنية والثورة الجزائرية بالابيار، والمكتبة الوطنية بالحامة. وبعض مكتبات أقسام التاريخ لجامعات: باتنة، قسنطينة، قالمة، وبوزريعة بالجزائر العاصمة... وغيرها. هذا بالجزائر، أما خارجها؛ فقد قمت بزيارة مؤسسات ومراكز البحث التاريخي بكل من: تونس العاصمة، مصر، سوريا، والأردن. لكن رغم كل الجهد المبذول ماديا ومعنويا، إلا أنني - للأسف- لم اعثر عن ما يشفي الغليل بخصوص موضوع بحثي؛ والأشد مرارة أنني صادفت قلة اهتمام بتاريخ الجزائر، وندرة المادة المكتوبة حوله خاصة ببلدان المشرق العربي.

خطـة الأطـروحــة:

لقد تناولنا الموضوع وفق خطة العمل المبينة أدناه:

المقـدمة: ضمنتها عرض السياق التاريخي للبحث، وطرح اشكاليته الرئيسية، مشفوعة بأهم محارها وعناصرها في شكل تساؤلات فرعية، إلى جانب تحديد الخطوات المنهجية للموضوع، من مثل: حدود البحث زمنيا، صعوباته، خطته، ونقد مصادره ومراجعه، وأخيرا ملاحق الدراسة.

<u>الفصل التمهيدي</u>: بعنوان "**الجهد الفكري والإيديولوجي للحركة الوطنية قبل قيام الثورة**" ، تناولته ضمن ثلاثة مباحث؛ **الأول** تتبعت فيه أصول الفكر السياسي الوطني، ومكونات الشخصية الجزائرية، ومراحل تكون الدولة الوطنية الحديثة. بينما تحدثت في **المبحث الثاني** عن ملامح هذا الفكر؛ من خلال استنطاق البرامج السياسية لاتجاهات الحركة الوطنية، ومرجعياتها الفكرية، ومواقفها تجاه العديد من القضايا المطروحة آنذاك. أما **المبحث الثالث** فقد ركزت فيه على إبراز المجهود الإيديولوجي لكل اتجاه، ودوره في التغذية الثورية ثم تحضير اندلاع ثورة نوفمبر- تشرين الثاني1954م.

<u>الفصل الأول</u>: جاء بعنوان "**بيان أول نوفمبر- تشرين الثاني1954م**"، وقد اشتمل هو الآخر على ثلاثة مباحث جاءت كما يلي: **الأول؛ فيه** رصد لظروف وملابسات صدور البيان التاريخي للثورة، والجهة التي تبنته، وردود الفعل المختلفة تجاهه، وتجاه الثورة بشكل عام. في حين درست في **المبحث الثاني** أهم المضامين الفكرية والسياسية التي اشتمل عليها، وإبراز المغزى الإيديولوجي والسياسي له، وأبعاد ذلك داخليا وخارجيا. وجاء

المبحث الثالث ليكشف عن جوانب الأهمية الفكرية، التاريخية التي يكتسيها البيان، والعلاقة الجدلية العضوية - في الوقت نفسه- بين البيان كمرجعية، والثورة كمشروع وفعل تحرري.

<u>الفصل الثاني</u>: حمل هذا الأخير تسمية **"وثيقة الصومام أوت- آب1956م"** وتم فيه الوقوف - من خلال ثلاث مباحث مماثلة- على الوثيقة من جوانبها التاريخية والفكرية والموضوعية ؛ **فالمبحث الأول** عرض ملابسات تحضير مؤتمر الصومام، وأسباب انعقاده، ودواعي اختيار المكان، الزمان، والأشخاص الحاضرين...الخ. بعدها عرض مجمل القراءات والدلالات التي أعطيت للمؤتمر، ونص الوثيقة المنبثقة عنه. بينما تدعم **المبحث الثاني** بالتحليل والتعليق والاستنتاج، لمضامين الوثيقة وعلاقتها توافقا أم تعارضا مع نص البيان الأول للثورة، وتأثير كل ذلك على المسار الثوري العام، وعلاقات الأشخاص القياديين ببعضهم البعض. في حين جاء نهاية هذا الفصل **بمبحث ثالث** كشف عن الأهمية التنظيمية، السياسية، والعسكرية للوثيقة، وتأثيرها على تطور المسار الثوري، وتتبع مواقف قيادات الثورة منها في داخل الوطن وخارجه، وانعكاسات كل ذلك على البناء المؤسساتي للثورة وأجهزتها القيادية.

<u>الفصل الثالث</u>: اتخذنا له عنوان **"برنامج طرابلس جوان- يونيو1962م"** فجاء كسابقيه في ثلاث مباحث ؛ **الأول** تناول المرحلة الأخيرة من عمر الثورة التي أفضت إلى عقد مؤتمر طرابلس، والأطراف الحاضرة وكذا الصراعات التي عصفت بجلساته، والانقسامات التي أعقبته، وما نجم عنها من انعكاسات على مستقبل الاستقلال الوليد والوطن الشهيد ؟ أما **المبحث الثاني** فقد تضمن قراءة تحليلية في مضمون برنامج طرابلس، ومناقشة أهم الأفكار ،التوجهات، والخيارات الإيديولوجية التي كرستها، ومدى انسجامها أو تعارضها مع تلك التي أعلنها البيان، وعززتها وثيقة الصومام. و**المبحث الأخير** حاول تقييم الوثيقة وتحديد جوانب الأهمية التي تكتسيها، بخصوص مرحلة الاستقلال وبناء مؤسسات الدولة الوطنية الجزائرية، مع وقفة نقدية موضوعية لأهم محتوياتها، والمبادئ التي كرستها لإدارة الدولة وتنظيم والمجتمع.

<u>الفصل الرابع والأخير</u>: وقد جاء في صورة **"مقارنة بين الوثائق الثلاثة"** واشتمل على ثلاثة مباحث؛ **الأول** عمدنا فيه إلى المقارنة بين الظروف التاريخية والموضوعية لصدور كل وثيقة عل حده، وعلاقتها بالثورة كمعطى ثابت في الحالات الثلاثة، وكشف القواسم المشتركة: سياسيا وموضوعيا؛ حيث كان العدو الفرنسي من ناحية والأزمات الداخلية من ناحية ثانية؛ هما الدافع والعنوان الأبرز الذي كان وراء إعدادها وصياغتها. وعالج

المبحث الثاني نقاط التوافق والتعارض من حيث: المضامين الفكرية، التوجهات الإيديولوجية، والخيارات السياسية؛ التي جاءت بها الوثائق الثلاثة، مع قراءة مركزة في الدوافع والخلفيات والأبعاد. أما **المبحث الأخير** فقد اجتهدنا فيه أن نقدم قراءة تحليلية نقدية لكل ما سبق ذكره، وعرض وجهة نظرنا في العديد من المسائل التي تضمنتها الوثائق المذكورة؛ معززين ذلك بشهادات تاريخية، وآراء لمؤرخين وباحثين وكتاب، لنخلص في النهاية إلى خلاصات استنتاجيه رأينا سلامتها وأهميتها في الموضوع.

الخـــاتمــة: تضمنت خلاصة استنتاجات البحث في مراحله المختلفة، مع عرض وجهة نظرنا في الموضوع المطروق، وآفاق الدراسة كما طمحنا وتطلعنا إليها؛ عساها تساهم في إثراء النقاش التاريخي- الوطني حول هذه الوثائق الهامة، والوصول إلى تصور ورؤية مشتركة يجتمع حولها الجزائريون، بشأن قضاياهم التاريخية والآنية المعلقة؛ تلك التي يحتدم بشأنها الجدل دون الحسم فيها حتى الآن.

إلى جانب ملاحق الدراسة التي تكمل علميا ومنهجيا البحث وتدعمه، وببلوغرافية المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

خـتاما إن كان من فضل ينسب لأحد في إنجاز هذه الأطروحة - بعد الله تعالى- فإنه يعود إلى الأستاذ الدكتور **عبد الكريم بوصفصاف**؛ الذي تفضل مشكورا بالإشراف على العمل، ولم يدخر من جهده ووقته الثمين في تقديم النصح والتوجيه العلمي البناء لتقويم البحث. وكان صدره رحبا لتقبل آرائي، ونفسه كريمة ومهيأة دوما ل لاستيعابي. فله مني كل الشكر والامتنان، وجعله الله ذخرا ووقفا في خدمة العلم والمتعلمين. والفضل والشكر المماثلين موصولان للأستاذة الدكتورة **سمر بهلوان** - رئيسة قسم التاريخ كلية الآداب، جامعة دمشق- التي تكرمت بتبني البحث وصاحبه؛ كمشرفة خارجية طيلة مدة إقامتي في سورية لسنة ونصف - في إطار منحة علمية لاستكمال الأطروحة - وكان لها الفضل في تصويب الكثير من الأخطاء المنهجية والأسلوبية واللغوية، الواردة في ثنايا العمل. كما كانت بحق خير معين؛ حيث فتحت أمامي سبل الدعم والمساعدة العلمية والإدارية داخل القسم وخارجه، وغمرتني من عطفها ورعايتها. ما خفف عني الكثير من مشقة البحث، وغربة الأهل والوطن. ولاغرو في ذلك؛ فتلك شيم من مثلها من أخوة العروبة والإسلام.

آمـل أن يلقى عملي هذا القبول العلمي من السادة الأساتذة الباحثين، ويجد فيه طلاب الدراسات التاريخية ضالتهم؛ في فهم وبحث موضوع **"وثائق الثورة الجزائرية"**، وأن يكون إضافة ايجابية للمكتبة التاريخية

الجزائرية والعربية. كما أرجو من الله العلي القدير أن يأجرنا عليه، ويعيننا في تجاوز صعوبات البحث ومزالقه الآنية والمستقبلية؛ لنتمكن من خدمة تاريخنا ووطننا وأمتنا. وأرفع في الختام هذا العمل المتواضع إلى أرواح شهداء ثورة نوفمبر الخالدة؛ ردا لبعض جميلهم الذي يغل أعناقنا؛ فلولاهم ما كنا، ولا كان مثل هذا العمل؛ فهو منهم واليهم... والله المستعان وعلى ما أقول شهيد.

دمشق في: 2008م

يوسف قاسمي

الفصــل التـمـهيــدي

[illegible] 1954 [illegible]

1- أصـول الفكـر السياســي الوطنــي...

2- ملامـح الفكر السياسي للحركة الوطنية قبل قيام الثورة

3- المجهـود الإيـديولوجـي للحـركة الوطنية...

المبحث الأول: **أصول الفكر السياسي الوطني.**

لقد تعرضت الجزائر - كما الوطن العربي - عبر مراحل تاريخها الطويل إلى هجمات وغزو متكرر، وقد أثبت التاريخ عبر تلك الغزوات مدى قدرة المقاومة الوطنية في التصدي للمحتلين وذوي الأطماع من الرومان و الو ندال و الفينيقيين إلى أن جاء الفتح العربي الإسلامي في القرن الثامن الميلادي ، ليحرر سكانها الأصليين من قبضة الوثنية ، و يصد المحتلين الرومان وحلفائهم ، ويدخل الناس في دين الله أفواجا ؛ حيث استقرت العقيدة الإسلامية في نفوسهم وحفظت الحقوق وعم العدل ،و صينت المصالح ، و انتشرت أخلاق الأخوة و المحبة و التعايش بين السكان الأصليين البربر والفاتحين من العرب المسلمين و صارت الجزائر كما يقول العلامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي:**"من أزكى المغارس التي غرست فيها شجرة الإسلام، فنمت وترعرعت حتى أتت أكلها طيبا مباركا فيه ، من القرن الأول للهجرة فقد حمل الفاتحون و فيهم أولوا بقية من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم تعاليم الإسلام إلى شمال إفريقيا،و قلب هذا الشمال هو ما نسميه اليوم بالجزائر "**[(1)]

هكذا دخلت الجزائر مرحلة جديدة من تاريخها في كنف عقيدة الإسلام و حضارته ، و ظهرت فيها حواضر للعلم و المدنية ك : تلمسان و بجاية ، و تيهرت و قلعة بني حماد ..، ضاهت حواضر العالم الإسلامي الكبرى: كبغداد و دمشق و القاهرة و القيروان... الخ. و انفتحت آفاق الإنتاج و القوة و الحضارة و العلم و الآداب و الفنون في كل ربوعها و برز أعلام في كل علم و فن. و استمر الحال على ذلك على ما يزيد على اثني عشر قرنا من الرقي و الازدهار، و إن شابه بعضا من التراجع أو الاهتزاز في بعض فتراته - خاصة خلال فترة الحكم العثماني الممتد من مطلع القرن السادس عشر الميلادي إلى مطلع القرن التاسع عشر (1516-1830م) وتحديدا المرحلة الأخيرة من حكم الدايات [(*)] ؛ لكن ذلك لم يغير من واقع الحال و المسار شيئا.

إلى أن حل الغزاة الفرنسيون و نفذوا تدبيرهم المبيت للاحتلال و الغدر بأهل البلاد ضمن مخطط واسع لاحتلال شمال إفريقيا كله ، في سياق شامل للهجمة الاستعمارية الأوروبية الحديثة التي بدأت فصولها من

---

[1] - محمد البشير الإبراهيمي، **في قلب المعركة** ط 1، دار الأمة،الجزائر 1997 ص 57

(*) للمزيد من الاطلاع حول هذه المرحلة يمكن العودة إلى المؤلفات القيمة للدكتور أبو القاسم سعد الله خاصة كتاب: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر** ج1،وموسوعته القيمة **تاريخ الجزائر الثقافي، ج2**، إلى جانب مؤلف الدكتور ناصر الدين سعيد ونى: **تاريخ الجزائر خلال فترة الحكم العثماني.** وغيرها

الحروب الصليبية، و الحركة الكشفية الجغرافية أواخر القرون الوسطى. لتمتد على المدى الزمني، و لتأخذ صفة **"المقوم الثابت"** في منظومة و فلسفة الغرب في العصور الحديثة و المعاصرة.

وباعتبار الجزائريين أمة لها كيانها التاريخي و الحضاري ، و شعبها متشبع بروح المقاومة والجهاد على مر التاريخ و الأعصر، فقد خبروا حقيقة الاستعمار الفرنسي و نواياه ، ومخططاته و أهدافه الانتقامية و التوسعية معا - والتي تحمل أبعادا تاريخية لاتينية و أطماعا اقتصادية، و سياسية عالمية ترنو إلى السيطرة على القارة الإفريقية و منها باقي العالم كله- فقد قاد الجزائريون مجددا و بأنفسهم حركة المقاومة ([2]) المرابطية ثم الشعبية التي نظمت على يد الأمير عبد القادر بن محي الدين في الغرب الجزائري لمدة سبع عشرة سنة، و أحمد بأي في الشرق لما يزيد عن عقد من الزمن. لتتوسع بعدها إلى كامل ربوع الوطن على شكل انتفاضات شعبية لم تخبو نارها طيلة القرن التاسع عشر ميلادي أي لأكثر من خمسة و أربعون سنة متصلة. أظهر فيها الجزائريون صورا من التمسك بالأرض و الشرف و الدين ما لم يكن في حسبان المعتدين . كما مارس فيها المستعمرون من ألوان القمع و الإبادة و التدمير ما لم يألفه التاريخ من قبل حتى لدى الأمم المتوحشة القديمة.[**] كل ذلك رغبة منه في إخضاع البلاد و السيطرة على مقدراتها؛ حيث رأت فرنسا أن قرب الجزائر من سواحلها و بعدها عن الإمبراطورية العثمانية المتهرئة و المفككة، علاوة على بعدها عن طريق الهند الذي قد يستفز بريطانيا؛ بهدف تكوين إمبراطورية فرنسية تلبي طموح ساستها و مغامريها الطامحين من أمثال: شارل العاشر و غيرهم ، مما جعلها تستسهل عملية الاستيلاء على الجزائر خارج إطار التوافقات الدولية، والتعجيل بتنفيذ خطتها في الاحتلال لتضع دول أوروبا و العالم المنافسة آنذاك أمام الأمر الواقع. و في سبيل ذلك ارتكبوا في الثلاثة الأشهر الأولى من صيف سنة 1830م من الفظائع وأعمال التنكيل ومن الجرائم ، ما لم ترتكب وينسب للأتراك خلال فترة إدارتهم و حكمهم للجزائر على مدة ثلاث قرون كاملة ! كما يؤكد مؤرخ فرنسي.[3]

كتب ضابط من ضباط الحملة معترفا : **(لقد أبدنا في مذابح عامة طوائف عديدة من السكان تبين فيما بعد أنها كانت بريئة مما اتهمناها به ، ولقد حاكمنا جماعة من الأعيان و الأشراف و العلماء لا لذنب إلا لأنهم**

---

[2] - أنظر تفصيل ذلك في: د.بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين 20/19م**.. ط1 المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر ؟ و كذلك: د.سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية** ، ج1، ط1 دار الغرب الإسلامي ، 1996م وغيرها .

(*) أنظر دراستنا حول **"نماذج من سياسة القمع و التعذيب الاستعماري في الولاية الأولى التاريخية "** في كتاب: **الثورة الجزائرية والاستعمار الفرنسي**، منشورات جامعة 20 أوت – آب 1955. سكيكدة ط 1، الجزائر 2007م ص ص. 163-196

[3] - محمد عودة و آخران، **الجزائر أرض اللهب و الدم**، المكتب الدولي للترجمة و النشر، القاهرة 1957، ص 16

وقفوا أمام بطشنا ، يسألوننا الشفقة و الرحمة بأبناء البلاد المساكين و لقد وجدنا حكاما منا يصدرون أحكاما بإعدامهم ، ووجدنا جلادين منا يقومون بتنفيذ تلك الأحكام إننا قد فقنا في أعمال الوحشية كل المتوحشين).[4]

أمام هذه الفظائع المروعة التي لا يرضى بها ضمير، أو تقبل بها شريعة سماء أو قانون و ضعي..، يدعي الفرنسيون أنهم جاؤوا إلى الجزائر بدافع تخليص سكانها من النير التركي؟ وأنهم وجدوا في الجزائر قبائل متوحشة أقرب إلى البدائية منها إلى التمدن والحضارة،ورسالتهم النبيلة هي إخراج هؤلاء المتوحشين من حقبة **"ما قبل الحضارة"** إلى الحقبة الحضارية الجديدة... والتأسيس لمدنية جديدة تنهل من الثقافة المتوسطية الأوروبية وإشعاع الثورة الفرنسية الممجدة للحريات والحقوق...؟ وقد جاء ذلك على السنة ساستها وعسكريها المحترفين من أمثال:**"نيجلان"** - الحاكم العام للجزائر عشية اندلاع الثورة -حين قال: (**الجزائر من خلف فرنسا...إنها إنشاء فرنسي)** وكذلك **"إميل رشيه"-** I. rochier " رئيس المجلس الاقتصادي الفرنسي حين صرح في 01ماي - أيار 1956م - بقوله**: (لم تكن هناك حقيقة قومية بالجزائر عام 1830 وإنما كان الركود السياسي والاقتصادي والثقافي...)** أما **"غي موليه"** رئيس الحكومة الفرنسية في مرحلة الثورة فقد جاء على لسانه في 09جانفي- كانون الاول1957 بقوله**: (لقد جعل الفرنسيون الجزائر بلدا متحضرا... وإذا استقلت، فسيؤدي ذلك إلى تأخرها الاقتصادي والسياسي..!)**[5].

كل ذلك كان يهدف تبرير الغزو و الاحتلال وإظهار فرنسا كما وكأنها صاحبة **" رسالة للتمدن"**، وترقية للشعوب. وهذا ما كان يلقن لأطفال المدارس في فرنسا وفي الجزائر ، في المقررات و المناهج الدراسية من ذلك ما جاء في كتاب مدرسي للجغرافيا من تأليف المسيو "موريس كونريه" - أحد منظري السياسة الاستعمارية في الجزائر وباقي المستعمرات- : (**إن فرنسا حققت للسكان الوطنيين في مستعمراتها السلم و الرفاهية و التقدم و الصحة و التعليم. و هذه الرسالة أدت إلى كسب صداقة وود السكان الأصليين و هو أشرف و أنبل جانب من جوانب سياسة فرنسا في مستعمراتها.)**[6]

---

[4] - نفس المرجع، ص 17

[5] - سعد زغلول فؤاد، **عشت مع ثوار الجزائر**، دار الديمقراطية الجديدة، مصر 1957، ص13

[6] - نفس المرجع ، ص 21

) أنظر في ذلك بحثنا: **المثقفون الجزائريون المعربون والثورة، رسالة ماجستير غير منشورة، نوقشت بقسم التاريخ ، جامعة باتنة. *(الجزائر 2002 ، صص13-21 . وكتب: مولود قاسم نايت بلقا سم، **الجزائر و هيئتها الدولية**، و د.سعد الله، **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر + تاريخ الجزائر الثقافي ج1+2+3** و حمدان خوجة، **المرآة**... و غيرها من المصادر و المراجع التي تناولت المرحلة بالدراسة و التحليل.

الحقيقة التي سعت فرنسا إلى تغييبها هي أن: الجزائر كان لها كيان تاريخي حضاري منسجم، ودولة مستقلة كاملة السيادة في ظل الولاء لسلطة الخلافة العثمانية الإسلامية ، كانت تتمتع قبل الاحتلال بكل مقومات الدولة و مظاهرها و عاشت أزهى فترات رقيها و ازدهارها الاقتصادي و الاجتماعي و الثقافي. إلى جانب القوة العسكرية و هيبة الأسطول البحري في المتوسط و الساحل الأطلسي، و المكانة الدولية كقوة عظمى في حوض المتوسط على الأقل. و قراءة بسيطة وعابرة في بعض المؤشرات الثقافية و الاقتصادية لتلك الحقبة تؤكد ما ذهبنا إليه مثلا: أنه قبل الاحتلال الفرنسي كان في الجزائر: 2000 مدرسة و 04 جامعات بمفهوم ذلك العصر - في الجزائر العاصمة و قسنطينة و تلمسان و مازونة - تظم هذه المعاهد - الجامعات 180 ألف طالب من مجموع ثلاثة ملايين جزائري. تراجع هذا العدد بعد الاحتلال، اى في سنة 1870 - و بحكم "**التمدن و الرفاهية و التعليم** " إلى 36 مدرسة، تضم 6000 تلميذا [***]

بعد إخمـاد مقاومة الأمير عبد القادر، عاثوا فسادا و حرقا لدور العلم و الثقافة، حيث أحرقت المكتبة التي كانت تحوي آلاف المصنفات و المجلدات العلمية الثمينة، و هذا ما اعترف به أحد قادة الاحتلال الجنرال "**أزال**" حين قال: (**لقد استولينا على قصر الأمير عبد القادر و أشعل الجنود النار في مكتبته التي كانت تحوي على مئات الآلاف من المجلدات العلمية الثمينة و جعلوها أثرا بعد عين.**) [7] والحق أن الأسطول البحري الجزائري في القرنين 17-18 م في أوج القوة حيث بلغ تعداده سنة 1802 حوالي 15 ألف جندي مكونا من 66 بارجة تحمل ما بين 25 إلى 80 مدفعا بعيد المدى... أما شخصية الجزائر الدولية فقد بدت قوية مهابة ، سعت دول أوربا و العالم كله إلى كسب ودها و عقد اتفاقيات سلام و تعاون معها، من ذلك تلك المعاهدات التي وقعت في القرن 17 م مع انجلترا وهولندا، و معاهدة فيفري- شباط 1792م مع الولايات المتحدة الأمريكية ، تلتها أخرى للصداقة و التعاون في سبتمبر- أيلول من نفس السنة ! ، أما فرنسا "**الاستعمارية**" نفسها فلم تكتف بتوقيع اتفاقيات سلام و تعاون مع الجزائر منذ القرن 16 م ؛ بل كثيرا ما طلبت الدعم العسكري و المادي في أوقات الشدة و الضعف ، و لم يتأخر الجزائريون الشرفاء من إنجادها، ذلك أن "**فرانسوا الأول**" François 1 " استنجد "**بخير الدين**"، حليف الجزائر و ناصره ضد الهجمات الاسبانية في القرن 16 م مرتين: الأولى ضد "**جنوه**" الايطالية سنة

[7] - سعد زغلول فؤاد، **مرجع سابق**. ص : 21-23

1535 م و كانت الجزائر يومها ولاية عثمانية منذ 1516م ، و الثانية ضد "**شار لكان**" ملك اسبانيا حين أغار على فرنسا عام 1536، و أرسلت الجزائر أسطولها الحربي، و أنقذت فرنسا في كلتا المواجهتين.

وفي سنة 1793 - و بعد قيام الثورة الفرنسية و الحروب الأهلية المندلعة في فرنسا- طلبت هذه الأخيرة من حكومة الجزائر مدها بالدعم المادي و المالي، فكان قمح الجزائر و غداءها، و قروضها المالية (أكثر من 8 ملايين فرنك ذهبي فرنسي قديم) خلاصها و محررها...

تلك هي الدولة الجزائرية في بنائها الداخلي، و قوتها و مكانتها الدولية الخارجية الدولة التي تنكرت لها ولفضائلها الحكومة الفرنسية الغازية، و باقي حكوماتها الاستعمارية المتتالية و لم ترد لها الجميل و تسدد لها دينها المستحق لها حتى اللحظة.. بل غدرت بأهلها و روعت الأبرياء ، و شردتهم؛ منكرة عليهم حقهم في الوجود و الحياة كشعب حر و أمة سيدة. فماذا كان رد الجزائريين على ذلك العدوان !

لقد برز موقف الجزائريين الوطني الرافض للاستعمار الفرنسي ،و لفكره "**اختفاء الدولة الجزائرية**" منذ الوهلة الأولى لوقوع الاحتلال، من خلال المقاومة السياسية التي قادها زعماء جزائريون مدنيون وريفيون من العلماء أمثال: **حمدان خوجة** و **لحسن بوضربة** ، و المفتي **العنابي**... وغيرهم كثيرون، كما كانت المقاومة العسكرية في شكل انتفاضات شعبية - سبقت الإشارة إليها- من الوهلة الأولى و حتى نهاية القرن 19 و مطلع القرن العشرين . لتأخذ المقاومة بعدها أشكالا أخرى من التعبير: عبر الصحافة و الأدب الشعبي، و تقديم العرائض الاحتجاجية و الهجرة ،التي اتخذت شكلا جديدا لرفض المحتل- من منطق "**عدم الخضوع للكافر و ضرورة الهجرة**" كما كان لتياري الشبان **المحافظين** و **النخبة** اللذين برزا دورهما الحيوي في الدفاع عن مقومات الأمة الجزائرية ، و تحريك الوعي الفكري الذي مهد لظهور النشاط السياسي الجزائري بعد الحرب العالمية الأولى. و التي أثرت في تفكير الجزائريين و وعيهم الوطني،وذلك من خلال تجنيد الجزائريين طوعا أو قسرا؛ حيث كانت خبرة المشاركة في الحرب، و الاطلاع و الاحتكاك بالواقع الأوروبي..، مما شكل حدثا هاما أفضى إلى بدايات " **اكتشاف الذات** " و التعلق "**بالوطن الجزائري**"، و حمل قضيته بالتدريج ضمن سياق المطالبة بالمساواة و بالحقوق المدنية و السياسية في مرحلتها الأولى التمهيدية وأحسن مثال عن هذه الفئة في هذه المرحلة هو الأمير "**خالد الهاشمي**"[****] الذي كان ضابطا في الجيش الفرنسي من قبل.

(****) الأمير خالد بن محي الدين :هو حفيد الأمير عبد القادر الجزائري ولد بدمشق عام 1875م، شارك في الحرب العالمية 2 برتبة ملازم أول إلى جانب ألاف الجزائريين المجندين إجباريا- وقد قدرتهم السلطات الفرنسية ب 183الفا مابين 1916- 1918م- بعد نهاية الحرب خاض غمار الكفاح السياسي،وبدأه برئاسة الوفد الجزائري الذي انتقل إلى باريس يعرض مطالب الجزائريين وقدمت العريضة للرئيس الأمريكي ولسن، لكن هذا الأخير تجاهلها؟ وعاد الأمير مع الوفد إلى الجزائر وألام الخيبة تسكن نفوسهم. لكنه واصل نشاطه السياسي بتأسيس **"حركة الشبان الجزائريين"** ، وتركزت مطالبها بالأساس على:تحقيق المساواة بين الجزائريين والفرنسيين مع الحفاظ على الأحوال الشخصية الإسلامية، إلغاء قانون الاهالى الجائر الصادر سنة 1870 ...الخ.ثم أسس جريدة **"الإقدام"** سنة 1920م لنشر أفكاره، نفي السلطات الاستعمارية من الجزائر إلى فرنسا في جويلية –يوليو 1923 ومنها إلى الإسكندرية عام1924م ،ليرحل بعدها إلى دمشق مسقط رأسه ، وتوفي سنة 1936م. انظر تفصيلا أكثر عن الأمير خالد ونشاطه في: محمد قنانش، **الحركة الاستقلالية في الجزائر بعد الحربين 1919-1939م**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1982، ص27-28، وكذلك:

Charles rebebert Ageron, **colonials au Maghreb politiques . P**.u.f, Paris 1972 pp 256-257

وقد قدم عريضة أكثر تعبيرا في ذلك الوقت عن تطلعات هذه الفئة من الجزائريين، و من خلال شريحة هامة من المجتمع الجزائري.

قدمها إلى الرئيس الأمريكي **"ولسن"** "Wilson"، والى مؤتمر الصلح بفرساي سنة 1919 عبر فيها عن مطالب الجزائريين و حقهم في تقرير مصيرهم، على ضوء المعطيات الجديدة التي أعقبت الحرب، وكذا مبادئه الأربعة عشر- المعلنة بعد نهاية الحرب العالمية الأولى- و التي على أساسها ستنشأ عصبة الأمم المتحدة سنة 1920 - كما تضمنت الإعلان في عريضته عن **" استمرارية الدولة الجزائرية"** و النوادي الثقافية و النشاطات الجمعوية ، و الزعامات الوطنية ذات التوجه الإصلاحي بأنواعها: الليبرالي و الديني الثقافي. كل ذلك مهد الطريق أمام ظهور **"الأحزاب السياسية"** و **"الجمعيات الوطنية"** التي ستستلم المشعل ، و تضفي طابعها المميز السياسي السلمي و القانوني على حركة المقاومة الوطنية.

من ثم يمكن القول: أن الدولة الجزائرية التي تعرضت للغزو من قبل المحتل الفرنسي في جويلية- يوليو 1830 م و تنكروا لوجودها السياسي والقانوني ، قد أحياها **الأمير عبد القادر** بتسلمه السلطة عبر البيعة الأولى و الثانية و رضا الأهالي و ممثليهم من زعماء القبائل و شيوخ الطرق الصوفية و العلماء - في نوفمبر- تشرين الثاني 1832 ثم في فيفري - شباط 1833 - فكانت سلطة الأمير سلطة شرعية و قانونية ، وضعت حجر

الأساس لإعادة بناء "**دولة جزائرية حديثة**" بدلا من السلطة العثمانية العاجزة، مؤكدا استمرار سيادة الدولة الجزائرية، و متحملا مسؤولية الجهاد و الدفاع عن الشرعية الوطنية و السياسية، و مدافعا عن دار الإسلام، و مؤسسا لأولى دعائم دولته من وحي المنطلقات الإسلامية و العصرية معا[8] ، ليستمر احتضانها في جهات مختلفة من الوطن عبر المقاومة الشعبية ، حتى انتهت القضية في أيد آمنة - حفيده **الأمير خالد** - الذي سيمنحها من رصيده: زخما جديدا بنشاطه الصحفي والسياسي. تجلت بعده في برامج و مشاريع أحزاب سياسة وطنية و زعامات سيكون لها الأثر القوي في مسيرة الحركة الوطنية و نضالاتها.

المبحث الثاني: **ملامح الفكر السياسي في الحركة الوطنية**

إن المشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر الذي بدأ ف تطبيقه فعليا في الميدان منذ جويلية- يوليو1830م واستمر على مدار قرن و ثلث القرن، أي حتى سنة 1962، كان مشروعا متكامل البنية و الأبعاد، راهن بصفة خاصة على تحقيق هدفه الاستراتيجي المتمثل في : إلغاء وجود الجزائر التاريخي ككيان سياسي، والقضاء على بنيتها المادية ، ومقوماتها الحضارية..، ضمن نطاق انتمائها العربي الإسلامي وأبعاده الأخلاقية و الإنسانية، و يمكن تلخيص دعائم هذا المشروع و فلسفته في النقاط التالية :

01 - العمل على تصفية الأسس المادية التي يقوم عليها المجتمع الجزائري، جغرافيا واقتصاديا وعمرانيا.. !

02 - التنصير والتمسيح المنظم للمجتمع أفرادا وجمعيات، بهدف القضاء على المعتقد الإسلامي و إضعاف الحمية الدينية في نفوس أهله وقد قال "**دوبرمونت**" Doberman" قائد الحملة الفرنسية للقساوسة: (**إنكم أعدتم معنا فتح الباب للمسيحية في إفريقيا، و لنأمل أن تصبح فرنسا الحضارة التي انطفأت في هذه الربوع.**)[9]

03 - الفرنسة لغة وثقافة ، و إحلالها محل اللغة و الثقافة العربية، و فرض الفرانكفونية كمنظومة لغوية و ثقافية ذات رؤية سياسية وأهداف إستراتيجية.

8- أنظر : A. Benachenhou**, l'état algérienne en 1830,Sos institutions sous l'Emir Abd-el-Kader**, Alger. S.D.F, p :70

9- Mahfoud Kaddache **: histoire du Nationalisme algérienne, question nayionele et politique algérienne 1919-1951**.CNED. Alger 1980.T1,p :30.31

04 - تفتيت وحدة المجتمع وتدمير نسيجه المتماسك عبر إحياء النزاعات القبلية و الجهوية[10]، و قد ذكر "شارل روبير أجرون ch. R. ageron" بعضا من الممارسات و الأعمال المتبعة لإنجاز هذه المهمة في سبيل طمس عناصر الهوية الوطنية قائلا : (**... وتفكيك المجتمع الجزائري، و السعي إلى إدماج العناصر الجزائرية المتعلقة بثقافتنا و الحالمة بالجنسية الفرنسية و ما يترتب عنها من امتيازات (في ذات الوقت) كانت تسلط القمع و الاضطهاد على العناصر الوطنية المناهضة لمفهوم التمايز العرقي بالجزائر، و في مقدمتها شيوخ الزوايا و رجال الإصلاح و مناضلو الأحزاب الوطنية.)** [11]

5- التنكر للتاريخ الجزائري و تشويهه، و إسقاط جغرافية الجزائر التاريخية و السياسية، إلى جانب ضرب البعد الحضاري عبر تشجيع أطروحات فكرية و إيديولوجية و سياسية منافية و غير منسجمة مع مكونات الشخصية الوطنية و الحضارية.. متمثلة خاصة ، إما في: "**الإدماج**" أو "**المساواة**" ، أو **الاتحاد الجزئي**" في أسوأ الحالات.. أو حسب تعبير المؤرخ الإيطالي "جيم باسنا فيكو" j b fichu " **"القناعة" أو "الحل من الخارج" أو"الحل من الداخل**". و يعلق الدكتور نصر الدين سعيد وني على موقف الجزائريين في ذلك الحين بأنه كان (**مقتصرا على الحلين الأخيرين دون الأول، إي الإدماج ، الاستقلال !**)[12] فكان أصحاب الحل الأول "**الإدماج**" خارج دورة التاريخ، و بعيدين عن روح الشعب و طموحاته، في حين لامس أصحاب الحل الثاني الوتر الحساس للشعب الجزائري و انسجموا مع واقعه التاريخي و الحضاري، و آماله في التحرر و الانعتاق.

في سبيل تحقيق هذا المشروع جندت فرنسا ترسانتها البشرية و المادية، و أجهزتها و وسائلها التعليمية و الثقافية و الإعلامية إلى جانب آلتها العسكرية - حامية المشروع الاستعماري كله - ناهيك عن الوسائل و النصوص القانونية، و مؤسسات التشريع، و القرار السياسي. كلها وظفت لتضمن له التنفيذ، حتى تقضي على "**حركة الرفض الشعبي**" المتجدد باستمرار ! و قد راهنت أكثر على سكان المدن عبر الوسائل السياسية و

10- Jean maire des rages **: l'enseignement du musulement en Algérie in revue mouvement social** 1970.p113

ch. .R .ageron , **les algériens musulements et la France 1871-1919**,paris 1969 ,pp267.271 11

12- سعيد وني نصر الدين، **نظرة في البعد التاريخي للثورة أي المشروع الحضاري للثورة**، كتاب: **معالم بارزة في ثورة نوفمبر 1954**، نشر جمعية أول نوفمبر لتخليد و حماية الثورة الاوراس ،ط1، باتنة (الجزائر) 1992 ،ص :165

المدنية في حين فرضتها على سكان الأرياف و الجبال من خلال وسائل القمع و المصادرة و التهجير... و من ثم فكان "التزاوج بين الوسيلتين السياسية و العسكرية" المستند تين إلى وسائل أخرى: كالتبشير، والإغراء المادي و الضغط النفسي و الحملات الدعائية.

هذه هي أبرز معالم السياسة الاستعمارية في الجزائر منذ الربع الأول من القرن 20م ، أي سنة 1919 و إلى غاية الاستقلال الوطني في عام 1962م . فإلى أي مدى كان مستوى التعاطي مع هذا المشروع من قبل الجزائريين سلبا و إيجابا؟ و ما هي الوسائل التي اعتمدتها الفعاليات الوطنية المدنية و السياسية لمجابهته ؟ و هل تمكنت الإدارة الاستعمارية من ضمان الحد المطلوب من الشروط الاجتماعية و السياسية لإقراره ؟

ذلك ما سنرصد وقائعه و تطوراته من خلال عناصر هذا المبحث، الكاشفة عن طبيعة اتجاهات الحركة الوطنية و برامجها الفكرية والثقافية و ملامح فكرها السياسي.

1- **الاتجاه الإصلاحي التغريبي و مرجعياته المطلبية**

في مطلع القرن20 م بدأت أولى أشكال التعبير السياسي الجديدة عن معاناة الجزائريين و تطلعاتهم الاجتماعية و الثقافية تظهر وتتزايد بين صفوف المتعلمين المنحدرين من أصول اجتماعية : برجوازية، أو متوسطة، أو من عائلات إقطاعية مارس أفرادها مسؤوليات داخل أجهزة الإدارة الاستعمارية..، كالباشغوات و الأعيان ، و بعض الوظائف العسكرية البسيطة من قدماء المحاربين... و غيرها. و كان لهذا الامتياز الاجتماعي و الإداري أهمية في منح أبناء هذه العائلات فرصة التعلم داخل المدارس الفرنسية، و تشرب الثقافة الغربية، و من ثم احتلال مواقع التغيير الاجتماعي و الثقافي. وقد تولي هؤلاء وظائف أكثر رقيا بالنسبة لعموم الشعب و أبناء القرى و الأرياف. و من هذه الوظائف: الصحافة، المحاماة، التدريس، الإدارة و الطب.. وغيرها. و جل هؤلاء النخبة كانوا يسكنون الحواضر و المدن، و لهم اتصالات و احتكاكات يومية بعناصر الإدارة و الحكم، و من أبرز هؤلاء: ابن التهامي ، ابن جلول، تامزالي ، الأمير خالد، فرحات عباس و عشرات منهم كثير.

وقد شكلت هذه الفئة **"خط التماس"** أو **"الحاجز"** أو الفاصل الحقيقي بين الإدارة و الجماهير الجزائرية. و لم تستطع أن تقوم بوظيفة الاتصال الفعلية بين الطرفين، على اعتبار أن الجماهير الشعبية لم تكن تعترف بها كممثل لها أو متحدث باسمها كما تنظر إليها بعين الريبة و الشك لعدم قدرتها على تبني همومها و قضاياها. في حين كانت الإدارة -معززة بالعناصر المتطرفة من المستوطنين ذوي النزعات التمييزية و العنصرية - تنظر لهؤلاء

على أنهم ضعفاء مرتزقة همهم التقرب و الحصول على امتيازات من الإدارة تمكنهم من التموقع الاجتماعي، و تحقيق المساواة أو الاندماج في إطار الحياة الأوربية. و هو الأمر الذي كان يرفضه المستوطنون من منطلق **"النظرة الدونية"** لهؤلاء، و اعتبارهم رعايا من الدرجة الثانية.[13]

وعليه فقد وجد هؤلاء أنفسهم في موضع **"الشبهة"**، و عدم القبول من كلا الطرفين؛ مما جعلهم يعيشون حالة من الاغتراب النفسي و الاجتماعي و حتى الثقافي، و لهذا فقد عملوا على بناء موقف **"شبه وسط"** يرنو إلى الانطلاق بثقة نحو العالم الثقافي والاجتماعي الذي جاء به المستعمر، باعتبارهم معلمين: غذوا بالثقافة الفرنسية، و كلفوا **"كرسل"** لنشرها في أوساط السكان الأهالي. و كما يقول الدكتور سليمان الشيخ فقد كانوا: **"كلهم "أبناء طبيعيون" من نتاج التسرب الظافر لحضارة المستعمر إلى عالم المستعمر."** و قد وضعوا أنفسهم موضع " **السائل الملحاح على كونه شديد الاحترام.**"[14] غير أنهم لم يكونوا يتجرؤون على إعلان موقف التراجع الحريص على تبني هويته الوطنية، أو كسرهم "الطابو" المتعلق بمناقشة **"مبدأ السيادة الفرنسية"** في الجزائر و طرحه كموضوع بحث . لأنهم على المستوى النفسي و الاجتماعي و الفكري لم يكونوا مؤهلين و لا قادرين على تبني مثل هذه الأطروحات الراديكالية ذات البعد الوطني التحرري، كما أن مستوى وعيهم و نضجهم الفكري و السياسي لم يرق بعد إلى مثل هذه التطلعات.

بالجملة فإن الجماعة لم تكن تطمع لأكثر من تحقيق نوع من العدالة و مساواة أفضل، و تمييز عنصري أقل، كل ذلك في ظل الوصاية الرسمية، و المباركة الفعلية لفرنسا الخالدة.

و قد انضوى هؤلاء في سياق ما يعرف " **بالحركة أو النزعة الإصلاحية التغريبية** "، حيث اجتمع فيها أصحاب الميول الليبرالية وذوى النزعة اليسارية الماركسية ، و يبدو من الوهلة الأولى أن هناك شيئا من التناقض المبدئي في منطلقا تهم . و لكن إذا تفحصنا حقيقة النزعتين لدى الفئتين فسنجدها لا تعدو أن تكون معبرة عن نوع من التلاؤم المزدوج حيال الوضع المشخص للبلاد آنذاك. فقضيتهم في النهاية، هي الرغبة الملحة في احتلال مكانة ممنوحة تضمنها لنفسها في سياق اجتماعي اقتصادي لا أكثر ! و هذا ما يجعلهما يشتركان في الشعار المرفوع " **الإصلاح**" ويتقاسمان السياسة الإصلاحية في كنف ثقافة تغريبية غير موصولة الجذور بواقعهم التاريخي

---

[13] - أبو القاسم سعد الله ، **الحركة الوطنية الجزائرية**،الجزء 02،ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986 ص:167ثم ص :371 وما بعدها . و كذلك محفوظ قداش و جيلا لي صاري، **المقاومة السياسية - الطريق الإصلاحي و الطريق الثوري 1900-1954م**، المؤسسة .و ك ، الجزائر 1987 ص 21

[14] - سليمان الشيخ، ترجمة محمد حافظ الجمالي، **الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين**، ط1.دار القصبة للنشر الجزائر 2003 ص 39-40

الحضاري من جهة و بقضايا مجتمعهم و شعبهم- الذي صودر حقه في العيش و الحياة الكريمة على أرضه و مقدراتها- من جهة ثانية.

من هنا - و في هذه الفترة بالذات - مطلع ق 20 إلى منتصف الثلاثينات - فإننا نجد صعوبة بالغة في التمييز بين الفئتين: أشخاصا وأفكارا ومطالب، ولتوضيح تركيبة هاتين الفئتين ونشاطيهما وأطروحتيهما. فإننا سنعمد إلى اعتماد أو تبيين نوع من الفصل المنهجي، و "**التمييز الرفيع**" بينها و الكشف عن ملامحها في سياق النشاطات و المواقف لكليهما.

ا- **النزعة الإصلاحية الليبرالية لدى المنتخبين (أو النخبة)**

بعد صدور قانون كلمنصو الإصلاحي في 04 فيفري- شباط 1919 م، الذي يمنح بعض الحقوق المشروطة للجزائريين للحصول على الجنسية الفرنسية، تم إجراء انتخابات المجالس المحلية، و مشاركة الأمير خالد بقائمة منفصلة في العاصمة عن مجموعة النخبة ، و ما اعترى هذه الانتخابات من تجاوزات و مشاحنات بين المترشحين. حدث انفصال بين مجموعة الأمير خالد، الذي صدم بموقف الإدارة المنحازة. و بدأت بوادر اليقظة الوطنية تظهر في مواقفه و آرائه [15] خاصة لما رفض القبول بالتخلي عن الأحوال الشخصية الإسلامية كشرط أساسي في الحصول على الجنسية الفرنسية و بعض الامتيازات الأخرى ذات الطابع الاجتماعي و الإداري، و دخل في مجادلات إعلامية و ثقافية وسياسية مع خصومه السياسيين من الكولون والاندماجيين في صحيفة الإقدام سنة 1922- 1923م، أدت إلى حملة ضده انتهت بصدور قرار نفيه خارج الوطن عام 1923 م.

لكن المؤكد أن الأمير خالد كان قد مثل- من خلال شخصه و نسبه ووظيفته العسكرية و السياسية - المرحلة الانتقالية بين الصورة الأولى للمقاومة المسلحة من أيام جده الأمير عبد القادر(1832-1847)م المتبوعة بالتراجع الدفاعي الذي بدأ بعد هزيمة المقراني عام 1871. و بين صورة و مرحلة أكثر حداثة نبأت بعمل الأحزاب السياسية الجديدة، و المنظمات و الجمعيات الثقافية و الاجتماعية. تلك مجتمعة مثلت الحركة الوطنية الجزائرية التي اتصفت في المقام الأول بالشرعية المطلبية القانونية ضمن إطار القانون الفرنسي الذي كانت

[15] - أنظر : ابن الشيخ حكيم، **الأمير خالد الهاشمي.** رسالة ماجستير غير منشورة ، نوقشت بقسم التاريخ جامعة الجزائر،سنة 2002 الفصل الثاني: صص115- 171

تحكم به الجزائر. و قد اتخذت هذه الشرعية صورة الولاء السياسي و القانوني لفرنسا مقابل الحصول على مطلب المساواة في الحقوق و التمثيل للجزائريين.

هكذا و كما يقول د سليمان الشيخ فإن: (**عهد الأمل الذي انفتح عام 1819 بقانون 04 فيفري (...) الذي منح حقوقا انتخابية لفئة من المواطنين المحليين، يؤلف نقطة البداية لتتابع الآمال بسرعة، و تلاشيه بقسوة أحيانا، حتى أول نوفمبر 1954 م.)** [16]

بهذا خلا الجو للمجموعة الاندماجية التي كان يقودها ابن التهامي، و ابن جلول و غيرهما لتعبر عن الأفكار و الأطروحات التغريبية المتطلعة إلى تدجين المجتمع الجزائري و تذويبه داخل الثقافة الفرنسية الأوربية. و دخلوا في المجالس والنيابيات و المندوبات المالية في الجزائر و قسنطينة وباقي المدن الكبرى، تحدوهم فكرة واحدة و وحيدة؛ و هي كيفية إيجاد السبيل و الوسائل الكفيلة بتغريب المجتمع، و افتكاك تأشيرة تؤهلهم للتعبير عن أنفسهم كقادة ومسئولين يحملون شهادات التزكية من الإدارة الفرنسية، جراء هذا العمل الجليل الذي قدموه للثقافة و المشروع الفرنسي الاستعماري. و قد أسسوا ثلاث اتحاديات عرفت باسم: **"باتحاديات المنتخبين المسلمين الجزائريين"** "Fédérations désiles musulement algériennes"، الأولى في العاصمة يوم11 سبتمبر - ايلول1927م والثانية في قسنطينة برئاسة بلقاسم بن التهامي ،والثالثة في وهران عام 1928م و عقدت مؤتمرها الأول في سبتمبر من نفس السنة، وهي امتداد لحركة الشبان الجزائريين. و تشمل الاتجاه اليميني المعتدل الموائم و المتعايش مع الإدارة و الثقافة الأوربية في الجزائر.

يحصر عبد الرحمن العقون هدفها في : (**توحيد و تنسيق جهود الممثلين الجزائريين في مختلف المجالس للدفاع عن مندوبيهم .)** [17]و قد ترأسها في البداية شريف سيسبان ثم محمد الصالح بن جلول سنة 1931، و كان من نشطائها: أطباء و محامين و أساتذة و صحفيين و صيادلة و تجار و قدماء محاربين، لكن الأبرز فيهم كان **ابن جلول**، الذي سيكون الرقم الأول في اتحادية قسنطينة و بين المجموعة إلى تاريخ عقد المؤتمر الإسلامي الجزائري 1936م و فترة قبل الحرب العلمية الثانية. بعدها ستظهر شخصية شابة كاريزمية، تحل محله في قيادة

---

[16] - سليمان الشيخ، **الجزائر تحمل السلاح**، مرجع سابق ص: 73-74

[17] - عبد الرحمن العقون، **الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصر**، ج1،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984 ص:145

هذا الاتجاه، و تطوير أفكاره و أطروحاته السياسية، تلك الشخصية هي: **"فرحات عباس"** - الذي سيكون له شأن كبير في تاريخ و نضال الحركة الوطنية و الثورية الجزائرية، بل و تاريخ الجزائر المعاصر كله.

يجمل أحمد حناش مطالب هذه الحركة بأنها : **(جمعت الطبقة المثقفة ثقافة فرنسية، و تبنت الإدماج في إطار التطور الاجتماعي و المساواة في الحقوق و الواجبات للجزائريين مع الفرنسيين و إلغاء القوانين الاستثنائية و قانون الأهالي).** [18] و هكذا فإن زعمائها و مناضليها المحدودين من الجزائريين و بعض المستوطنين اعتقدوا بضرورة الإدماج التدريجي للنخبة المثقفة في الحياة الفرنسية، و يرون أن **(استقلال الجزائر يمر حتما عبر تحقيق المساواة بين الجزائريين و الفرنسيين.)**[19]

كان الهدف الأسمى لهذه الفئة بخصوص تعاملها مع الجماهير الشعبية، ليس تأطير الجماهير سياسيا، بل تمكين النخبة الجزائرية المتفرنسة من الاندماج و الحصول على حقوقها المادية و السياسية ، و لعل أحسن تعبير عن الفكر السياسي لهذه الفئة و تطلعاتها ما جاء عن فرحات عباس في كتابه " **الشاب الجزائري** " و تحت عنوان " **من مستعمرة إلى مقاطعة** " قوله: **(إن لجزائر أرض فرنسية و نحن فرنسيون لنا أحوالنا الشخصية مسلمة. و نأمل أن تتحول من مستعمرة إلى مقاطعة.)** [20] تلك كانت الغاية المثلى و الحلم الذي بذلوا لأجل تحقيقه كل جهدهم.

لكن الأخطر في أطروحات هذه الفئة الإصلاحية الاندماجية التغريبية ذات التوجه اليميني الليبرالي، إنكارها للكيان الوطني الجزائري: تاريخيا و حضاريا. و التعلق -غير الطبيعي و لا المسبوق- بأهداف فرنسا الاستعمارية، إلى جانب التوسل الذليل و غير المبرر لأجل احتضانهم كمجموعة **"فرانكفونية"** تقدم قرابين الطاعة و الولاء، في ظل تنكر صارخ لجذورها و انتمائها الاجتماعي و الوطني .. و كان ذلك **"أسوأ تعبير"** ، و **" أدنى مستوى "** بلغته هذه الفئة؟ كما شكل نقطة سوداء و وصمة عار في تاريخ نضالها الوطني.

ذلك ما كتبه فرحات عباس بجريدة " **الوفاق** "الإسلامي الفرنسي يوم 23 فيفري- شباط1936 في مقال شهير تحت عنوان " **فرنسا هي أنا** " La France c'est moi! "مما جاء فيه: **(إن الوطنية عاطفة تدفع شعب**

18-Ahmed hannache **: la langue marche de l'Algérie combattante (1830-1962**) édition dahleb Alger 1990 p 42

19 - مومن العمري ، **الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير 1926-1954م**، ط 1، دار الطبع للنشر قسنطينة ، الجزائر- 2003 ص 24

20 - نفس المرجع السابق ص : 24

من الشعوب إلى العيش معا داخل حدود معينة و هي التي أدت إلى قيام سلسلة الأمم الحاضرة، و لو أني اكتشفت وجود أمة جزائرية لكنت وطنيا (!) إن الوطنيين يكرمون لأنهم يموتون من أجل فكرة وطنية ، و لكنني غير مستعد أن أموت من أجل وطن جزائري، لأن هذا الوطن لا وجود له و لم أستطع أن أكتشفه ، و قد سألت الأحياء و الأموات و زرت المقابر و لم يحدثني أحد عن هذا الوطن ، و ليس في وسع إنسان أن يقيم بناء على الريح ...) [21]

عموما فإن هذه الجماعة مثلت **"كبش الفداء"** التاريخي، في سياق النضال الوطني للحركة الوطنية الجزائرية، كما جني عليها قصر نظرها و سذاجة تفكيرها، و أحلامها الوردية. بحيث وجدت نفسها معلقة في مهب الريح، فلا هي مقبولة لدى المجتمع الجزائري المتمسك بهويته الوطنية في مفاهيمها التقليدية، و إطارها العربي الإسلامي، و لا هي وجدت القبول و الرضا داخل عناصر الإدارة الاستعمارية و اللوبي الاستيطاني، هذا الأخير الذي حال دون تحقيق أدنى مستوى للتعايش معها أو الاندماج في الوسط الاجتماعي و السياسي الفرنسي. فكان الحقد و العداء و العنصرية و أحيانا القمع، هي أدوات و أسلوب التعامل المفضل معها .

غير أن الموضوعية تفرض علينا القول: أن هذه الفئة كان لها شرف الاقتحام المبكر لميدان النضال الفكري والسياسي الوطني، و التأسيس لقواعده التنظيمية و القانونية، وإحداث جو من التفاعل والتصادم، وحالة من القلق المستمر في حياة الجزائريين. و من ثمة الانتباه إلى مزالق و مخاطر الأطروحات الاندماجية من خلال واقع الممارسة و التجربة الذي أقنعها تظهر أخيرا ضرورة التحول نحو الضفة الأخرى، حيث الحضن الشعبي ،و السند الجماهيري و إرادتها التي لا تفل. و منها يمكن أن نطلق على هذه الفترة من النضال الوطني للنخبة المتغربة، وصف " **المرحلة الرومنتيكية** " ، التي ستليها بدايات التعاطي مع حقائق الواقع الجزائري و دخول **"المرحلة العقلانية"** الأكثر استقرارا و تجاوبا مع الضمير الجماعي الوطني. ذلك ما سنحاول التعرف عليه من خلال مسيرة الزعيم الجديد لهذا التيار **"فرحات عباس"** بدءا من الحرب العالمية 2 و حتى اندلاع الثورة التحريرية في مضان هذا الفصل.

---

[21] - د.سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية (1930-1945)** ج3، ط3، مرجع سابق، ص 69-70

ب- <u>النزعة الإصلاحية الماركسية لدى النخبة الشيوعية</u> :

إن هذه النزعة ذات الميول اليساري الماركسي، هي في حقيقتها امتدادا -من حيث المضمون الفكري و السياسي- للنزعة الإصلاحية اليمينية السابق تناولها ، خاصة من حيث الإطار العام للنضال الذي تمثل شعار "**الإصلاح**" و القبول بفكرة الإدماج و التعايش مع كيان الاحتلال إلى جانب التعاطي معه في الخطوط الاجتماعية و الثقافية... وغيرها. لكن الاختلاف بينهما ربما يكون في المصدرية الاجتماعية لانحدار هذه الفئة ، التي طغى عليها "**العنصر الأوروبي**" الاستيطاني من حيث التركيبة البشرية، والانتماء الاجتماعي، في الوقت الذي تقاطعت فيه مع بعض الفئات من الجزائريين المغتربين في "**الوطن الأم**" فرنسا المترو بول. كما تأطرت داخل هياكلها التنظيمية النقابية العمالية على الخصوص، مما جعلها تتأثر بالأفكار والأطروحات الطبقية لهذه الفئة ،ولكبار منظريها في الفكر الماركسي، كما ارتبطت ايدولوجيا بالنظرية الماركسية اللينينية ،ذات المذهب الشمولي، والإيديولوجية العالمية في النضال والتغيير الاجتماعي والسياسي.

يبـدو من للوهلة الأولى شيء من التناقض في "**التجميع العائلي**" بين النزعتين، ضمن سياق مشترك ، لكن إمعان النظر في المسلك النضالي، و التلاؤم المشترك في التعاطي مع الواقع الجزائري في ظل الاحتلال خلال هذه الحقبة وما تلاها.، يجعلنا لا نتردد في تأكيد هذا الترتيب و التصنيف. فبحكم الانخراط في المشروع الإدماجي، و حرص "**يسار الجزائر**" المرتبط فكريا و سياسيا و عضويا باليسار الفرنسي و منه باليسار العالمي - المؤطر من قبل "**الأممية الشيوعية**" "الكومنترن" في موسكو - قلت حرص أصحابه عندنا في الجزائر على مراعاة زبائنه الأوربيين شديدي الحساسية موضوعيا، تجاه أيديولوجية المسيطر- و بحكم وضعهم فقد التزموا بالسياسة الإصلاحية ، و ازداد ذلك الالتزام انضباطا بحكم تبعية هذا التيار لمركز خارجي هو " **الحزب الشيوعي الفرنسي** " الذي يملك صلاحية إصدار القرارات المناسبة للحالة الجزائرية من هناك ، من "**المترو بول**" métropole" في باريس.

سيتدرج هذا التيار تنظيميا بعد الحرب العالمية الأولى ، ليتمكن من تحقيق السبق في الظهور "**كحزب سياسي**" عصري بالجزائر حوالي منتصف العشرينات من القرن 20 ، حيث ترجع أصوله إلى سنة 1924 م يوم ظهر كفرع للحزب الشيوعي الفرنسي، و يمكن أن نعتبره أقدم حزب سياسي – بمفهوم عصري- ظهر على الساحة الوطنية الجزائرية. وبحكم الاعتبارات السالف ذكرها، فقد انفتح على الأوربيين و الجزائريين، بل كان

العنصر الأوربي "**المستوطنون**" هو الأكثر تمثيلا فيه ، و قد وجد نفسه منذ اللحظة الأولى لظهوره على الساحة الوطنية وبين الجماهير معزولا و بعيدا عن الشعب و قضاياه، و متحالفا مع القوى البرجوازية في الكثير من المسائل و المواقف.

كما استقل بنفسه تنظيميا وقانونيا عن الحزب الشيوعي الفرنسي سنة 1935م ، و في السنة نفسها تمكنت الجبهة الشعبية اليسارية من النجاح في تسلم الحكم في فرنسا في انتخابات 05 جوان - يونيو 1935 م. و كان زعماؤها "**فيوليت**" violet " و "**بلوم**"bloom " قد صاغا مشروعا باسمهما عرف بـ "**مشروع بلوم-فيوليت**" "projects de bloom" violet " - **الأول** كان رئيس وزراء الحكومة الجديدة، و**الثاني** زعيما للجبهة - وضحا فيه بأن قانون منح الجنسية المقترح في المشروع لم يوضع لمنح الجنسية الفرنسية للشعب الجزائري كله، وإنما: **(للمواطنين الذين استوعبوا بالكامل الفكر الفرنسي، و الذين لا يستطيعون لأسباب أسرية أو بواعث دينية أن يتخلوا عن حالتهم الشخصية.)** [22] وقد حدد عدد المستفيدين من هذا المشروع من 20 إلى 25 ألف من الجزائريين الأكفاء ! وهلل الشيوعيون لهذا الانتصار للجبهة ، و رحبوا بالمشروع و اعتبروه "**حدثا تاريخيا**" له دلالته المباشرة على الوضع السياسي في الجزائر المستعمرة. كما جندوا كل طاقاتهم لإنجاح المشروع و اتخذوا منطلقا لعقد اجتماع عرف "**بالمؤتمر الإسلامي الجزائري**" سنة 1936، ليطرحوا فيه ما عرف بمطالب الشعب الجزائري. حيث كان أول تجمع جزائري يضم مختلف اتجاهات الحركة الوطنية و تياراتها حول مشروع مشترك، أثيرت حوله بعد ذلك الكثير من المواقف المؤيدة و المعارضة.[23]

لكن المستوطنين وقفوا له بالمرصاد، حيث أوعزوا إلى الحاكم العام آنذاك "م. ليبو "M.lebeau" بتحريك أعوانه من المرابطين المزيفين و المفتين الرسميين، لإجهاض المشروع و رفضه من قبل البرلمان الفرنسي، و فعلا كان لهم ما أرادوا. و المهم أن هذه الفئة من النخبة الإصلاحية ذات التوجه الشيوعي، سيكون لها هي الأخرى اليد الطول - بحكم امتيازاتها البشرية، الإدارية ، الاجتماعية و الثقافية كذلك- في تأطير النشاط الوطني

---

[22] - د.رابح بلعيد، "**فرحات عباس يقضي على ابن باديس**"-مقال منشور في رسالة الأطلس ،العدد 110،الحلقة 17ص 04الى 10نوفمبر 1996م.

[23] - انظر في ذلك سعد الله .**الحركة الوطنية الجزائرية**، ج3، مرجع سابق ، ص 147. وكذلك مالك بن نبي، **شروط النهضة** ، دار الفكر – دمشق سوريا 1986 ، ص26 وما بعدها.

أنظر المزيد عن هذه الفئة و نشاطها من: د.سعد الله ، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج2، مرجع سابق ص 81 . وكذلك: د عبد الكريم)-23(بو صفصاف :**جمعية العلماء المسلمين. ج و علاقتها بالحركات الوطنية الأخرى** ،ط1،المؤسسة الوطنية للاتصال و الإشهار الجزائر 1996 ص 35 و ما بعدها

اجتماعيا ونقابيا، والمساهمة في التأسيس الفعلي للعمل السياسي القانوني المنظم في الجزائر ناهيك عن الاستفادة من الوسائل العصرية للحزب الشيوعي الفرنسي، كالمنابر الإعلامية و منظمات المجتمع من الشباب و العمال و النساء، لمعاداة الامبريالية العالمية ، و نشر الوعي الطبقي، و سوف يتجلى عملها أكثر بعد الحرب العالمية الثانية.

<u>- الحركة الإصلاحية الدينية التعليمية و مطالبها</u> :

بالموازاة مع النشاط الثقافي الذي اضطلعت به النخبة المثقفة ثقافة فرنسية ، من الشبان الجزائريين قبل الحرب العالمية الأولى فالنخبة الاندماجية بعد الحرب و حتى نهاية عقد الثلاثينات - وقد لنا سبق التعرض له- فإن هناك فئة أخرى ظهرت في نفس الحقبة الزمنية عملت بجد و إخلاص في حقل الدفاع عن القيم الوطنية و الاتجاه العربي الإسلامي المناقض لتوجه الفئة الأولى . متخذة من الميراث الثقافي الجزائري ومؤسساته التقليدية ، كالمدرسة والمسجد و الكتاب، والزاوية ثم النادي، و الصحيفة والعريضة، والتجمعات، والهجرة نحو المشرق العربي وتركيا وبلدان العالم الإسلامي؛ كلها أدوات و وسائل للمقاومة في شكلها الجديد، الذي ورث المقاومات الشعبية المسلحة خلال القرن 18م و بدايات ق 19م، حتى الحرب العالمية الثانية.

كان زعماء وقادة هذا التيار الإصلاحي الديني والثقافي - ينطلقون من "**الفكرة الدينية**" كمقوم أساسي في نضالهم و يعتبرون بل يتكئون على الفتوى الشرعية ، التي تلزم المسلم بمقاطعة الكافر المحتل **!** مقاطعة فكرية، ثقافية، واجتماعية... ويرفضون التعاطي معه أو التعايش مع أطروحاته الفكرية والسياسية التي تنص على كون "**الجزائر قطعة فرنسية**" ، و من ثم ضرورة فرنسة المجتمع و "**تمدينه**" ضمن سياق الحياة الأوربية المعاصرة. و قد التزم هؤلاء بالتعلق العاطفي بأدبيات الجهاد ، و ربما ظهور و ترقب "**الزعيم الملهم المنقذ**" على غرار "**صلاح الدين الأيوبي**"، أو "**الأمير عبد القادر**" أو غيرهما ممن سيعملون على تطهير الأرض من رجس الكفار الصليبيين .

من الزعامات التي برزت لدى هذه الفئة: عبد الحليم بن سماية ، ابن الموهوب، المجاوي ، حمدان لونيسي- أستاذا ابن باديس- و أسماء أخرى كثيرة. حيث درس هؤلاء في الكتاب القرآني ، و المدارس الأهلية العربية ، و

بعض الجوامع و الجامعات الإسلامية العالمية آنذاك ـ كالزيتونة و الأزهر و مكة و المدينة[24] ـ و تخرجوا منها بإجازات للتعليم الديني والعربي، مكنتهم من التموقع الاجتماعي، وتبوأ المكانة بين عموم الشعب كزعامات روحية و ثقافية مسموعة الكلمة، و ستخوض المعركة على جبهتين:

ـ جبهة المحتل الفرنسي و مشروعه الاستعماري للفرنسة و الإدماج.

ـ وجبهة النخبة المتغربة ، باعتبارهم أعوان للإدارة و طابور لتنفيذ مشروعه الآنف الذكر.

سيستمر نشاطها و دورها إلى ما بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، حيث يخلفهم وجوه جديدة أكثر استيعابا للمشروع الإصلاحي الديني والثقافي، وأكثر تنويرا واستفادة من الوسائل الحديثة و العصرية في نضالها. تلك العناصر التي ستأخذ المبادرة لتجميع جهد هذه النخبة ورص صفوفها، و تفريغ هذا الجهد في إطار يسمح باستيعاب مجمل هذه الفعاليات الوطنية و تركيز نشاطها في الإصلاح الديني والثقافي والاجتماعي، ذلك الإطار هو ما عرف بـ "**جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**". فكيف نشأت الجمعية ؟ وما هو مشروعها و ملامح فكرها الوطني الثقافي و السياسي؟ و كيف كان موقفها من الإدارة الاستعمارية و أعوانها من المفر نسين و الإدماجيين و المرابطين و المعممين الرسميين من الشيوخ و الزعماء و رجال الدين الطرقيين .

<u>جمعية العلماء و النهضة الثقافية بالجزائر</u>:

سبق نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ماي- أيار1931م ، مرحلة إعداد ثقافي و روحي هيأته مجموعة من الشباب الجزائري الذي عاد من تونس و المغرب و مصر و الحجاز، و قد تشبع بمقومات الثقافة الإسلامية ، و درس اللغة العربية و آدابها. و قد مثلت هذه الفئة- في هذه الفترة- ما يمكن أن نطلق عليه "**زعامات الظل**" ، و التي ستلعب دورا رائدا في عملية الإصلاح الديني و الثقافي، و تتبوأ مكان الصدارة في قيادة هذا الاتجاه و بدأت نشاطاتها في العشرينيات من القرن 20 م، بإنشاء الصحافة و المدارس الحرة و النوادي الثقافية...الخ. في سبيل خط طريق جديد للإصلاح في الجزائر مرتبط بنهضة الشرق العربي و الإسلامي، إلى جانب إيقاظ الجماهير من سباتها ، و التصدي لمجموعة الطرقية و عملاء الاستعمار من ذوي الجنس و القربى. و تبني موقف صارم حيال الدور الذي رسم لهم ليلعبوه- أملا في تخدير الشعب ، و إخماد

---

[24] ـ د.عبد الكريم بوصفصاف، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و دورها في تطور الحركة الوطنية (1931-1945)**،ط1،دار البعث قسنطينة الجزائر ،1981،ص :108

روح المقاومة فيه ، و غرس نزعة الاستكانة و الرضي بالمحتل- فكان نشاط الإبراهيمي و ابن باديس، العقبى، التبسي، الميلي ، مولود الزريبي، والشيخ بيوض..، وعشرات الأسماء في كامل ربوع الوطن، قد مثل الدرع الحصين لحماية أصالة المجتمع الجزائري و شخصيته العربية الإسلامية. ليتوج هذا الجهاد الرفيع بظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، بعد تشاور موسع بين هؤلاء و غيرهم من علماء الجزائر. في تجمع مهيب لأكثر من 100 عالما من أرجاء الوطن الجزائري كافة ؛ بقيادة رائد الإصلاح و النهضة في الجزائر الشيخ عبد الحميد بن باديس.

ليس من قبيل الصدفة أن الجمعية ظهرت و فرنسا في غمرة الاحتفالات الرسمية بمرور قرن على احتلال الجزائر؟ مستفزة بذلك شعور الجزائريين، بادعائها السيطرة و إحكام القبضة على البلاد، و انتصار الصليب على الهلال !؟ فجاء الجواب سريعا و حاسما من قبل صفوة علماء الأمة و رجالاتها الأخيار، بالنفي القاطع لهذه المزاعم والتأكيد على ارتباط الجزائريين بوطنهم، ورفضهم الاحتلال والاندماج أو الإلحاق بفرنسا مهما كلفهم ذلك من تضحية.

و قد تمحور نشاط العلماء كما يورد د.عبد الكريم بوصفصاف في هدفين رئيسيين:

الأول : آني، و يتمثل في تنقية الإسلام مما علق به من شوائب و المحافظة على الثوابت و إحيائها، كاللغة العربية و التاريخ القومي الإسلامي.

الثاني: وهو بعيد المدى، و يتمثل في استرجاع استقلال الجزائر وتكوين دولة عربية و إسلامية. [25]

أما **"فرحات عباس"** - زعيم النخبة و البيان الجزائري- فقد قال عن الجمعية بأن مهمتها كانت شاملة بحيث: " حملت هذه الجمعية المباركة على عاتقها عبء نهضة الإسلام و محاربة أصحاب الزوايا و الطرق المتواطئين مع الاستعمار، و تكوين إطارات اجتماعية مثقفين ثقافة عربية ". و كتب **"متصرف فج مزالة"** إلى الإدارة العامة بالجزائر سنة 1945 م يوضح طبيعة نشاط الجمعية و مراميها الخطيرة قائلا : (**إن جمعية العلماء كانت و لا تزال تحفر هوة بين الحضارتين العربية و الفرنسية نظرا لما تقوم به من عمل في تعميق للثقافة**

[25] - مومن العمري : **الحركة الثورية في الجزائر** (مرجع سابق)، ص: 30

الإسلامية "التعصبية"، وعلى الرغم من أنها تدعي بأنها لا سياسية فإنها نواة للأحزاب الوطنية و قاعدة ثابتة ينمو فوقها الشعور الوطني الإسلامي). [26]

لقد كان هذا الطابع لنشاط الجمعية و العلماء أثره في دفع إدارة الاحتلال إلى التنبه فعلا لخطورة نشاطها على واقع الاحتلال و مستقبله ، فأصدرت الإدارة العامة بالجزائر- بعد سنة واحدة من تأسيس الجمعية في 16 فيفري - شباط 1932- منشور "**ميشيل**" "Michel" الذي يقضي بمنع ابن باديس و جماعته من إلقاء الخطب في المساجد؟ لكن "**الضمير الجمعي**" الجزائري - حتى لدى النخبة المتغربة- كان حيا و مدركا لواجبه عند شدة الموقف ، فجاء ردهم باستقالة 95% من الصفوة "النخبة" من مناصبهم احتجاجا على المنشور، و تضامنا مع الجمعية و زعيمها ابن باديس.[27]

هكذا فقد وجد العلماء أنفسهم - من خلال جمعيتهم- منخرطين و مشتركين في صراع تاريخي وسياسي واجتماعي حاسم ، ليس فقط ضد المتطرفين من اليمين الفرنسي (المستوطنين) ، وحلفائهم الكاثوليك، و أعوانهم التابعين من الجزائريين المتغربين، و رجال الطرقية الدجالين، و إنما أيضا ضد ثلاثة خصوم مرعيين و مسنودين من الاستعمار و هم : **الإدارة المدنية والقانونية** للاحتلال، و **مرتزقتها** من المرابطين والرسميين من رجال الدين، ثم **الاندماجيين** المتعلقين بالحلم الزائف للمدنية الغربية و أوهام "المساواة في الحقوق". ورغم الصعوبات الشديدة التي كانت تواجه رواد جمعية العلماء، إلا أنهم استطاعوا أن يتجاوزوا كل تلك العقابيل، و يؤسسوا لنهضة وطنية دينية و ثقافية إلى جانب الإصلاح الاجتماعي، و يكونوا بذلك جيلا جديدا من شباب الجزائر.

من هنا فقد اعتبر الشيخ ابن باديس بحق أعظم شخصية أدبية و روحية ظهرت في الجزائر بعد الأمير عبد القادر بن محي الدين، بقدرته وجليل عمله- في سبيل نهضة الجزائر هو و كوكبة من زملائه -في إعادة تنظيم حياة جديدة لنضال و كفاح الشعب الجزائري. الذي كان إلى ذلك الحين و قبل تأسيس الجمعية يغط في سبات عميق ! على حد قول الأستاذ رابح بلعيد. ولا غرو في ذلك ، فشعار الجمعية الذي أطلق ابن باديس :"**الإسلام**

---

[26] - د.رابح بلعيد ، **العقد الحاسم و ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،** جريدة رسالة الأطلس العدد107 الحلقة 17 من 14-20 أكتوبر 1996م

[27] - سليمان الشيخ، **الجزائر تحمل السلاح.** مرجع سابق ، ص 36

ديني و العربية لغتي و الجزائر وطني" - كما يقول سليمان الشيخ - **(هو شيء أكبر من الجهر بعقيدة صاحبها، إنه برنامج عمل يمتد إلى المجالات الدينية و الثقافية و السياسية.)** [28]

خلاصة الحديث أن الحركة الإصلاحية الدينية والثقافية عملت في الاتجاه المعارض للمشروع الاستعماري الفرنسي كما وجه ضد الحركة الإصلاحية التغريبية التي تزعمتها النخبة : منطلقات و مشاريع و أهداف... لكنها اشتركت معها -أي مع النخبة- في بيئة و زمان النضال، و كثيرا ما اختلفوا و تصادموا بشأن مواقف و قضايا متعددة... لكن المؤكد أن كلاهما- و بحكم الانتماء والحضن الاجتماعي المشترك و الرغبة و التطلع لما هو أفضل للجزائريين- قد ساهم في التأسيس لليقظة الوطنية، و كان حجر الأساس في العمل السياسي الوطني الذي سيتطور، ليأخذ مداه على يد اتجاه وطني آخر هو **"الاتجاه الاستقلالي"**. فماذا عن نشأته و ظروف قيامه؟ و ما هي ملامح مشروعه الوطني التحرري ؟

03- <u>**الحركة الوطنية الاستقلالية و مطلبيتها السياسية**</u> :

إن خصوصية الحديث عن الحركة الاستقلالية في الجزائر مستمدة من واقع التجربة الجزائرية المتفردة في مقاومة الاحتلال الاستيطاني الفرنسي الذي سعى إلى تحطيم كل شيء مادي أو معنوي أو تاريخي في حياة الجزائريين. ذلك أن قرنا من الممارسات القمعية وسياسات التغريب الاجتماعي ، الثقافي، والتنصير الديني، و طمس معالم الشخصية الوطنية الجزائرية القومية و الحضارية... لإفراغ المجتمع من كل مضامينه الفكرية والسياسية. كل ذلك أعطى انطباعا مؤكدا لدى المستعمر بان الأوضاع في الجزائر أصبحت في قبضة اليد ؟ و صوت المقاومة قد أخمد إلى الأبد، و أن الجزائر أضحت مقاطعة فرنسية بلا جدال ، وقد آن لفرنسا أن يهنأ بالها وتستعد لتخليد هذا الانجاز- غير المسبوق- عبر احتفالات و تبريكات لقاء ما تحقق !!

لكن القمقم الجزائري قام وانتفض من خلال صوت الشعب الخالد ، و رجاله الأوفياء؛ معلنا أن توقف المقاومات أو بالأحرى تراجعها المؤقت، لم يكن إلا **"استراحة محارب"** - وإعداد تجميع للأنفاس والقوة- ثم الاستعداد لخوض غمار المعركة، بوسائل جديدة، وبسلاح الكلمة و النضال السياسي. مع إشهار آلة القانون، و

28- le monde : le 22/08/1946

أدواته التنظيمية لمواجهة المحتل و إبطال مزاعمه، و إقامة الحجة عليه بوسائل سلمية بديلة ، تكفل ضمان استمرار القضية الوطنية، و تضمن حق الاعتراف بها.

و الجديد في المسألة أيضا أن الحركة الوطنية الجزائرية ممثلة ابتداء في **"الاتجاه الاستقلالي"** كانت قد مثلت سبقا و استشرافا لأفق الاستقلال منذ عشرينيات القرن 20م، في الوقت الذي كان فيه البعض يحلم بمكانة وموقع "الخادم الوفي" في منظومة الاحتلال. وينزلق لتحقيق الرضا للدخول في حظيرة "الأهلي المطيع" للحصول على شهادة **"حسن السيرة والسلوك"**؛ التي تؤهله للاندماج في مجتمع الغزاة ! في هذا الوقت العصيب من تاريخ الشعب الجزائري، كان يلوح النور في الأفق و يهتف صوت الحق معلنا ميلاد **"المنقذ"** ، المعبر عن حلم الجماهير الجزائرية المسحوقة في الانعتاق والتحرر.

بدأ هذا الصوت بصرخة الأمير خالد - مع نهاية الحرب العالمية الأولى- المدوية في سماء الوطنية الجزائرية ، رافضا التخلي أو التنازل عن عناصر ومقومات الشخصية القومية الجزائرية ، فجاء خلفاؤه ليطوروا من آراءه و برنامجه بشكل ثوري، و يكملوا حلقة النضال الوطني في مشروعه التحرري الاستقلالي. و قد شكلت جريدته **"الإقدام"** التي أسسها سنة 1920م همزة الوصل بينهم و بين الجماهير يوم تحولت إلى **"الإقدام الباريسي"** لأجل الدفاع عن مسلمي شمال إفريقيا. فكانت الجالية المغاربية (الجزائريين و التونسيين و المغربيين) جمهورها الواسع في البداية و قضيتها في النضال، دفاعا عن حقوقها النقابية و الاجتماعية؛ منتظمة في جمعية **"نجم شمال إفريقيا"** "Etoile Nord Africaine" التي تأسست في مارس - آذار 1926 بباريس.(****...)

(****...) اختلفت الروايات بشأن تاريخ تأسيس النجم ؛ فميثاق الجزائر 1963 يؤكد انه تأسس في عام 1924 انظر: F L.N commission centrale d'orientation **: La charte d'Algérie**, Alger 1964 , p 14 ، بينما يذكر الأستاذ قنانش – وهو احد القادة المهمين في النجم – انه تأسس في جويلية – يوليو 1926 (قنانش، **مرجع سابق** ص 35- 36)، في حين يرجع مصالي الحاج تاريخ تأسيسه إلى مارس 1926م ، وقد أورد هذا في مذكراته : **Les mémoires de messali Hadj**, Ed j . c , lattes, paris 1982, p 151

هكذا فقد قدر لهذه المنظمة أن تولد في **عاصمة المترو بول "باريس"**، و تبدأ تصفية الاستعمار في عقر داره لتأتي على بنيانه في الجزائر وباقي الأقطار المغاربية. و يذهب د.بلعيد إلى أن **"الإقدام"** هي أول جريدة للنجم سعت سلطات الاستعمار إلى منع إصدارها بعد وقت قصير من إنشائها سنة 1927 بسبب مناداتها (**بالاستقلال**

التام لشمال إفريقيا، وانسحاب القوات الفرنسية ، و تشكيل حكومة وطنية ثورية.)[29] برز النجم بمذهبه الاستقلالي، و بدأ نشاطه بالاشتراك في مؤتمر بروكسل في الفترة بين 10-15 فبراير- شباط 1927م المنظم من قبل الجمعية المعادية للاضطهاد الاستعماري -و قد حضرته وفود إفريقية وآسيوية ومن أمريكا اللاتينية- واستغل أول منبر أتيح له ليعبر عن مطالب الجزائريين، و برنامجه الثوري الذي لخصه في نقاط أبرزها : استقلال الجزائر، إنشاء جيش وطني، إلغاء قانون الأهالي والقوانين الاستثنائية الأخرى، و إطلاق الحريات كالصحافة والحقوق النقابية والسياسية والانتخابات. وحق الجزائريين في التعليم بجميع مراحله، وإنشاء المدارس العربية، ومصادرة الأملاك الزراعية الكبرى للشركات الإقطاعية ،وزيادة القروض الفلاحية. [30]

يبدو من الوهلة الأولى التكامل والشمول في البرنامج السياسي للنجم ، والطابع الثوري الراديكالي لمطالبه ، مما دفع إدارة الاحتلال إلى الحد من تزايد نشاطه وإصدار قرار الحل بشأنه سنة 1929، هذا الذي دفع زعماؤه على رأسهم **"مصالي الحاج"** إلى دخول النشاط السري ، بدعم الحزب الشيوعي الفرنسي ،الذي ولد النجم في حضنه في البداية.. لكن سرعان ما أعادوا تأسيس النجم في سنة 1933م، باسم **"الاتحاد الوطني لمسلمي شمال إفريقيا"**، و عاود طرح برنامجه السياسي المتضمن مطالب الجزائريين و تطلعاتهم ، لكن السلطات أقدمت على حظره بحجة النشاط ضمن هيأة محظورة؟ و ألقت القبض على زعيمه مصالي الحاج و بعد الإفراج عنه هرب إلى سويسرا، و هناك سيكون التحول الأكبر في منظومة الزعيم الوطني: الفكرية و السياسية بعد التقائه بأمير البيان شكيب أرسلان في جنيف ، الذي استطاع أن يقنع مصالي بالتخلي عن ميولا ته اليسارية لصالح التوجه العربي الإسلامي، و التعاون مع الوطنيين الجزائريين الآخرين و في مقدمتهم الحركة الإصلاحية الدينية و تنظيمها **"جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"**.

عن هذا التحول يقول د.بلعيد : **(الشيخ شكيب أرسلان... يستحق أن يسمى "أبو الوطنية العربية الحديثة"، والذي كان له أعظم التأثير على حياة و فكر مصالي الحاج.)**[31] أما **"روجيه أوتورنو"** "R. Torino" فقد قال بشأن تأثير الشيخ أرسلان في شخصية مصالي متسائلا : **(لنا أن نتساءل هل كان في الإمكان أن يبرز مصالي الحاج في حياة الجزائر السياسية لو لم يهرب إلى سويسرا في مستهل عام 1936م خوفا من صدور أحكام**

29- د.نبيل أحمد بلاشي، **الاتجاه العربي و الإسلامي و دوره في تحرير الجزائر** ، ط1 الهيأة المصرية العامة للكتاب، ،القاهرة، ص43،وانظر كذلك :أحمد الخطيب، **حزب الشعب الجزائري**،ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر؟ ، ص 229 وما بعدها

30 - رابح بلعيد، **مرجع سابق**،الحلقة 20 العدد 107، 14-20 أكتوبر 1996م

31 - **نفس المرجع** ، الحلقة 21 العدد 04، 10 نوفمبر 1996م

قضائية جديدة ضده؟ و هناك قابل الشيخ أرسلان الذي ألهب في نفسه شعلة الإسلام و أقنعه بآرائه بشأن الوحدة العربية.) [32]

بذلك يكتمل المشهد السياسي العربي في المقاومة، و تتوحد النظرة و المذهب الفكري والنضال السياسي، والمصير المشترك حيال جبهة الاستعمار المعادية للشعوب العربية، وانتمائها القومي الإسلامي. وقد استغرقت مهمة الشيخ أرسلان حوالي ستة أشهر؛ ليطهر روح و فكر مصالي من الناحية الإيديولوجية ، كما أقنعه بتحويل أنشطته السياسية من فرنسا إلى الجزائر. و فعلا كانت الاستجابة من مصالي الذي استغل أول فرصة أتيحت له بعد عقد المؤتمر الإسلامي الجزائري 1936 ، وتنقل وفده إلى باريس برئاسة ابن جلول وعضوية ابن باديس و فرحات عباس وغيرهما... ليعود إلى الجزائر- مع عودة الوفد- و كانت المرة الأولى التي يلتقي فيها مباشرة بالجماهير الشعبية و يخاطبها في ملعب بلكور بالعاصمة في شهر نوفمبر- تشرين الثاني 1936، مما جاء في كلمته -الخطاب التاريخي- قوله: (**أيها الشعب الجزائري الكريم ! إن مبادئ حزبك الوطني** (يقصد النجم) **الذي أسس على الملية من أول يوم هي السعي لتحريرك بالطرق المشروعة في دائرة إسلامك و جنسيتك الغالية المتألقة في بطون الأجيال، و الدفاع عن كرامتك و الذود عن حماك في محيط ذاتيتك المقدسة. تلك هي مبادئنا التي فطرنا عليها... و عليها نبقى و عليها نموت. نحن نريد أن تكون لغتك لغة رسمية للبلاد، نريد أن تكون مساجدك وأوقافك بيدك تتصرف فيها بحسب القرآن العظيم، و نطلب لك برلمانا جزائريا يضمن لك ذاتيتك و حقوقك.)** [33]

يبدو أن هذا الخطاب قد مكن مصالي من أن يتحول إلى زعيم الجماهير المكتشف؟ ! و الذي ستتعلق به و بأطروحاته القواعد الشعبية و العمالية خاصة. لا نبالغ إذ قلنا بأنه - بعد فترة وجيزة - سيكون مصالي المتحدث رقم واحد باسم الجماهير، و إلى جانب زعيم النهضة الجزائرية الشيخ عبد الحميد بن باديس، الذي ستعجل المنية برحيله في 16 أفريل- ابريل1940م- بعدها قام مصالي بجولة في مدن البلاد و قراها شرقا و غربا و شمالا و جنوبا، يخطب في الجماهير ويستنهض همتها، يدعوها إلى الالتفاف حول مشروعها الوطني التحرري ذو النزعة الاستقلالية. وعندما تيقن المستعمر من نجاح جولة مصالي و قاعدته الشعبية العريضة، خشي من

---

[32] - محمد قنانش، **المسيرة الوطنية و أحداث 08ماي 1945** ط ؟ منشورات دحلب الجزائر ؟ ص 49 . وأنظر نص الخطاب كاملا في د.سعد الله ، **الحركة الوطنية الجزائرية** ، ج3، ط1، م و ك الجزائر 1986، ص34

[33] - محمد قنانش ، **المسيرة الوطنية**، مرجع سابق، ص35

ازدياد خطره و خطر النجم ، فعمد إلى حله نهائيا في جانفي- كانون الأول 1937م ! لكن ذلك لم يثن الزعيم مصالي عن استمرار نشاطه و إعادة تشكيل الحزب بعد 03 أشهر من الحل، باسم **"حزب الشعب الجزائري"**"PPA" ، هذا الاسم والعنوان الذي سيحفر وجوده بنضالاته و مواقفه المشرفة في وجدان و ذاكرة الجزائريين، ويسجل حضوره السياسي كرقم صعب في معادلة النضال الوطني. ومن رحمه و مخاضه ستكون ولادة **الاتحاد الثوري** المسلح في الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الثانية ، ممثلا في **"المنظمة السرية** "O.S" سنـة 1947، والتي ستضع اللبنة الأولى في مشروع الثورة التي ستدك حصون المستعمر، لتقوض أركانه بعد انـدلاع الثـورة التحريريـة سنة1954 م.

إجمالا لما سبق يمكن القول : بأن الوطنية الجزائرية التي نادى بها هذا الاتجاه الاستقلالي ، ما هي في الحقيقة إلا رد الأمة الجزائرية المضطهدة، على الامبريالية الفرنسية و الغربية عامة، وهي وطنية محررة. و قد أبدت تمييزا واضحا بين الوطنية المضطهدة المنبثقة من رحم المعاناة و القهر، الوطنية المحررة للبلاد المستعمرة كالجزائر، وبين الوطنية في المجتمعات الأوربية حيث استندت الأولى على مبدأ القوميات والوطنيات التي ضحت لأجلها الشعوب الأوربية، بما فيها الشعب الفرنسي أواخر القرن 18م و مطلع القرن 19م، و كذا حق الشعوب في تقرير مصيرها، و ذلك الحق الذي وجد سنده التاريخي وتكرس باستقلال المستعمرات البريطانية القديمة في أمريكا الشمالية (الولايات المتحدة و كندا)، و بقيام الثورة الفرنسية 1789م ، وإعلان رسالة ولسن عام 1917م، التي كانت إطارا لميلاد **"العصبة"** بعد مؤتمر الصلح 1919-1920م. لتتابع النصوص والتجارب التاريخية المؤكدة لهذا الحق، الذي استقرأه الجزائريون جيدا، واتكئوا عليه في المطالبة بحقهم في التحرر و والإنعتاق مثل بقية الشعوب. وكان قصب السبق في كل ذلك، لهذا الاتجاه في الإجهار(من الجهر) منذ اللحظة الأولى، ورفض المساومة أو المزايدة عليه مهما كلف ذلك من متاعب و تضحيات، إيمانا منه بأنه: ما ضاع حق وراءه طالب.

هذا الاتجاه الوطني الاستقلالي كان إضافة نوعية حية في سجل النضال الوطني التحرري، من خلال تركيزه على الجماهير الشعبية كعامل واع لدورها، وبالبساطة والوضوح في المبادئ والوسائل وبالمبادرة الشخصية و الثقة بالنفس... وكان يستمد مرجعيته في النضال من خلفية تراثية عريقة من حضارة الإسلام، و نزعة صوفية عميقة الجذور والامتداد ، وآفاق عصرية مستلهمة من التجارب والتراث العالمي للشعوب المكافحة، و أبعاد

مستقبلية بعيدة المدى ترنو إلى الاستقلال هدفا، و للتحرر والسيادة و التنمية في ظل الحياة الكريمة طموحا و غاية... و لعمري فإن حاضره لقريب.

هكذا بدأت بوادر النشاط السياسي الوطني مع مطلع ق 20م : "بالزخم الثقافي و الفكري" الذي أوجدته و تفاعلت معه فئتي **النخبة و المحافظين**، و خلاصة للتجربة المريرة لمشاركة الجزائريين في الحرب العالمية الأولى، و ما تركته وأحدثته في نفوسهم من آثار سلبية وإيجابية، و بدايات التحول في فكر **الأمير خالد**، و تحرره من الوصايا الفرنسية الرسمية - بعد التسريح من الخدمة العسكرية- ثم معانقته قضية الجماهير في أبعادها الوطنية و التحررية. يضاف إليها جهود العلماء في إعادة بعث الفرد الجزائري الموصول بذاتيته القومية الحضارية، و"**التأسيس لنهضة دينية ثقافية عربية إسلامية"** و إصلاح اجتماعي ملأ الآفاق. **وثورة إيديولوجية وسياسية** في مفهوم الوطنية والتحرر، صنعتها **الحركة الاستقلالية** بامتياز. كل ذلك شكل **ملامح الفكر السياسي** في الحركة الوطنية والتي ستمهد و تؤسس لميلاد **الأيديولوجية الوطنية الجزائرية** في التحرر، تلك الإيديولوجية التي كانت "**خلاصة العمل المشترك لاتجاهات السياسية الوطنية كافة"** قبل قيام واندلاع ثورة نوفمبر- تشرين الثاني1954.

فماذا عنها ؟ و كيف غذ ت الفكر الثوري و حضرته للكفاح المسلح ؟ ذلك ما سنتناوله بالعرض و التحليل في المبحث التالي.

<u>المبحث الثالث</u>: <u>المجهود الإيديولوجي للحركة الوطنية قبل اندلاع الثورة</u>

إن الحديث عن المجهود الفكري و الإيديولوجي للحركة الوطنية الجزائرية مجتمعة، و دور هذا الجهد في تهيئة وتغذية مناخ الفكر الثوري والتحضير النفسي والفكري، السياسي - التنظيمي والعسكري... لاندلاع الثورة التحريرية يفرض على الباحث المنصف و الملتزم بالقواعد المنهجية في الدراسة و التحليل و التقويم، ضبط المفاهيم أولا، و تحد يد مدلولاتها الفكرية و الاجتماعية... حتى تتضح و تنكشف الرؤية العلمية لنشأتها. ذلك أن كثيرا من المهتمين بل حتى المختصين يخلطون - عن قصد أو غير قصد - بين المفهوم كمدخل منهجي للمعرفة، و بين المضمون الذي يحمله في سياق من السياقات المعرفية و الفكرية والموضوعية. مما يوقع في مطب إصدار الأحكام المجافية للمنطق والواقع التاريخي وحقائقه، والمتناقضة مع قواعد البحث العلمي. مثل : إصدار الأحكام بشأن مسائل : كالوطنية، الخيانة، الثورية، الإصلاح، الانتهازية، والأصولية... وكثير من مثل هذه **"الأحكام الجزافية"**، التي كثيرا ما تعكر الأجواء وتفسد العمل، كما تعطل حركية نمو المجتمع و نهضته. وتغرق في نقاشات عقيمة تستهلك في **"قضايا معلقة"**، بعيدا عن جوهر المسائل و حقائق الأشياء و أولوياتها.

قديما قيل : **"الحكم على الشيء فرع عن تصوره"**، من هذا المنظور وجب توضيح بعض المفاهيم المستعملة في هذا المبحث من قبيل : الحركة الوطنية، الإيديولوجية، الثورة... الخ. لأجل تفادي الالتباس بشأنها وقراءة مضامينها في سياق النضال الوطني قبل الثورة، وأشكال التعبير التي أخذتها في أدبيات التيارات و الاتجاهات الوطنية الناشطة في الساحة السياسية الوطنية.

<u>فالحركة الوطنية</u> : نعني بها :**" كل جهد- فكري ثقافي، سياسي، اجتماعي، أو تنظيمي مدني؛ إعلامي أو عسكري؛ يصب في خانة التحرر الوطني، و يهدف إلى ضمان استرجاع الاستقلال الوطني، لتحقيق السيادة الكاملة على الأرض، و بناء مجتمع مستقر في ظل تنمية شاملة و متوازنة تضمن العدل و الإنصاف بين أفراده."**

أما: **<u>الإيديولوجية</u>** : فتأخذ مضمون: **"كل الآراء، والنظريات الفكرية والفلسفية ذات التطبيقات العملية، المرتبطة ببعضها البعض؛ ارتباطا عضويا ومنطقيا، لتمثل وحدة موضوعية متناسقة ومتماسكة."**

<u>الايدولوجيا السياسية</u> : هي **" ذلك النظام المنسق من المعتقدات، والتصورات الفكرية... التي تساعد على تفسير المواقف المتبناة في المجتمع، ينجم عنها اعتماد نسق سلوكي-عملي يجسم هذه المعتقدات و الأفكار، و**

يتفق معها. و ترتبط عاده بمفاهيم :الوطن والوطنية كموضوع ومقصد؛ من حيث كونها عنصرا أساسيا في الكفاح من أجل الحريات الفردية و الجماعية، و تتعلق خاصة بالأرض كمجال". وكما يقول "ريجيس دوبري" "R . doubri" في كتابه "**ثورة على الثورة**": **(يجب أن نعترف بهذا الجانب الحيوي في تكويننا(و هو الأرض) و ننسجم معه لأنه لا يمكن التغلب عليه... و أن أية ثورة لا يمكنها أن تنجح إلا إذا تبنت التراث الوطني.)** [34]

فالإيديولوجية الوطنية : على هذا النحو و المعنى، تعتمد الثقافة والوعي كبعدين أساسيين في النشاط السياسي، إلى جانب ضرورة تحديد الهوية الثقافية، التي تبنى عليها المواقف السياسية نضاليا و تنمويا...

و حسب الأستاذ قنانش فإن أيديولوجية الحركة الوطنية :(**انبعثت أولا من التراث الإسلامي العقائدي كفكر وتنظير، ومفهوم المرابطة والجهاد كعبادة و تأمل، وحراسة الحوزة الترابية للأقاليم الإسلامية.)** [35]

و منه فإن المعنى الذي تستغرقه الإيديولوجية السياسية، و منها **"الإيديولوجية الوطنية"** يتسع ليشمل ويستوعب المعنى المحدد للحركة الوطنية - الآنف الذكر- مما يجعلنا لا نتردد في اعتبار كل التيارات و الاتجاهات الفكرية والثقافية، السياسية... المعروفة تاريخيا في الجزائر قبل قيام ثورتها سنة 1954م، تجد لها مكانا ضمن سياق مفهوم الحركة الوطنية. عكس ما يذهب إليه البعض في تعمد حصرها - فقط- في الاتجاه الاستقلالي الذي مثله حزب الشعب - حركة الانتصار للحريات الديمقراطية.

أما **الثورة**[***] فتعبر عن **"إرادة التغيير للوضع القائم على وضع أكثر تناسقا مع طبيعة الأشياء ومقتضى الحال، للسير قدما نحو التجديد و إعادة التأسيس والبناء بطريقة مدروسة ومحددة، تستمد قوتها واستمراريتها من التراث الأصيل، و مسايرة تطورات الواقع و العصر، و تعتمد أسلوب التوعية و الإقناع، أو العنف و العمل المسلح؛ حسب ما تقتضيه الضرورة، و يتطلبه الموقف."**

هذا مدخل مفاهيمي نعتقد في ضرورته وأهميته، قبل متابعة الجهد الإيديولوجي للحركة الوطنية قبل قيام الثورة التحريرية الجزائرية.

---

[34] - نفس المرجع ص:37

[35] - رابح بلعيد، **مرجع سابق !**110 العدد 17 الحلقة

الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري "UDMA"

1- مجهوده الإيديولوجي في الحركة الوطنية :

الاتجاه اليميني الإدماجي الذي بدأت جذوره الأولى قبل الحرب العالمية الأولى على يد النخبة الجزائرية المتغربة أو المتفرنسة ، و تدعم وجوده عقب الحرب بدخول أقطابه مثل : ابن جلول و تامزالي... وغيرهم في انتخابات المجالس التي تضمنها قانون فبراير- شباط 1919م، وعاشت مترنحة بين واقع المجتمع الجزائري المنقطعة عنه، و بين مجتمع الاستيطان الأوربي في الجزائر الرافض لاندماجها الاجتماعي و الثقافي. هذا الاتجاه الذي عرف خلال عقد الثلاثينات "**بالمساواتي**" ، كان قد تزعمه خلال هذه الفترة كل من: محمد الصالح بن جلول و الصيدلي فرحات عباس. وتبنى مواقف من قضايا أبرزها : مشروع بلوم فيوليت و المؤتمر الإسلامي الجزائري سنة 1936م، منطلقه الأول الإيمان "**بالرسالة التمدينية**" للثقافة الفرنسية في الجزائر.

ومنه فقد تعلقوا بأوهام هذا الخطاب: الذي بدأ إرساله منذ اللحظ الأولى للاحتلال سنة 1830م ، واستمر خطابا أجوفا وواهما لم يتحقق؛ حتى قيام الثورة التي حسمت في مصيره بشكل نهائي لصالح المشروع الوطني، الثوري التحرري.

(****.) هناك اختلاف فكرى وايديولوجى وسياسي..كبير بين الدارسين والباحثين بخصوص تحديد مفهوم "**الثورة**" والتمييز بينها وبين مصطلحات:"**الإصلاح" والتغيير" و"الانقلاب"...** وغيرها.

قلت تعلق هؤلاء بهذا الخطاب و الذي عبر عنه "**موريس فيوليت**" أحد أقطاب اليسار الفرنسي المعتدل سنة 1931 بعد نشره كتاب له بعنوان :"**هل تحيا الجزائر؟**" مؤكدا إيمانه و دفاعه عن رسالة التمدين التي يمكن أن تقوم بها فرنسا حيال المجتمع الجزائري عامة، و نخبه المتنورة خاصة فجاء فيه : (**... في ضمن عشرة أو عشرين سنة سيكون في الجزائر أكثر من عشرة ملايين وطني، منهم مليون من الرجال و النساء متشبعون بالثقافة الفرنسية. فهل سنجعل من هؤلاء ثوارا أم فرنسيين؟ هل يعمينا ما يعتبره البعض مصلحة مادية مباشرة لهم ، حتى نضمن لهم إمبراطوريتنا الإفريقية و لمصير البلاد؟ (...) فإذا كان الأمر كذلك، و إذا لم تتدخل فرنسا لتفرض وجهة نظر أكثر عدلا و إنسانية، فإن الجزائر سوف يقضى عليها بالزوال).** [36] و كانت

[36]- أنظر، مالك بن نبي، **شروط النهضة**، مرجع سابق، ص.26.

تلك مغازلة صريحة أوقعت المجموعة في سباق التعلق بهوى فرنسا ووعود ساستها المعسولة ؟!! فهبوا مناصرين بحماس و لهفة مشروع بلوم- فيوليت الذي عرضت حكومة الجبهة الشعبية مطلع سنة 1936، و تنادوا لعقد المؤتمر الإسلامي الجزائري في جويلية- يوليو 1936. و قد بذل عباس و ابن جلول جهدهما لإقناع ابن باديس بتبنيه المؤتمر و الدعوة له !.. و هذا ما يطرح التساؤل حول المبررات الوطنية و السياسية التي جعلت ابن باديس يقبل هذه الدعوة؟ و يساهم بفعالية في أشغال المؤتمر، ثم يرحل مع الوفد إلى باريس صيف 1936م ، لعرض مطالبه على حكومة اليسار هناك . حيث رفضته، و انكشف المستور في الخطابات الديماغوجية لليسار الفرنسي !... مما جعل رجلا وطنيا **كمالك بن نبي - رحمه اله-** يحتج على ابن باديس و يلومه بقسوة هناك في باريس على هذا الفعل ، وكيف رهن العمل الإصلاحي في لعبة سياسية فاشلة ، بل يعتبر بن نبي أن دور الجمعية قد انتهى مع انحرافها الذي حدث سنة 1936م بمشاركتها في المؤتمر الإسلامي الجزائري.[37]

لكن عباس و رفقائه - على الرغم من الخيبة التي منوا بها عند عودتهم من باريس فارغي اليد- لم يشككهم في رسالة فرنسا النبيلة تجاه الجزائريين. و قد عبرت عن هذه الثقة و الإيمان المطلق بها مقالته الشهيرة الذي نشرها سنة 1936م بعنوان **"فرنسا هي أنا !"**. وقد جاء الرد من ابن باديس قويا و حازما في جريدة **"الشهاب"** لنفس السنة بقوله: " هذه الأمة الجزائرية ليست هي فرنسا، و لا يمكن أن تكون فرنسا، و لا تريد أن تكون فرنسا".

غير أن المحللين لعمل المؤتمر الإسلامي، لم يجدوا في هذه المقاربة التوفيقية لابن باديس بين قبوله للمادة الثانية من ميثاق المؤتمر الإسلامي التي تنص على: (**ضم الجزائر إلى فرنسا دون قيد أو شرط**)، وبين مضمون هذا الرد . هل كان ابن باديس مؤمنا بمبدأ تبادل الأدوار والتمثيل ضمن مطالب المؤتمر، واعتباره هذه المادة وغيرها من المواد؛ التي تؤكد التبعية و الإلحاق بفرنسا عملا سياسيا لا يندرج ضمن نطاق اختصاصه، و تمثيله لجمعية دينية ثقافية ؟ أم أنه أحس بخطأ خطوته ومشاركته في المؤتمر، ورحيله مع وفده إلى باريس، فجاء ذلك تكفيرا عن هذا الخطأ، وعودة إلى نهجه الأول الرافض للاحتلال و وصايته؟... الحقيقة أن القضية قابلة لكل

37- بن نبي ، **مذكرات شاهد قرن**، ج1،ط1 ، دار الفكر. دمشق سوريا 1986 صص 384-386

التأويلات وتحتاج إلى مزيد من البحث المعمق، و أكيد فإن البحث التاريخي سيتصدى للإجابة والفصل في المسألة مستقبلا .

على الرغم من رد ابن باديس الحاسم على عباس إلا أن ذلك لم يغير من قناعة الأخير شيئا ، حيث عشية قيام الحرب العالمية الثانية، شده الحنين ثانية، و سكنته هواجس الخوف على مصير **"أمه الحنون"** فرنسا؟ فتنادى معلنا **"ولاءه التام"** للوطن الأم في محنته، كتب قائلا : (**اليوم في هذه الساعة الخطيرة التي أصبحت فيه حرية الأمم الديمقراطية نفسها مهددة ، يتوقف جزئيا كل نشاط سياسي و يكرس جهده كله لسلامة الأمة التي يتوقف عليها مستقبلنا ، فإذا لم تعد فرنسا الديمقراطية قوية ، فإن مثلنا الأعلى في الحرية سوف يدفن إلى الأبد**). كما حكي عنه قوله : (**لا يمكن أن تموت فرنسا ، لأنها لو ماتت فإن الدنيا لن تكون قوية ، بحيث تستطيع أن تحملها في نعشها .**) [37]

من أجل إنقاذ فرنسا توجه عباس إلى جبهة الحرب متطوعا كصيدلي احتياطي مساعد بوحدة إسعاف متمركزة في قسنطينة، من سبتمبر 1939 إلى 1940 لينقل بطلب منه إلى **"تروي"** بفرنسا. و بعد هزيمة فرنسا أمام الألمان في جوان 1940 يعود إلى الجزائر برتبة رقيب ، لكن بدون وسام جوقة الشرف على صدره ! ذلك الوسام الذي كان قد منح لوالده المخلص **"عباس الكبير"** من قبل.

37- د.رابح بلعيد، **مرجع سابق،** عدد 117، حلقة 24 من 23-29 ديسمبر 1996

السؤال هو: هل تجربة مشاركة عباس في الحرب ، و ما لاقاه من معاملة تمييزية عنصرية من قبل قادته في جبهة القتال- أمام زملائه الصيادلة [38] - ستغير من تفكيره و توقظه من حلمه الوردي الذي طالما تعلق به؟ أم أن الواقع المؤلم و المرير الذي مر به كشخص، وعاشه الشعب الجزائري في كنف الحرب المفروضة عليه، ستجعله يعبر عن آرائه و مواقفه باتجاه الوطنية الجزائرية ؟

دلك ما سنتعرف عليه في العنصر الموالى.

ب- **جبهة أحباب البيان ... التجربة و المحك.**

كانت الحرب العالمية الثانية محطة هامة في تاريخ النخبة الإدماجية و دعاة المساواة ، حيث فتحت أعينهم على كثير من الحقائق بشأن طبيعة الصراع بين الفرنسيين و الجزائريين. و يأتي **"عباس فرحات"** على رأس

38- أنظر دراستنا المنشورة بعنوان **"جبهة أحباب البيان ... الخلفيات و الأبعاد"**، بمجلة **"أبحاث روسيكادا"**، جامعة سكيكدة عدد06 الصادرة 2006

قائمة هؤلاء الذين أتيحت لهم فرصة النشاط و التحرك خلال الحرب عند عودته من جبهة الحرب صيف 1940، و عند نزول الحلفاء في الجزائر في نوفمبر- تشرين الثاني 1942. و بوحي من قرارات ميثاق الأطلسي الموقع بين روزفلت و تشرشل في سنة 1941م ، الذي ينص في أحد بنوده على : **حق الشعوب في تقرير مصيرها**. فقد أخذ عباس على عاتقه مبادرة إعداد **مذكرة** تتضمن **مطالب الشعب الجزائري** سنة 1942، حيث قدمها للحلفاء على رأسهم إيزنهاور، لكن هؤلاء لم يعيروا لها اهتماما بدعوى الانشغال بالحرب لا بالسياسة ؟!

لكن عباس قاد نشاطا تنسيقا مكثفا أواخر سنة 1942 ومطلع سنة 1943 مع قادة حزب الشعب الجدد - و زعيمهم مصالي الحاج المعتقل في قصر الشلالة بالمدية- و الزعيم الجديد للعلماء الشيخ الإبراهيمي -الذي خلف ابن باديس المتوفى في أفريل-ابريل1940 على رأس الجمعية- و كان معتقلا هو الآخر في منطقة بوغار بالجنوب الغربي الجزائري ؟!... هذه المشاورات تكللت بإعداد **"بيان الشعب الجزائري"** في فيفري- شباط 1943 الذي حرره عباس و شكل أرضية مشتركة بين هذه التيارات الثلاث (حزب الشعب ، العلماء، النواب و النخبة). و عند تقديمه للحاكم العام آنذاك **الجنرال كاترو،** و ممثلي الحلفاء بالجزائر، إلى جانب حكومتي موسكو والقاهرة. رد الفرنسيون بأن البيان غامض، ومن اللازم تقديم ملحق توضيحي لبعض قضاياه .

وكان أن أعد عباس ملحقا للبيان في مارس- آذار 1943 و قدمه ، لتشكل لجنة مختلطة أوكلت لها مهمة دراسته و الإجابة عنه ، و يمثل ذلك أسلوب تماطل من قبل **كاترو،** حتى لا يدخل في صدام مع الجزائريين و هو في غنى عنه ، خاصة وان فرنسا لا تزال تنتظر لحظة التحرير لأراضيها من قبضة الألمان..! وقد جاء الجواب من برازافيل في أفريل- ابريل 1944 في خطاب لديغول أقر فيه حق الشعوب المستعمرة بأن تقرر مصيرها بنفسها، مستثنيا من ذلك الشعب الجزائري؟ الذي خصه بقرار 07 مارس- آذار 1944م ، الذي جاء مخيبا لآمال الجميع و خاصة النواب البيانيين بقيادة عباس. - باعتباره جاء صورة منسوخة عن مشروع بلوم فيوليت لسنة 1936، الذي تجاوزه الجزائريون و لم يعد يلبي مطامحهم السياسية-. مما دفع عباس و حلفائه إلى إعلان تشكيل **"جبهة أحباب البيان و الحرية"** في 14 مارس- آذار 1944 كتنظيم جديد مشترك يعتمد أرضية البيان المقدم من قبل برنامجا للعمل الوطني .

و قد لقيت الجبهة ترحيبا واسعا وسط جماهير الجزائريين، و اتخذها نشطاء حزب الشعب، والعلماء غطاء لنشاطهم الوطني، وإطارا ملائما لحمل شعاراتهم الوطنية التحررية.[39] و تزايد نشاط الجبهة أواخر الحرب حتى بلغ منخر طيها حوالي ½ مليون منخرط !! عقدت مؤتمرها الأول في فيفري- شباط 1945م ، حيث سيطرت فيه رؤية الاستقلاليين و نشطائهم. فتوجست منها الإدارة خيفة ، و تربصت به ، و مع نهاية الحرب وجدت الفرصة مواتية لحلها، خاصة عند خروج الجزائريين في 08 ماي- مايو 1945 في مظاهرات سلمية للتعبير عن فرحتهم و مشاركة الحلفاء و العالم بالانتصار على النازية، ومن ثم المطالبة بحقهم في تقرير مصيرهم كما وعدت فرنسا والحلفاء بذلك. إلا أن آلة القمع والانتقام كانت لهم بالمرصاد؟ !! فكان أن حصدت فرنسا من الأبرياء من الشيوخ و النساء و الأطفال و الرجال، أكثر من 45 ألف قتيل في القطاع القسنطيني (سطيف ، قالمة، و خراطة خاصة.)

أصدرت إدارة الاحتلال بالجزائر قرار الحل في حق **"جبهة أحباب البيان"** في 14 ماي - أيار 1945 ؛ متهمة حزب الشعب و عناصر" الجبهة" بالتدبير لثورة شعبية ضدها؟؟.. فاتحة بذلك عهدا جديدا من القمع و الإبادات و الاعتقالات في حق الجزائريين و زعمائهم ، الذين اعتقلوا جميعهم و أولهم كان **"عباس فرحات"** المؤمن بالرسالة المدنية لفرنسا: " **الحرية والإخاء والمساواة"** إلى جانب اعتقالها مصالي و الإبراهيمي، وآلاف المناضلين جزاء ما قدموا لفرنسا في وقت محنتها.(******)

فماذا كان موقف عباس و جماعته؟ و إلى أي مدى غيرت هذه الأحداث من تفكيرهم و إيديولوجيتهم السياسية في التعاطي مع الطرف الفرنسي من جهة ، والقضية الوطنية من جهة ثانية ؟

المؤكد أن عباس و جماعته كانوا مؤمنين بنظرية **"حرر و وحد"** ، تلك التي تتضمن الوسيلة المثلى- حسب رأيهم - لنظرية التحرير للشعب الجزائري : اجتماعيا و اقتصاديا و سياسيا... و في المقابل تحرير المستوطنين من عقدهم وغلوهم ، وإجبارهم بوسائل سياسية سلمية على التخلص من مواقف الترفع و العجرفة تجاه الجزائريين. و هذا ما يسهل في الأخير- من وجهة نظرهم - العمل المشترك مع المسلمين في الجزائر تحت راية العلم الفرنسي ! يقول عباس في هذا الشأن : (**التحرير و التوحيد ذلك هو مبدؤنا على الدوام ، لقد تضمنت هذه**

---

[39] - د.رابح بلعيد، **مرجع سابق**، عدد 120، الحلقة 27 من الاثنين : 13-19 جانفي 1997.

الفترة ثلاث أزمان ، سوف أعرضها هاهنا بكل دقة ، و بخاصة للفرنسيين لأنهم تركوا في جهالة- تامة بشأن المعركة التي تمتاز بها - و التي كدنا ننتصر فيها لو لم

يتضح أن فرنسا كانت كما في عام 1936 أسيرة الروتين و القوى الرجعية.) [40]

هذا منطق عباس عشية الحرب العالمية الثانية و خلالها و إلى غاية صدور قرار 07 مارس- آذار 1944م، حيث هلل فيه ابن جلول - رفيقه- وجماعته واقتنعوا "بحلم يتحقق"؛ وقف عباس **"كرجل للمعارضة"** ضد المشروع و رفضه رفضا قاطعا. بل الأكثر من ذلك أنه سخر من الفكرة برمتها من خلال عبارة عارضة أطلقها: (**هذا الإصلاح فات أوانه !**)، معتبرا إياها إصلاحات **"هزيلة و عتيقة"** قد تجاوزها الزمن... و هو ما يعكس التحول الكبير في مواقف عباس و آرائه من **"الاندماج"**، و سياسة **"الامتصاص"** إلى فكرة أكثر ثورية - بالقياس لما كان يؤمن به - و هي فكرة **"الفدرالية"** الجامعة لكل سكان الجزائر، و المساواة التامة في الحقوق و الواجبات في ظل حكم الإدارة .

حتى أن عباس لقب من طرف البعض خلال هذه الفترة **"بغاندي الجزائر"**، عشية تقديمه بيان الشعب الجزائري وهو مزهو بهذا الإنجاز التاريخي، واصفا إياه وموقعيه بأنهم : (...**الممثلون الحقيقيون للشعب الجزائري**...) ذلك أنه استطاع أن يقنع الإبراهيمي بفكرة **"الجبهة المتحدة"** المقترحة و التي تحمل شعار "جمهورية مستقلة متحدة فيدراليا مع جمهورية فرنسا مجددة لا استعمارية و لا امبريالية"، و بأنه صار مسلما صالحا لوطنه. كما تمكن من أن يفتك من مصالي **"الرجل الراديكالي"** موقفا تكتيكيا بموجبه قبل هذا الأخير الفكرة، ومعتبرا إياها منبرا و **"لسانا ناطقا"** لعناصر حزبه (حزب الشعب) الذين كانوا معرضون لفقد اتصالهم بالجماهير، و اهتزاز قاعدتهم الشعبية، بسبب حياة السرية العسيرة التي أدخلها و فرضها عليهم الاحتلال الفرنسي إبان الحرب. و إن كان مصالي قد تحفظ على فكرة عباس الشهيرة **"الثورة بالقانون"**؛ مؤكدا نهجه في المقاومة حينما خاطب عباس قائلا: (**إذا وثقت حقا في تحقيق جمهورية جزائرية مرتبطة بفرنسا، فإني على**

---

(40)- للمزيد من التفاصيل بشان الحوادث... انظر: سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج3 مرجع سابق، ص223. وكذلك: محمد الأمين بلغيث: **تاريخ الجزائر المعاصر**، ط1، دار البلاغ (الجزائر)+ دار ابن كثير لبنان 2001 ، ص156 - 164.و محمد حربي، **الثورة الجزائرية سنوات المخاض** ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر1994 ص12- 13 وغيرها.

41- رابح بلعيد، **مرجع سابق**، عدد 121 الحلقة 28 من 20 إلى 26 جانفي 1997م.

.

العكس من ذلك لا أثق البتة بفرنسا، فرنسا لان تعطي شيئا، إنها لن تتنازل إلا بالقوة و لن تعطي إلا ما ينتزع منها بالقوة.) [41]

مهما يكن من أمر النقاشات و المحادثات التي جرت بين الأطراف التي صنعت البيان، فإن الأهم في نظرنا هو مستوى التواصل الجيد الذي حدث بين هذه القيادات، واتجاهاتها السياسية ، ناهيك عن الثقة التي حظي بها **"عباس الجديد"** لدى أبرز زعامات الحركة الوطنية (الإبراهيمي و مصالي)، التي أثمرت إنجازا سياسيا وقوميا على مستويين: على **المستوى الفردي** بتحول عباس ومغادرته الأطروحات الاندماجية.. نحو الفكرة الوطنية - و إن كانت غير مكتملة الرؤية- و على **المستوى القومي،** بتحقيق و إنجاز ثاني عمل سياسي للتنسيق و الوحدة - بعد أرضية المؤتمر الإسلامي 1936- متمثلة في البيان الجزائري الذي أثمر **"جبهة أحباب البيان و الحرية"** كتنظيم استوعب بداخله لمدة أكثر من سنة كل فعاليات النشاط السياسي الوطني، و كان ذلك سابقة إيجابية ، و نقطة تحول تحمل قفزة نوعية باتجاه التقارب و الوحدة الوطنية.

ج- **الاتحاد الديمقراطي للبيان... و فكرة الجمهورية الفدرالية**

كتب **"كاتب يسين"** - وهو من النخبة المتفرنسة- مصورا حجم المعاناة النفسية و الفكرية للنخبة، و على رأسهم عباس فرحات زعيمهم الجديد جراء مجازر 08 ماي- أيار 1945، و آثارها في إحداث **"صدمة الوعي"** لديها قائلا: (**في سطيف عام 1945، واجهت طبيعتي الإنسانية لأول مرة أبشع المناظر، و كان عمري ستة عشر عاما ، و لم أنس أبدا الصدمة التي استشعرتها أمام المجزرة الوحشية التي أفضت إلى موت الألوف من المسلمين، و هناك توطدت وطنيتي... هناك الإنكار لكل ما تعلمناه هو الذي أزال الغشاوة من عيني...)** [42]

ويروي أن أنباء وصلته بشأن إطلاق الرصاص في سطيف على عمه وعمته - الذين كانا من ضحايا الحوادث- و أن المستوطنين أحاطوا بهم قبل رميهم بالرصاص، و خاطبوهما : " **يجب أن تموتا لأنكما أردتما أن تكونا فرنسيين"** !

هذه إحدى الخلاصات الهامة التي تحمل دلالاتها الفكرية والسياسية، في حياة النخبة المتغربة و تفكيرها السياسي، فعباس الذي هجر اتحاد المنتخبين قبل الحرب العالمية الثانية - تحت قيادة ابن جلول - علمته

41- **نفس المرجع،** عدد 129 الحلقة 36 من 17 إلى 23 مارس 1997م

42 - أنظر تفصيل أكثر عن هذه السياسة في : عباس فرحات، ترجمة.ابوبكر رحال، **ليل الاستعمار** ، ط1، مطبعة فضالة المحمدية- المغرب؟ ص.44

تجربة الحرب و أقنعته بضرورة هجره فكرة الإدماج نهائيا، و أخذ يتعلم الوطنية التي ستبدأ تتطور في تفكيره و أطروحاته السياسية، و تنتزعه من أحلامه الأولى في التمثل في للحياة الفرنسية كما ستقود خطاه تدريجيا إلى تصورات فيدرالية قبل الثورة ، ثم استقلالية بعد سنة 1956م . هذه التحولات المتدرجة تنم عن شخصية مرنة و كارزماتية، قابلة للتوازن النفسي و الفكري و السلوكي..، كما تحكي بوضوح مسيرة شاقة وعسيرة من : المستعمرة إلى المحافظة، فالمساواة، الجمهورية الفدرالية، فالاستقلال. إنها قصة وتجربة فريدة تحمل الكثير من الإثارة والدلالات العميقة في شخصية الرجل، و مسار نضاله السياسي الوطني.

إن تأسيس عباس للاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري سنة 1946م بعد قرار العفو الصادر في 16 مارس- آذار 1946، و إعادة فتح المجال السياسي للأحزاب الوطنية جعله يفكر في البحث عن كيان سياسي مستقل ، يعبر عن "**الوسطية**" في التفكير و توازن المواقف بين التيار الاستقلالي و الراديكالي الذي يمثله حزب الشعب بقيادة مصالي ، و التيار الإصلاحي الديني الذي لا يتعاطى السياسة إلا استثناء و ضرورة . لكنه يحمل في رصيده مشروعا تحرريا وطنيا ذا أبعاد قومية و حضارية و رؤية إستراتيجية في محاربة الاستعمار، إنها "**جمعية العلماء المسلمين**"، صاحبة الرصيد الشعبي الواسع، وعدوة الاستعمار في مشروعه ومنظومته التغريبية. إلى جانب الحزب الشيوعي الفاقد لشرعية الشعبية، وصاحب الحضور السياسي المزدوج على الساحة الوطنية والفرنسية؛ بتركيبته البشرية و أطروحاته الطبقية الاجتماعية، و الاقتصادية، في ظل قبوله غير المتحفظ بالاحتلال واقعا و ممارسة !! و من ثم فإن عباس لم يقطع الخيط الرفيع الذي كان يربطه بالإدارة الاستعمارية، كما نهج أسلوب الاختراق للقاعدة الجماهيرية، ومحاولة كسبها إلى صفه بالاستناد على فكرة "**الثورة بالقانون**"[43] ؛لأجل التموقع، و تكريس النهج السياسي المعتدل والسلمي، بعيدا عن التدخل المباشر للمحتل !؟

لقد كان موقف نوابه الشيوخ الأربعة في البرلمان الفرنسي - حين قدموا استقالتهم بتاريخ : 1947/08/31 احتجاجا على التصديق على" **القانون الأساسي للجزائر**" "Statut Organique d’Algérie "- وتوجيههم رسالة الاستقالة و الاحتجاج إلى رئيس الوزراء الفرنسي آنذاك "**بول راماديه**" ، ما يعبر بصدق عن هذا التوجه حيث جاء في الرسالة : (**نتشرف بأن نبدي باحترام احتجاجنا ضد "النظام الأساسي للجزائر" الذي فرضه**

---

[43] - د.رابح بلعيد، **مرجع سابق**، العدد 128، الحلقة 35 من الاثنين 10 إلى الأحد 16 مارس 1997.

البرلمان على الأغلبية العظمى من الشعب الجزائري، من أجل هذا نقدم لكم استقالتنا عن عضوية مجلس الجمهورية... إن المؤامرة التي دبرها الاستعمار الكبير من جهة، و النفوذ الذي يمارسه أحد رؤساء الحكومة القدامى من خارج البرلمان من جهة أخرى(يعني به الجنرال ديغول)... لقد حدث تكتل حقيقي ضد الجزائريين المسلمين، واجبنا أن نندد بهذا التكتل.) (44)

أما المؤتمر الأول "للاتحاد الديمقراطي للبيان UDMA " المنعقد بسطيف أيام : 25-26-27 سبتمبر- أيلول 1948، و الذي حمل شعار: "**نظرات في حاضر الجزائر و مستقبلها**" فقد كرس هذه السياسة "**الثورة بالقانون**" والعمل لأجل تحقيق"جمهورية فدرالية" متحدة مع فرنسا، ونبذ العنف كأسلوب للتحرير، إلى جانب التعاون مع "**الديمقراطيين الفرنسيين**". و مما جاء في التقرير الصادر عن المؤتمر: (**... غير أنه ينبغي أن لا تكون هذه الدولة المنتظرة سلطة إسلامية ... بل ينبغي أن تكون هذه الدولة جمهورية ديمقراطية اجتماعية على أساس اتحاد أخوي بين جميع الجزائريين، مهما كانت جنسيتهم و ديانتهم...**) (45) في مكان آخر يورد نفس التقرير: (**نعم نحن ما وعدنا بانسحاب فرنسا و الفرنسيين غدا أو بعد غد، و ما بعنا بالمزاد السري مزارع المستوطنين و وزعنا أراضيهم على من يمنحوننا السعر المرتفع**). ويواصل التقرير رسم سياساته، وتوضيح إيديولوجية البيانيين السياسية "**الإصلاحية**" مؤكدا : (**إننا ضد المغامرة و المغامرين الذين عرفت إفريقيا الشمالية منهم أمثالا كثيرة في تاريخها... يا له من دور خبيث لعبه ضد وحدة البلاد ، بوبغلة و بوحمارة و بولحية، الذين حصلوا في وقت ما على ثقة الجماهير الغافلة ، لكن باؤوا في النهاية بسوء المصير، و سخط الناس بعد أن خربوا الوطن، و جلبوا عليه البؤس و الشقاء!!**) ليستمر في عرض مواقفه المعادية للأسلوب العسكري المسلح في تحصيل الحقوق، و تحرير الوطن قائلا : (**إننا لا ندعو إلى الجهاد فليس ذلك من دأبنا.**) (45 مكرر)

مما يلاحظ ويستنتج من هذه الوثيقة، والنصوص : رفض النمط الثيوقراطي (الحكم الديني للدولة) في نمطها الإسلامي التقليدي"**دولة الخلافة**" ، و تبني "**النظام الجمهوري الديمقراطي**" لها على غرار الدولة الأوربية العلمانية المعاصرة، متعددة الأعراق والأجناس..، في مجتمع أغلبيته العظمى من المسلمين ، فماذا يعني ذلك؛ مغازلة للمستوطنين و طمأنتهم بشأن جمهوريته الفاضلة..؟ أم هي عقدة التبعية للغرب في كل شيء .

---

44 - د.يحيى بوعزيز، **الإيديولوجيات السياسية للحركة الوطنية من خلال ثلاث وثائق جزائرية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1986 ص:10-15

45 - د. نبيل أحمد بلاشي ، **الاتجاه العربي و الإسلامي** (مرجع سابق) ص 53

كما يبدو- من خلال الفقرة الثانية- بأنه يعد هجوما على **"حزب الشعب- حركة الانتصار "** و أيديولوجيتها الوطنية؛ من خلال وصفهم بالمغامرين، وكذا استعارة وسوق نماذج من المقاومات رأى فيها مثالا و **"عملا خبيثا"**... ضد وحدة الوطن و يا للمفارقة !.. فهل العمل الخبيث هو القبول و الرضا بالمحتل و التودد له...؟ أم هو مقاومته دفاعا عن الشرف و الأرض و السيادة .

لقد كشف الاتحاد الديمقراطي و زعيمه عباس من خلال أدبيات الحزب وتصريحاته عن "جبن سياسي"، ومنطق استكانة و رضى؛ لا يتماشى و طموح الشعب الجزائري الذي علمته التجارب و عركته المحن... كان آخرها مجازر 08 ماي- أيار 1945، التي أكدت بأن المستعمر، لا يستجيب لطلب و لا يتنازل عن موقف أو شيء ، و لا يفهم غير لغة العنف والقوة. ذلك ما أكده مصالي لعباس عشية إعداد البيان الجزائري و تقديمه سنة 1943، و قد صدقت نبوءته و توقعه . عموما يمكن لنا تلخيص **"إيديولوجية البيانيين"** من خلال عرضنا لمسيرتهم النضالية، واستعارتنا لبعض النصوص التي تضمنتها أدبيات السياسة ، و برامجهم الحزبية في النقاط التالية :

1- الإيمان - حتى النخاع- برسالة فرنسا **"التمدينية و الحضارية"** و التي لا غنى عنها -في نظرهم- لتقويم أوضاع البلاد و العباد.

2- ربط مصير مستقبل البلاد (الجزائر) بالديمقراطية الفرنسية، وبالجالية الأوربية؛ (أي المستوطنين) و التعايش معهم في إطار **"الاتحاد الفرنسي"** أو **"الكونفدرالية الفرنسية"**، بحيث لا يسمح بالاستقلال التام وانفصالها عن فرنسا.

3- عدم اللجوء إلى العنف و المقاومة الثورية المسلحة، و اعتبار ذلك **"مغامرة"** و **"حماقة"** تهدد وحدة البلاد ! - و متى كان للبلاد وحدة في ظل الاحتلال؟- و التحذير من الثورة ضد فرنسا مهما تفاقمت الأمور مع الالتزام التام بشعار **"الثورة بالقانون"** ؛ التي لا تعدو في الحقيقة أن تكون الوجه الآخر للإدماج الفرنسي الذي طالما تغنوا و لهثوا خلفه أكثر من عقدين من الزمن، و لم ينالوا شيئا !

ستبقى هذه **"الأيديولوجية"** هي العنوان البارز لهم في التعاطي مع واقع الاحتلال، و من وحيها و ظلالها، ستتخذ المواقف حيال القضايا المطروحة، من سنة 1948 و حتى اندلاع الثورة التحريرية في نوفمبر- تشرين الثاني 1954. رافضين التنازل عنها أو المساومة بشأنها. إلى أن تفرض الثورة التحريرية - بعد سنة و

نصف من قيامها- منطقها الثوري عليهم، و يجدون أنفسهم يسبحون ضد التيار، و يتحركون خارج دورة التاريخ؟ هذا ما سيجعلهم يعيدون حساباتهم السياسية، ليتخذوا قرار الالتحاق بها في أفريل- ابريل1956 عن قناعة أو عن تكتيك... ذلك ما سنناقشه في الفصل الثاني من هذا البحث.

إجمالا يمكن القول بأن هذا الاتجاه اليميني المعتدل السلمي، المرتبط بحبل سري بفرنسا و منظومتها الفكرية والسياسية، على الرغم مما بدا على إيديولوجيته السياسية من تطور إيجابي باتجاه تبني "**الأطروحة الوطنية**"، لكن العملية كانت بطيئة و محزنة، استهلكت من الوقت و الجهد الكثير. في غير صالح القضية الوطنية ؟ غير أنه في الوقت نفسه قد أسست للعمل السياسي المنظم، و كرست التعددية في الرأي والمواقف و الأطروحات. كما أوجدت مناخا من المنافسة والتسابق نحو كسب الجماهير؛ مما ساعد على تزايد وعيها وتناميه، و بالتالي المساهمة - بطريقة غير مباشرة- في تحضيرها النفسي، السياسي، والتنظيمي لخوض غمار المواجهة المسلحة القادمة، و التسلح بكثير الوسائل القانونية ، الإعلامية، الإطارات البشرية، الكفأة سياسيا؛ لإدارة المعركة المرتقبة. تلك التي لم تكن - بطبيعة الحال- معركة سلاح و بندقية فقط؛ بل هي معركة شاملة و متكاملة الأبعاد والوسائل، والمجالات... الخ.

2- <u>الحزب الشيوعي الجزائري... و إيديولوجيه الإدماج التغريب الحالمة</u> !

من ضمن تيارات الحركة الإصلاحية التغريبية نجد **الاتجاه الشيوعي** في الحركة الوطنية؛ ذو الميول والأفكار الماركسية اللينينية، حيث تسللت هذه الأفكار إلى الجزائر مع نهاية الحرب العالمية1 ، وظهور الأممية الشيوعية العالمية "**الكومنترن**" بموسكو. وقد عثر في منطقة القبائل حوالي سنة 1922 على منشورات تدعو إلى الانضمام للحركة الشيوعية العالمية. جاء فيه مدح للنظام البلشفي - اللينيني ! ربما يكون بعض العائدين من جبهة الحرب الأوربية من المجندين هم اللذين تأثروا بهذا الفكر وحاولوا نشره و ترويجه بين الجزائريين، و قد ذكرت جريدة فرنسية محافظة (يمينية) خلال هذه الفترة (1922) بأن: "الشيوعيين عملوا على اختيار الجزائر ضمن شمال إفريقيا كحقل لنشر و اختبار أفكارهم؛ على الرغم من

الخصومة الشديدة التي يكنها الجزائريون لهذه الإيديولوجية" [46]، ونفس الأمر تحدث عنه تقرير"**كور توري**" "k. tourie"، ممثل الحزب الشيوعي الفرنسي في شمال إفريقيا.

كما سعى الحزب الشيوعي الفرنسي لإنشاء ولتكوين فرع له في الجزائر، تمهيدا لتأسيس حزب شيوعي جزائري. و ظهر فعلا هذا الفرع حوالي سنة 1924، و بذلك يكون أول حزب سياسي يظهر في الجزائر، ذو مفهوم و تنظيم عصري . و تدرج في العمل ليستقل كحزب جزائري سنة 1935، بعد أن تمكن من الحصول على موافقة من مؤتمر"**فلربان**" في فرنسا في نفس السنة ، و كلف "**جان شانتورن**" "j. chantone " المسمى "**بارتل**" "Bartle" بإدارة شؤونه و تنظيم عمله. و كان "**عمار أوزقان**" أحد أعضائه و نشطائه، كما كان مفتوحا للأوروبيين -وهم غالبيته- و الجزائريين و برنامجه السياسي خال من الفكرة الوطنية أو الاستقلالية ؟ ! حيث عجز عن التوفيق بين مذهبه العالمي المرتبط بالأممية الشيوعية، و بين أعماله القومية في الجزائر. ويمكن التعرف على محاور مشروع البرنامج السياسي للحزب الشيوعي الجزائري، من خلال البيان التأسيسي للحزب الذي نشر في نهاية سنة1935 مطلع سنة1936م، على النحو التالي:

1- تحسين أوضاع الطبقة العاملة وصغار الفلاحين.

2- إدانة الأحزاب الفاشية والنازية...

3- تشجيع الإدماج..

4- التقرب من الاتحاد السوفيتي.

5- إنهاء الاحتكارات والاقطاعات الكبيرة.

6- الارتباط الوثيق بفرنسا.(47)

يبدو التطابق التام مع برنامج الحزب الشيوعي الفرنسي، الذي تفرع عنه، ليستقل صوريا فقط، ولن تتخذ أفكاره السياسية طابعا قوميا تحرريا، إلا مع انعقاد مؤتمره الخامس بوهران أواخر ماي- ايار1949م. حينما أكد في برنامجه الجديد على: أن التحرير الوطني والسلم يكونان معركة واحدة، الوقوف مع فرنسا الديمقراطية، لا مع فرنسا الاستعمارية، لإقامة جمهورية جزائرية، ومساعدة فرنسا في تكوين أمة جزائرية... الخ. (47مكرر)

يظهر جليا أن برنامجه وأدبياته السياسية اتسمت "**بالحذر الشديد**" من النزعة الوطنية، وكثيرا ما ناصب العداء للاتجاه الوطني الاستقلالي "**النجم- حزب الشعب**". كما دخل أيضا في خصومات مع العلماء -على الرغم

---

[46] - سليمان الشيخ، **الجزائر تحمل السلاح** (مرجع سابق) ص 355

47- محمد شرقي، **ابرز القيادات السياسية والعسكرية في الثورة الجزائرية(1954-1962)م**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ- جامعة منتوري قسنطينة، ماي2007 ، ص27- 28

من نوع التقارب بين هذه الاتجاهات- خصوصا عند صدور مشروع بلوم فيوليت وعقد المؤتمر الإسلامي في الجزائر سنة 1936م.

عموما - و بحكم الإيديولوجية التغريبية التي كان يحملها، و التركيبة البشرية للأوربيين (المستوطنين) الطاغية عليه- فقد اتسمت علاقاته خاصة مع النجم- حزب الشعب... - كما يقول سليمان الشيخ : "**بالمزاحمة الهجومية**" إلى "**المزاحمة الدفاعية**" و منها - بعد الحرب العالمية الثانية - إلى "**الالتزام الناقد**".[47] غير أن النشاط الحقيقي للحزب الشيوعي لم يبرز إلا عقب الحرب العالمية الثانية و تأتى مجازر 08 ماي- أيار 1945م ، و الموقف منها في صدارة القضايا التي اتخذ حيالها موقف التحالف مع القوى البرجوازية اليمينية ممثلة في المستوطنين و غلاتهم. كما نادي بضرورة قمع المظاهرات و اتهم "**حزب الشعب**" بالوقوف وراء الأحداث. هذا الذي جعله يحيا في عزلة عن الجماهير، و يحول دون وصول أيديولوجيته المتناقضة، حيث يقف نظريا مع البروليتاريا و ضد الطبقة البرجوازية و الامبريالية، و واقعا يعبر عن مساندته للمواقف اليمينية المحافظة للمستوطنين.

مع كل هذا فقد ادعى سكرتيره السابق "العربي بوهالي" بأن حزبه هو :

" **الحزب الجزائري الوحيد الأصيل**"([48] و لا ندري ماذا يقصد "**بالأصالة**" ؟ هل هي التحالف مع اليمين لإبادة الشعب الجزائري، و قتل 45 ألف شهيد في أقل من أسبوع ؟ ! أم هي الوقوف إلى جانب الجماهير و الطبقات الشعبية - كما تؤكد أدبيات الشيوعية العالمية- و الدفاع عن مصالحها المادية و حقها التاريخي في البقاء و الاستمرار؟ !..هذا الذي لم يتحقق سياسيا و واقعا أبدا، طيلة مسيرة هذا الاتجاه خلال هذه الحقبة التاريخية على الأقل !!؟

و بالرغم من اعترافه سنة 1946 - بعد ظهوره باسم جديد و هو: "**أصحاب الحرية و الديمقراطية**" - "**بسوء تقديره للعامل الوطني**" ، لكنه بقي منحازا إلى "**الاتحاد الفرنسي**" الذي طرحته إدارة الاحتلال في قانون الجزائر سبتمبر- أيلول 1947م، على حساب تنسيق المعركة الوطنية في ظل "**لجنة تحرير المغرب العربي**"([******]) التي تأسست بالقاهرة سنة 1947م. حيث اعتبرها السكرتير المذكور "**العربي بوهالي**"، بمثابة :

(47مكرر) محمد شرقي، مرجع سابق، ص35

(48) العربي بوهالي، **إلى الأمام الجزائر حرة و ديمقراطية**، منشورات الحرية، الجزائر 1947، ص 24.

- نفسه ، ص 20

"مناورة امبريالية" وكتب قائلا : (**وعلى ما نرى فإن هذه السياسة تستمد مصدرها من القاهرة، حيث تحبك المؤامرات الامبريالية، من أجل الإبقاء على دوائر نفوذ واشنطن و لندن، و توسيعها داخل البلاد العربية.)** [49]

غير أن منهج **"النقد الذاتي"** الذي ظهر داخل الحزب بعد سنة 1946، قد حفزه على هجر بعض مواقفه، خاصة تلك الداعية إلى التوحد الكامل بين فرنسا والجزائر، لكن دون أن ينحاز إلى المطلب الوطني المتضمن الدعوة إلى الاستقلال . فكان في مواقفه السياسية أقرب إلى التيار الإصلاحي المعتدل (النواب و العلماء) ، حيث كثيرا ما دعا و طالب بأن يكون للجزائر وضع البلد المشارك في إطار الإتحاد الفرنسي- الجمهورية الفيدرالية كان ينادي بها عباس فرحات ـ لكن سوء تقديره للدور التحرري للحركة الوطنية ، كان يحمله على التخوف من أن تؤدي الدعوة إلى الاستقلال إلى إعلان امبريالية أخرى محل الامبريالية الفرنسية **!؟** تأثرا بالإيديولوجية الشيوعية العالمية التي كانت تؤمن **"بالثورة العالمية"** الشاملة ضد المنظومة الامبريالية في سياق ثورة البروليتاريا العالمية .

و بذلك فإن الحزب الشيوعي الجزائري **"أصحاب الحرية و الديمقراطية"** بالرغم من خضوعه لإيديولوجية الطبقة العاملة العالمية ، لكنه لم يقم في الجزائر بتحقيق مشروعه الثوري على عاتق الجماهير المحلية؟ **!** و تجنيدها لهذه الغاية ، بل اقتصر عمله بهذا الخصوص على قيادة عناصره **"للعمل النقابي"**، و تقديم المطالب الاجتماعية دون تبني المطلب الوطني السياسي، و لم ينظر إليه (أي المطلب الوطني السياسي) باعتباره جزءا من **"الإيديولوجية البرجوازية"** ، و اختلاطه بها كعامل إيجابي في النضال ضد الامبريالية كما يقول سليمان الشيخ[50]. و لطالما علق تحرير **"الجزائر المستعمرة"** على تحرير الطبقة العاملة في فرنسا المترو بول !.. فكم كان الحلم مثاليا و بعيدا، بعيدا !

*******) تأسست بالقاهرة سنة 1947 بدعم من الجامعة العربية، وتضم: الشاذلي المكي ممثلا عن **حزب الشعب**، والفضيل الورتلاني ممثلا **لجمعية للعلماء** .إلى جانب ممثلين عن **الحزب الدستوري التونسي، وحزب الاستقلال المغربي**.وكانت تعمل على تنسيق العمل المشترك لتحرير المغرب العربي...وقد كان لها دور فاعل في جلب الدعم والمساندة العربية والإسلامية..

49 - سليمان الشيخ، **الجزائر تحمل السلاح...** مرجع سابق، ص : 50

50 - نبيل أحمد بلاشي ، **جبهة التحرير الجزائرية و دورها في حرب الاستقلال**، رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، معهد البحوث و الدراسات الإفريقية جامعة الدول العربية، القاهرة، 1976، ص 59. **و نسجل هنا** ملاحظة بشأن مضامين الرسالة فعند اطلاعنا عليها هناك في القاهرة، وقفنا على كثير من الأخطاء التاريخية المتعلقة بتواريخ الأحداث و أسماء الأشخاص، و الأماكن.. من مثل ورود : أن هي مفجرة الثورة، بل أكثر أنها المشرفة و المنظمة لمؤتمر الصومام 1956، و الصحيح أن هذه CRUAاللجنة الثورية للوحدة و العمل المنظمة التي تأسست في 23 مارس 1954، انتهى دورها مع انعقاد اجتماع 22 التاريخي أواخر جوان 1954.
، كذلك ورود اسم "مصطفى بولعيد" بدل مصطفى بن بولعيد، و عبانة بدل عبان رمضان.. إلى جانب ذكر ابن مهيدي اغتيل و الصحيح أنه قبض عليه في معركة الجزائر في ماري 1957 و حوكم ثم أعدم.. أضف إلى هذا ورود ذكر اسم "الولايات" بدل "المناطق" للتقسيم الثوري

سيمضي ملتزما بمواقفه الإيديولوجية تلك إلى ما بعد قيام الثورة 1954، الغريب أن هذا التنظيم، وجزء هام من عناصره القيادية خاصة، ستلتحق بقطار الثورة منذ منتصف 1956م، لتتنقل بعض قياداته الفاعلة على رأسها **"عما أوزقان"** -أمينه العام السابق - من عربة لأخرى حتى يحكموا السيطرة الفكرية والإيديولوجية على عربة القيادة الثورية، ليقع توجيهها بما يخدم المشروع الفرانكو- شيوعي (51)

غير أن الإنصاف يفرض علينا القول: بان هذا **الحزب الشيوعي الجزائري** كان قد لعب دورا حيويا على المستوى الاجتماعي، والفكر التنظيمي، كما كان لجريدته **"الجزائر الجمهورية"** "Alger Republican" دورا لا يستهان به في معاداة الاستعمار كفكر و منظومة، و الامبريالية كسياسة و فعل. و قد ساهمت في نشر الوعي الطبقي- الاجتماعي، كما حظيت بصدى واسع في الأوساط المتعلمة و السياسية خاصة. و من مظاهر استفادة الحركة الوطنية الجزائرية من الفكر السياسي، و إيديولوجية هذا الحزب، و مساهمتها في إذكاء الوعي الوطني في شقيه الاجتماعي، و الاقتصادي خاصة:

1- استعمال وسائل الحزب التنظيمية و الإعلامية في المطالبة بالمساواة في الحقوق، و محاربة الاستغلال و التمييز.

2- توفير لون من الحماية السياسية و الإدارية و القانونية - من الإجراءات و القوانين التعسفية - لمناضليه و لمعاونيه.

3- توظيف أدوات الحزب في النضال : كالأطر النقابية، و الجمعيات و النوادي الثقافية، و المنبر الإعلامي **"الجزائر الجمهورية"**...الخ. كأدوات حديثة و عصرية مستعارة من الواقع الأوربي آنذاك. وقد استعملت للحد من الضغط الإداري للمستوطنين (الكولون) و حلفائهم العسكريين في الجزائر. (51)

بالجملة فإن التيارات الإصلاحية التغريبية بما فيها الحزب الشيوعي الجزائري، كانت قد تصورت المشكلة الاستعمارية - للأسف- بعيدا عن الجماهير الشعبية المحلية، و انحدرت بذلك في الجدليات التطورية، و

الذي اعتمده مفجرو الثورة من 1954 إلى غاية انعقاد مؤتمر الصومام 1956. لتظهر ضمن مقرراته تسمية "الولاية" ... هذا ما يستدعي منا الانتباه و الحيطة .. و العمل على الوقوف على مثل هذه الأخطاء... و غيرها، و تصحيحها.

Pierre fontaine, **Dossier secret de l'Afrique du nord**, E, les sept couleurs, paris196, p 105(51)

(51) - سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج3 (مرجع سابق) ص 64

النظريات الطوباوية الماركسية. وأحلت التفاوض الممكن حول الحريات و الحقوق محل المطالبة الوحيدة و الجذرية للاستقلال و الحرية . فكانت بذلك خارج دورة التاريخ الوطني التحرري؛ الذي شق طريقه نحو الثورة الوطنية المسلحة.

3 - **أيديولوجية العلماء و دورها في تغذية الزخم الثوري** :

يقول الأديب الفرنسي "أناطول فرنس" "A. France" : **(ليس لدى المتعلمين في العادة أية فكرة عما يجول في خاطر الجماهير، إن جموع الجهال تخلق دائما آلهة في غفلة من المتعلمين !)** والسؤال الذي يطرح هو : هل ينطبق هذا القول على جماهير الجزائر في فترة الاحتلال، خاصة في النصف الأول من القرن 20؟ وكيف كان موقف العلماء الجزائريين وجمعيتهم -التي تأسست في 05 ماي- أيار 1931م- من هذه الجماهير؟ هل كان هؤلاء القادة يعيشون في غفلة عنها ؟

الحقيقة أن دور العلماء و الجمعية وموقفهم من حياة الجماهير الشعبية، يختلف تماما مع مضمون المقولة السابقة؛ ذلك أنهم تفطنوا منذ وقت مبكر إلى خطورة المشروع الاستعماري الفرنسي على المجتمع ، وسخروا أنفسهم كأفراد ثم كجماعة - في إطار الجمعية و هياكلها- لاستيعاب الجماهير واحتضانها و كذا التكفل بهمومها وانشغالاتها. لبحث حلول كفيلة بإنقاذها من كماشة مخططات المحتل و أعوانه من الطرقية و المبتدعة، و العملاء و سدنة الاستعمار من المرتزقين، و بائعي الذمم... فكان عملها يحمل ثلاثة أبعاد و اتجاهات:

الاتجاه الديني: الذي نادي و اتخذ من الإسلام و عقيدته الصحيحة الصافية «السلفية"، منطلقا للهداية والتحرر والإرشاد... إلى رفض الظلم و العدوان، واعتماد مبدأ الشورى في الإدارة والحكم ومحاربة شتى مظاهر الاستبداد.

الاتجاه الاجتماعي الثقافي: و قد اتخذ من الثقافة و الحضارة الإسلامية، و سيرة النبي (ص) و الخلفاء و السلف الصالح... نموذجا في بناء المجتمع، و إحياء قيمه و إفشاء الأخلاق الحميدة. ثم جمع شمل الأمة، و التكفل بمستلزماتها من الحاجيات، وتعزيز الثقة بتاريخها وأصالتها، وأمجادها... مع توثيق الارتباط بأبطالها و سيرتهم. والتكافل الاجتماعي وتوحيد الكلمة، و رأب الصدع، و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...الخ.

الاتجاه السياسي: و كان العلماء أكثر تحفظا و اعتدالا في الخوض في المسائل السياسية، والتدخل المباشر في وجه المستعمر و إدارته في البلاد؟ مستندين في ذلك على ما ورد في القسم الأول من القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، و الذي يؤكد على كونهم : "**جمعية إرشادية لا يجوز لها التدخل في المسائل السياسية.**"[52] إلا أن ذلك لم يمنعهم من حشر أنفسهم واهتماماتهم في مسائل ذات طبعة سياسية من قبيل: الدعوة إلى فصل الدين الإسلامي للسلطة الفرنسية في الجزائر، وتمثيل الجزائريين بكفاية داخل المجالس المنتخبة و المعينة، و تأكيد الوطنية الجزائرية و تاريخها و هويتها المستقلة -الضاربة في عمق التاريخ و الحضارة- و ما إلى ذلك من القضايا.

يؤكد الأستاذ سليمان الشيخ على الدور السياسي للعلماء في الحركة الوطنية، بقوله : **(و في المجال السياسي نجد العلماء حاضرين تماما، ذلك أن فعالياتهم الدينية، و الثقافية، في الإطار الاستعماري، هي ذاتها موقف سياسي... و لكن العلماء بصورة مباشرة، لن يتأخروا عن المساهمة في فعاليات أقرب إلى السياسة، كالمشاركة في المؤتمر الإسلامي عام 1936، و مؤتمر أصدقاء أحباب البيان (A.M.L) عام 1944، و كانت تدخلاتهم في مختلف صور النقاش السياسي على المسرح الجزائري... مصبوغة (بشكل أو بآخر) بصبغة التشدد في كل ما يمس الهوية الوطنية، و بصبغة الاعتدال في علاقاتهم مع الإدارة الاستعمارية.)** [53]

الحقيقة أن العلماء وإيديولوجيتهم الوطنية الإصلاحية، كانت واضحة تماما في موقفها من إدارة الاحتلال؛ من خلال المواكبة و التفاعل المستمر مع كل التطورات و الأحداث الجارية، خاصة المتعلقة منها بقضايا الشعب الجزائري، من ذلك : موقفهم من الحرب العالمية 2 ومشاركة الجزائريين فيها . فيروى أن الشيخ ابن باديس عشية الحرب اسر إلى بعض مقربيه قائلا : " **و الله لو وجدت عشرة من عقلاء الأمة لأعلنتها ثورة على المستعمر**" ، كما أن الإبراهيمي كان قد وقف موقف الرفض من القضية (انخراط الجزائريين في الحرب)، مما أدى إلى اعتقاله و سجنه في "آفلو" ، حيث لم يطلق سراحه إلا مع نهاية الحرب ، وسيقف في وجه الجريمة الاستعمارية في 08 ماي- أيار 1945المرتكبة في حق الشعب الجزائري الأعزل، كتب عنها قائلا : (**...و إن فرنسا الوحشية لا ترضى بالخزية المفردة حتى تعززها بما هو أخزى، و أما و الله لو أن تاريخ فرنسا كتب**

---

52 - سليمان الشيخ ، **الجزائر تحمل السلاح** ، مرجع سابق، ص 38

53 - محمد البشير الإبراهيمي، **في قلب المعركة**... مرجع سابق، ص 158.

بأقلام من نور بمداد من عصارة الشمس في لوح منحوت من صفحة القمر، ثم قرظه عشاقها المتيمون منا باللؤلؤ المنثور بدل القرض المشعور و الشعر المنثور، ثم كتب في آخره هذا الفصل المخزي بعنوان مذابح (سطيف و قالمة خراطة) لطمس هذا الفصل ذلك التاريخ كله... فكيف و في تاريخها كثير من هذه الفصول السوداء.) [54] فكان جزاء الإبراهيمي جراء مواقفه تلك إعادة اعتقاله في خضم الأحداث في شهر ماي 1945، و حظر نشاط الجمعية ، و منع صحيفتها **"البصائر"** و باقي أنشطتها ؟ و لم يطلق سراحه هو و آخرين من رجال الجمعية و قيادات الحركة الوطنية من الاتجاهات الأخرى (مصالي، و عباس خاصة) ، إلا بعد صدور قرار العفو في 16 مارس- آذار 1946م.

لم يثن ذلك الجمعية و رجالها من استئناف نشاطاتهم ، و أعمالهم الإصلاحية و الثقافية و الإعلامية ،و ظهرت "البصائر" باسم **"عيون البصائر"** - و كان لها من القراء و المريدين ما لم يكن لغيرها من الصحف آنذاك - مساهمة منها في يقظة الوعي و نشر تعاليم الإسلام ، و علوم اللغة العربية و آدابها . رافضة الإدماج و المسخ الثقافي، و تذويب الأمة في محلول الفرنسة و التغريب. كما وقفت موقف المحارب للثلاثي الخطير في المجتمع الجزائري و هو **"الجهل و الفقر و المرض"** ، من خلال جمعياتها الخيرية ، و مدارسها التعليمية، ونواديها وصحافتها الثقافية، ومؤسسات التكافل الاجتماعي، والجمعيات الكشفية للأطفال والشبان...الخ. فكانت بذلك كما يقول سعد الله : **"دولة داخل دولة"** بأتم معنى اللفظ والمبنى. و قد طرحت في برنامجها وإيديولوجيتها الإصلاحية؛ مخططا يرنو إلى بعث الشخصية الجزائرية في إطارها التاريخي الحضاري، بديلا للمخطط و المشروع الاستعماري، حيث قام على أسس أبرزها:

1- **البعد المكاني أو الجغرافي:** ممثلا في الوطن الجزائري، بحدوده التاريخية، و مظاهره الجغرافية. و قد كتب في هذا الإطار أحد رجالاتها، و هو الأستاذ توفيق المدني مؤلفا دعاه: **"كتاب الجزائر"**؛ تعبيرا عن هذا البعد.

2- **البعد الزماني و التاريخي**: الذي يتوخى إحياء تاريخ الجزائر في كل مراحله و عصوره، باعتباره محصلة الماضي المشترك لكل الجزائريين، و الفاصل الحقيقي بينهم و بين ما تدعيه فرنسا من كون الجزائر**"مقاطعة**

---

[54] - مصطفى الأشرف، تعريب حنفي بن عيسى، **الجزائر الأمة و المجتمع**، ط؟ المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983، ص 244

فرنسية" لا تاريخ سابق لها قبل حضورها . وقد ألف أحد كبار قادة الجمعية ورجالاتها الشيخ "**مبارك الميلي**" معلمته التاريخية و الثقافية "**تاريخ الجزائر في القديم و الحديث**"، للرد على هذه المزاعم.

3- **البعد الحضاري**: الذي عبرت عنه العقيدة الإسلامية، و سيرة الرسول الأكرم(ص)، والعمل على التعلق به وجدانا، فكرا، انتماء، سلوكا، وموقفا. وكان ابن باديس، الإبراهيمي، الميلي، الورتلاني، العقبى، والتبسي... وغيرهم؛ معلمين وأساتذة ودعاة، وسط الجماهير الجزائرية لربطها بهذا البعد، و إحيائه في نفوسها وعقولها.

4- **البعد الوطني** : المرتكز على إذكاء الحماس العميق و الأصيل بالانتماء للجزائر، و قد كرس هذا البعد في شعار ابن باديس الشهير "**الإسلام ديني، و العربية لغتي، و الجزائر وطني**"، وكذلك في مطلع قصيدته للنشء الجزائري، التي مطلعها :

شعب الجزائر مسلم و إلى العروبة ينتسب

من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب

ناهيك عن المقالات والخطب الكثيرة التي تؤكد كلها على حب الوطن و التعلق به، و منها تلك التي جاءت تحت عنوان :"**لمن أعيش؟**"... و جاء الجواب صريحا وحاسما : "**أعيش للإسلام و للجزائر**. "

هكذا فقد ركز العلماء في "**إيديولوجيتهم الإصلاحية**" الوطنية على البناء القاعدي للفرد الجزائري، و الإصلاح الاجتماعي لواقعه، والتوعية الثقافية و الحضارية؛ لربط وجدانه و فكره و سلوكه، بانتمائه التاريخي و القومي، و تنمية الحس السياسي الوطني عبر ملامسة القضايا السياسية، و بناء المواقف حيال الأحداث و المستجدات المطروحة. ناهيك عن الحضور المستمر في المحطات التاريخية الكبرى للحركة الوطنية، و مساندتها في مشاريعها و لوائحها المطلبية؛ مثلما حدث مع المؤتمر الإسلامي 1936، و البيان الجزائري و تشكيل الجبهة سنة 1944، و جبهة الدفاع و الحرية و احترامها سنة 1951. إلى جانب نشاطها خارج الوطن ضمن لجنة تحرير المغرب العربي منذ سنة 1947، و حتى قيام الثورة و خلال فترة الكفاح المسلح من 1954-1962م . و عليه كما يقول الأستاذ مصطفى الأشرف - أحد الخمسة الذين سجنوا بعد اختطاف طائرة زعماء الثورة في 23 أكتوبر- تشرين الأول 1956م، ملخصا دور الجمعية و تطور فكرها و عملها: (**فقد أخذ موقف الجمعية يتطور في الاتجاه القومي إلى حد ما، و في منحى الثقافة العربية الإسلامية دائما، و كان**

حريصا على صيانة القيم الثقافية و الدينية الخاصة بالمجتمع الجزائري مع السير بهذا المجتمع في الاتجاه العصري التجديدي.) [55]

إجمالا لكل ما ذكر، فإن "**إيديولوجية العلماء**" في خطوطها الكبرى، ركزت على حماية الميراث التاريخي و الثقافي للأمة الجزائرية، و إعلان حالة الاستنفار بشأن ما يحيق بالإسلام، العربية، والهوية الوطنية. من كيد و مخططات التدمير الاستعماري، مع التصدي الدائم لها بكل حزم و مسؤولية. ثم إعداد و تهيئة جيل جديد من الشباب الجزائري المتعلم و المثقف، المشبع بقيمه، و انتمائه الوطني و الحضاري، في ظل "**شعارها-البرنامج**" : "**الإسلام ديني و العربية لغتي و الجزائر وطني**". فكانت بذلك سندا و دعما لوجستيكيا (خلفيا) قويا للإيديولوجيات السياسية الوطنية للجزائر المستقلة، بقدر ما استكملت الجمعية بل أسست و نظرت "**للمشروع الثقافي -الاجتماعي الوطني**" ، و بلورت مفاهيمه الإيديولوجية، و نظريته المجتمعية لمرحلة التحرير و ما بعد التحرير... يقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله بهذا الشأن: (**... لولا تيار من النهضة طغى منذ ثلاثين سنة تقريبا (يتحدث سنة 1958)، فدفع طائفة من شباب الأمة إلى اقتحام أسوار الكليات و الجامعات، و عدم الاكتراث بالأشواك و العراقيل المنثورة في طريقهم إليها، لولا ذلك التيار لما وجدت هذه الطائفة القليلة التي تحمل لواء الثورة اليوم، و لما كانت النهضة السياسية التي تقدمت الثورة .)** [56]

في سياق آخر يكشف سليمان الشيخ سنة 1958في أوج الكفاح المسلح على لسان العلامة الإبراهيمي عن المساهمة الفكرية و الإيديولوجية للعلماء في التحضير للثورة - و هو أبرزهم بعد وفاة الشيخ ابن باديس- فيقول: **(و أنا أرجو للثورة الجزائرية التي شاركت في التمهيد لها و تهيئة أسبابها ختاما جميلا تنال به الجزائر حريتها و استقلالها)** [57] و قد قال ذلك سنة 1958، في عز و أوج الكفاح المسلح. وها هو جهده قد أثمر، و تحققت أمنيته و أمنية كل الوطنيين الشرفاء الذين حضروا للثورة و الذين خاضوها بكافة الوسائل و في كل المواقع بعد سنة 1954م.

4- النجم- حزب الشعب- حركة الانتصار للحريات... و الإيديولوجية الاستقلالية

[55] - محمد البشير الإبراهيمي، **في قلب المعركة.** مصدر سابق ص 171

[56] - **نفس المصدر** : ص 233

[57] - د.رابح بلعيد، **مرجع سابق،** العدد 117، الحلقة 24 الصادرة من 23-29 ديسمبر 1996م.

جاء في صحيفة "**الأمة**" التابعة لحزب الشعب الجزائري و الصادرة في شهر سبتمبر-أيلول 1939م بباريس، في عددها رقم 02 ما يلي : (**لا يربط شمال إفريقيا بفرنسا أية مشاعر، اللهم إلا ذلك الحقد ، الذي ولده في قلوبنا مائة سنة من الاستعمار، و باسم الجمهورية الفرنسية يكابد ستون مليونا من البشر أبشع ألوان العبودية، وطننا هو المغرب (يقصد المغرب العربي كله) و نحن أوفياء له حتى الموت، و إذا كانت رغبتنا في أن نعيش أحرارا، تعني أننا أعداء فرنسا، فنحن كذلك و سوف نكون دائما كذلك، و لعل الاستعمار الفرنسي يزول في بلدنا يوما ما، دون أن يترك أثرا سوى ذكرى كابوس)** [58] بهذا الخطاب "**الناري**" ضد الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا، و في الجزائر تحديدا، بني موقف حزب الشعب الجزائري من الحرب و المشاركة فيها، و حسم القضية التي بدأت فرنسا تستغل ظروفها الصعبة لتستجدي أبناء المستعمرات و فعالياتها السياسية والوطنية، لإقناعها بالمشاركة و الوقوف إلى جانبها ضد النازية؟.. و كان الرد الفرنسي سريعا و حاسما تجاه موقف حزب الشعب و قيادته؛ حيث في 26 من نفس الشهر 1939 صدر قرار الحل بشأن الحزب و منع نشاطه ، واعتقال قيادته على رأسهم الزعيم مصالي الحاج، و بالتالي دخل الحزب مرحلة "**العمل السري**" الذي طالما دأب عليه في أوقات الشدة !!

تورد بعض الدراسات و الأبحاث أن الحزب و كوادره سعوا و خططوا للانتفاضة ضد الاحتلال خلال الحرب، و حاولوا التنسيق مع قوى "**المحور**"، من خلال الاتصال بعناصره في الجزائر بعد هزيمة فرنسا و كان من أبرز هؤلاء "**محمد بوراس**" قائد الكشافة الإسلامية [59] ، و ربما **مفدى زكريا** كذلك. و اعتبرت محاولة التمرد في الحراش سنة 1941 أحد عناوين الثورة المرتقبة. لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو : هل كان فعلا الحزب و قيادته تفكر في إمكانية إعلان الثورة و التمرد ضد فرنسا ؟ و هل يوجد في قاموس الحزب و أدبياته موقع لهذا المصطلح "**الثورة**" و مساحة للتفكير فيها ؟

يذكر الأستاذ قنانش[60] أن مصطلح الثورة قبل الحرب العالمية الثانية و خلال فترة الثلاثينات لم يكن متداولا لفظا أو مدلولا بين الأوساط الوطنية الحزبية و الشعبية، و لا حتى في الصحافة و الأدبيات الثقافية و الفكرية، ما عدا حديثا عابرا حول الثورة الفرنسية و مبادئها1789، أو الثورة البلشفية 1947م . لكن بعض طلبة شمال

---

[58] - سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 3 (مرجع سابق) ص 177

[59] - محمد قنانش، **المسيرة الوطنية...** مرجع سابق، ص 58-59

[60] - نفس المرجع ، ص 63

إفريقيا المتحمسين و منهم مفدى زكريا ، تداولوا هذا المصطلح في أنشطتهم، و خاصة خلال انعقاد مؤتمرهم في تلمسان سنة 1935م؟ غير أن المفهوم لم يكن واضحا في أذهانهم، و كان يكتنفه الطابع الرومانتيكي أكثر منه التفكير الواقعي- الاجتماعي و السياسي.

مع انعقاد المؤتمر الإسلامي الجزائري 1936، و عودة مصالي إلى الجزائر في نفس السنة، و بعد طوافه و جولاته في مدن البلاد أواخر صيف و خريف 1936م ، و جسه نبض الجماهير و استعداداتها. حدث بعض مناضليه و أنصاره في تلمسان بكلام مما ورد فيه : **(إن الثورة يجب أن تكون شمولية لا سياسية فقط، و إن كانت السياسة هي المحرك الأساسي للثورة..، و المسألة مسألة مبادئ، فإما الثورة أو الإصلاح و لا ثالث لهما...، و الثورة بالنسبة للجزائر ممكنة و ضرورية... فالمهم أن تكون لنا نظرة ثورية ننظر بواسطتها إلى المشاكل الأساسية - و إلى الحلول المترتبة عليها.)**[61مكرر].

فهل كان لهذا الكلام وغيره صداه في نفوس وعقول المناضلين و كوادر الحزب؟ و إذا كانت الإجابة بنعم ، فهل تم فعلا الإعداد لإنجاح الثورة المفترضة ضد المحتل؟ الأكيد أن **"الفكرة كانت موجودة"** على الأقل في عقول القادة وبعض النشطين، لكن الإعداد والتخطيط و التنفيذ، لا نعتقد أنه كان في أجندة الحزب خلال هذه الفترة على الأقل. عموما فإن فترة الحرب العالمية الثانية و زخمها العسكري و السياسي، سواء على مستوى تطورات الحرب في الجبهة الأوربية و الإفريقية، أو على المستوى المحلي في الجزائر، كل ذلك مكن من ظهور جيل جديد من شباب حزب الشعب الجزائري، بدأت تنمو عنده الأفكار الثورية، و يتشبع بها مبديا مواقف أكثر راديكالية ضمن مواقف الحزب و سياسته. وكانت تجربة **"أحباب البيان و الحرية"** (1944-1945) و ما تلاها من مجازر في 08 ماي - أيار1945 في حق الجزائريين و نشطاء هذا الحزب..،كلها مغذيات للفكر الثوري **"و إيديولوجية ثورية"** ستولد عقب الحرب العالمية الثانية مباشرة. و حسب رأي الأستاذ محمد عباس فإن نظريتين ثوريتين بدأتا في التبلور خلال الحرب العالمية 2 لدى قيادة الحزب[61] :

<u>الأولى</u>: نظرية رئيس الحزب، الذي كان يرى من الممكن الشروع مباشرة في تكوين منضمة عسكرية تتولى عملية التحضير الفعلي للثورة المسلحة.

---

[61] - د.رابح بلعيد، **مرجع سابق**، عدد 129، الحلقة 36، من 17 إلى 23 مارس 1997.

و الثانية: نظرية د. محمد الأمين دباغين- الشخصية الثانية في الحزب- الذي يرى ضرورة توفير شروط نجاح المنظمة العسكرية ، و منها - حسب رأيه- خلق هيجان عام في أوساط الشعب ، و اختراق منظمات وطنية لكسب أنصار يؤيدون العمل الثوري ، كما حدث في تجربة جبهة أحباب البيان و الحرية.

فعلا فإن "**نظرية" الدكتور دباغين** قد وجدت لها صدى و موقع الاستجابة لدى الكثير من شباب حزب الشعب من جهة ، و بعض عناصر جماعة البيان التي يتزعمها "**عباس فرحات**" ، خاصة بفعل التجربة المشتركة و الاحتكاك و تبادل الأفكار و الرؤى داخل "**جبهة أحباب البيان**" ، كما كان لحوادث 08 ماي- أيار 1945م ، أثرها النفسي في توليد هذا الاستعداد وتناميه. حتى أن تقارير السلطات المحلية كانت ترصد هذا الأثر و قد حذرت منها. من ذلك ما جاء على لسان "**روبير أرون**" في تقريره المقدم لمسئوليه؛ الذي وصف فيه العذاب النفسي و حالة الإحباط التي يعاني منها بعض الشباب المتغرب، بسبب التجربة المريرة، و الصدمة النفسية التي أحدثتها مجازر 08 ماي- أيار 1945. كما حذر فيه من إمكانية استقطابهم من قبل التيار الراديكالي "حزب الشعب" و توظيفهم في مسعاه الثوري ، يقول التقرير: (**يرى شباب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري أن معارضة هذا الحزب للإدارة ليست قوية بدرجة كافية... و يعاني نفوذ الحزب أزمة، سوف تفضي إذا استحكمت إلى أن يهجر هذه الحركة عناصر فتية معظمها من الأذكياء المثقفين، و سوف تزود المصالية بالكوادر التي تعوزهم.**) [62] و كان الحال نفسه مع بعض المتطوعين الجزائريين في الحرب، الذي عادوا و وقفوا على "**الجزاء**" الذي لاقاه شعبهم في 08 ماي- أيار 1945م ! و ربما كان بعضهم أو أكثرهم ضحية لتلك الحوادث، أو ممن كان أقرباء ضحايا لهذه المجازر الفظيعة.

من جانب آخر فإن "**شارل هنري فافروا**" ، و بشأن تأثير وعواقب هذه المجازر على التوجه الثوري للجزائريين و بالتالي على مستقبل الجزائر المستعمرة ، الذي تقرر - حسبه- في ذلك اليوم المشئوم، قال: (**لم يزل ملف 08 ماي مفتوحا، و قد اتفقت آراء الزعماء الوطنية كافة في هذا الموضوع، ذلك أن ثورة 1954 قد تقررت منذ عام 1945... لقد تقرر مصير الجزائر في هذه الدماء و الدموع.**) [63]

---

[62] - نفسه

[63] - د. محمد مجاود. **الأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية**، إبراهيم لونيسي، **ثورة أول نوفمبر و الدولة الوطنية**، مطبوعات جامعة جيلا لي اليابس (سيدي بلعباس-الجزائر) ط1، دار الغرب للنشر، وهران 2005، ص 87

و كان من ملامح ومظاهر هذه "**الإيديولوجية الثورية**" داخل حزب الشعب الجزائري، تلك الكراسة التي تحمل عنوان : "**تحيا الجزائر**" و التي نشرها حزب الشعب نهاية الحرب العالمية الثانية، و تتضمن مقدمة و قسمين ، يحتوي :

القسم الأول : على خلاصة تؤكد أن الشعب الجزائري يتوفر على جميع مقومات الأمة...

والقسم الثاني: آليات و وسائل إعداد الشعب لمعركة "**التحرير الوطنية.**"[64]

كان لمثل هذه الأدبيات الفكرية و السياسية دور "**الإلهام**" والتعبئة كما التحضير السياسي، لظهور التوجه الثوري المسلح و نضجه، كما أعادت الاعتبار للواقع التاريخي و تواصله داخل المجتمع الجزائري.

وعند صدور قرار العفو في 16 مارس 1946، و عودة الحركة الوطنية للنشاط؛ بدأ التململ داخل هياكل وعناصر حزب الشعب، فساد المخاض الذي يسبقه قدوم المولود الجديد ! و قد ظهرت أولى علامات الصراع الداخلي خلال المؤتمر السري الذي عقده الحزب في 15 فيفري- شباط 1947، قال عنه مصالي : (**بعد عشر سنوات في السجن و النفي ، حضرت هذا المؤتمر الذي انعقد في جو من الحذر و الانتقام... و كان هناك (...) اضطراب و مشاحنات بيت الإدارة و الشباب، و حزب الشعب و حركة انتصار الحريات الديمقراطية، أربع طوائف تتآمر بعضها على بعض.**) [65]

خرج المؤتمر بأربع قرارات حاسمة سياسيا، مثلت ما يمكن أن نطلق عليه: "**الرؤية السياسية المستقبلية للحزب**" خلال المرحلة القادمة ، تمثلت في :

أ- **الكفاح السياسي بمختلف أشكاله:** العنوان الأول الذي فتح الباب للحزب لمزاولة نشاطه ضمن الأطر القانونية ، و الاشتراك في الانتخابات العامة و المحلية المنضمة داخل الجزائر و فرنسا، و يمثل تيار "**الشرعية السياسية**" .

ب- **مشكلة الاتحاد د:** وهو العنوان الثاني، وفيه تمت الدعوة إلى معالجة مشكلة الاختلافات و التشرذمات التي تحياها الحركات السياسية و الدينية الوطنية، و إيجاد السبل الكفيلة بجمعها في إطار أو جبهة متحدة واحدة.

---

64 - د.رابح بلعيد، **مرجع سابق،** عدد 130 الحلقة 37 من 24 إلى 30 مارس 1997.

محمد حربي **الثورة الجزائرية ...**مرجع سابق،وكذلك مومن العمري، ".انظر:**o.s**) للمزيد من المعلومات حول المنظمة السرية *(******* " رسالة ماجستير في تاريخ « **o.sالحركة الثورية** (م-س). واحمد محساس **الحركة الثورية في الجزائر**. ومصطفى سعداوي، **المنظمة الخاصة** الجزائر الحديث، نوقشت بقسم التاريخ جامعة الجزائر .فيفرى 2007، ص65... وغيرها من المصادر والمراجع .

65 - حسين ايت أحمد، **روح الاستقلال، مذكرات مكافح 1942-1952** ترجمة سعيد جعفر ط1، منشورات البرزخ الجزائر 2002ص 145

جـ - **تهيئة الجماهير العريضة ضد سياسة القوة و الطغيان:** و هو العنوان الثالث، الذي أكد تصميم الحزب على تكثيف أنشطته الرامية إلى إعداد الجماهير إيديولوجيا و سياسيا، للقيام بإنجاح النضال الوطني المسلح الوشيك !

د –**الحركة أو التنظيم السري**: و هو العنوان الأبرز ضمنت الأربعة ، و فيه دعوة صريحة لإنشاء تنظيم سري حقيقي لصالح الهيأة التأسيسية العليا الجزائرية، وهذا ما عرف بالتنظيم الخاص أو السري "**O.S**"[*******]

يلاحظ أن مؤتمر الحزب نجح في لم شمل كل التيارات بداخله، و استرضاء عناصره، فخطا خطوة في طريق ضمان استقرار الحزب عبر سياسة "**تبادل الأدوار و المهام**" !..، و الأهم من كل ذلك أن مؤشر الانتقال إلى العمل الثوري، وتحضير الثورة قد بدأ فعلا. فهل ينجح الحزب والقادة في تأمين الشروط التنظيمية، السياسية، والمادية لتحقيق هذا المشروع، التطلع - الحلم لدى الشباب الثوري في الحزب، و لدى القاعدة العريضة له، و بين عموم الشعب الذي طالما انتظر مثل هذه المبادرات الثورية الخلاقة..؟ !

الإيديولوجية الثورية العسكرية... و الثورة المؤجلة !

أوكلت مهمة الإشراف على المنظمة السرية "O.S" من قيادة الحزب (الرئيس مصالي، و الأمين العام حسين الأحول للسيد "**محمد بلوزداد**" ، و بدأ عمله بتأسيس الأنوية الأولى و خلايا التنظيم العسكري له ،في العاصمة ومقاطعة قسنطينة و الاوراس و الغرب الجزائري. و كان من قادة هيئة أركانه الأولى - إلى جانب محمد بلوزداد- محمد بوضياف، مصطفى بن بولعيد، ديدوش مراد، ايت أحمد حسين، وأحمد بن بله. و غيرها من الأسماء؛ التي سيكون لها الدور البارز في الإعداد للثورة و تفجيرها لاحقا. غير أن **بلوزداد** - قائد التنظيم - سرعان ما اضطرته ظروف المرض و حالته الصحية إلى الاستقالة من على رأس التنظيم ، و خلفه ايت أحمد حسين مكانه. يقول هذا الأخير بشأن ترأسه التنظيم و عمله فيه ابتداء من 13 نوفمبر- تشرين الثاني1947م، و المكون من قيادة أركان من ثمانية أعضاء: (**و هكذا وجدنا أنفسنا على رأس منظمة بالغة السرية، لها مهمة التحضير للثورة، مع أنه لم تكن هناك تجربة ثورية و لا حتى كفاءات سياسية.**)[66] و يؤكد أن المنظمة السرية "O.S" مرت بمرحلتين على الأقل:

---

[66] - نفس المصدر ، ص 165.

الأولى: من تاريخ تأسيسها إلى غاية اجتماع دورة المركزية للحزب في ديسمبر-كانون الأول 1948م، و يمكن أن يطلق عليها مرحلة **"بناء التصور و التنفيذ"** للهيأة.

و الثانية : من ديسمبر- كانون الأول ر 1948م حتى تاريخ اكتشافها - أو التآمر عليها - في مارس 1950م ، حيث تم بعد اجتماع اللجنة المركزية المذكور فصل الوظيفتين عن بعضهما؛ أي **"التصور"** عن **"التنفيذ"**، يقول في ذلك : (**أصبح وهم العمل الشرعي ظاهرا للعيان ، فبعد الجزرة الانتخابية، جاءت العصا التي تطرح المسألة في مستوى القوة الجسدية، فالبديل لم يكن بين الرضوخ أو الانسحاب، بل بين أن تناضل أو تكف عن الوجود، لم يبق أمام مصالي و القيادة سوى العودة إلى الخط المحدد في مؤتمر فبراير 1947، أي نحو أفق العمل المسلح الذي كان مبرر إنشاء المنظمة الخاصة.**) [67]

حسب **ايت أحمد** دائما فإنه قدم تقريره إلى اللجنة المركزية في دورة ديسمبر- كانون الأول 1948م، و صادقت عليه، حيث تم فيه التركيز على المسائل الكبرى المطروحة في أفق التحضير للحرب أو الثورة التحريرية. و في هذا الوقت الحرج أشهر مناضل من منطقة القبائل هو **"علي يحي"**[(*******)] مبادرة تحمل فكرة **"الجزائرية الجزائرية"**، تدين أسطورة **"الجزائر العربية الإسلامية" ؟!** و عرضت القضية على اللجنة الفدرالية للحزب بفرنسا، و تم التصويت عليها بـ 28 صوتا من أصل 32 صوتا . تبع ذلك شن حملة مسعورة في فرنسا ضد **"التوجه العربي الإسلامي" للجزائر" !** و توسعت المشكلة لتنتقل إلى منطقة القبائل بالجزائر، و بذلك بدأت ما عرف في تاريخ الحزب و الجزائر خلال هذه الفترة، **"بالأزمة البربرية" !!** ؛ حيث اتهم **ايت أحمد** بالتواطؤ و مساندة أصحابها، مما أدى لإقالته من على رأس التنظيم السري "O.S" من قبل قيادة الحزب سنة 1949؟ في سبيل قطع الطريق إلى تحويله بيد هؤلاء، مروجي الفتنة والانقسام داخل الحزب و الحركة الوطنية، بل و المجتمع الجزائري كله. و يصف ايت أحمد ذلك كله بقوله : (**... إنها مصيبة... و كارثة سياسية، كان التنامي الهائل للوطنية الثورية قد وصل إلى القمة، و ها هو يتهاوى نحوى المنحنى الحقير للانفجار الداخلي**)، و

67- **نفسه**، ص 201-202

(*******)- تدرج في المسؤولية: ضمن فيدرالية الحزب بفرنسا حتى صار أحد نشطائها و قادتها البارزين، و كان يتمتع بالذكاء و الطموح و الحيوية.

يواصل **! (أو ل رد فعل لي كان محاولة تطويق حجم الخسائر،و العمل- مهما كلف ذلك- على الحفاظ على وحدة الحزب، غير أن هامش حركتي بدأ يتقلص مع تكاثف نيران الاتهامات المتبادلة.)** [68]

يرى **ايت أحمد** مسؤوليته في القضية؛ بأنه لم يكن طرفا فيها بل سمع عنها عرضا ؟ لكنه يعترف بتأييده لفكرة التكفل باللغة الأمازيغية داخل البرنامج الوطني للحزب. إلا أنه ينفي أن يكون مقتنعا في ذلك الوقت بحلول أوان الخوض في المسألة..، و مهما يكن موقع **ايت أحمد** من القضية - متهما كان أم بريئا- فإن الذي خسر- في تقديري - هو **الإيديولوجية الثورية** لـ "O.S" ، والثورة المؤجلة؛ بسبب تفاقم الأزمة التي أدت إلى شرخ في القيادة السياسية و الثورية معا ، انتهت بخلافات حادة كان ضحيتها - إلى جانب ما ذكرنا- كوادر حزبية و ثورية كبيرة من مثل: **د.محمد لمين دباغين،** الذي قدم استقالته و أقصي من المكتب السياسي و اللجنة بتهمة **'المؤامرة البربرية'؟** إلى جانب **ايت أحمد،** المسئول الثاني في التنظيم العسكري "O.S" بعد بلوزداد و آخرين..، وقد تولى **أحمد بن بله** مسؤولية قيادة التنظيم من بعد ايت احمد أواخر ديسمبر - كانون الأول 1949م.

لكن - حسب ايت أحمد- فإن الحلم بالثورة قد تبخر، و قد ترجاه د.لمين دباغين- عند عودته من القاهرة نافذ الصبر ومتشائما، من جو العمل داخل لجنة تحرير المغرب العربي لتنسيق العمل المشترك - قائلا : (**قضي على كل شيء، إن لم تقم بعملية انقلاب.)** [69] و كان القصد من **"الانقلاب"** حسب ايت أحمد دائما هو إرسال فرقة **"كوموندوس"** من "O.S"، لاحتلال المقر المركزي لحركة الانتصار للحريات بالعاصمة، و ترحيل القيادة السياسية بقيادة مصالي، لإعادة الأمور إلى نصابها، و الذهاب في تنفيذ مشروع الإعداد للثورة المقررة.

ما يمكن استنتاجه مما سبق وحسب شهادة آيت أحمد، أن القيادة السياسية توجست خيفة من تنامي نشاط "O.S" واتساع قاعدتها، مما قد يشكل خطرا عل مستقبل القيادة السياسية الإصلاحية في الحزب بزعامة مصالي . ومن ثم فهو- اى مصالي- يتحمل مسؤولية ما حدث. و أن **"الأزمة البربرية"** ما هي إلا قضية مفتعلة لتصفية كوادر المنظمة الخاصة "O.S"من الحزب، واسترجاع القرار السياسي بيد الإصلاحيين من السياسيين المحترفين.

---

[68] - نفس المصدر، ص 219

[69] - أنظر تفصيل الحدث في :عمار ملاح **محطات حاسمة في تاريخ الثورة،** ط1. دار الهدى، عين مليلة 2004 ص 33 .و ايت أحمد، **روح الاستقلال،** قداش جيلالى صاري، **المقاومة السياسية،** مرجع سابق... وغيرها.

هكذا فلم تمر ثلاثة أشهر على احتواء "**الأزمة البربرية**" من قبل قيادة الحزب السياسية - حركة الانتصار للحريات- حتى تفجرت أزمة جديدة، إنها أزمة اكتشاف المنظمة السرية "O.S" في مارس- آذار 1950م ؟ !! بعد عملية وهران، تلك العملية التأديبية التي قادتها فرقة "كوموندوس" مكونة من أربعة أشخاص في القطاع القسنطيني - كان منهم ديدوش مراد، و ابن عودة...- ضد أحد أعضائها و هو "**عبد القادر خياري**" في تبسه، لكن العملية فشلت مما أدى فرار هذا الأخير و التوجه إلى مركز الشرطة و الإبلاغ عن التنظيم السري "O.S" . فانطلقت حملة مداهمات و اعتقالات في صفوف عناصر الحزب و المنظمة؛ طالت أكثر من 3000 مناضلا. كان على رأسهم مسئول "O.S" **أحمد بن بله**، الذي أمسكت به السلطات بعد فراره. مما دفع قيادة الحزب السياسية إلى إصدار قرار حل المنظمة السرية "O.S"و دعوة أفرادها إلى الهروب وإنكار وجودها..؛ بدعوى حماية الحزب، وإشاعة فكرة "**المؤامرة الاستعمارية**" الجديدة ضد الحزب و مناضليه.(70)

بذلك تعطل "**المشروع الثوري**" للحزب، و أخذت أمواج الأزمة تضرب مؤسسات الحزب و رجالاته... و تفاقمت الأوضاع داخل حركة الانتصار بانتقال الأزمة من مشكلة مع العدو الفرنسي إلى أزمة مستحكمة داخل الحزب؟ !! تفرعت كما تفرخت وأدت إلى أزمات تنظيمية، ثم أزمة خيارات و توجهات: بين "**إصلاحيين**" مترددين في الذهاب إلى الثورة و انتظار تسوية المشكلة الداخلية للحزب أولا... "**و ثوريين**" قدماء "O.S" - الذين انتظموا في "**اللجنة الثورية للوحدة و العمل** CRUA " في مارس- آذار 1954، و قرروا أخذ المبادرة باتجاه الكفاح المسلح - نجم عن كل ذلك انقسام فعلي داخل الحزب في صيف 1954 ، بعد عقد مؤتمر بين الطرفين المتصارعين المصاليين و المركزيين ، فاجتماع مجموعة 22 التاريخي لعناصر CRUA أواخر جويلية - يوليو1954، و منه ميلاد لجنة الستة (06) + ثلاثة (03) ، التي ستعمل بسرية و سرعة، لتفجر الثورة ليلة الفاتح من نوفمبر- تشرين الثاني 1954م. بعيدا عن أعين قيادة الحزب- حركة الانتصار المنشقة عن بعضها... و الغارقة في خصوماتها و تلهفها على الانفراد بالسيطرة على الحزب. فكان "**الثقال**" (قدماء المنظمة السرية) في الموعد الحاسم، مع التاريخ و الشعب.

ما يمكن أن نوجزه - من كل ما سبق ذكره - هو أن "**إيديولوجية**" حزب الشعب- حركة الانتصار للحريات الديمقراطية كانت استقلالية منذ البداية، و لكن مفهوم الثورة، والاستقلال وشروطهما النظرية والمادية...، لم يتم

70- أنظر تفصيل التقرير في بوعزيز، **الإيديولوجية السياسية**، مرجع سابق، ص 20-21

الإعداد و التحضير المطلوب لهما إلا مع تأسيس "O.S" ، والانطلاق في تحضير العمل العسكري للذهاب نحو الثورة المسلحة. غير أن التجربة - للأسف- لم تكتمل، والمشروع تمت مصادرته؛ سواء كان ذلك بتآمر داخلي من قبل قيادة الحزب - كما ذهب قادة و أصحاب التنظيم- أم بسبب ظروف موضوعية، و سياسية تنظيمية... عطلت مسيرته، وحرفت القطار عن وجهته ؟ والآراء متباينة ومتضاربة بهذا الخصوص و الإجابة صعبة، و نعتقد أنه لم تتجمع بعد كل عناصرها المطلوبة.

المدهش حقا هو ذلك التراجع الملحوظ في تبني الخط الثوري، و "**إيديولوجية الكفاح المسلح**" ؛ والذي عبرت عنه قيادة الحزب في مؤتمرها الثاني بالجزائر أيام : 04-05 -06 أفريل - نيسان 1953، و قد تضمن تقريره العام المقدم للجنة المركزية 04 أقسام في 80 صفحة، يتضمن إيديولوجية الحزب الجديدة، و شمل :

الأول: خلاصة عن الحوادث ما بين 1947-1953م.

الثاني: نقائص الحزب.

الثالث: السياسة الخارجية للحزب.

الرابع : السياسة الداخلية للحزب.[71]

المتصفح للتقرير ومضامينه لا يجد إشارة واضحة لخيار الكفاح المسلح أو تأكيدا عليه ؟ وهو تقرير يتسم بالضبابية في الرؤية، و تغييب مبيت لإيديولوجية الحزب تجاه التعامل مع "**المشكلة الاستعمارية**"، و العمل المطلوب القيام به حيال هذه القضية. والتركيز على سياسات "**التحالف الانتخابي**"...؟! مما يؤكد العودة إلى إيديولوجية ما قبل تأسيس المنظمة السرية "O.S" سنة 1947، إلى إيديولوجية "**الإصلاح**"و العمل السياسي الشرعي والقانوني، و يمثل ذلك في نظرنا "**هزيمة إيديولوجية**" غير مسبوقة في تاريخ هذا الاتجاه ! غير أن القدر، والبقية الباقية من المناضلين الثوريين الأوفياء - ممن سلموا من آلة المطاردة من العدو، ومنطق التسويف والمماطلة من قيادتهم السياسية - سيدفعون إلى قول "**كلمة الفصل**" النهائية ليلة الفاتح من نوفمبر- تشرين الثاني 1954.

- نفسه .[71]

خلاصة القول - في نهاية هذا الفصل - أن مختلف التجارب التي قامت بها وخاضتها مختلف التيارات السياسية و الدينية الوطنية الجزائرية، ستنتهي إلى إخفاق في الوصول إلى الهدف المنشود؛ وهو تفجير الثورة و تحصيل الاستقلال. لكن تلك التجارب قد شكلت الحصيلة المشتركة التي سترثها حركة التحرير الوطني والتي ستقوم ليلة أول نوفمبر- تشرين الثاني 1954م. وكل ذلك عزز الشعور الوطني بين أوساط الجماهير الشعبية، و جعل قطيعة " الفاتح من نوفمبر- تشرين الثاني " **أمر لا مندوحة منه**. وتمثل هذه كلها تجارب ومستندات سمحت بوضع **"الوطنية الجزائرية"** في سياق التاريخ، ووجهته الحقيقية باتجاه التحرير والإنعتاق من ربقة الاستعمار.

الفصــــل الأول

بيــان أول نــوفـمبــر - تشــرين الثــانــي 1954 م

1- ظروف اندلاع الثورة وخلاصة المواقف الوطنية السياسية منها

2- ملابسات صدور بيان أول نوفمبر- تشرين الثاني1954م

3- المضمون الفكري والسياسي للبيان

4- موقع البيان وأهميته ضمن المسار الثوري

:□□□□

كتب المفكر الأوروبي "**أبريك هوفر**" A. Hoover"بشأن أسباب قيام الثورات قائلا : " **إنها ليست المعاناة الفعلية و لكن تفوق الأشياء الأفضل الذي يحث الناس على الثورة"**. في حين يذهب "**ماوتسيتونغ**" - الزعيم الصيني المعاصر- إلى مناقضة "هوفر" بشأن علة قيام الثورات، و موقع جماهير الفلاحين والفقراء منها ؛ فيقول : " **يثير الفقر الرغبة في التغيير، و الرغبة في العمل ، و الرغبة في الثورة"**. أما الزعيم الوطني الجزائري "**مصالي الحاج**"، فإنه يتفق بشأن الموضوع مع "**ماوتسيتونغ**" في إحلال الشعب و عمله المقام الأول في العملية؛ بشرط توفر القيادة الثورية الواعية، فيقول : **(ليس ثمة شيء يمكن أن يحل محل الجماهير المنظمة في فرض مشكلة ما على الصعيد ين الداخلي و الخارجي، و لا يمكن للكفاءة أو القيمة الفكرية، أو المكانة الاجتماعية، أو لقب الإمارة، أو الفصاحة أو المؤهل العلمي أن تحل محل عمل الجماهير.)** [72]

في سياق آخر مماثل يقول مصالي :" **ما على الرجل الصبور إلا أن يذهب و يجلس على ضفاف الوادي، و سوف يرى جثث أعدائه تمر الواحدة تلو الأخرى"**. من هنا فالمؤكد أن الشعب الجزائري في كفاحه الطويل

---

72 - د.رابح بلعيد ، **جريدة رسالة الأطلس**، العدد 146، الحلقة 53، من 14 إلى 20 جويلية 1997

للمحتل الفرنسي، قد أعطى النموذج الحي و المثالي في عمل الجماهير و إرادتها في البقاء... فما كادت الجزائر تحصل على استقلالها، حتى أشهر الشعب كل أسلحته الاجتماعية، الثقافية، السياسية و العسكرية...الخ؛ تلك الأسلحة التي ظل يدافع بها باستماتة طيلة قرن وثلث القرن، دفاعا عن القيم التاريخية و الثقافية، و حقه في أرضه و ثرواتها، والعمل على بناء دولة مستقلة ذات سيادة كاملة. وكانت المقاومات المسلحة في القرن 18 م، قد مثلت صمام الأمان في حفظ تماسك المجتمع وتعزيز روح المقاومة واستمراريتها، كما عبرت عن الرفض المطلق للمحتل وعدم التعايش معه. و على الرغم من فشلها - لأسباب ذاتية و أخرى موضوعية ليس مجال التعرض لها هنا- إلا أنها وفرت من الشروط النفسية والاجتماعية والأخلاقية، ما ساعد ومكن من ظهور **المقاومة السياسية الوطنية** مع مطلع القرن العشرين على مدى نصف قرن - تقريبا- من الكفاح السياسي؛ أملا في إقناع المستعمر بالرضوخ لمطالب الشعب الجزائري و الرحيل عن البلاد !؟

لقد لعبت الحركة الوطنية من خلال اتجاهاتها الثلاث: **"الاستقلالي"** و**"الإصلاحي"** و**"المسا واتي"**، دورا كبيرا في ذلك؛ عبر مختلف أشكال النضال الوطني داخل الجزائر و خارجها، كما كان لأدبياتها الفكرية و السياسية، أهميتها في دحض أطروحة **المدرسة التاريخية الاستعمارية**، الزاعمة **غياب الدولة الجزائرية !** و واجهتها بوسائل النضال السلمي، لتأكيد **"وجود الأمة الجزائرية قبل الغزو الفرنسي"**، واستمراريتها بعد الغزو وطيلة المرحلة الاستعمارية، حتى قيام الثورة في نوفمبر- تشرين الثاني 1954م. حيث بدا حينها أن هناك عوامل اتصال واستمرارية تاريخية بين ما قبل الثورة - و نضالات الشعب و قواه الحية يجب تأكيدها - و ما بعدها تتحدد في مستوى الأفكار والرجال..، الذين كانوا يتقاسمون مع مفجري الثورة الطموحات نفسها، و التاريخ ذاته، و ربما نفس المواقف السياسية ؟ و القاعدة الجماهيرية و الاجتماعية ممثلة في "الشعب الجزائري."

لكن الاختلاف الوحيد الذي تميز به الأخيرين عنهم، هو أخذهم المبادرة الثورية العسكرية، و نقلهم **"ملف الوطنية"** الجزائرية، من مستوى **"النقاش و الجدال السياسي"**، إلى ميدان" **الكفاح المسلح**"؛ الذي سيحسم بشكل نهائي في مستقبل البلاد و العباد، و ينهي وجود المحتل الفرنسي إلى غير رجعة.

ما يمكن تأكيده بهذا الخصوص : أن فترة أو مرحلة الكفاح المسلح التي انطلقت ليلة الفاتح من نوفمبر- تشرين الثاني54 م ، ستستمر حوالي سبع سنوات و نصف - أي إلى غاية 05 جويلية- يوليو 1962- ؛ هي نتاج

صيرورة تاريخية، و تجربة وطنية ، تفاعلت فيها قوى المقاومة الشعبية في الأرياف مع مقاومة المدن، فعزز ذلك موقع "**المقاومة المسلحة الهجومية**" ، بالمشروعية التاريخية الكافية، والأصالة الثورية العميقة. تواصلت من تاريخ الاحتلال في 05 جويلية - يوليو 1830، حتى انفجار نوفمبر العظيم 1954، و طيلة مرحلة الكفاح الوطني المسلح.

كانت "**الأرض**" محور المواجهة في المقاومة الشعبية الدفاعية، والاستمرارية والتعاضد الريفي- القبلي ميزتها البارزة...، ليتحول التعبير عن تلك "**الصيرورة**" إلى "**الشكل السياسي**" في عالم الحواضر والمدن الوطنية في الجزائر، وفي المترو بول (فرنسا) نفسها؛ من خلال الجالية المغتربة هناك. في احتكاك و تماس، وتفاعل متواصل مع النظام الكولونيالي : اجتماعيا، اقتصاديا، و ثقافيا...الخ. و في ساحة المعركة السياسية - المطلبية و الانتخابية معا، في إطار من التنظيم و الشرعية القانونية .

كانت الأطروحات الإيديولوجية - السياسية الوطنية آنذاك - تتراوح بين المطالبة بالمساواة في كامل الحقوق والواجبات، و الحفاظ على الشخصية القومية الجزائرية وعناصرها التاريخية، الروحية و الثقافية..، مرورا بالطرح "**الفدرالي**" ، فالانفصال وأخيرا الاستقلال الكامل.

لكن هذه التجربة التي استهلكت حوالي نصف قرن من الزمن، و مساحة كبيرة من الجهد والمال، والرجال، و الأفكار والتطلعات..الخ. على الرغم من المكاسب التي حققتها على مستوى: تنشيط الوعي، و تحقيق التنظيم المؤسساتي، النضج السياسي، و الحماية الثقافية... لكنها فشلت و أخفقت في تحقيق غايتها النهائية؛ المتمثلة في : إقناع النظام الاستعماري الفرنسي بالاعتراف بالكيان الوطني الجزائر واحدا موحدا و مستقلا.

غير أن المؤكد أن قفزة نوعية ستتحقق بعد الحرب العالمية الثانية، بعد ظهور التيار الثوري العسكري في أفق النضال الوطني، وانطلاق خلاياه الأولى لتحضير مشروع الثورة القادمة ؟ و مع أن أزمة حركة الانتصار، اغتالته - و هو لم يشب على الطوق بعد ! - إلا أن بذور المقاومة في الفكر الثوري العسكري كانت قد اكتمل نمو مشاتلها وبالتالي ظهورها على السطح... فكان صمودها في وجه العواصف الداخلية متمثلة في أزمة الحزب: حركة الانتصار للحريات، و مؤامرات و كيد المستعمر، كفيل بأن ينقل المواجهة معهما معا ؛ من طور "**الشرعية المطلبية**" للمقاومة الهجومية المسلحة صيف 1954، من خلال ميلاد "**اللجنة الثورية للوحدة و**

العمل" مارس-آذار 1954، ثم **اجتماع 22 التاريخي** جوان- يونيو 1954م، فانبثاق **لجنة 06+03**... تلك التي أخذت على عاتقها مسؤولية **"الانفجار العظيم"** ليلة الفاتح من نوفمبر- تشرين الثاني 1954م.

تلك خلاصة وعصارة الجهد الوطني: **"المقاوم"** و **"السياسي"** ثم **"المسلح"** ، كما صنعها الشعب بجهاده وتضحياته، وحملته نخبه وقياداته؛ بنضالاتها، مبادراتها، وكفاحها. فكانت خلاصة الجهد الوطني : المقاوم، السياسي، والمسلح... إلى أن تحقق الاستقلال في 05 جويلية- يوليو 1962م .

والتساؤل الملح الذي يطرح هو : كيف قامت الثورة التحريرية الكبرى (1954-62) م ؟ وما هي العوامل التي ساعدت و أدت إلى اندلاعها ؟ وكيف كانت المواقف منها ؟ ما هي ظروف صدور بيانها الأول " **نداء أول نوفمبر54** " ؟ ما مضمونه ودلالته الفكرية و السياسية ؟ هل جبهة التحرير الوطني و بيانها التاريخي يمثلان امتدادا للحركة الوطنية أم أنها حركة جديدة مختلفة عنها ؟...، ما موقع **"البيان"** من الثورة، وما هو التأثير الذي أحدثه في صيرورتها و تطورها ؟... الخ. أسئلة و أخرى، سنحاول الإجابة عنها و عرض الآراء المختلفة بشأنه، وتحليل مضامينها، ثم محاولة بناء موقف نقدي علمي من كل ذلك؛ في سياق مباحث هذا الفصل الأول، وهي كالتالي:

1- ظروف اندلاع الثورة وخلاصة المواقف الوطنية السياسية منها.

2- ملابسات صدور بيان أول نوفمبر- تشرين الثاني1954م... ومضمونه الفكري والسياسي.

3- موقع البيان و أهميته ضمن المسار الثوري.

المبحث الأول: ظروف قيام الثورة وردود الفعل تجاهها:

1- أزمة حركة الانتصار...(53-1954)م، والمخرج الثوري.

بدا لنا من خلال مضامين "**الفصل التمهيدي**" و تحليلاتها، أن المحتوى العقائدي "**الإيديولوجي**" للحركة الوطنية قد اتضح ؛ ذلك أن "**الحركة الاستقلالية**" و "**الإصلاحية**" - الدينية خاصة - قد تشكلت من الموضوعات الكبرى التي استغرق نشاطها مجمل تاريخ النضال الوطني، السياسي والثقافي، و تمكنت في نهاية المطاف من رسم خطوط القوة الأساسية للوطنية الجزائرية. و لقد جاء التأكيد عليها في إحدى الفصول التي نشرت في كتيب حركة الانتصار للحريات عنوانه : "**المشكلة الجزائرية، اعتبارات عامة**" ، حيث طرحت فلسفة النضال و التحرير و أكدت المبادئ الموجهة لهما، بالقول : (**... إن الوطنية و هي تواجه نفي الذات، الذي ينشئه الاستعمار، تبدو تأكيدا للذات، إذ قد انكشف الوطن لنفسه بالعودة إلى التاريخ، و لم تعد عبادة الماضي تتابع، إلا من أجل تبرير حق الوطن الأسير، في الحاضر و المستقبل بالحياة الحرة.**) [73]

كما أن الدكتور **لمين دباغين** - أحد ابرز الشخصيات الثورية في حركة الانتصار- كان و منذ وقت مبكر، قد حسم الموقف داخل اجتماع اللجنة المركزية سنة 1949، متحدثا إلى أعضائها بقوة و ثورية أربكت المجتمعين و خاصة منهم ذوي الميول الإصلاحية في قيادة الحزب، جاء في كلمته التاريخية : (**هل نحن نعمل للثورة، أم لمجرد التوعية الوطنية ؟ و إذا كان الحزب يعمل للتوعية فإن نتائج الانتخابات تبين أنه قد حقق هدفه ، إذ أصبح الشعب كله وطنيا ! و ما علينا إلا أن نهنئ أنفسنا و يودع كل منا صاحبه !**)([74]) ثم واصل كلامه محملا المجموعة مسؤولياتها التاريخية، في تقويم الوجهة و ضبط المسار صوب العمل المطلوب إنجازه..، و فسح المجال للأشخاص الثوريين و العسكريين من الجيل الجديد، ليقوموا بواجبهم الذي انتظموا لأجله، و هو إعلان الثورة المسلحة... يقول : (**أما إذا كانت التوعية الوطنية مجرد مرحلة للعمل الجدي و هو الثورة، فإن الطريق الذي نسلكه لا يقودنا إلى الهدف المنشود، و إذا كنا حريصين على الثورة فيجب علينا أن نعيد النظر في خطة العمل، و في المسؤولية على حد سواء، و لنفسح المجال لرجال تربوا و تدربوا على العمل الثوري**

---

[73] - سليمان الشيخ ، **الجزائر تحمل السلاح**. (مرجع سابق)، ص :63

[74] - محمد عباس، **رواد الوطنية**،" ط1، دار هومة الجزائر 2005،انظر: **شهادة حامد روا بحية**"، صص 239-243

فأصبحوا بذلك أكثر استعدادا لقيادة المرحلة الجديدة من مسئولين - مثلنا- درجوا على العمل السياسي و سكنوا إليه.)

لم يكن **د. دباغين** وحده في هذا النقد الصريح للمنهج الإصلاحي للحزب ، بل كان هناك أفراد آخرين على المستوى القيادي ، **كآيت أحمد** - الرئيس الثاني المنظمة السرية "O.S" - و مصطفى ابن بولعيد - عضو اللجنة المركزية في الحزب- حيث يذكر المرحوم **ابن خده** عن هذا الأخير، أنه كان في تدخلاته في الجلسات و دورات اللجنة المركزية، يعزز خطاباته بالتركيز على أبعاد الوطنية الجزائرية، و منطلقاتها الإسلامية، و كثيرا ما كان يمزج بين المعنى الوطني و الإسلامي و يدعو إلى الثورة، و كانت همه الأكبر و شغله الشاغل. يقول عنه : (**كان بن بولعيد في اجتماعات اللجنة المركزية يدافع عن آرائه بصراحة و نزاهة و تواضع، و لم يكن يفرق كثيرا بين الدين و الوطن، و كان شغله الشاغل الثورة المسلحة و جمع السلاح ، لأنه كان يعيش ذلك يوميا في الاوراس.)** (75) كما ذكر المجاهد **"علي بن شابيه"** أن **: "سي مصطفى بدأ في أواخر 1953، يعلن للمناضلين بأن زمن السياسة التقليدية قد ولى ، و أن ساعة الثورة قد أذنت.** "(4مكرر)

أما المرحوم **بيطاط رابح** ففي معرض حديثه عن الثورة و ظروف إنشاء **"جبهة التحرير الوطني"** ، يرجع ذلك إلى فشل محاولات توحيد الأحزاب الجزائرية ، و بناء على ذلك ارتأت قيادة الثورة (يقصد هنا اللجنة الثورية للوحدة و العمل ، و مجموع 22، و لجنة 06+3) ، أن تخلق جبهة و جيش ا لتحرير الوطني ، و توجه نداءها إلى كل الجزائريين تدعوهم فيه - بمعزل عن إيديولوجياتهم السياسية- إلى الانضمام بصفة فردية للجبهة، ويعلق بأن **"الشعب كان متفقا"** (76) مع أهدافها، و كذلك الأمر بالنسبة للحركات السياسية الوطنية.

2- **اللجنة الثورية للوحدة و العمل "CRUA"... و المنعطف الثوري الجديد**:

لقد لعب كل من محمد بوضياف و ابن بولعيد، و رفقاؤهما القدامى في المنظمة الخاصة "O.S" الدور الأساسي في تجاوز أزمة حركة الانتصار (1950-1954) م، و تخطي الحاجز السياسي و الوضع المتعفن للحزب و مؤسساته، ثم الذهاب إلى إعادة تجميع قدامى المنظمة الخاصة، و استئناف الدور- الذي أنهته القيادة

---

75 - محمد عباس ، **ثوار عظماء**، ط2، دار هومة الجزائر 2005، ص 4

76 - **نفس المرجع** ، ص 100

السياسية لهم بعد قرار حل التنظيم سنة 1950م - في إطار تنظيم جديد هو"**اللجنة الثورية للوحدة و العمل**" CRUA . وقد استطاعوا تحويل أزمة حركة الانتصار من نكسة و حالة إحباط عام، إلى ميلاد و انبعاث ثوري جديد غير مجرى تاريخ الوطن و الشعب معا!... بعد ان اطمأن الفرنسيون- في خضم الصدامات الدموية بين الإخوة الفر قاء، و تزايد المواجهات و التصفيات و الاغتيالات بينهم صيف 1954- حيث صرح "**أندريه لاكوست**" A. Lacoste" متشفيا قائلا : (**طالما أنهم يتعاركون فيما بينهم ، فهذه علامة طيبة.**)[77]

هذه "**اللجنة**" عملت في البداية لأجل لم شمل الفر قاء في الحزب ، و قادت وساطات مكثفة بين طرفي النزاع (اللجنة المركزية بقيادة لحول حسين ضد مصالي و أتباعه) ، و كان محمد بوضياف و ابن بولعيد و ديدوش ثم لاحقا كريم بلقا سم ، أبرز العناصر التي انخرطت هذا المسعى . حيث كانوا يتنقلون بين الجزائر و فرنسا لملاقاة مصالي و طرح بدائل الحل للتوفيق بينهما ، لكن محاولاتهم باءت بالفشل ، بسبب تصلب مواقف طرفي النزاع، فكان لابد من البحث عن بديل ثالث ؟ و يروي **ابن خده** عن الدور المحوري الذي لعبه الأشخاص المذكورون في تحضير الثورة و الذهاب إليها قائلا: (**... اللجنة الثورية لعبت دور المفجر للثورة، و أصبحت اللجنة المركزية مثل المصاليين ، فاقدة الرقابة على هذه الحركة ، و ظهرت قوة جديدة على مسرح الوطن الجزائري، و هي اللجنة الثورية، التي ستنكشف إلى العالم يوم فاتح نوفمبر- تشرين الثاني 1954،تحت عنوان : جبهة التحرير الوطني.**) [78]

في السياق نفسه يورد **عمار أوزقان** - زعيم الحزب الشيوعي الجزائري وأحد أقطابه حتى اندلاع الثورة ، و التحاقه بها سنة 1956- هذا الدور المحور لـ "CRUA" قائلا : (**الميزة التاريخية الكبيرة للجنة الثورية، هي أنها هيأت الظروف الأساسية لتكوين جبهة التحرير الوطني، القوة الثورية السليمة الوحيدة الفعالة... حيث جمعت اللجنة الثورية فرقة المتمرنين على قتال الصدمة و المفاجأة، و كانت قد تبعثرت على إثر حل "المنظمة الخاصة" من قبل حركة الانتصار، كما أطلقت الشرارة الأولى في اللحظة الملائمة، برفضها الإصغاء إلى البطيئين المتمهلين بين كلا الجهتين العد وتين...**) [79]

---

77 - د.رابح بلعيد، **مرجع سابق**، عدد 147 الحلقة 55 من 21 إلى 27 جويلية 1997.

78 - مومن العمري، **الحركة الثورية في الجزائر**... مرجع سابق، ص 285

79 - عمار أوزقان ، **الجهاد الأفضل**، ط1، مطبعة بيروت لبنان 1962، ص 129.

أما محمد بوضياف- الرأس المدبر للعملية، والمنسق الأول بين المجموعة- فيتحدث عن طبيعة هذه اللجنة "CRUA" قائلا: (**... إن اللجنة الثورية ليست بتنظيم و لاهي حزب و لا فريق على شاكلة المركزيين في ذلك الوقت ، لقد كانت لجنة اسما على مسمى "لجنة ثورية للوحدة و العمل"، كان هدفها إطلاق حركة رأي عام قادر على تحقيق تلاحم القاعدة النضالية، للحيلولة دون وقوعها في تحالف وراء هذا أو ذاك من الأطراف المتصارعة .**) [80]

أما رفيقه ابن بولعيد أحد أركان اللجنة ، و قائدها في الاوراس منذ تأسيس "O.S" 1947م، فقد أكد على ضرورة أن تعمل " CRUA" و عدم أخذ المناضلين بجريرة زعمائهم السياسيين، وضرورة العمل على كسبهم إلى صفها و تجنب الدخول في عداوات خاصة مع المصاليين بهدف خدمة القضية الوطنية ، و تجميع كل الطاقات الحية و الثورية...(*) و جاء في قوله : (**.. لئن خسرنا مصالي ، فإنه لا يحق لنا أن نخسر المناضلين الذين انحازوا إليه ، فإني أعرف مدى إخلاصهم و تعطشهم للعمل الثوري ، و هم يعتقدون أن الشخص الوحيد القادر على ذلك هو مصالي ، خاصة و أنه توصل إلى إقناعهم بأن اللجنة المركزية انحرفت عن المسار الثوري .**) [81]

تذكر المصادر التاريخية و الشهادات الحية لبعض مناضلي تلك المرحلة، أن ابن بولعيد عمل كل جهده لإقناع الزعامات الوطنية في الحزب بضرورة ضم جهودها إلى جهود "CRUA" لتجاوز الأزمة، و الذهاب إلى الكفاح المسلح . و بهذا الخصوص فقد خاطب "**الأحول حسين**" - رئيس اللجنة المركزية و زعيم المنشقين على مصالي - بالقول : (**لقد تعلمنا منكم الوطنية ، فلا تخيبوا رجاءنا و لا تحطموا الآمال التي عقدناها عليكم بتقسيم الحركة)** ، كما ذهب مع مصالي - في إطار مساعي الوساطة التي كان يقودها مع بوضياف و آخرين- إلى حد أن عرض عليه زعامة الثورة و قيادتها قائلا له **:** (**لقد اتخذناك رمزا للوطنية و الثورة، و لما كنت رائدا للوطنية و زعيمها، فواصل جهادك بثورة تتزعمها فإننا حولك.**) [82]

---

[80] - مومن العمري ، **مرجع سابق**، ص 274

(*) للتذكير فإن فروع و خلايا المنظمة الخاصة لم تحل في الاوراس بقرار من ابن بولعيد ؛ الذي رفض قرار اللجنة المركزية للحزب الصادر بهذا الخصوص، حيث استمرت تشتغل حتى اندلاع الثورة..، ولعل هذا أحد أسباب قوة الثورة و قدرتها على الصمود في المنطقة لأكثر من عام قبل تعميم الثورة في كامل أرجاء الوطن.

[81] - الطيب العلوي: "**الشهيد مصطفى بن بولعيد القائد و الدور**"، جريدة السلام، العدد 1353، ص 19.

[82] - نفس المرجع ، ص 19

غير أن كل تلك المساعي و الجهود المضنية في التقريب بين طرفي الصراع والأزمة ، لم تكلل بالنجاح و لم يتفهم الطرفان رسالة بوضياف و ابن بولعيد و رفقائهما في اللجنة الثورية "CRUA" ، و اعتبروهم طرفا في معادلة الصراع، بل اتهموهم تارة بالانحياز للجنة المركزية و التحالف معها، و تارة بالمصالية و التمذهب لها، و أخرى بأنهم "**قوة ثالثة**" تريد الانقلاب على الحزب الأم وبالتالي عن الشرعية التاريخية و السياسية... و بذلك صمت آذانهم، و ركبوا حصان عنادهم الذي جعلهم يتأخرون عن الركب و شرف قيادة المسيرة الثورية، ومن ثم دخول التاريخ !

لقد كان رد الفعل السلبي هذا تجاه عناصر اللجنة الثورية من الطرفين المتنازعين في الحزب ، السبب الرئيسي الذي جعل هؤلاء الأخيرين "**أعضاء crua** " يقررون تجاوزهما ، و الانطلاق نحو تجميع القوة الحية في الأمة ، ومن ثم الذهاب إلى تنظيم عقد اجتماع 22 التاريخي في "صالمبي" بالجزائر العاصمة في 24 جوان - يونيو 1954، متمثلين مقولة بوضياف:" **هذه المرة سنكون أسياد أنفسنا** ". هكذا كانوا، كما جسدوا ذلك في الموعد التاريخي الحاسم أيضا ليلة الفاتح من نوفمبر- تشرين الثاني 54م .

3- _اجتماع 22 التاريخي... والطريق إلى نوفمبر

عقد الاجتماع بعد استنفار و تحرك كثيف من كل من: بوضياف ، وابن بولعيد ، ود يد وش و ابن مهيدي. حيث تحركوا باتجاه قدماء "**المنظمة السرية o.s**" و عناصرها الفاعلة - تلك التي ما تزال تحترق في داخلها وتنتظر اليوم الموعود الذي تعلن فيه الثورة ضد المحتل في سرية تامة - ووجهت دعوات لـ 21 عنصرا [**] من هؤلاء العناصر. وقد حدد تاريخ الاجتماع بـ 24 جوان- يونيو 1954 ، حسب أغلب الروايات التاريخية التي تناولت الحدث، وقد عقد واستضيف الاجتماع في بيت المناضل "**إلياس دريش**" ؛ الذي عد منذ ذلك اليوم العضو 22 في الاجتماع، و بذلك سمي باجتماع 22 ! وقد ترأس الجلسة مصطفى بن بولعيد ، كما قدم التقرير العام محمد بوضياف، وقد تضمن تقديم عرض حال لتاريخ المنظمة السرية منذ تأسيسها إلى اكتشافها في مارس- أذار1950، ثم ملابسات صدور قرار حلها ،

و كذا أزمة الحزب- حركة الانتصار و مضاعفاتها، إلى جانب المساعي التي تكللت بإنشاء اللجنة الثورية للوحدة و العمل "CRUA"... ختام التقرير كان عرضا للمبادرات التي اتخذتها عناصر المنظمة للتقريب و الصلح بين الطرفين المتصارعين (المصاليين و المركزيين). بعده فتح النقاش حول التقرير، وطرح سؤال محوري على الحاضرين مفاده: **ما العمل ؟** جاء في التقرير الذي عرض من قبل بوضياف : (**نحن الأعضاء السابقين في المنظمة الخاصة، علينا أن نتشاور بخصوص الوضعية الخطيرة التي آل إليها الحزب، لنقرر معا ما ينبغي عمله مستقبلا.**) [83]

بعد نقاش ديمقراطي و تبادل للرأي و الموقف ،جاءت تدخلات كل من سويداني بوجمعة ، و العربي بن مهيدي حاسمين ، حيث قال الأول مخاطبا الحضور بكثير من الانفعال و التأثر و الأسى: (**هل نحن ثوريون أم لا ؟ و إذا كنا نزهاء مع أنفسنا فماذا ننتظر لإعلان الثورة ؟**). كما كانت كلمة ابن مهيدي من الذكاء و الإيحاء و الدلالة ، دفعت الحاضرين إلى تبني موقف و اتخاذ قرار حاسم بالذهاب إلى الثورة ؛ جاء فيها : (**إن الشعب مثل عصف يابس لا ينتظر منا إلا إلقاء عود الثقاب ليشتعل ... أعلنوا الثورة و ألقوا بها في الشارع فسوف يتبناها عشرة ملايين جزائري.**) [84] و بذلك حسم الأمر بالأغلبية باتخاذ قرار الذهاب إلى العمل الثوري ! لكن مجموعة من المناضلين -"**مجموعة قسنطينة**" مكونة من 04 أشخاص هم: محمد مشاطي، عبد السلام حباشي، رشيد ملاح، والسعيد بوعلي - انسحبت من الاجتماع بحجة الاستفراد بالقرار.

المهم في الأمر هو موقف الأغلبية التي قررت الثورة، و جرى انتخاب لاختيار منسق وطني للمجموعة المكلفة للإعداد للثورة. وقد تباينت الآراء بشأن الشخص المنتخب، هل هو محمد بوضياف، أم مصطفى بن بولعيد [85] ؟ كان الانتخاب على دورتين ؛ اشرف عليه ابن بولعيد، الذي جمع إليه بوضياف بعد نهاية الاجتماع ، أخبره بأنه هو المنتخب (أي محمد بوضياف) و سلمه أوراق المنتخبين.

(*)- انظر القائمة الاسمية للأعضاء الذين حضروا الاجتماع المذكور في **الملحق** رقم :01 صص 401 *

12- إبراهيم لونيسي، **التجربة الديمقراطية في الوطن العربي-الجزائر نموذجا 1952-1992**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، نوقشت بقسم التاريخ، جامعة الجزائر، سنة 2003-2004م، ص 336.

84- **نفس المرجع**، ص 337

85 - لتفصيل حول الاجتماع و قضية الانتخاب ، أنظر : محمد حربي، **الثورة الجزائرية سنوات المخاض**.. مرجع سابق ص 60 61 و كذلك علي كافي، **المذكرات** ص 76، و محمد عباس، **فرسان الحرية** ص 39 ... و غيرها من المراجع.

هكذا و في اليوم التالي - كما يقول بوضياف - اجتمع بكل من: مصطفى بن بولعيد، العربي بن مهيدي، ديدوش مراد، و رابح بيطاط - كلجنة خماسية - اختارها لتحمل مسؤولية ما كلفت به. و الجدير بالإشارة أن اللجنة الثورية للوحدة و العمل "CRUA" بنهاية هذا الاجتماع تكون هي الأخرى قد انتهى دورها و صلاحياتها و عملها..، و بذلك سلمت الأمر للمجتمعين؛ الذي بدورهم اجتمعوا في يوم واحد، و انفض الاجتماع بالقرار المعتمد ، لينتهي دوره هو الآخر، أي اجتماع 22 بتكليف الشخص المنتخب "**بوضياف**" ومعه اللجنة الخماسية المختارة من قبله - بعد ذلك - بمسؤولية الإعداد للثورة و تفجيرها. وكل ذلك العمل كان في يوم واحد.

بذلك بدأت اجتماعات مجموعة الخمس لبحث سبل و كيفية الإعداد للثورة، وستقوم المجموعة باتصالات مكثفة فيما بينها و مع عناصر أخرى، على رأسها كريم بلقا سم وستتمكن من إقناعه في النهاية بالانضمام إليها في مطلع شهر سبتمبر- أيلول 54 م، و بالتالي تتحول اللجنة إلى مجموع 06. مع إضافة العناصر الثلاثة الموجودين في الخارج (بالقاهرة)، و هم السادة : أحمد بن بله، حسين ايت أحمد، ومحمد خيضر، و من ثم تصبح اللجنة تعرف بلجنة 6+3 .

أول قضية طرحتها المجموعة هي "مشكلة القيادة"، هل ستكون فردية تحت قيادة زعيم أم جماعية مشتركة ؟ وبعد نقاش مستفيض استقر موقفها على أن تكون جماعية؛ خوفا من خطف الثورة و سرقتها، و بالتالي الانفراد بمصيرها من قبل شخص واحد، قد يمارس أو يكرر تجربة الاستبداد و البيروقراطية في إدارتها..، و تجربة الحركة من اجل انتصار الحريات الديمقراطية " mtld " لا تزال ماثلة و حاضرة في الأذهان ؟! إلا أن المسألة بدت عصية على المجموعة، خاصة وأن معظم أفرادها كانوا غير معروفين لدى القاعدة النضالية من جهة، و داخل الأوساط الشعبية من جهة ثانية ؟.. ذلك لأن نشاطهم كان سريا داخل "**المنظمة الخاصة**" ، طبعا باستثناء ابن بولعيد الذي كان في اللجنة المركزية للحزب، خاصة انه معروف في منطقة الاوراس، و لدى قيادة الحزب كواحد من كوادرها. و هذا ما استدعى التفكير في شخص معروف و صاحب شخصية مقبولة و جامعة ، يكون بمثابة الرأس المتزعم للثورة و واجهه لها.

استقر التفكير على شخص الدكتور "**محمد لمين دباغين**" الذي رشحته المجموعة ، و اعتبرته أكثر تأهيلا ، فاتصل به بوضياف و ابن بولعيد ، وكان أن أبدى موافقة مبدئية على أن يكون رده النهائي بعد أسبوع؟ و في الموعد المحدد أبدى تردده بحجة عدم توفر الترتيبات اللازمة لإنجاح قيام الثورة في باقي المناطق غير الاوراس

و القبائل. لكن المجموعة لم تجاريه بل استغنت عنه، و أعلن بوضياف أنه **"لا أمل أو ثقة يرجى من رجل السياسة !"** ، و نفس الرأي ذهب إليه أحمد محساس.[86] و هكذا تواصلت الاتصالات مع قيادات الحزب - حركة الانتصار خاصة - من المركزيين و المصاليين ، للانضمام إلى **"المشروع الثوري"** ، و توحيد الموقف حياله . لكن الطرفين (المصاليين والمركزيين) اعتبروا الأمر انقلابا على الشرعية السياسية ، و سعيا لخلق قوة جديدة منافسة ، بدءوا في التحذير من هذا المسعى ، مع رفض الانخراط فيه بحجة أن الوقت لم يحن بعد (وهو رأى المركزيين) ،أو أن القرار يجب أن تتخذه القيادة و يكون تحت إشرافها(موقف المصاليين). ادعوا في الإشاعات التي روجوها عدم الاستشارة في اتخاذ القرار من قبل لجنة 06 ؟ فكان الرد حاسما من قبل بوضياف الذي واجه حسين الأحول و محمد يزيد عضوا اللجنة المركزية - بعد استمالتهم لعدد من أنصاره- بقوله : (**الثورة ستكون بكم أو بدونكم، بكم أو ضدكم، إنها حتمية، آلة الثورة انطلقت و لا يمكن توقيفها، الثورة ستكون حتى و لو بواسطة قردة الشفة !**) [87]

كما صدر لاحقا عن جبهة التحرير منشور في 22 أكتوبر- تشرين الأول 1955م، يوضح مزاعم من ادعى أنه لم يستشر في أمر الثورة من المصاليين و المركزيين معا، مما جاء فيه : **(... قبل الشروع في الكفاح المسلح اتصل الرؤساء العسكريون (يقصد مجموعة الست) بالمركزيين و المصاليين، و طلبوا منهم مساندة سياسية، و لكن كلا الاتجاهين رفضا... فتقرر إذ ذاك إنشاء جهاز سياسي فكانت جبهة التحرير الوطني.**) [88]

لكن على الرغم من استقرار موقف لجنة الست على الإدارة الجماعية للثورة ، خوفا من أن يجروا إلى العدول عن هدفهم ! إلا أن القيادة و السلطة التي تمركزت بين المجموعة - حسب محمد حربي- لم تعكس مبدأ القيادة الجماعية أو المركزية بقدر ما عكست **"ميزان القوى"** بين أفراد المجموعة، و يضيف بأن كل واحد منها سعى إلى تقديم نفسه أو يرغب في ذلك، على أنه **"رئيس لجهاز سياسي و عسكري"**، وبذلك فالجبهة - حسبه دائما - أعادت أشكال سلطة قديمة ؟... لكن نتساءل نحن كيف ؟ صحيح أن كل مسئول من المجموعة في

86- A . Mahsas, **Le mouvement révolutionnaire en Algérie de la 1ère guerre mondiale à 1954** P : 316

87 - مومن العمري ، **الحركة الثورية في الجزائر**، مرجع سابق، ص 298، و انظر كذلك:
Mohamed Yousfi **: le combat Algérie 1950-1954**, entreprise nationale de livre Alger 1986, p 149

88 - **نفس المرجع** ، ص 298

منطقته - بعد قيام الثورة - كان يمثل صفة المسؤول السياسي و العسكري، لكن كان له نواب وزعت عليهم المهام... و تلك مسألة اقتضتها و فرضتها ضرورات الانطلاق للثورة في مرحلتها الأولى .

المسألة الأخرى أو التحدي الآخر بعد تحدي القيادة الذي طرح نفسه بجدة - في خضم التحضير و تسابق الزمن- على القادة الستة هو : ما نوع الإطار والتمثيل السياسي للمنظمة الجديدة بعد رفض قيادة الحزب تبنيها باسمها، و كذا مشكلة تحديد المحتوى السياسي والنظامي للحركة الجديدة... و طبيعته ؟ ما هو الاسم الذي سيعطى لهذا التنظيم الجديد ؟ هل ستعتمد إلى تبني القطيعة في إعداده أم كيف ؟ ! ذلك ما سنتعرف عليه في العنصر الموالي بالتفصيل والتوضيح.

4 - جبهة التحرير الوطني... استمرارية أم قطيعة ؟

في الاجتماع الأخير للقيادة السداسية بتاريخ 23 أكتوبر- تشرين الأول 1954، دار نقاشا طويلا بين الأعضاء، ويعتبر امتدادا للنقاشات السابقة لمحاولة تحديد الإطار والكيفية التي ستعلن بها الثورة، والمحتوى السياسي لها ؟ حيث جرى تقديم اقتراحات بشأن التسمية التي سيتخذها التنظيم؛ هل ستعلن باسم الحزب العتيد حزب الشعب حركة الانتصار... أم باسم جديد ؟ وقد استقر الأمر و حسم لصالح الإعلان عن طريق إنشاء تنظيم جديد. في البداية اقترحت تسميته بـ : "**جبهة الاستقلال الوطني**"، لكن بن بولعيد تدخل قائلا: (**أفضل التحرير على الاستقلال لأننا غير مستقلين، و سيبدأ التحرير قريبا، فوافق الحاضرون على التسمية الجديدة التي خلفت اللجنة الثورية للوحدة و العمل، و هي "جبهة التحرير الوطني".)** [89] هنا يطرح التساؤل: هل "**جبهة التحرير الوطني**"هي امتداد لحركات وطنية سابقة ، خاصة حزب الشعب- حركة الانتصار ؟ أم هي حركة جديدة كل الجدة؛ اسما وبرنامجا ؟

اختلفت الآراء بهذا الخصوص ، **فمحمد حربي** يرى أن "**العامل التكتيكي**" المتمثل في : "**الحاجة إلى الشرعية التاريخية**" هو وحده الذي فرض على المجموعة الإعلان بأن تنظيم "**الجبهة**" جديدا؛ ذلك أن مؤسسيها في الواقع كانوا جميعهم مناضلين في حزب الشعب، و ممارسين للقيادة بدرجات متفاوتة، وقد تشبعوا بأفكارها وأساليبها و ممارساتها... و هذا ما سيكون له أثره في المستقبل، حيث ستفتح بينهم و معهم

---

[89] - مومن العمري ، **المرجع السابق** ، ص 305

صراعات و صدامات؛ و هو ما حدث فعلا. و سنقف على بعض مظاهره و تداعياته في حينه. بذلك فهو يرى أن "**جبهة التحرير الوطني**" منذ ظهورها أو الإعلان عنها في الفاتح من نوفمبر- تشرين الثاني 1954 م، و حتى مؤتمر الصومام أوت - آب1956م لم تكن سوى هيئة تنسيق و عنوان للثورة، و لم تعرف أي "**تنظيم قانوني أو مؤسساتي**"(19)، فهي بالتالي استمرارية لما سبق لكن في شكل ثوب جديد فقط .

في حين يذهب"**مصطفى الأشرف**" عكس الرأي الذي ذهب إليه حربي، و ينفي أن تكون "**الجبهة**" استمرارا و امتدادا لأية حركة سابقة، و يؤكد أنها حركة جديدة كل الجدة..، كما تحدث مؤسسوها الذين اعتبروها كذلك [90مكرر] لكن "**بوضياف**" نفسه-و هو أبرز مؤسسي الجبهة و زعيم لجنة الستة - يقول بأن جبهة التحرير لم تكن حدثا عارضا أو كما قال: (**لا تظنوا أول نوفمبر 1954 قد سقط من السماء.**) [91] وبذلك فهو يقر بالارتباط التاريخي السياسي، والفكري بما سبق قبل نوفمبر- تشرين الثاني54 م، ويقصد تاريخ الحركة الوطنية و إيديولوجياتها، ناهيك عن التراكم النضالي المقاوم للشعب الجزائري و كافة فعالياته الوطنية .

من ثم - وفي تقديرنا- فإن جبهة التحرير الوطني هي استجابة عميقة كامنة، و ثمرة نضال أجيال، مكنت الحركة الوطنية من الخروج من تناقضاتها و أزماتها، و فتحت آفاق الكفاح المسلح، من وحي الرصيد التاريخي و الحضاري للأمة الجزائرية. و هذا ما يذهب إليه كذلك أحد الكتاب الأجانب حينما أكد: **(إن جبهة التحرير، بجميع التيارات السياسية و الإيديولوجية لم تكن عقيدة واضحة، ببرنامج واضح وعملي تجاه المتطلبات الاقتصادية والاجتماعية للجزائر. فعقيدتها إذن بسيطة وتقليدية خصوصا، تمس الشعور الوطني للجماهير الجزائرية، و نرى أن هدف الجبهة مكمل للتقاليد الإسلامية، و ينظر باحترام إلى قيم القرآن و التنوع الاجتماعي للمجتمع...)**[92] ؛ تلك ربما إحدى الخلاصات الهامة في تحديد طبيعة الجبهة ومشروعها التحرري .

يذكر **محمد خيضر** أن مجموعة الست بعد استقرارها على الإطار السياسي و العسكري للثورة المرتقبة ، طرحوا سؤالا آخر يكتسي أهمية قصوى في المسار الثوري لاحقا ، مفاده : " **هل ننظم الثورة أولا ثم نفجرها أم العكس؟**" وقد استقر موقفهم على الاختيار الثاني؛ و هو التفجير أولا . هذا ما يؤكد صحة التحليل السابق من

---

90 - إبراهيم لونيسي ، **التجربة الديمقراطية**...(مرجع سابق)، ص 241-242

91 - رابح بلعيد ، **رسالة الأطلس** (مرجع سابق)، العدد 155

92 George .A .Taliasdoros, « **la culture politique arabo-islamique et la naissance du nationalisme -algérien (1830-1962)**… p 58-63

كون **"الجبهة"** كانت **"عنوانا سياسيا"** للثورة دون مضمون و هيكلة تنظيمية مؤسساتية فعلية. أما الدكتور **محمد العربي زبيري،** فإنه يعتبر جبهة التحرير الوطني، بمثابة امتداد طبيعي وتاريخي وسياسي لإيديولوجية النجم ـ حزب الشعب ،هذا الأخيرة التي تأسست- في نظره- على توجيهات من أهمها:

التوجه السياسي: الهادف إلى استرجاع السيادة المغتصبة عن طريق الكفاح المسلح كوسيلة للاستقلال ضمن وحدة المغرب العربي الشاملة .

التوجه الاقتصادي و الاجتماعي: باسترجاع الأرض المغتصبة، وتغيير البنية التنظيمية، الاقتصادية، و الاجتماعية الاستيطانية.. ثم التخطيط لإحلال برنامج اقتصادي وطني، يضمن ويكفل الرفاهية للمواطن الجزائري الحر .

التوجه الحضاري: بوضع إطار مرجعي ديني وثقافي، يدعم الأخلاق الثورية المرتكزة على قيمنا العربية الإسلامية، لبلورة عناصر الشخصية الوطنية، لتكوين الإنسان الجزائري الجديد...[93] و إذا كان الحال كذلك فإن التساؤل الذي يطرح بهذا الشأن هو: هل حملت الجبهة فعلا هذه الاتجاهات ؟ إلى أي مدى حققت ذلك على مستوى مسارها الثوري طيلة مرحلة الكفاح المسلح و بعد الاستقلال، خاصة من خلال نصوصها الأساسية والمشاريع المقررة .

في رأينا فإن الموقف المتوازن بشأن مسألة **"طبيعة الجبهة"** و موقعها من المسار النضالي الوطني السابق ، و **"العهد الجديد"** ـ الذي سيبدأ بها ومنها تحت عنوان **"عهد الكفاح المسلح"**- ؛ هو ذلك الذي عبر عنه الأستاذ سليمان الشيخ ، بتحليله لشخصية مفجري الثورة وما كان يجول بخاطرهم و في وعيهم، و وضعهم في سياقهم الطبيعي التاريخي وأفقهم المستقبلي، في إجابة تؤكد مبدأ **"التواصل"** للجبهة مع الحركة الوطنية : أشخاصا، وسياقا سياسيا، مع القطيعة فقط مع الأفكار و الإيديولوجية **"الإصلاحية"** ، رهينة المطلبية السياسية. فيقول: **(إن رجال نوفمبر 1954م ليسوا برجال فكر بقدر ما هم رجال عمل، استمدوا معارفهم و خططهم من رصيد النضال الوطني ضد المستعمر، و أتاح لهم التعاطي معه في جيشه معرفة أفضل به، وتربية عسكرية مكنتهم من توظيفها ضده مثلما وظفوها بالأمس في خدمته !.. و بذلك فإننا نؤكد أن رجال نوفمبر 54م الذي**

93- د.محمد العربي ولد خليفة، **"الخطوات الأولى في التطبيق الميداني لأهداف الثورة الجزائرية"**، مجلة المصادر- المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و الثورة الجزائرية، عدد : 02، السنة 1999، ص 23-26

ربوا داخل النظام الاستعماري و داخل الحركة الوطنية معا، سينجزون قطيعة مع الأحزاب الوطنية القديمة، و مع عملها الإصلاحي باتجاه العمل الثوري المسلح المباشر. و هذا بالضبط ما أكده بيان الثورة الأول " نداء نوفمبر 54م. ") [94]

ببساطة فإن "**الجبهة**" الجديدة حاولت أن تستفيد من "الإيجابي" في نضال الحركة الوطنية، أشخاصا وأفكارا، وتطرح **"السلبي"**؛ معتمدة على رؤية قديمة جديدة تلتقي على برنامج ثوري مسلح من أجل الاستقلال، و توحيد أقطار المغرب العربي؛ ضمن إطار محيطها الطبيعي العربي الإسلامي. معتمدة في ذلك على الشعب كسند و وقود في معركة التحرير، و لهذا حينما سئل **ابن مهيدي** - و هو شديد الثقة و الأمل بالشعب - حول افتراض عدم انضمام الشعب للثور ة، أجاب سائله ببساطة ولكن بأسى أيضا : "**ستكون محاولة انتحارية و كفى !**". مما يؤكد إيمانه العميق والصادق بالشعب واستعداداته، وكذا إرادته في التحرر و الانعتاق مهما كلف ذلك من ثمن و تضحية..، أما إن حدث - لا قدر الله - الخذلان منه، فهم مستعدون أن يقدموا أنفسهم «قرابين" للحرية و لم سخروا أنفسهم لأجله !! هذا بالضبط ما جاء في آخر نداء نوفمبر- تشرين الثاني 1954 : (**أما نحن العازمون على مواصلة الكفاح، الواثقين من مشاعرك المناهضة للامبرياليين، فإننا نقدم للوطن أنفس ما نملك.**) [95]

أما بخصوص الطريقة التي ستعلن بها الثورة - بعد تأسيس الجبهة والاتفاق على تسميتها هي وجيش التحرير الوطني - فقد طرح سؤال محوري كذلك هو: هل تعلن الثورة باسم التنظيم الجديد من خلال "**بيانها - النداء**" ، الذي سيوجه للشعب الجزائري والرأي العام المحلي والخارجي فقط ؟ أم يجب أن يتبع ذلك القيام بعمليات وهجومات تؤكد فعلا قيام الثورة ؟ بعد نقاش مستفيض استقر الموقف على إعلان الثورة بالوسيلتين معا !! أي عبر إعلان "**بيان الجبهة الأول** " ، في الوقت نفسه تنظيم عمليات وهجومات ليلة الفاتح من نوفمبر- تشرين الثاني 1954 عبر التراب الوطني ؟ هكذا حسم الموقف النهائي في كل القضايا العالقة، وتم الذهاب إلى نوفمبر - بعد توزيع المسؤوليات على المجموعة، وتحديد المناطق الثورية الخمس [**]- وتكليف بوضياف كمنسق

---

94 - سليمان الشيخ، **الجزائر تحمل السلاح**... (مرجع سابق)، ص 81

95 - أنظر: **نص بيان أول نوفمبر** 1954- كاملا في **الملحق** رقم: 03 صص 403- 405

للمجموعة بحمل البيان والسفر به إلى الخارج لإذاعته في الموعد من القاهرة. ولإبلاغه لرفقائه الثلاث الممثلين للثورة هناك وهم السادة : احمد بن بله، حسين ايت أحمد، ومحمد خيضر.

بعدها حدد توقيت الانطلاقة بالضبط، وهو ساعة الصفر من ليلة الفاتح من نوفمبر 1954 من يوم الاثنين، و كان أن صادف عيد القديسين لدى المسيحيين. كما اتفقوا على الالتقاء في 15 من جانفي- يناير 1955 م ، لتقييم عمليات الثورة واندلاعها... كما أخذت المجموعة " **صورة تذكارية**" أخيرة خلد ت عملها وأشخاصها كرموز تاريخية ثورية ليوم تاريخي عظيم في كفاح الشعب الجزائري. حيث كانوا فعلا في الموعد المحدد ليلة نوفمبر- تشرين الثاني 1954؛ بداية النهاية لاستعمار استيطاني فرنسي دام أزيد من قرن و3/1 القرن من الاحتلال، القهر، والإبادة للبلاد والعباد .

لكن الأستاذ **لونيسي** يتساءل عن سر قوة المجموعة في إنجاح تفجير الثورة في موعدها دون هيكلة سياسية وتنظيمية حقيقية ؟ يجيب موضحا عوامل ذلك قائلا : (**... ترجع عوامل إنجاح عملية تفجير الثورة إلى: 1- انتمائهم إلى المنظمة السرية "os "**

2- انتمائهم إلى الجيل الجديد من المناضلين

3- موقفهم الحيادي تجاه صراع الحزب القائم...) (96)

هذا ما مكنهم - في نظره - من "**التجانس**" والعمل المشترك . ذلك ما عبر عنه بيان أول نوفمبر في إحدى فقراته ، كما يؤيد محمد حربي الفكرة نفسها بتأكيده أن " **الجبهة**" ، ومنذ اندلاع الثورة والى غاية 1956 كانت: "**كيانا أو جسما موحدا ."**

5 - القوى الوطنية السياسية ... مواقفها من "الجبهة" والثورة المندلعة.

قبل أن نذهب في الحديث عن "**بيان أول نوفمبر- تشرين الثاني 1954**" أو " **نداء الثورة** "- كما يحلو للبعض تسميته -وتفحص ظروف صياغته ومحتواه الفكري والسياسي، إلى جانب الدلالات القيمة التي يحملها، والأهداف والوسائل والمواضيع التي عالجها. ثم إبراز القيمة الإيديولوجية والسياسية التي اكتسبها خلال الثورة في التوجيه وصناعة القرار، وكذا موقعه ضمن أدبياتنا التاريخية والثورية والاجتماعية... قبل كل ذلك يجدر بنا

(**) انظر توزيع المناطق وقادتها في الملحق رقم :02 ص402

25- إبراهيم لونيسي، **مرجع سابق** ، ص243

أن نعرج ولو بصورة سريعة، لنرصد مواقف القوى الوطنية السياسية (اتجاهات الحركة الوطنية) من اندلاع الثورة التحريرية ليلة الفاتح من نوفمبر- تشرين الثاني 1954م ؟ وتشكيل " **الجبهة**" كإطار سياسي - غير معروف من قبل- لقيادتها. وسنعمل على تحليل الخلفيات والمبررات التي استندت عليها هذه المواقف، حتى نتمكن من وضع الحدث في سياقه الفكري الاجتماعي، والسياسي... ونقرأه قراءة موضوعية علمية بعيدا عن الأحكام المسبقة والمواقف المتشنجة . خدمة للثورة نفسها وللحقيقة العلمية التاريخية ، كما سنجتهد في إبراز مواقف الهيئات والأشخاص انطلاقا من نصوصها الموثقة تاريخيا ن وكذا الشهادات المسجلة والمقدمة ممن عايشوا الحدث أو صنعوه أو كتبوا عنه من : الباحثين والمراقبين والصحفيين والمحللين وغيرهم .

ا- موقف المركزيين و المصاليين من الثورة :

إن اندلاع الثورة ليلة أول نوفمبر- تشرين الثاني 1954 م، يشكل حدثا سياسيا وعسكريا مفاجئا للجميع: للاستعمار الذي لم يكن يتوقعه في خضم الأزمة الحادة والصراع المحتدم الذي كانت تعيشه حركة الانتصار من اجل الحريات الديمقراطية.

وللشعب بحكم ارتباطه بالأحزاب الوطنية خاصة الاتجاه الاستقلالي سياسيا وجمعية العلماء دينيا وثقافيا... وبحكم الوضع الذي كانت عليه هذه من الانقسام والمشاكل... فقد فاجأتهم الثورة ومفجرها: "**جبهة التحرير الوطني**" التي لم يسمع بها من قبل .

أما القوى السياسية الوطنية ، فإن جزء منها - حركة الانتصار بجناحيها : المصالي والمركزيين - قد كانت على علم بالموضوع وعلى دراية بالتحضيرات الجارية في هذا السبيل، لكنها لم تكن تعلم بالموعد وجدية الموقف، حتى فاجأتها هي الأخرى فكان موقفها مكتنفا بالتردد والإحراج، خصوصا " **اللجنة المركزية** " - بحكم وجود قياداتها: حسين الأحول ومحمد يزيد بالقاهرة، ووردت الأنباء عنهما أنهما استجابا لنداء الثورة المعلنة ووضعا نفسيهما في خدمتها في الخارج - وبهذا فقد اعتبرت قيادة الداخل للجنة المركزية الثورة "**انقلابا**" داخل حركة الانتصارMALD"، واتهموا بن بله بالوقوف خلفه ؟ ولعل أصدق تعبير عن ذلك الموقف تلك "**العبارة - النكتة**" التي كانوا قد روجوها وتداولوها بشأن الثورة في أيامها وشهورها الأولى، بقولهم : (**إن مؤسسي**

الجبهة قد أشعلوا النار في الجزائر، لكن القدر موجود في القاهرة لذلك فإن الأكلة لن تكون جاهزة أبدا !!) (97)

تعكس هذه المقولة واقع الازدراء والتهكم بالثورة ومفجريها، وروح اللامسؤولية في التعاطي مع الحدث من جهة ، ومن جهة ثانية فقد تحركت هيئة أركان اللجنة المركزية الموجودة بالجزائر، بزعامة كل من بن يوسف بن خده ، وأحمد بوده ، ومصطفى فروخي..، حيث حرروا رسالة موقعة ثم وجهوها إلى وزير الداخلية الفرنسي آنذاك "فرنسوا ميتران "، مما جاء فيها: (**... الضروري والأكيد إتباع سياسة تهدئة تقوم على وضع حد للقمع ووقف التتبعات الجارية، إن إطلاق سراح جميع المسلحين السياسيين وسن عفو تشريعي عريض، والاعتراف لكل الجزائريين بحقهم في ممارسة كل الحريات الديمقراطية التي يخولها الدستور الفرنسي هي الإجراءات الأولى التي يتعين اتخاذها .**) (98)

يبدو أن المجموعة لا تزال تحيا في سياق ماضيها " **الإصلاحي"**، وتتشبث بمنطق " **المطالبة السياسية** "، وكأنها لم تدرك بعد أن الثورة قد أقبرتها - كأسلوب لتحصيل الحقوق - إلى غير رجعة. وقد اعتبر المجاهد **علي كافي،** بأن انطلاق الثورة بالنسبة للمركزية كانت " **سبة لهم** " و"**سقطة للنخبة** " (99) ؛ أي البيانيين والشيوعيين معا.

أما بشأن جماعة الخارج : " الأحول، يزيد ، والشاذلي المكي " فسيخوضون مع ممثلي الجبهة " ايت احمد ، بن بله ، وخيضر " والعلماء (الإبراهيمي الورتلاني ، وأحمد بيوض)، وأحمد مزغنة - ممثل المصالية- حوارا ونقاشا سيفضي في نهايته إلى تشكيل جبهة مشتركة لدعم الثورة ومساندتها عرفت "**بجبهة تحرير الجزائر** " ؛ وهي هيئة مكملة للجبهة في الداخل. وقع بيان إنشائها من طرف السادة المذكورين بتاريخ 17 فيفري- شباط 1955 ، ثم وزع ونشر في الصحافة المصرية بتاريخ 21 مارس- آذار 1955، أي بعد حوالي ثلاثة أشهر ونصف من عمر الثورة. في حين ستظل مجموعة الداخل من أعضاء اللجنة المركزية يسكنها هاجس الحيرة والتردد حيال الثورة !! إلى أن يخرج **عبان رمضان** من سجنه - بعد إطلاق سراحه في مارس - آذار 1955م -

---

97 - Ferhat Abbas : **autopsie d'une guerre**, Editions Grainier, 19Rue de la planter, Paris (1980) P :45

98 - Ibid ,P46

99 - علي كافي، **مذكرات؛ من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962** ط1، دار القصبة الجزائر؟، ص57

ليقود حملة الإقناع وفتح الأبواب لكل قيادات واتجاهات الحركة الوطنية ، وهناك سيلتحقون كأفراد إلى أن يعلن محمد يزيد من القاهرة مع فرحات عباس زعيم البيانيين ، وتوفيق المدني عن العلماء ، التحاقهم النهائي بالثورة وحل تشكيلاتهم السياسية لصالح جبهة التحرير في أفريل- ابريل 1956م

أما الجناح الثاني في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ممثلا في " **المصاليين** " ، فقد اختلف موقفهم من الثورة والجبهة عن موقف المركزيين ؛ حيث ومنذ الانطلاقة الأولى للثورة أبدوا تجاوبا ايجابيا معها منذ الشهر الأول "نوفمبر- تشرين الثاني54 " ، وحرص أنصاره على تبنيها ؟ لكنه (مصالي) لم يعترف بالجبهة كممثل خارج إطار زعامته، ناهيك أن يقوم ضده ؛ فكان خلافه معها حول الزعامة والسلطة. ولا غرابة في ذلك فإن مصالي الحاج، كما كان قبل اندلاع الثورة وتحديدا في مطلع سنة 1951 قد أقر ضرورة إعادة بعث "**المنظمة الخاصة**" من جديد وأمر ايت أحمد بتحضير مخطط يهدف إلى إعادة تنظيمها ، لتحضير الكفاح المسلح. [100] لكن الأزمة التي نشبت داخل الحزب عطلت المشروع - وكان مقررا أن تعلن الثورة حسب ما يذكر د. **رابح بلعيد** يوم 21سبتمبر- أيلول 1952 التاريخ الذي حدد لها ؟ [101]

وقد اتخذ مناضلو الحركة في المهجر (في فرنسا خاصة) موقف التأييد والمساندة للثورة، رغم عدم علمهم بها وبمفجريها مسبقا؛ اعتقادا منهم أن الزعيم مصالي - الذي كانوا يوالونه في غالبيتهم في أزمة الحرب - هو من خلقها ؟ وأصدروا نشرة تحت اسم "**العمل الجزائري** " **action algérienne** " نددوا فيها بالقمع الذي طال المناضلين وحركاتهم ، كما طالبوا الحكومة الفرنسية والولاية العامة بالجزائر بالدخول في المفاوضات مع الممثلين الأكفاء للشعب الجزائري.[102] و تحرك المصاليون لمواكبة الثورة وتطوراتها، لكن ضد "**الجبهة** " كإطار سياسي، **و"جيش التحرير"** كإطار وهيئة عسكرية للثورة. فأنشئوا في ديسمبر- كانون الأول 1954 تنظيمين موازيين لهما وهما : "**الحركة الوطنية الجزائرية**" كتنظيم سياسي، **و"جيش الشعب الجزائري"** كتنظيم عسكري، ورفضوا الاعتراف بجبهة التحرير وجيش التحرير وبدؤوا عملياتهم بالموازاة لهما، واستمر الحال كذلك من أواخر 1954 إلى ربيع 1957 ؛ لتتمكن الجبهة وجيش التحرير في الأخير من حسم الأمر لصالحهما بعد القضاء على آخر فلول التنظيم العسكري للمصاليين بقيادة الجنرال بلونيس.

---

100 - محمد حربي، **الثورة سنوات المخاض**، مرجع سابق ،ص156

101 - د.رابح بلعيد، **مرجع سابق** العدد 147 الحلقة 54 من يوم 21- 27جويلية 1997

102 - علي كافي، **مرجع سابق** ص55

المؤكد أن بعض العناصر المعادية لمصالي ، والرافضة لمنطقه في الإدارة والسلطة والحكم الفردي، كان لهم ضلع كبير في حرمان الثورة من خدمات الرجل وتجربته وشخصيته "**الكاريزمتية - الفذة**" ، وباعتباره الزعيم الأول للشعب والجماهير الجزائرية قبل الثورة ؛ ذلك أن تعلقه "**بالزعيم**" المعبر عن طموحاته ورغباته، جعله؛ أي الشعب يكشف نفسه - في مرحلة النضال السياسي الوطني لفترة غير قصيرة - في شخص مصالي الحاج، زعيم الوطنية الجزائرية الأول قبل اندلاع الثورة دون منازع .

يعترف **محمد بوضياف** بعد الاستقلال لبعض مقربيه "**بالخطأ التاريخي والسياسي** " الذي ارتكبه شخصيا، مع زملائه في لجنة 06 ؛ حينما أصر على رفض زعامة مصالي للثورة، بدوافع شخصية أكثر منها أي شيء آخر وقال في ما معناه :" **لو قبلناه زعيما للثورة لكفانا كل هذه الخسائر والنزاعات** " ، كان ذلك كان بعد أزمة صيف 1962 م .

إلى جانب هذا فان **محمد حربي** يذكر أن" **عبان رمضان**" قال للشيخ الحسين بن الميلي في ربيع سنة 1955: (**سنتبع الطريقة التي تشككه في وطنيته (يعني مصالي) وقد بدأنا في نشر البلاغات لاستغلال العمليات التي يقوم بها أنصاره لصالحنا** .)[103] وفي هذا التصريح - إن صح - سعى لإظهار مصالي كعنصر مضاد للثورة لترفضه الجماهير، ويظهر في صورة "**الزعيم الخائن!** " ؛ حيث تسهل تصفيته والقضاء عليه ؟!!

والسؤال الذي يطرح: هل كان حقا في صالح الثورة إبعاد مصالي الحاج عنها ؟ باعتباره الرجل الذي طالما دعا إلى الثورة أيام كان المصطلح غائبا عن الأذهان منذ سنة 1936 ، واستمر داعيا لها حتى انطلاقها.(***)

هل من سخرية القدر أن يظهر "**مصالي** " الزعيم الراديكالي - و أبو الوطنية ورائدها- كرجل مضاد للثورة ؟ أم أن الأمر مبيت؟..، حقيقة إننا لا نملك في الوقت الراهن الوثائق التي تثبت صحة هذا الرأي أو تنفيه ، لكن من المؤكد حتما أن التاريخ سيجيب عن ذلك في يوم ما ؟

ب - <u>موقف العلماء المسلمين وجمعيتهم من الثورة</u>

إن موقف جمعية العلماء من الثورة وجبهة التحرير الوطني وعملها، قد بدا للحظة الأولى "**متحفظا**" مرتبكا ؟ ذلك أن الجمعية في أصل نشاطها لا يتعاطى السياسة - كما أسلفنا - بموجب قانونها الأساسي،

---

[103] - محمد حربي ، **الثورة الجزائرية سنوات المخاض** مرجع سابق ، ص 156

(****) انظر تفصيلا أكثر حول القضية في **الفصل التمهيدي**، عنصر: **موقف المركزيين...** ص102-106

لكن حدثا كالثورة واندلاعها يفرض عليها موقفا صريحا منه. وقد ذكر المجاهد علي كافي في مذكراته[104] : أن العلماء لم يكونوا في الصورة يوم الانطلاقة، بسبب أزمة الصراع التي كانت تعيشه الجمعية وانقسام قياداتها بين الخارج والداخل - حيث كان رئيسها الإبراهيمي مع الورتلاني والشيخ بيوض في القاهرة منذ 1952 م... وقيل أنه خرج في مهمة ولم يعد - وكانت القيادة موزعة بين الشيخ خير الدين والمدني ، والشيخ العربي التبسي. ويذكر أن النائب الأول للرئيس الشيخ العربي التبسي: (**... كان بأفكاره وتوجهاته وقناعاته أقرب إلى "هضم " الثورة وضرورة الإسراع بتابيدها.**)[105] لكن ذلك كان ربما موقفا شخصيا إذ لم يصدر عن المجلس الإداري للجمعية شيئا رسميا، إلا في منتصف جانفي- يناير 1955م.

إلا أن التاريخ يسجل عن قيادتها في الخارج ممثلة في رئيسها الشيخ البشير الإبراهيمي إصداره، بمعية الورتلاني بيانا يدعو فيه للثورة والالتفاف حولها، وكان ذلك بتاريخ 15نوفمبر- تشرين الثاني 1954 تحت عنوان : "**نداء إلى الشعب الجزائري المجاهد نعيذكم بالله أن تتراجعوا.**" مما جاء فيه: (**أيها المسلمون الجزائريون... احتلت فرنسا وطنكم منذ قرن وربع قرن، وشهد لكم التاريخ بأنكم قاومتموها مقاومة الأبطال... لم تبق لكم فرنسا شيئا تخافون عليه... إن التراجع معناه الفناء... إنكم مع فرنسا في موقف لا خيار فيه، ونهايته الموت، فاختاروا ميتة الشرف على حياة العبودية التي هي شر من الموت... أيها الإخوة الأحرار: هلموا إلى الكفاح المسلح... إنما هو الكفاح المسلح فهو الذي يسقط علينا الواجب، ويدفع عن ديننا العار فسيروا على بركة الله، وبعونه وتوفيقه إلى ميدان الكفاح المسلح... إما موت وراءه الجنة وإما حياة وراءها العزة والكرامة.**)[106]

كان هذا البيان صادرا عن مكتب جمعية العلماء المسلمين بالقاهرة، بتوقيع من الإبراهيمي، و الورتلاني، فهل بعد هذا من تشكيك في موقف العلماء في نصرة الثورة والدعوة إليها؟.. إلا أن مسألة الموقف من الجبهة والانخراط فيها فلم يقع بشأنه ما وقع مع الثورة - وقد ذكرنا سابقا - أن العلماء أنشأوا مع زملاء لهم في القاهرة

---

104 - علي كافي، **المذكرات** مرجع سابق ص57

105 - مولود قاسم نايت بلقا سم ، **ردود الفعل الأولية على غرة نوفمبر**...مرجع سابق، ص 47. وكذلك : د. العربي زبيري: **الثورة الجزائرية في عامها الأول**، ط1، دار البعث قسنطينة- الجزائر1984 ، ص32 وما بعدها.

106 - محمد البشير الإبراهيمي، **في قلب المعركة**.. مرجع سابق، ص 15-19 ، وانظر أيضا: الفضيل الورتلاني، **الجزائر الثائرة**، ط؟ دار الهدى عين مليلة- الجزائر؟ صص 170-178

من حركة الانتصار و المصاليين جبهة مشتركة هي : "**جبهة تحرير الجزائر**" ، مما جاء في ديباجتها والنقاط المتفق عليها التأكيد على الصفة الاجماعية حولها، اعتبار أن**:**

1- الشعب الجزائري على اختلاف أفراده وهيئاته فيما يخص الكفاح المسلح - كتلة واحدة هي الأمة الجزائرية، ومن شذ شذ في النار.

2- تسمية الهيئة المنضوية تحت لوائها أبناء الجزائر المسئولون المقيمون بالقاهرة"**جبهة تحرير الجزائر**"

3- تعمل الهيئة لتحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي، ومن كل سيطر أجنبية .

4- الجزائر عربية الجنس، مسلمة العقيدة ، فهي بالإسلام والعروبة كانت، وعلى الإسلام والعروبة ستعيش، وفي ذلك تحترم جميع الأديان والمعتقدات والأجناس .

5- الجزائر جزء لا يتجزأ من المغرب العربي، الذي هو جزء من العالم العربي الكبير... وضرورة الإيمان بتوحيد الكفاح بين أقطار المغرب العربي الثلاث.

6- جبهة تحرير الجزائر مستعدة من الآن لتندمج في هيئة أجمع وأشمل للأقطار المغربية الثلاث، بنظام يوضع ومسؤوليات تحدد.[107]

إن نظرة موضوعية متفحصة إلى هذا البيان وقراءته، ضمن السياقات الفكرية الإيديولوجية والسياسية الوحدوية، والأبعاد الثورية؛ تجلى لنا بوضوح "**الطابع ألميثاقي**" الذي اتخذه، والنظرة المتكاملة للمشكلة الاستعمارية. ليس على مستوى القطر فحسب، بل على المستوى المغاربي ووحدة الأمة..، فهل يمكن اعتباره ملحقا ببيان الثورة الأول (بيان أول نوفمبر- تشرين الثاني 1954) ومفصلا لمجمله ؟ خاصة وأنه حدد بوضوح : طبيعة المعركة، وأفتى بعدم جواز التخلف عنها (من شذ شذ في النار). كما بين المرجعية العقدية والسياسية لها (**... بالإسلام والعروبة كانت وعلى الإسلام والعروبة ستعيش**)، مع احترامها للمعتقدات والطوائف الأخرى. ثم وسع إطار الكفاح ليشمل كل المغرب العربي، وضرورة توحيد نهج الكفاح المسلح في الأقطار الثلاث.

فضلا عن هذا وذاك فقد أبدى الموقعون في بيانهم استعداد "**جبهة تحرير الجزائر**" لئن يتوسع إطارها وهدفها ليشمل هيئة تستوعب الكفاح المغاربي كله، وتنظيم عملها في إطار مسؤوليات تحدد بهذا الخصوص. إن هذا" **البيان الجامع**" الذي اتخذ أصحابه تسميته لهيئة مشتركة، لا يختلف في عنوانه "**جبهة تحرير الجزائر** "

---

[107] - نفس المرجع، ص 38

عن **"جبهة التحرير الوطني "**؟ ولا مضمونها عن مضمون (بيان أول نوفمبر- تشرين الثاني 1954)... لهو جدير بأن تعاد قراءاته من قبل المختصين والباحثين والثوريين من الوطنيين ، وباقي الشرفاء؛ حتى يأخذ مكانته المطلوبة في سياق العمل الثوري والكفاح المسلح. خصوصا وأنه جاء بتوقيع من شخصيات قيادية معروفة بعد قيام الثورة، لها وزنها ومسؤولياتها الكبيرة في أحزابها وهيئاتها الوطنية .

نتساءل في الأخير: لماذا لم يقع الاهتمام بهذا البيان من قبل، وأهمله جل المتحدثين عن الثورة والكتابات التي تناولتها إلا القليل القليل منهم ؟... سؤال يبقى ينتظر الإجابة.

خلاصة لموقف العلماء من الثورة يمكن التأكيد على أنه حالهم كان كغيرهم خاصة المركزيين والمصاليين بل ربما كان أفضل من حيث التجاوب مع الثورة والدعوة لها، خاصة من قبل نائب رئيس الجمعية في الجزائر " **الشيخ العربي التبسي** " ورئيسها في القاهرة " **الإبراهيمي** " كما سلف وبينا. بل يمكن القول بأن الجمعية كانت أقرب إلى الثورة من باقي الأحزاب والفعاليات الوطنية ؟ خصوصا إذا علمنا أن الشيخ البشير الإبراهيمي هو **"الزعيم التاريخي"** الوحيد في الحركة الوطنية الذي صدر عنه بيان التأييد للثورة بعد أسبوعين من اندلاعها، قياسا إلى باقي الزعامات (مصالي الحاج وفرحات عباس) الذين لم يصدر عنهما مثل الذي صدر عن الإبراهيمي. يقول د.**سعد الله** في ذلك : (**... وعندما أعلن الشعب ثورته كان الشيخ البشير الإبراهيمي أول من احتضنها من الزعماء "نقصد بالخصوص مصالي وعباس"، رغم أنه كان في المشرق بعيدا عن الوطن** .) (108)

ج- **موقف البيانيين وزعيمهم فرحات عباس من الثورة** :

حتى عشية قيام الثورة التحريرية 1954 لا يزال **الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري** " udma" وزعيمه فرحات عباس، يراوده الأمل في إمكانية إدخال إصلاحات جذرية، على النظام الاستعماري الفرنسي في الجزائر، والحلم بإنشاء جمهورية جزائرية متحدة مع فرنسا، وتجنب ثورة شاملة ينكوي بنارها الجميع. ومن هذا **"التطلع الخائب"** بني هذا الاتجاه وزعيمه الموقف من الثورة والجبهة معا ؟ حيث وصف عملياتها تارة **"بالأعمال الفوضوية المتهورة"**، وأخرى "**بالحمقاء** و**المغامرة"**، ثم" **باليائسة** " ودعا إلى تحكيم العقل وسيادة

---

[108] - نفسه

منطق الحكمة " **والمفاوضات** "؛ لبحث حل المشكلة الجزائرية. وقد قال عباس فرحات في هذا الشأن : (**لقد قلنا في وقت سابق ونكرره اليوم : لا يمكن وضع حد لهذه الانفجارات التي ليست في الحقيقة سوى أعمال يائسة، إلا بإنهاء هذا النظام والاستجابة لطموحات شعبنا.**) (109)

استمر موقف البيانيين من الثورة ضمن هذا المنظور، مشككا في قدرتها على النجاح وتحقيق الهدف -الغاية - واثقا بالحلول السلمية التفاوضية كوسيلة مثلى لحل المشكلة، ومتعلقا بحلم الجمهورية الجزائرية ضمن الإطار الفرنسي الذي لم يفارقه !! إلى أن حل ربيع أي بعد حوالي سنة 1955 - بعد 6 شهور من اندلاع الثورة - حيث أرسل **فرحات عباس** رسالة إلى **كريم بلقا سم** مع شخص يدعى **"عمار القامة"** ، يبدي فيها رغبته بالاتصال بالثورة وقادتها. مما جاء فيها : (**من رئيس الاتحاد الديمقراطي الجزائري فرحات عباس، يريد الاتصال بجبهة التحرير في أقرب الآجال** .) (110)

فعلا حدثت الاستجابة من قيادة الثورة، ووقع ترتيب لقاء مع كل من عبان رمضان، وعمر أوعمران في منزل الأخير بتاريخ 26ماي- أيار 1955 ، وحدث حوار حول قضايا الثورة ، ودار بينهم نقاش طويل كانت خلاصته أن عرض ممثلا الجبهة على **"عباس** " حل تنظيمه السياسي "udma" ، والالتحاق جماعيا بالثورة وبجبهة التحرير الوطني ، لكن عباس بدهائه ولباقته المعهودة رد عليها قائلا : (**لست الوحيد الذي يقرر في الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، يجب أن أستشير الدكتور" فرانسيس "والأستاذ "بومنجل "**) (111)وهو رد فيه مراوغة ومناورة ونوع من التهرب من الموقف، كما يحمل أفق ديمقراطي تشاوري، إلى جانب التعلق بأخر بصيص من الأمل في حل سلمي دون اللجوء إلى العنف لتسوية الأزمة القائمة مع فرنسا. لكن ذلك - مع قطار الثورة الذي رحل دون عودة إلى الوراء- يبدو مضيعة للوقت، وتعلق بالسراب والوهم.

يواصل عباس التعبير عن موقفه السلبي من الثورة وجبهتها، حيث بعد مرور حوالي سنة من عمر الثورة نجده يعود القهقرى ثانية ؟ ويخاطب الفرنسيين ، منتظرا منهم الاستجابة "**المعجزة** "، محذرا كذلك قائلا: (**إذا ضعفت فرنسا أمام التصلب الكولونيالي فإنه لم يعد أمام الجزائريين سوى احد الخيارين : إما السجن أو**

---

[109] - الجمعي خمري، "**فرحات عباس من الجزائر الفرنسية إلى الجزائر الجزائرية**": كتاب **القيم الفكرية والإنسانية في الثورة الجزائرية (1954-1962)** ، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية ج 1 ، جامعة منتوري قسنطينة 2003 ، ص 233

[110] - نفس المرجع ، ص 225

[111] - نفسه ص 226

الصعود إلى الجبال.) (112) وكأني به ينصح المستعمرين بالتعقل وإنقاذ الموقف، قبل فوات الأوان، وتغييره الموقف لصالح الثورة .

هكذا وبعد جهود مضنية وغير مثمرة بذلها **"عباس "** في سعيه لإقناع المستعمرين وغلاتهم من المستوطنين، للبحث عن حل" **ديمقراطي سلمي"** للمشكل الجزائر، وبعد إخفاقه في مسعاه ذاك؛ يقرر أخيرا الالتحاق بخيار الشعب الجزائري النهائي، المتمثل في الانضمام إلى الثورة ورجالها في كفاحهم المسلح. وقد تم ترتيب له عملية الخروج من الجزائر عبر السفر إلى باريس، مرورا بسويسرا إلى القاهرة في ربيع سنة 1956 . و من القاهرة وفي ندوة صحفية عقدت بتاريخ 22افريل- ابريل 1956 مع رفيقه احمد فرانسيس وتوفيق المدني (عن العلماء) يعلن الالتحاق بالثورة، وحل تنظيمه السياسي " udma " لصالح الثورة والانضواء تحت راية جبهة التحرير الوطني .

بذلك طوي عباس وتياره آخر صفحة من نضاله السياسي السلمي من أجل " **الجزائر الجزائرية** " L'Algérie Algérienne" ضمن الاتحاد الفرنسي. وقد كتب بهذا الخصوص قائلا: (**كنا نؤمن بالحوار بين الفرنسيين والمسلمين، لكن النظام الاستعماري المتعنت والرافض لكل تجديد وتغيير، والذي لم يكن يؤمن إلا بالحلول القائمة على القوة، دفعنا إلى الانضمام علانية إلى رجال يناضلون في جبهة التحرير الوطني.)** (113)

وفي ذلك تحميل للمسؤولية للنظام الاستعماري، وحكوماته التي لم تصغ إلى صوت العقل والتحاور... و الإقرار بإفلاس الشعارات السابقة المرفوعة في إقناعهم بشرعية مطالب الشعب الجزائري وقواه الحية، كذلك تبرير " **للنهج الجديد** " ؛ القائم على الثورة والكفاح المسلح لتحصيل ذلك الحق المقدس، ممثلا في الحرية والاستقلال. وقد جاء توضيح ذلك على لسانه بالقول: (**لقد انتهى زمن المثالية الجمهورية بعد ثلاثين سنة من العمل السياسي، وحان وقت الدعوة الصريحة للانفصال عن فرنسا التي لم تستوعب الدروس أبدا، فهي تلميذ بليد أو ضعيف.)** (114)

منذ ذلك التاريخ ينتهي عهد **"الوصاية الفرنسية"** في " **عقل** "، وفى سلوك الرجل السياسي؛ عباس فرحات، ويبدأ عهد جديد يكون فيه سيد نفسه، وعونا للثورة التي انخرط فيها ناشطا فعالا، دبلوماسيا محنكا... وقد تركز

---

112 - نفسه، ص223

113- نفسه، ص 229

114 - نفسه

نشاطه ضمن الوفد الخارجي للثورة - بالقاهرة ثم بتونس - على : شرح أهداف الثورة للرأي العام الفرنسي والعالمي، والتحرك باتجاه المنظمات الدولية لكسب تفهمها وموقفها المساند للثورة وكفاح الشعب الجزائري، في سبيل حريته واستقلاله. ومن خلال كل ذلك : العمل على **"تدويل القضية الجزائرية"** ضمن إطار الأمم المتحدة وهياتها الأخرى التابعة لها، إلى جانب كسب وجلب الدعم السياسي والمادي والعسكري لصالح الثورة لدى الدول المناهضة للاستعمار؛ خصوصا المجموعة الاشتراكية والشيوعية، كالصين، ويوغسلافيا... الخ. وقد انبرى **عباس** أيضا للتنظير للثورة فكريا وسياسيا، وآمن بدور المثقف وضرورة تموقعه داخل الثورة وأجهزتها. هذا الذي سيعمل لأجله مع المرحوم **عبان رمضان** في مؤتمر الصومام 1956 وما بعده .

د- <u>الحزب الشيوعي الجزائري... خارج السياق الثوري!</u>

لقد دأب **الحزب الشيوعي الجزائري** منذ ظهوره، كفرع للحزب الشيوعي الفرنسي سنة 1924 ثم استقلاله عنه سنة 1935، إلى تبني الأطروحات الإدماجية حيال السلطة الكولونيالية، غير معترف بكينونة المجتمع الجزائري وهويته المستقلة: روحيا، ثقافيا، وسياسيا، منكرا عليه تاريخه ووجود الدولة الجزائرية قبل الغزو الفرنسي لها سنة 1830 ؟ معتبرا أنها لا تزال في طور التكوين والتشكيل، حسب تعبير أحد زعمائه قبل الحرب العالمية الثانية؛ وهو **"موريس توريز"** "M. Tauriz"، أمين عامه السابق.[115]

وظل متمسكا بموقفه ذاك، لم يتزحزح عنها قيد أنملة خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها، حتى عشية اندلاع الثورة التحريرية سنة 54م ؟ مؤمنا **"بالشرعية السياسية "** في مطالبته بالحقوق والمساواة، و**"بالوسيلة الانتخابية"** أداة مفضلة في المشاركة في إدارة شؤون" **المستعمرة المفيدة"** خوفا من هيمنة امبريالية بديلة للهيمنة الفرنسية. ولا ندري ما هو موقع فرنسا من الامبريالية العالمية في نظرهم ؟ ربما تكون أكثرا لطفا وتمدنا؛ بحكم انتمائهم الاجتماعي لها، والحبل السري الذي يربطهم بثقافتها ولغتها ! هذا منطق " **انتقائي** "، " **تمايزي**" أعمى؛ لا تبرره الإيديولوجية الشيوعية العالمية النظرية على الأقل، ولا يقبله المنطق العقلي الموضوعي، كما لن يجد له موطأ قدم إلا في خيالات وأوهام **"شيوعيي الجزائر"** في ذلك العهد.

---

115 - انظر تفصيل ذلك في مقالنا " **المنطلقات الفكرية للثورة التحريرية الجزائرية** " المنشور في مجلة " **الحوار الفكري** " ، الصادرة عن مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية - جامعة منتوري قسنطينة ، العدد 4، سنة 2004 ص147 وما بعده

ففي 4جانفي - يناير 1954 دعت "**اللجنة المركزية**" للحزب الشيوعي الجزائري في تصريح أذاعته إلى فكرة بناء مشروع " **مؤتمر وطني جزائري** "، كانت قد اقترحته من قبل في 20ديسمبر- كانون الأول 1953 حركة الانتصار للحريات الديمقراطية " [116] ، لكن الدعوة لم تلق الاستجابة من قبل الاتجاهات الوطنية الأخرى؛ بسبب انشغالها بأوضاعها الداخلية المتأزمة خاصة. وبعد اندلاع الثورة في غرة نوفمبر- تشرين الثاني 1954م، وقف منها الشيوعيون موقف المعارض والرافض لها وللجبهة ؟ وقد انبرى قادة الحزب في تحميل المستعمر مسؤولية ما حدث، ومما جاء في بيان " **المكتب السياسي للحزب**" التأكيد على أنه : (**يرى أن هناك في أصل هذه الحوادث شيئا اسمه السياسة الاستعمارية القائمة على الاضطهاد الوطني، وخنق الحريات والاستقلال**.)[117]

ثم نجده يتمادى في موقفه ذاك، من خلال إرسال وفد رفيع المستوى عن " **المكتب السياسي** " إلى منطقة الاوراس (معقل الثورة) ليتحرك لإقناع مناضليه وعموم الشعب، بضرورة عدم الانسياق وراء "**المغامرين** " و" **المعدمين** " ، وإلزامهم بعدم الانخراط في الثورة !!.. ويستمر على موقفه ذاك الرافض للثورة، غير المعترف "**بالجبهة**". معللا موقفه - في رسالة بعثت بها اللجنة المركزية للحزب في 12جويلية - يوليو 1956 م إلى قيادة الجبهة؛ طارحا الحجج والدوافع التي ألزمتها باعتماد موقف الرفض، معتبرا أن حل "**الحزب الشيوعي الجزائري**" لصالح الانضمام إلى جبهة التحرير هو بمثابة : (**إدانة أو عدولا عن ماضيه، ونضالا ته وتقاليده.**) [118]

لكن الحزب الشيوعي حسب رأي **سليمان الشيخ**؛ سيذهب في التأييد التدريجي، الأكثر صراحة لحركة التحرير الوطني " **بمقدار ما كان النضال المسلح يتطور** .."[119] غير أننا نجده يدافع عن كيانه السياسي ووجوده الحزبي، رغم صدور قرار حله من قبل السلطات الاستعمارية في 13 سبتمبر- أيلول 1955، داخلا بذلك "**عهد السرية** " في العمل، بدلا من الانصهار في" **جبهة التحرير**" وتنظيمها الثوري. كما سيعمل على تنظيم " **مليشيات** " موازية "**لجيش التحرير الوطني** "، تمارس العنف من خلال عناصر الحزب ومؤيديه، دعيت ب: "

---

116 « **الحرية** " :**الحزب الشيوعي الجزائري**: انظر جريدة liberté 1954 - 01- 02 :عدد »
117 - سليمان الشيخ، **الجزائر تحمل السلاح**، مرجع سابق ص : 357
118 - André Moine **, La guerre d' Algérie** , paris , Ed , 'SOCIALES ' , 1978 .P87
119 -سليمان الشيخ ، **مرجع سابق** ص 358 .

المحاربين من أجل الحرية ". لكنها لم تكن سندا للثورة أو مؤمنة بها، بل جاءت في سياق ومن منظور "**صراع الطبقات** "، مع الاستمرار في الاحتفاظ بجهازه العضوي والإيديولوجي في نشاطه؛ تحسبا للمستقبل.

وسيحل التنظيم " **المليشيا**" التابع له لصالح جيش التحرير في 01 جويلية - يوليو 1956م، بينما يتمسكون ببقاء تنظيمهم السياسي " **الحزب الشيوعي** " بعيدا عن الخيار الذي سلكته بقية الأحزاب الوطنية الأخرى: (الاتحاد الديمقراطي، جمعية العلماء، واللجنة المركزية لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية) والتي حلت تنظيماتها وانصهرت في بوتقة الجبهة. بذلك يظل الحزب الشيوعي الجزائري الوحيد "**خارج السياق الثوري** "، وكفاح الشعب الجزائري ؛ على الرغم من أنه أقر لمناضليه إمكانية الانضمام بصفة فردية إلى جبهة التحرير الوطني؛ حسب اختياراتهم وقناعتهم الفردية، كان من بينهم أمينهم العام السابق " **عمار أوزقان** " الذي التحق بالثورة بصفته الشخصية.

من هنا فإن جبهة التحرير الوطني ستصب جام غضبها وانتقاداتها على الشيوعيين، خاصة في أرضية الصومام 56، التي كان من محرريها بعض الشيوعيين أمثال **عمار أوزقان**، وستكون بصمته واضحة في وثيقة الصومام، وفي معظم أدبيات الثورة ووثائقها الأيديولوجية والسياسية طيلة؛ مرحلة الكفاح المسلح إلى غاية انعقاد مؤتمر طرابلس1962 وتبنيه الأيديولوجية الشيوعية كفكر، والاشتراكية كأسلوب... تحت شعار " **الثورة الديمقراطية الشعبية** " في "**برنامج طرابلس** ". فهل كان ذلك حدث من قبيل الصدفة ؟ أم جاء بتخطيط وتنظيم محكم لتوجيه الثورة عن خطها ومسارها الذي حدده بيان أول نوفمبر 1954م ؟ ومن ثم قطف ثمرتها في الوقت المحدد والمبرمج ؟... ذلك ما سنناقشه ونتناوله بالتحليل والنقد والموقف في فصول قادمة من هذا البحث.

تلك إذا هي خلاصة مواقف الأحزاب الوطنية من اندلاع الثورة وجهازها السياسي " **جبهة التحرير** ". رأينا ضرورة عرضها؛ حتى تتضح الرؤية أكثر بشأن السياق الثوري العام لها... فماذا عن ظروف صياغة " **البيان-النداء** "ا لأول 1954م ؟ وما مضمونه الفكري و السياسي ؟

<u>المبحث 2</u> : ملابسات صدور بيان أول نوفمبر- تشرين الثاني 54 م.

إن اندلاع الثورة وإعلان " **جبهة التحرير الوطني** " إطارا سياسيا لها شكل - كما سبق وأن ذكرنا- مفاجأة لدى الأوساط المختلفة (الحركات الوطنية، والشعب، إلى جانب الإدارة الاستعمارية.) لذلك فإن هذه الأخيرة لم تهضم الموقف وسعت إلى تحجيمه، وإفراغ بيان الثورة من محتواه الثوري والشعبي، معتبرة حوادث ليلة نوفمبر 1954 " **حوادث معزولة** " " قام بها "**إرهابيون** " و"**مجرمون** "، مدعومون من قوى خارجية إقليمية وعربية... وربما يكون" **للشيوعية** " - كذلك- ضلع فيها، فقد جاء بلاغ الحاكم العام " **روجي ليونارد** " معبرا عن كل ذلك وهذا مقتطف منه: (**... قامت مجموعة صغيرة من الإرهابيين بارتكاب ثلاثين عملية تخريبية متفاوتة الخطورة، وقد نتج عن ذلك مقتل ضابط وجنديين بخنشلة و باتنة، وحارسين ليلين من منطقة القبائل... وقد اتخذت في الحال إجراءات وقائية... هذا وإن السكان الذين نطمئنهم بهذه المناسبة... وقمع هذه الإعمال الإجرامية.**) [120]

في نفس السياق كتبت جريدة "الوفيقارو"Le figaro" الفرنسية مؤكدة الطابع الخارجي للعمليات التي حدثت، متهمة الجامعة العربية، والجزائريين الذين هم هناك في القاهرة بالتخطيط لهذه الأعمال، جاء في كلامها: (**إن الجامعة العربية وأولئك الذين يعيشون في المنفى في القاهرة ليسوا وحدهم الذين يمارسون ضدنا سياسة**

---

[120] - محمد حربي، **الثورة الجزائرية سنوات المخاض**، مرجع سابق ص 23

الأرض المحروقة... إن خيوط المؤامرة لا تمر كلها بالقاهرة (...) ففرنسا لن تحارب طويلا ضد الأشباح، إذ لا بد أن ترفع الأقنعة في يوم ما.) [121] كما صرح **"ايدموند نانجلن"** الحاكم العام السابق للجزائر، مذكرا حكومته بمواقفه وتصريحاته السابقة ولكن متهما أطرافا مغاربية (تونس والمغرب) بالوقوف خلف الحوادث قائلا : **(إن الجزائر لا يمكن أن تبقى غريبة عن ما يجري في المغرب الأقصى وتونس.)** [122]

وقد ذكر رئيس الحكومة الفرنسية **"مند يس فرنس"** في 12 نوفمبر- تشرين الثاني 1954 القاهرة وحكومتها بمسؤولياتها وبعلاقات التعاون بينهما، وهو إيحاء وتهديد مبطن بقطعها، و إمكانية اتخاذ إجراءات أخرى قد تتبع ذلك فقال: **(...إن فرنسا على المستوى التقني تواصل مساعدتها لمصر... إن الوقت قد حان لكي تتحمل الحكومة المصرية مسؤولياتها.** [123]

والسؤال الذي يتبادر إلى ذهن قارئ مثل هذه التصريحات والبلاغات هو : هل كانت فرنسا وإداراتها في الجزائر وفي فرنسا، واثقة إلى هذا الحد فعلا من عدم قدرة وإمكانية قيام الجزائريين بالثورة ؟ أم أنها تريد أن تنزع عنها صبغتها الوطنية و"**الجزائرية**"؛ حتى تقنع الرأي العام الوطني والأجنبي بفكرة المؤامرة الخارجية ضدها ؟ حتى تجد المبررات الموضوعية والسياسية الدولية لقمع الثورة ؟ هل تحاشت قراءة بيان أول نوفمبر 1954 الذي تزامن نشره مع العمليات الأولى للثورة، والذي حدد الأطراف الفاعلة في العملية، هويتهم، أهدافهم، والمبررات التي دفعتهم للقيام بالثورة. كما أنهم مدوا **"يدا بيضاء"** للتفاوض وبحث الحلول -المشروطة- للمشكلة الاستعمارية دون إراقة الدماء ؟ هل تنكرت فرنسا وتغاضت عن البيان ومحتواه مثلما أنكرت الثورة كثورة، وجبهة التحرير كتنظيم سياسي جزائري لها ؟

أسئلة وأخرى كثيرة تطرح تفرض علينا وقفة مع " **البيان** "، وملابسات صياغته، ومحتواه العقائدي والسياسي الذي عبر عنه. لتناول بعدها باقي الموضوعات التي حملها؛ لأجل تأكيد " **الصفة الوطنية الجزائرية** " للثورة الجزائرية، وكذا الرد على " **المزاعم** " الفرنسية بشأن الثورة ومفجريها وبيانها التاريخي... الخ .

---

[121]- نفس المرجع، ص 24

[122] **- la dépêche de Constantine** , le 02-11-1954

[123] - نفس المرجع، ص 24

(*****) ينظر النص الفرنسي الكامل للبيان في : **el moujahid** , n : 04(n : spécial) , tome 01 imprimé en Yougoslavie , juin 1962 , pp 59 – 60

بشأن" **البيان** " فقد وقع التفكير فيه وإثارة نقاشات حول ضرورته ومحتواه مطولا بين القادة الستة، في اجتماعاتهم الدورية التي عقدوها طيلة شهر أكتوبر، كان آخرها اجتماع 23 أكتوبر- تشرين الأول 1954 م؛ الذي تم فيه الفصل النهائي في المسودة المقدمة من قبل محرريه : "**بوضياف، ديدوش، بن مهيدي، وبن بولعيد** ". وكان إعداده وتحديد مضامينه، قد اتخذ مبدءا تشاوريا؛ نظرا لصعوبة القضية التي سيحملها، وما يتطلبه ذلك من صياغة إيديولوجية وسياسية مركزة - وقد أعد باللغة الفرنسية(*****) ، ثم ترجم لاحقا من قبل مسؤولي الولايات في الداخل سنة 1957م ، ولم تكن الترجمة موحدة آنذاك - ويذكر "**بيطاط** " أحد المجموعة الست أن إجراء سحب "**البيان** " وتوزيعه كلفت بها المنطقة الرابعة - التي كانت تحت مسؤوليته وأشرف شخصيا على العملية - حيث يقول: **(... وقد ساهم في رقنه وسحبه الصحفي المناضل محمد العيشاوي الذي عين لهذه المهمة من قبل المنطقة الرابعة وأنا الذي اصطحبته شخصيا إلى بلكور، وقدمته لمناضل صاحب مقهى "وهو احمد زهوان الذي تكفل بنقله إلى المنطقة الثالثة.)** ([124])

أما بشأن المحتوى والأفكار التي تتضمنها ، والتكتيك الذي اعتمد في إعداده، فيقول **بوضياف** في هذا الصدد: (**لم يقع أي تعمق جاد في الحركة ولم يستطع المنظمون أن يتوسعوا في المضمون السياسي أكثر مما تناولوه من البيان . لأن إعداد محتوى واسع ومفصل يقتضي وقتا وتكوينا معينا ، يمتد إلى الإيديولوجية والأبعاد والتنظيم وسير الثورة والى العقيدة والاتجاه السياسي الذي يرافق الثورة وما بعدها ، وهو أمر صعب. لأن المنظمين... تجنبوا التحكم في مستقبل البلاد حين حصولها على الاستقلال، والقليل الذي اعتمدوه في البيان ، مستمدا من تجاربهم الخاصة وعلى الحس السليم والإرادة .**) [125]

ما يمكن تسجيله من خلال ما ذكره "**بوضياف**" من ملاحظات أولية بشأن البيان هي: أن جماعة الست تجنبوا الدخول في التفاصيل الإيديولوجية، السياسية، والتنظيمية، وكذا الجوانب الإجرائية والمستقبلية...الخ؛ لأن الموقف والتوقيت لا يسمحان بذلك، كما أنهم حاولوا صياغته من وحي خلاصة التجربة النضالية للحركة

---

[124] - محمد عباس، **ثوار عظماء...** مرجع سابق ص 100 .

(****) وقد سحبت 2300نسخة للبيان يوم 27اكتوبر 1954م، ونقلت إلى الجزائر العاصمة لتوزيعها. كلف محمد بوضياف بنقل البيان إلى الوفد الخارجي للثورة بالقاهرة لنشره، لكن تأخر حصوله على التأشيرة من سفارة مصر بسويسرا جعله يعمد إلى إرساله عبر البريد السريع إلى القاهرة ليذاع في وقته المحدد له.

[125] - مومن العمري ، **الحركة الثورية في الجزائر**، مرجع سابق ، صص : 307 -308

الوطنية، وإضفاء طابع الإيجاز والبساطة على مضامينه، مع التركيز على الدور الإعلامي له. مكتفين بتقديم الخطوط العامة: للدوافع، المبررات، الأهداف، والغايات. مع شيء من روح التعبئة والاستنفار للجماهير : عاطفيا وسياسيا ؛ بغرض ضمان التفاعل الايجابي مع مضمونه، ومن خلاله مع الثورة. تاركين بذلك فسحة لتوضيح أفكاره وقراءتها ضمن إطار محدد له، من دون رهن مستقبل البلاد مسبقا في" **موقف قبلي صارم**" قد يؤثر سلبا على "**واقعها ألبعدي** " المتجدد. وفي ذلك كله - في رأينا- موقف تكتيك، ونظرة إستراتيجية، ومسؤولية وطنية كاملة (******) حيال المستقبل والأجيال القادمة.

لأجل القراءة السليمة لنص ومحتوى " **بيان أول نوفمبر 54م** "، فإنه مطلوب منا الاستجابة والاستحضار الصارم "**للبعد المنهجي** " في المسألة؛ ممثلا في ضرورة وضعه - أي البيان- في سياقه التاريخي، وواقعه الموضوعي الذي كان سائدا آنذاك عشية صياغته وإعداده. كما يجب تتبع القراءات والتعليقات والنصوص... التي جاءت ضمن السياق الثوري بعده؛ من مواقع سياسية و مؤسساتية، أو منابر إعلامية ناطقة باسم الثورة. إلى جانب مراعاة عنصر تباين مستوى التكوين العقائدي، الفكري، والسياسي

لدى قادة الثورة ومسئوليها " **الميدانيين** " في الداخل، وكان اغلبهم من الجيل الثوري لما قبل نوفمبر وبعده. وكذلك المجموعة القيادية ذات الصفة السياسية، والدبلوماسية - وهي تحمل هجين من الأيديولوجيات والأفكار- ماعدا القلة من الثوريين العسكريين، الذين فرضت عليهم ظروف المعركة في الداخل الخروج لتمثيلها في الخارج؛ من خلال المعركة السياسية، الدبلوماسية، والإعلامية... وغيرها.

كل تلك الحيثيات والمعطيات مطلوب استحضارها في قراءة البيان، لمتابعة التحليلات والتفسيرات التي أعطيت له سواء خلال فترة الكفاح أو وبعد الاستقلال؛ حتى نضمن أكبر قدر من الموضوعية العلمية، والتوازن المنهجي في تناول مضامينه ومدلولاته. فماذا عن أهم محاور البيان الكبرى ومضامينها ؟

(******) يلاحظ انه على الرغم من تحديد الإطار العام للثورة ومرجعيتها؛ ممثلة في المبادئ الإسلامية ،إلا أن طبيعتها وآليات التنفيذ... لم يتم تحديدها على درجة من الدقة والوضوح؛ ويعترف محمد بوضياف في إحدى شهاداته أنه :(**في بداية الثورة لم تكن لنا فكرة دقيقة عما يجب أن يكون عليه برنامج الثورة الجزائرية ،فلا شيء كان دقيقا، ماعدا فكرة الاستقلال الوطني وإشراك**

الجماهير في الكفاح الوطني.) انظر: رمضان بورغدة، **الثورة الجزائرية والجنرال ديغول(1958-1962)** ،رسالة دكتوراه غير منشورة ،نوقشت بقسم التاريخ - جامعة منتوري قسنطينة جوان 2007 ص:29

1 – **<u>المحاور الكبرى لبيان أول نوفمبر 1954</u>** :

من خلال الاطلاع الأولى على "**البيان** "، يبدو أنه متضمنا لأربعة محاور رئيسية وهي :

1- الظروف والعوامل الظرفية التي دفعت إلى صياغته، وتقديمه كإعلان وبلاغ لاندلاع الثورة التحريرية، باسم " **جبهة التحرير الوطني**."

2 - تحديد طبيعة الثورة وأهدافها ووسائل كفاحها، وإطارها الوحدوي المغاربي، مع تأكيد صعوبة المهمة وعظم المسؤولية..، لكن نتيجة النصر آت لا محالة. وهو محور يرسم و يحدد المعالم الكبرى للدولة الجزائرية المستقبلية، و أسسها الوطنية .

3 - إبراز طبيعة المعركة مع المستعمر الكولونيالي الامبريالي، وإعلان شروط التسوية الممكنة معه، مع تقديم الضمانات الكافية لمصالحه المشروعة، الثقافية والاقتصادية... وكذلك لرعاياه من المستوطنين، وحلفائه الآخرين من الحركى... وغيرهم.

4 - إعادة القضية "**الثورة** " إلى حضنها الطبيعي، وهو الشعب الجزائري - كما استفتح البيان وختم - وتحميله مسؤوليته في النجاح وتحقيق النصر. واعتباره " القضية" هي قضية ثورته وجبهته **!** والإعلان عن الاستعداد للتضحية الكاملة لأجلها.

لرصد هذه العناصر وتحليل مضامين كل محور، لكشف دلالاته الفكرية، والسياسية، سنعمد إلى تناولها وتعيين المواضيع المختلفة التي وردت في البيان ضمن هذا السياق، وفي إطار الحفاظ على الوحدة العامة له، دون الإخلال بعناصره وأجزائه. مع محاولة التركيز أكثر على جانب الإثراء الفكري والإيديولوجي لمحتواه وتصوراته؛لاستخراج ما أمكن من أسس ومبادئ التنظير لمشروع مجتمعي وطني.

<u>المحور الأول</u>:

إن" **ديباجة** " البيان وفقرته الأولى عملت على توضيح أسباب نشر البيان، والذهاب إلى العمل الثوري بغرض تحقيق الاستقلال الوطني في إطار الشمال الإفريقي... ولأجل رفع اللبس والتأويل الخاطئ الذي يمكن أن يوقعه الاستعمار وعملائه، وربما بعض محترفي السياسة من الجزائريين؛ الذين لا يؤمنون بالأسلوب الثوري

كوسيلة للتحرر، ونقصد هنا بالتحديد " **النخبة** " من البيانيين والشيوعيين، ربما أيضا أنصار "**الإصلاح السياسي**" من حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، والعلماء .

ذكر البيان "**بالانجاز السياسي**" الذي حققته الحركة الوطنية في نضالها الطويل، وبلوغها المرحلة الأخيرة ممثلة في ضرورة إعلان الثورة والكفاح المسلح، لان الشعب مهيأ لذلك، جاء في البيان: (... **نعلمكم أن غرضنا من نشر هذا الإعلان هو أن نوضح لكم الأسباب العميقة التي دفعتنا إلى العمل ... التي دفعتنا إلى الاستقلال الوطني في إطار الشمال الإفريقي** .) [126] ليواصل التنبيه إلى خطورة الموقف المعادي للثورة، الذي سيستغل الظرف ليعطي ويقدم التأويل الخاطئ لها، قد تتبعه بعض القوى المتحالفة مع المشروع الاستعماري - بقصد أو بغير قصد - في ترويج أكاذيبه ومزاعمه ضد الثورة. يقول البيان: (**... ورغبتنا أيضا هو أن نجنبكم الالتباس الذي يمكن أن تدفعكم فيه الامبريالية وعملائها الإداريون وبعض محترفي السياسة الانتهازية.**) [127]

الملاحظ هنا أن صانعي البيان ومفجري الثورة، كانوا قد قرأوا جيدا حساب العدو الفرنسي، ورد فعله مع باقي أذنابه؛ فحظروا عدتهم، فأعلنوا هجومهم المسبق لإبطال ما يمكن أن يثيروه من دعاية كاذبة في حق الثورة ؟ وهي "**رسالة تحذيرية**" للشعب والمناضلين الوطنيين، والخصوم السياسيين كذلك. كما هو جزءا من "**التكوين الثوري**" الذي يقي من الاختراق النفسي والفكري، وبالتالي تحصين" **العمل الثوري الوليد**" ، حتى يشب على الطوق .

بعدها ينتقل **البيان** إلى التذكير بالظروف المحلية التي أقنعت أصحابه باستصداره، وتوجيهه "**كنداء**" للإعلان عن بداية العمل الثوري، وانطلاق الكفاح المسلح فجاء: (**فنحن نعتبر فبل كل شيء أن الحركة الوطنية - بعد مراحل من الكفاح - قد أدركت مرحلة التحقيق النهائية**) [56مكرر] ؛ مذكرا بالهدف الثوري لأية حركة ثورية مستعملا مقولة **لينين** في هذا الشأن: (**لقيام ونجاح أية حركة ثورية، لا بد من نظرية ثورية.**) وقد أقر محررو البيان بأن "**النظرية الثورية** " الوطنية قد تحققت ونضجت، والوقت حان لقيام الحركة الثورية المسلحة. أما بخصوص الظروف الإقليمية والدولية، فهي ملائمة ومناسبة للعمل الثوري ؛ خاصة وأن ثورتي تونس

---

126 - **النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني 1954-1962**، نشر وتوزيع قطاع الإعلام والثقافة والتكوين "**حزب جبهة التحرير الوطني** " الجزائر 1987 ، ص 03

127 - نفس المصدر ص 03

والمغرب قد قامتا ولا تزالا مشتعلتين، وضرورة اللحاق بركبهما - لتسوية المشكلة المغاربية، التي توحدت بشأنها مواقف الجميع- لانجاز وحدة المغرب العربي. وفي ذلك استلهام لمشاريع النضال المشترك، التي بدأت بتأسيس **لجنة تحرير المغرب العربي** بالقاهرة سنة 1947 بين الأحزاب المغاربية الرئيسية الثلاث: **"حزب الشعب الجزائري، الحزب الدستوري التونسي،** و**حزب الاستقلال المغربي** " إلى جانب جمعية العلماء المسلمين... جاء في البيان بهذا الخصوص: (**إن أحداث المغرب وتونس لها دلالاتها في هذا الصدد فهي تمثل مراحل الكفاح التحرري في شمال إفريقيا... إننا منذ مدة طويلة أول الراغبين إلى الوحدة في العمل**.)

على المستوى الدولي يذكر البيان بحالة الانفراج الدولي الحاصل بين المعسكرين الشيوعي والرأسمالي، في إطار سياسة التعايش السلمي، إلى جانب تنامي المد التحرري في المستعمرات، وهزيمة فرنسا **ديان بيان فو** في ماي 1954 أمام الفيتناميين ثم رضوخها للتفاوض معهم. إلى جانب التعاطف والمساندة العربية والإسلامية لقضيتنا، ثم الدعم الدبلوماسي الذي ستحظى بها عندهم...الخ. كل تلك المعطيات والظروف الدولية جد مواتية لقيام ثورتنا ونجاحها. يقول: **(... أما في الأوضاع الخارجية فإن الانفراج الدولي مناسب لتسوية بعض المشاكل الثانوية التي من بينها قضيتنا التي تجد سندها الدبلوماسي وخاصة من طرف إخواننا العرب والمسلمين.**)

نستنتج من كل ذلك أن مجموعة " 06+03 " المفجرة للثورة كانت على اطلاع جيد بأوضاع العالم الخارجية، تتابع عن كثب تطورات الموقف الدولي، وخاصة ما تعلق منها بتطور" **الواقع الاستعماري** " و إخفاقاته، و "**المد التحرري** " ونجاحاته. وحاولت الاستفادة من هذه الأوضاع في التخطيط لمشروع الثورة وإعلانه في الوقت المناسب، وهو ما يعني توفر جانب كبير من " **الاهتمام الدبلوماسي** " لديهم، والاستعداد لممارسته، وكذا الاستفادة من متغيرات السياسة الدولية لصالح الثورة.

بعدها ينتقل البيان إلى استعراض واقع الأزمة الداخلية للحركة الوطنية، ولحزب الشعب - حركة الانتصار تحديدا، مركزا على حالة **"الجمود"** و**"الروتين"** الذي أصابها وجعلها تحيا على **"الهامش الثوري** " غارقة في خيالات المطلبية السياسية ، التي تعلقت بالفتات الاستعماري ومشاريعه الكاذبة. بدعوى **"أوهام"** المشاركة وتحصيل الحقوق، وانجاز العمل الديمقراطي المشترك في ظل سلطة الاحتلال ووصايته. وهذا الذي ركنت إليه قد ضيع عليها فرصة الخروج من **"شرنقة** " الاحتلال التي لفت عنقها... كما جعلت المستعمر يطير فرحا لهذا الانتصار- الانجاز على حسابها.

هذه الحالة الكارثية - سبق أن وقفنا على بعض من مظاهر الأزمة وتداعياتها في المبحث الأول من هذا الفصل - فرضت على الوطنيين المخلصين ضرورة الإسراع لإخراج الحركة الوطنية من مأزقها، وإنقاذها من وضعها اليائس، مع أخذ زمام المبادرة- بكل نزاهة وحياد - لصالح القضية الوطنية والمصلحة العليا للشعب. وتوجيه جهد الجميع ضد العدو المشترك وهو " **الاحتلال** "، الذي رفض ولا يزال يرفض الاستجابة لأدنى مطالب الجزائريين بالأسلوب السلمي.

إنها التجربة المريرة معه، تلك التي كانت خلاصتها ونتيجتها: الاقتناع بضرورة الذهاب إلى الكفاح المسلح إلى جانب إخوتنا المغاربة، وباقي شرفاء العالم وأحراره. متخذين من " **جبهة التحرير الوطني**" كحركة جديدة تجديدية ثورية، إطارا واحدا ووحيدا لهذا الكفاح، كما أنها ستفتح أحضانها لكل الجزائريين، من كل التيارات والفئات والطبقات الاجتماعية... للانضمام إلى مشروعها التحرري، دون اعتبار آخر يؤكد البيان: **(... إن حركتنا الوطنية قد وجدت نفسها محطمة نتيجة لسنوات طويلة من الجمود والروتين... إن المرحلة خطيرة... رأت مجموعة من الشباب المسؤولين والمناضلين الواعين... أن الوقت قد حان لإخراج الحركة الوطنية من المأزق... لدفعها إلى المعركة الحقيقية الثورية إلى جانب إخواننا المغاربة والتونسيين.)** [(128)] ليضيف مؤكدا الصفة الاستقلالية لمفجري الثورة : **(... نوضح بأننا مستقلون عن الطرفين الذين يتنازعان السلطة، إن حركتنا... موجهة فقط ضد الاستعمار الذي هو العدو الوحيد الأعمى.)** وبشأن انفتاحه على كافة العناصر الوطنية، وعموم الشغب الجزائري يورد البيان: **(ونتيح الفرصة لجميع الجزائريين من جميع الطبقات الاجتماعية وجميع الأحزاب والحركات الجزائرية، أن تنظم إلى الكفاح التحرري دون أدنى اعتبار آخر.)**

بهذا الخصوص نلاحظ أن تصوير البيان لازمة الحركة الوطنية كان شاملا ودقيقا، ولا غرو في ذلك ، فإن القادة الستة - ومعهما الثلاثة الموجودين في الخارج "بالقاهرة " - كانوا نشطاء وأعضاء مسئولين قادة في حزب الشعب - حركة الانتصار، وفي جناحها العسكري "o.s". بل كانوا المشرفين عليه: (ايت أحمد، بن بله، بن بولعيد، و بوضياف... وغيرهم) وقد خبروا واقع الحركة الوطنية، وطبيعة أزمتها ومسلكيتها الغارقة في صراعات شخصية سلطوية، كانوا قد بذلوا قصارى جهدهم- في إطار اللجنة الثورية للوحدة والعمل، منذ مارس-

---

128 - نفس المصدر.

آذار 1954 وحتى قبيل اندلاع الثورة - لإخراجها من حالة الضياع والتيه الذي أوقعها فيه صراع الأشخاص والزعامات، لكن دون جدوى.

ومنه فقد انطلقوا من واقع الأزمة وتجلياتها ، ليوجهوا نداءهم للشعب الجزائري ، وقواه الحية السليمة للالتفاف حول الجبهة ، وتبني خيار **"العنف المسلح"** كوسيلة وحيدة يقتنع بها العدو الفرنسي ، ويفرض منطقه على الإطراف المتصارعة، يقول **سليمان الشيخ** : (**لقد صور لنا بيان أول نوفمبر 1954 " الحالة الهابطة " للحركة الوطنية، وهي تفقد كل شيء، وتدخل مرحلة اليأس التام، عشية اندلاع الثورة... وهكذا أصبح " العنف الثوري " هو" الأمل الوحيد " لانتزاع الحق وتحقيق النصر، وهو مقرون بضرورة اجتماعية، وحياتية ، ومشروعية وطنية وإنسانية في نظر المستعمر ضمن " كلية منسجمة ولازمة ومبررة "، بين الوسيلة والغاية.**) (129)

تلك كانت **خلاصة** الخلفية الموضوعية، الواقعية، والوطنية المقنعة والمبررة لقرار الذهاب إلى الثورة. فماذا عن مبادئها وأهدافها، والوسائل التي أعدتها للكفاح من خلال ما طرحه بيانها التاريخي ؟

المحور الثاني :

بعد توضيح الظروف والعوامل التي إلى استصدار " **البيان** "، وإعلانه للشعب الجزائري، والرأي العام الفرنسي والدولي، انتقل **"البيان** " إلى عرض الخطوط العريضة " **للبرنامج السياسي** " الذي تعتزم الثورة انجازه، محددا الهدف العام، والأهداف الداخلية والخارجية بوضوح ودقة. جاء في البيان: (**ولكي نبين بوضوح هدفنا فإننا نسطر فيما يلي الخطوط العريضة لبرنامجنا السياسي :**

الهدف: الاستقلال الوطني بواسطة:

1 - إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية و الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية .

---

129 - سليمان الشيخ، **الجزائر تحمل السلاح**... مرجع سابق، ص 267

2 - **احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني.)** [130]

لقد كشف " البيان " عن الهدف الأساسي العام من اندلاع الثورة، وحدده " **بالاستقلال الوطني** ". فهل هذا الهدف المعلن جديد أم قديم في أدبيات النضال الوطني ؟ لاشك أن كل مطلع على وثائق الحركة الوطنية ونصوصها ، خاصة النجم - حزب الشعب - حركة الانتصار، أو ما يعرف بالاتجاه الاستقلالي، يجد هذه العبارة حاضرة منذ الوهلة الأولى في مطالبه، فبرنامج النجم المعلن سنة 1937م، يورد ولأول مرة منذ وقوع الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830 م صراحة : " **الاستقلال التام لهذه البلد** "، كما أن جريدة " **الإقدام** " الناطقة باسمه قد أوردت في إحدى أعدادها سنة 1927، عبارة[131] : (**بالاستقلال التام لشمال إفريقيا، وانسحاب القوات الفرنسية، وتشكيل حكومة وطنية ثورية.**) وقد تتالى بعد ذلك وورد ذكر هذا المطلب في كل برامج الحركة (حزب الشعب - حركة الانتصار...) حتى اندلاع الثورة.

وعليه فالمطلب قديم - جديد ؟ ! والجدة فيه هي في تحديد البيان هذه المرة نوع هذا الاستقلال وإطاره الفكري، والاجتماعي والسياسي. إلى جانب وسيلة تحقيقه تلك الجوانب التي كانت ظلت - ربما - غامضة في أدبيات الحركة الوطنية من قبل. وقد جاء البيان ليوضحها بعبارة : "**بواسطة: إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية و الاجتماعية ذات السيادة، ضمن إطار المبادئ الإسلامية** " ؛ وهي عبارة موجزة بليغة تحمل من القيم، والدلالات، والنظم، والبرنامج..، ما يحتاج منا وقفة تحليلية عميقة لتجليتها ؟

" **فإقامة الدولة الجزائرية** " يعني فيما يعني إجمالا، إلغاء واقع الاحتلال ومنظومته الاستعمارية في الجزائر، وإعادة بعث الدولة الجزائرية، ذات الامتداد التاريخي والحضاري وصاحبة السيادة الكاملة على الأرض، الثروات، الحدود، الشعب، والقرار(*****)... تلك الدولة التي اغتصبها الاحتلال، وصادر مؤسساتها، وقهر شعبها ردحا من الزمن. وقد سعى الأمير عبد القادر (1832-1847) إلى بعثها وإعادة تأسيسها بكل مكوناتها ، ووضع لبناتها الأساسية، لكن الاحتلال عطل مشروعه الوطني...[132] وقد جاءت الثورة 54م لاستئناف دورة التأسيس والبناء للدولة المغيبة من جديد. فما هوية الدولة النوفمبرية يا ترى ؟

---

130 - النصوص الأساسية لجبهة التحرير..مصدر سابق ص :04

131 - د.رابح بلعيد، **رسالة الأطلس .. مرجع سابق،** عدد 107، الحلقة 20 ص 11

*****) للتوسع في الفكرة انظر : المبحث الثاني من الفصل التمهيدي، و المبحث الأول من هذا الفصل.صص88-115*(

إن **التساؤل الأول** المطروح بشأن طبيعة الدولة التي أعلنها بيان أول نوفمبر 1954، والمعبر عنها ب: " **إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية والاجتماعية ذات السيادة في :طار المبادئ الإسلامية** " هو: هل هذه المبادئ " **الديمقراطية**" و"**الاجتماعية**" و"**السيادة**" و"**المبادئ الإسلامية** "..، كان لها حضورا في نصوص ووثائق الحركات الوطنية، وتعبر عن رؤاها وتصوراتها في تفكيرها السياسي على الأقل أم لا ؟

الأكيد أن بعض هذه المصطلحات وظلال معانيها كان واردا في أدبياتها، ونادت بها القوى الوطنية : " UDMA" ، " MALD" ، وحتى العلماء "ULAMA- الذين كثيرا ما كانوا منسجمين في أطروحاتهم ومواقفهم السياسية مع " UDMA" الذي يتزعمه فرحات عباس، كما كان هذا الأخير يتكئ على الزعامة الروحية والأخلاقية، والقاعدة الاجتماعية للعلماء لتمرير مواقفه السياسية- كما أن الحزب الشيوعي الجزائري غير تسميته سنة 1954، لتأخذ عنوان " **أصحاب الحرية والديمقراطية** " و "حركة الانتصار للحريات الديمقراطية"هي الأخرى فضلت أن تدرج ضمن تسميتها "**الحريات** " و"**الديمقراطية**" مسايرة للاتجاه الشرعي السياسي والانتخابي. وقد طرح في وثيقة صادرة في ديسمبر 1951 ما سماه ب: **" المعالم الرئيسية لنضال الحركة الوطنية الجزائرية** "، التي تضمنت المفهوم الشامل" **للحريات الديمقراطية** " كمبدأ أساسي، لينسحب بعدها على الجوانب: الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية، والسياسية - عبر آلية " **المشاركة الشعبية** " في حكم البلاد وإدارة شؤونها واحترام الحريات الأساسية - مع إقامة "**نظام عادل**". كل ذلك لأجل إبراز العبقرية الشعبية، وتنمية قدراته العقلية (133) ، وفي ذلك ما يعكس الاستمرارية في الإيديولوجية، والأفكار ذات المفاهيم السياسية العصرية.

كما يذكر بن خده أن المؤتمر الثاني لحركة الانتصار" MTLD" افريل- نيسان 1953م ، كان قد طرحت فيه فكرة " **جمهورية إسلامية** "(134) ، لكن - حسبه- شخصيات دينية أقنعت مجموعة المؤتمر بالتخلي عن الفكرة، حتى لا تستعملها فرنسا ذريعة لشن حملة دعائية إعلامية وسياسية لإثارة الغرب المسيحي ضد الجزائر وتحويل العلاقة إلى " **حرب دينية صليبية** ." وقد استبدلت العبارة بأخرى وردت كما يلي : " **جمهورية جزائرية**

---

132 - انظر تفصيلا عن ذلك في : عبد الله شريط، **مع الفكر السياسي الحديث**. ط1،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 86 وما بعدها

133- C. Collot et J.R.Henry, le mouvement national algérien textes 1912-1954 Ed :op4, Alger 1978 P 304

134- Benyoucef .benkhedda : les origines du 1ere novembre op. .cit. . p 222 . وكذلك :

عبد الرحمان العقون، الكفاح القومي والسياسي. ج 3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985 ص 375

ديمقراطية واجتماعية في نطاق المبادئ الإسلامية "، وهي نفس العبارة الواردة في الهدف المعلن لبيان أول نوفمبر 1954 تقريبا.

لكن الملاحظ كما يقول الأستاذ **لونيسي رابح** [135]- وكما لاحظنا نحن كذلك في النسخة المعتمدة لدينا في الدراسة؛ وهى النسخة المترجمة للبيان إلى العربية من الأصل الفرنسي الذي كتبت به - ورود مصطلح "**ديمقراطية اجتماعية** " بدل" **ديمقراطية واجتماعية** "، أي إسقاط "**الواو**" بين الكلمتين ؟ وهو في اللغة العربية "**الواو**"... الذي يفيد العطف ؟ والفارق طبعا بين وواضح بين "**الديمقراطية الاجتماعية**" و"**الديمقراطية والاجتماعية** "، ففي **الأولى** تحديد لنوع الديمقراطية "**ذات الصيغة والنمط الاشتراكي اليساري**". بينما في **الثانية،** إطلاق للمعنى، لترك مساحة للاجتهاد في نوع الديمقراطية التي تتطلبها الضرورة والمرحلة والظروف... بل إنها "**الديمقراطية**" التي تتأطر ضمن "**المبادئ الإسلامية**"، كما جاء في آخر العبارة؛ أي ألا تتعارض فلسفتها ومنطقاتها مع القيم الإسلامية : فكرا وممارسة وسلوكا. ولعل إسقاط " **الواو** " كان مقصودا من المترجمين وليس من باب الصدفة، الذي يؤكد ذلك ما ورد في أرضية الصومام 56م من إسقاط لإطار ومبادئ الدولة ؟.. حيث نصت في تعريف الدولة المراد إقامتها بعبارة: (**... دولة جزائرية في شكل جمهورية ديمقراطية، واجتماعية...**) [136]

أما بشأن لفظة " **ذات السيادة** " ففيه من الدلالة ما يستوقفنا، إذ أن التأكيد على "السيادة " فيها رفض صريح لكل أشكال الوصاية والتبعية للاحتلال أولا، أي رفض للشكل " **الفيدرالي** " الذي كانت النخبة تعزف على وتره سياسيا، ورفض " **للحكم الذاتي** " المنقوص، كما هو الحال مع الجارتين تونس والمغرب، خاصة النموذج التونسي في تبنى الاستقلال المرحلي القائم على مبدأ "**خذ وطالب** " أو "**سياسة المراحل**"، والتي ستكون أساس التفاوض بينهم وبين الفرنسيين بدءا من سنة 1955. وتتوج باستقلال ذاتي "**حكم ذاتي**"، كما فيه كذلك إشارة قوية إلى رفض الانخراط في الصراع الدولي آنذاك "**الحرب الباردة** " بين المعسكرين الشرقي الشيوعي والغربي الرأسمالي، وسعيهما إلى احتواء الحركات التحررية وثورات الشعوب - خاصة الكتلة الشرقية - لفرض إيديولوجيتها عليها، ووصايتها السياسية. بذلك فإن "**البيان**" أقر مبدأ "**السيادة الكاملة**" غير المنقوصة

---

[135] - رابح لونيسي: **بيان أول نوفمبر و أسس الدولة الوطنية (الجذور الفكرية و المضمون)**، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 54، العدد 07 نوفمبر 2002 : ص 26

[136] - النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، **مصدر سابق،** ص 12

للدولة المستقلة التي يرغب تشييدها كثمرة لكفاح الشعب وتضحياته. كما أصر على بعث " **الدولة الوطنية** " الحرة، "**الديمقراطية والاجتماعية ذات السيادة في إطار المبادئ الإسلامية**". هنا بيت القصيد: ما المقصود بالمبادئ الإسلامية ؟ وهل سبق ورودها - كذلك- في الأدبيات السياسية للحركة الوطنية ؟ وهل تم الالتزام بها ضمن المسار الثوري، وفي سياق العمل لبناء الدولة الجزائرية الوطنية ؟

إن قضية الإسلام ومبادئه من أهم القضايا التي صاحبت وواكبت حركة الجهاد الوطني أيام المقاومات في القرن 18 م، وفي فترة النضال الثقافي والسياسي الوطني على عهد الحركة الوطنية، وكان أقوى فصيل حمل " **القضية الإسلامية** "، هي " **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين** " التي حملت شعار: " **الإسلام ديني والعربية لغتي والجزائر وطني**". كما أن جل وثائق PPA - حركة الانتصار للحريات ، كانت تنص على " **المبدأ الإسلامي** " كمنطلق وسلوك في نضالها السياسي الوطني . بل إن " **النخبة** " بنوعيها: الليبرالية والشيوعية، كثيرا ما رفضت " **الإدماج** " الكلي، وأصرت على الحفاظ على أحوالها الشخصية الإسلامية انتماء وعقيدة، دون أن تتنازل عليها ، مقابل قبولها بالاندماج الاجتماعي والسياسي في مجتمع المستوطنين، خاصة بدءا من أواخر الثلاثينات وحتى اندلاع الثورة.

بذلك يمكن أن نقول أن " **بيان أول نوفمبر** " أكد ما كان مؤكدا سابقا في أدبيات الحركة الوطنية بهذا الخصوص ، لكن **الجديد** فيه هو: إزالة الغموض عنه وتحديد وظيفته بدقة بعد ما كان" **شعارا** " يفتقر إلى المفهومية الدقيقة، والإجرائية العملية. ف" **البيان** " قد حسم ما كان معلقا، وأزال الغموض والالتباس الذي أكتنف المسألة من قبل. فما المقصود إذا " **بالمبادئ الإسلامية** " التي نص عليها بيان أول نوفمبر 1954م ؟

يورد الدكتور **سعيد عليوان** توضيحا في المسألة فيقول[137] : (**كلمة مبادئ جمع مبدأ وهو الأصل والبداية والابتداء... ومبادئ العلوم هي مسائلها الرئيسية... وهي قواعد ومعايير عملية تبنى عليها قيم الأعمال** .) ويواصل تعليقه مؤكدا أن " **مبادئ الإسلام** " هي قواعده الأساسية التي يقوم عليها. وهي أدق وأشمل من كلمة قانون ؟ بذلك فأن بيان أول نوفمبر- تشرين الثاني 1954: (**قد قرر أن تكون الثورة الجزائرية، والدولة التي**

67- د.سعد عليوان، **قيم الإسلام في مواثيق الثورة الجزائرية (بيان أول نوفمبر، ميثاق الصومام 56، و برنامج طرابلس1962م)**، كتاب القيم الفكرية و الإنسانية في الثورة التحريرية الجزائرية، (مرجع سابق)، ص 32-39

ستقوم على إثر انتصارها متمثلة جميع قيم الإسلام.) فإن صح هذا التفسير فإن " **البيان** " قد فصل في المرجعية العقدية، الفكرية، والسلوكية للثورة الجزائرية؛ بل وللدولة المستقبلية التي ستقوم على ثمرة لكفاحها.

في المقابل نجد د.**عميراوي حميدة** تتساءل: هل حدد " **منظروا** " الثورة التحريرية هوية الشعب الجزائري في نداء أول نوفمبر- تشرين الثاني 1954 ؟ وهل رسموا أبعادها ؟ يجيب: (**... ما نلمسه في هدف الثورة التحريرية التي بدأت مشروعها الحضاري ببيان أول نوفمبر 1954م، الذي كان من أولوياته تحرير المجتمع الجزائري من الاستعمار الأوروبي وفرز هويته عن بقية الهويات الاستيطانية... وبتأسيس دولة جزائرية حرة ديمقراطية، قائمة على الإسلام دينا والعربية لغة، وعلى الثقافة العربية ممارستها.**) [138]

من جانب آخر فأن تأكيد دور " **العقيدة الإسلامية** " ومحوريتها في دفع عجلة الثورة، وتوفير " **الزخم الجهادي** " المطلوب في محاربة الاستعمار، يبدو أكثر حضورا وتأثير وفعالية، وهو ما انتبه إليه أحد الكتاب حين قال: (**... دور العقيدة الإسلامية في تطور الثورة المناهضة للاستعمار، وكذلك دور التقاليد العربية الإسلامية في التطور السياسي والاجتماعي... ومن الناحية التاريخية فإن الإسلام يكون القاعدة الثقافية والاجتماعية للجماهير الشعبية التي ترمز إلى كل نجاح في الحركة الوطنية الثورية في الجزائر...**) [139]

أما د. **أبو القاسم سعد الله** فيذهب مذهبا مغايرا في تقسيم مستوى حضور القيم الإسلامية، التي عبر عنها البرنامج الثقافي والسياسي للعلماء بامتياز: بالحضور الباهت والضعيف في البيان. ناهيك عن عدم قدرته على التعبير الصريح عن البعد الحضاري للأمة الجزائرية؛ ممثلا خاصة في مبدئي الإسلام والعروبة يقول: (**... يلاحظ بدون شك أن هناك غيابا لمبادئ جمعية العلماء المسلين التي رسمتها للجزائر ماضيا ومستقبلا، كما يلاحظ أن البيان لا يجيب على بعض النقاط بوضوح : كالهوية والإسلام والعروبة، وأنه ليس ميثاقا أو عريضة مرجعية ذات فلسفة وتصورات حضارية، وإنما هو وثيقة – سياسية- صحفية كتبت فيما يبدو على عجل وصيغت في عبارات بسيطة وعملية.**) [140] وهذا - في تقديرنا- ربما سبب "**التحفظ**" الذي أبداه حوله بعض العلماء.

---

[138] - د عميراوي حميدة ، **فاتح الثورة الجزائرية ، مقارنة بالثورات العالمية** ،مقال بمجلة المصادر (مرجع سابق) عدد 9،السنة 2004ص 18

69- George A. Talia doros. **la culture politique** …op. cit. ,p 63

[140] - الإبراهيمي، **في قلب المعركة**، مرجع سابق، ص 07

إجمالا يمكن القول: أن "**بيان 1954** " وفي سياق تحديد هدفه العام، قد حمل الملامح والخطوط العريضة لمشروع مجتمع متكامل، يتأسس ضمن إطار دولة جزائرية وطنية حرة وعادلة وديمقراطية ذات سيادة في إطار المبادئ الإسلامية، مستجيبة بوفاء لعناصر هويتها الحضارية وخصوصياته القومية. يفتخر مواطنوها بالانتماء إليها وخدمتها وحراسة وجودها - دون عقدة - ملغية كل ارتباط بالنظام الكولونيالي الظالم والمتعفن الذي عطل حركيتها ودورتها التاريخية ، طيلة قرن وثلث القرن من الزمن .

- أما الشق الثاني من الهدف العام، فقد أعطى "**التزام الشرف**" بحماية الأقليات غير المسلمة (مستوطنون من المسيحيين واليهود) في الجزائر، والتي ترغب في العيش في كنف "**الدولة الجزائرية**" التي حددها "**البيان** " بعد التحرير والاستقلال. فإن حقوقهم وحرياتهم الأساسية مكفولة من حيث كونهم غير جزائريين أو عند قبول " **المواطنة الجزائرية** "، حسب رغبتهم، فلن يقع تمييز تجاههم لا في الانتماء الاجتماعي، ولا في العقيدة الدينية... بل إن النصوص والقوانين هي التي ستضمن ذلك. احتراما للتنوع الاجتماعي والثقافي للمواطنين، والرعايا على حد سواء !.. جاء في البيان: (**احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني.)**[141]) وبذلك اكتمل الهدف الذي حدده البيان للثورة في : " **دولة جزائرية ديمقراطية واجتماعية، ذات سيادة ضمن إطار المرجعية الإسلامية"**، التي تحترم الآخرين وتضمن حرياتهم الاجتماعية والدينية. فماذا عن الأهداف الأخرى التي حددها البيان ؟

أ - **الأهداف الداخلية** : في هذا الجانب حدد بيان أول نوفمبر هد فين أساسيين :

الأول : يتمثل في " **التطهير السياسي** " للحركة الوطنية ، بمعنى نقلها من "**النهج الإصلاحي**" المنحرف والغارق في شتى ألأوان الفساد الذاتي والسياسي- باعتبار ذلك سبب تعطل الحركة الوطنية، وتخلفها عن الركب التحرري المغاربي - إلى ميدان الكفاح الوطني المسلح.

الثاني : التعبئة الشاملة لكل الطاقات الحية في الأمة، ومد اليد لكل الجزائريين للانخراط في العمل الثوري المسلح. ثم وتوجيه كامل الجهد والإمكانيات ضد العدو الوحيد، وهو النظام الاستعماري، لأجل تصفيته نهائيا .

---

[141] - النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني... **مصدر سابق** ص 05

بذلك فإن بيان نوفمبر- تشرين الثاني 54م يقدم "**شهادة** " على "**القطيعة الجذرية** " مع العهد الماضي، على مستوى الأهداف ووسائل العمل وصيغها، من خلال توجيه "**النقد اللاذع** " للحركة الوطنية وأساليبها القديمة في النضال، تلك التي أرهقتها وفرضت عليها سنوات من الجمود والروتين والانحراف السياسي. مما جعلها تحرم من السند الجماهيري، وتتجاوزها الأحداث إقليميا وعالميا ؟ !! لكن ذلك لم يمنع من مد "**اليد البيضاء** " لكل الفعاليات السياسية الوطنية ، كأفراد للمساهمة في انجاز هذه الأهداف .

ب- الأهداف الخارجية:

استكمالا للمهمة الداخلية، فقد عزز البيان ذلك، بوضع خطة تضبط الأهداف الخارجية للكفاح الوطني لأجل التحرك الدولي لدى "**الرأي العام العالمي الرسمي**"؛ ممثلا في الهيئات والحكومات، والمنظمات الدولية... إلى جانب العمل باتجاه "**الرأي العام المدني**" والشعبي بجمعياته وصحافته، ورجاله الشرفاء من المفكرين نشطاء حقوق الإنسان.. وغيرهم. كي يسندوا كفاح الشعب الجزائري، ويمكنوا قضيته من"**التدويل** " - أي أخذ "النزاع" الطابع الدولي مع المحتل الفرنسي، الذي طالما أصر على اعتبارها قضية داخلية- ومن ثم سحب الغطاء على جرائمه، وتجنيد الضغط الإعلامي والدبلوماسي ضده، للاعتراف بحق الجزائر في تقرير مصيرها. وكشف الجرائم الاستعمارية الأخلاقية والإنسانية، في حق الجزائريين العزل.(*******) ثم يدعو البيان "**الأمم المتحدة** " إلى تفعيل مواد ميثاقها لحقوق الإنسان، المعلنة في جويلية 1948، والمؤكدة حق الشعوب في الحرية وضمان حقوقها، وتقرير مصيرها بنفسها. وتحميلها مسؤولية التكفل بقضية الشعب الجزائري باعتبارها " **قضية حقوق وحريات** "، كما هي قضية عادلة، ويبدى البيان الاستعداد الكامل للتفاعل الايجابي بشأن "**المشكلة الجزائرية**" وبحث حل جذري لها.

أما المسألة الأهم في أجندة "**الأهداف الخارجية**"، فهي دعوة البيان ثانية لتأكيد الإطار الطبيعي للقضية وهو " **الإطار الوحدوي المغاربي العربي الإسلامي** "، وبالتالي الحسم في المسألة ودوائر انتمائها الجغرافي، والتاريخي والحضاري. جاء في البيان: (... **تحقيق وحدة شمال إفريقيا في داخل إطارها الطبيعي العربي الإسلامي .**) [142] وفي ذلك تأكيد لهدف سابق للاتجاه الاستقلالي (النجم خاصة) متمثلا في " **وحدة المغرب**

(*******) لمزيد من التفصيل حول الدور الدبلوماسي للثورة، وتداعياتها على علاقات فرنسا الخارجية، انظر : دراساتنا المنجزة في إطار مشروع بحث بعنوان " **تداعيات الثورة الجزائرية على علاقات فرنسا الدولية** " مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية جامعة قسنطينة : سنة2007

العربي "، وقد ترجم هذا المسعى في عهد الحركة الوطنية التأسيس سنة 1947 " **لجنة تحرير المغرب العربي "** بالقاهرة من قبل الأحزاب الثلاث: (حزب الشعب الجزائري وجمعية العلماء. م . ج + حزب الاستقلال المغربي + الحزب الدستوري الفرنسي)، وكانت فضاء للعمل المشترك لتحرير الأقطار المغاربية وبناء وحدتها، وقد تجدد وورد هذا الهدف في برنامج " udma" بعد تأسيسه سنة 1946 م .

لقد حدد - كما يقول رابح لونيسي- [143] دوائر الانتماء الثلاث للجزائر وهي : **"الدائرة المغاربية"** ، ثم **"الدائرة العربية "،" فالدائرة الإسلامية"**. وبذلك حسم في أبعاد الهوية الجزائرية، وتسبيق**"الدائرة المغاربية"** على **"الدائرة العربية"** في الانتماء والعمل ، يعكس تطلع **"صناع الثورة"** بحق إلى انجاز الوحدة المغاربية من جهة، والتأكيد الضمني على خصوصية المجتمع المغاربي فيما يتعلق **"بالثقافة البربرية المشتركة "**، وتأثيرها القوي والفاعل على الشخصية الثقافية، والاجتماعية المغاربية. وعدم طرح هذا البعد صراحة في البيان، يؤكد مبدأ **"الاحتراز "** من إمكانية تجدد **"المشكلة البربرية" ؟** التي كانت قد أرقت من قبل الحركة الوطنية سنة 1949 فيما عرف ب **"الأزمة البربرية"** التي كانت إحدى أسباب أزمتها، ولم يكن ذلك من قبيل التنكر لها بل أن التوقيت لم يكن مناسبا لطرحها لضمان وحدة الشعب والمجتمع، وتأجيل طرحها إلى ما بعد التحرر والاستقلال. فقد ورد عن الشهيد **"عبان رمضان "** أنه قال للمناضلين بمدينة شلغوم العيد بالشرق الجزائري، عقب الأزمة البربرية 1949م ما يلي : (**أن البث في المسألة سيتم بعد طرد الاستعمار الفرنسي، ولتحقيق ذلك يجب الحفاظ على وحدة الصف، وعدم إعطاء فرصة لضرب وحدتنا.**) [144]

الخلاصة أن " **النظرية الوحدوية** " في بيان أول نوفمبر 1954م، تمثل كما يقول الأستاذ خرنان مسعود: (**وحدة قيمة شاملة، ذات بعد تضامني استراتيجي، ومصيري لكسب المعركة... وعلى هذا المفهوم الفكري والإنساني وقع التعاطف ومساندة الثورة من قبل الأشقاء المغاربة والعرب وباقي الإنسانية في العالم.**) [145]

وقد جاء التأكيد على هذه القيم والمعاني في المواثيق اللاحقة (ميثاق الصومام 56، وبرنامج طرابلس 62)، كما جاء على لسان المؤسسات الثورية ومنابرها الإعلامية، وتصريحات رجالاتها... وفي إحدى تصريحات الحكومة

---

[142] - النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، مصدر سابق ص05

[143] - رابح لونيسي **" بيان أول نوفمبر وجذور** ، مجلة المصادر، مرجع سابق ص 36.

[144] - Khlfa Maàmeru ; **« Abane R-Heros de la guerre d'Algérie** « Ed rahma . Alger 1985 P 60

[145] - مسعود خرنان **: الوحدة المغاربية من خلال مواثيق الثورة الجزائرية '** كتاب القيم الفكرية والإنسانية... مرجع سابق ص 281-280.

المؤقتة للجمهورية الجزائرية ، جاء: (... **فالشعب الجزائري المتعلق بحضارته ينتمي إلى الوطن العربي، فهذا الوطن واحد، ومن الخطأ السياسي محاولة تقسيمه... فالتضامن العربي ليس كلمة جوفاء، فبفضل التضامن الفعال لهذه الشعوب الشقيقة وحكومتها أصبح الشعب الجزائري قريب من بلوغ هدفه** .) (146)

هكذا فأن فكرة الوحدة المغاربية والعربية، بدت ثابتا ومعلما بارزا في أدبيات الحركة الوطنية قبل الثورة، والتزمت بها وثائق الثورة، كما عبرت عنها بصراحة وحماس في بيانها الأول سنة1954، وفي أرضية الصومام 56- كما سيأتي ذكره- ثم باقي الهيئات والمنابر الثورية الأخرى... وليس بغريب ذلك أن بلدان المغرب العربي تمثل وحدة جغرافية متماسكة، وتركيبة اجتماعية متجانسة، وعمق تاريخي وحضاري واحد، ناهيك عن المصير المشترك، الذي دلت عليه شواهد التاريخ وأكدته نظرة وبصيرة الحكماء من: المفكرين والعلماء، ورجال السياسة، وقادة الرأي المخلصين .

وسائل الكفاح:

لقد فصل فيها " **البيان** " وأعلن تبنيه واتخاذه كل وسيلة منسجمة مع العمل الثوري، محققة للهدف والغاية المرسومة والمعلنة، إن على الصعيد الداخلي أو الخارجي، لتأكيد شرعية كفاح الشعب الجزائري وقضيته العادلة، و لأجل التنسيق الضروري والمطلوب مع كل الحلفاء الطبيعيين، من الجيران والإخوة - الأشقاء، وباقي الأصدقاء، وأحرار العالم... الرافضين لغطرسة وهيمنة المستعمر. ولا شك أنهم كثر عددا ونوعا ؟ والنصر قادم لا محالة -على الرغم من الاقتناع بكون "**التكلفة**" و" **الضريبة** " ستكون كبيرة وباهظة..!! لكن التضحية في سبيل الحرية والوطن لا تقدر بثمن ؟ جاء في البيان : (**إن هذه مهمة شاقة ثقيلة العبء ، وتتطلب كل القوى وتعبئة كل الموارد الوطنية، وحقيقة أن الكفاح سيكون طويلا ولكن النصر محقق .**) (147)

المحور الثالث :

فيه ركز البيان على " **الطبيعة السلمية** " لا العنيفة للإنسان الجزائري، ورفض الظلم والمشقة في سبيل لحرية والوطن، وأبدى الثوار استعدادهم الكامل للسلم وتفادي الخسائر وإراقة دم الطرفين: " **الجزائري والفرنسي** ". ولأجل ذلك تم إعداد وثيقة مشرفة "**وأرضية للمناقشة** " مع سلطات الاحتلال، إن كان في نيتها

---

146 - نفسه ص 288-289

147- **النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني**، مصدر سابق ص 05

ورغبتنا ذلك، جاء في البيان: (**...فقد أعددنا للسلطات الفرنسية وثيقة مشرفة للمناقشة، إذا كانت السلطات تحدوها النية الطيبة**) كما جاء فيه جس لنبض الفرنسيين، ومنحهم فرصة أخرى وأخيرة لحل " **المشكل الاستعماري** " في الجزائر بالطرق السلمية. لكن بشرط الاعتراف المسبق بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره بنفسه وفق الشروط المبيتة في البيان وهي:

1- الاعتراف بالجنسية الجزائرية بطريقة علنية ورسمية ..

2- فتح المفاوضات مع الممثلين المفوضين من طرف الشعب الجزائري على أسس الاعتراف بالسيادة الجزائرية ووحدة لا تتجزأ .

3- خلق جو من الثقة بإطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين ورفع كل الإجراءات الخاصة.[148]

بهذه الدعوة سحبت الثورة وبيانها البساط من تحت أقدام الفرنسيين، ولم تبق لهم من مبرر في رفض الدعوة إلى السلام، وبالتالي إبطال المزاعم و"**الدعاوي**"... التي يمكن أن تروجها، وقد تتخذها ذريعة لإعلان حربها العدوانية ضد الجزائريين. وان ذهاب الجزائريين إلى الكفاح المسلح والثورة كانت بمثابة " **دعوة** " أخيرة وجهت لإقناع الفرنسيين بحقوقهم المشروعة التي قامت الثورة لأجله: (**ولم تكن خيارا أو غاية في حد ذاتها، بل هي وسيلة صريحة لإعلان السلم، وإلزام الإدارة الاستعمارية بالامتثال للمواثيق والنصوص الدولية... وكانت الدعوة للمفاوضات دليلا قاطعا على نزع جبهة التحرير الوطني للسلم، واعتمادها العمل الدبلوماسي والسياسي، كأداة أساسية لفض النزاع بين الطرفين.**)[149]

لكن فرنسا " ميتران "- وزير الداخلية في حكومتها آنذاك - أجاب بعنجهية وغطرسة على نداء السلم بقوله: " **المفاوضات الوحيدة هي الحرب** "، كما أن السفاح " **بيجار** " Beiger"-الذي اعدم البطل الشهيد بن مهيدي سنة 1957 - برر سياسة القمع والتعذيب التي كانت منظمة ومنسقة ومتقنة. في تعاملها مع الثوار والشعب قائلا: (**التعذيب مرض لابد منه خلال الحروب.**) هذا في الوقت الذي تنادت فيه أصوات أصحاب الضمائر الحية من

---

148 - **نفسه** ص 06

149 - د.عامر رخيلة " **البعد الإنساني في الثورة الجزائرية** "– مجلة المصادر، مرجع سابق،عدد 07 نوفمبر 2002ص 54 .

اليسار الفرنسي والإنسانيين... وغيرهم، رافضة منطق التعذيب والحروب كوسيلة لفض النزاع الجزائري الفرنسي. [150]

على الرغم من الضمانات التي قدمها البيان للفرنسيين، بشأن مصالحهم الثقافية، والاقتصادية المشروعة على أنها ستحترم، كذلك الأمر بالنسبة: للأشخاص والعائلات وامتيازاتهم المحصلة بنفس الصفة. وتخيير المستوطنين بين: البقاء في الجزائر وإمكانية احتفاظهم بجنسياتهم الأصلية بوصفهم **"رعايا أجانب"**، أو **"التجنس"** بالجنسية الجزائرية، ويكون وضعهم وضع المواطن الجزائري، المكفول الحقوق والواجبات بنص المواطنة. ناهيك عن استعداد " **الجزائر المستقلة** " أن تفتح صفحة جديدة مع **"استعمار الأمس"** على قاعدة المساواة والتعاون، والاحترام المتبادل...الخ. كل تلك الضمانات والإغراءات، لم تقنع القوى الكولونيالية الغاشمة لتمد يدها للجزائريين، وتسوى المشكلة سلميا. فماذا بعد ذلك ألا الحرب ؟ جاء في البيان : **(وفي المقابل:**

1 - فإن المصالح الفرنسية ثقافية كانت أو اقتصادية، ومتحصل عليها بنزاهة، ستحترم، وكذلك الأمر بالنسبة للأشخاص والعائلات .

2- جميع الفرنسيين الذين يرغبون في البقاء بالجزائر، يكون لهم الاختيار بين جنسيتهم الأصلية... أو يختارون الجنسية الجزائرية...

3- تحدد الروابط بين فرنسا والجزائر، وتكون موضوع اتفاق بين القوتين الاثنتين على أساس المساواة والاحترام المتبادل.) [151]

لقد ركزت الثورة الجزائرية في بيانها المعلن سنة 1954، وفي باقي بياناتها ووثائقها اللاحقة، على " **المضمون الإنساني"**، لجعل الرأي العام الفرنسي يتحمل مسؤولياته اتجاه جرائم حكوماته، وساسته العسكريين. وكذلك الأمر مع أحرار العالم، باختلاف معتقداتهم وانتماءاتهم الدينية، المذهبية، والسياسية ليدركوا عدالة القضية الجزائرية، ويتفاعلون معها. وقد أكدت رسالة جبهة التحرير الوطني الموجهة للفرنسيين في 20 ماي 1956

---

[150] - انظر في ذلك: ببير هنري سيمون، ترجمة بهيج شعبان، **ضد التعذيب في الجزائر** ، ط1، دار العلم للملايين بيروت، 1957 ، وكذلك ريمون أرون ، **مأساة الجزائر** ترجمة سعيد صالح ط1، منشورات جمعية متخرجي المقاصد، بيروت 1957، وجون بول سارتر ، **عارنا في الجزائر** ط1، ترجمة عايدة وسهيل إدريس، دار الآداب بيروت- لبنان1958، صص46-66 .إلى جانب نداءات بعض الكتاب الجزائر كمالك بن نبي في رسالته الشهيرة " **النجدة الشعب الجزائري بيان** " التي وجهها إلى الأمم المتحدة والرأي العام الدولي من القاهرة بتاريخ : 17-06-1957 يناشد الضمير العالمي بالتدخل لإنقاذ الشعب الجزائري من الإبادة الجماعية المحققة التي يرتكبها الاستعمار الفرنسي. كتاب: **في مهب المعركة**، ص80-81

[151] - د.عامر رخيلة **مرجع سابق** ص 53.

ذلك، يوم انتفاضة الطلاب الجزائريين ضد الاحتلال الفرنسي وممارساته: (**إن الجزائر ستضمن الممارسة الحرة للحقوق المواطنة وواجباتها لكل الفرنسيين، الذين سيختارون الجنسية الجزائرية، ويتخلون عن وضعهم الأجنبي، والذي سيكون على كل حال نفس الوضع الذي تضمنه كل الديمقراطيات لضيوفها.**) (81مكرر)

ونفس المعنى أكده رئيس الحكومة المؤقتة " **فرحات عباس** " في الندوة الصحفية التي عقدها يوم 12 ديسمبر- كانون الأول 1960 بتونس، لما سئل بشأن: " **الضمانات** " التي تمنحونها للفرنسيين بعد الاستقلال ؟ فأجاب: (**لقد حددنا موقفنا من هذا الموضوع مرارا عديدة، وقلنا أن للأوروبيين الاختيار بين اكتساب جنسية جزائرية، وبين البقاء على جنسياتهم، وفي الحالة الأولى، تكون لهم نفس الحقوق، وعليهم نفس الواجبات التي للجزائريين عليهم. وفي الحالة الثانية فإن ذلك لا يمنعهم من العيش في الجزائر، ومن احترام حقوقهم.**) (81مكرر)

التزمت الثورة بهذا المبدأ "**الإنساني** " في الحرب، وتقيدت بقوانين الحرب، المستمدة من الشريعة الإسلامية، والمواثيق الدولية: من حسن المعاملة لأسرى الحرب، وعدم تعذيبهم أو إيذائهم والاعتداء على شرفهم أو كرامتهم الإنسانية - عكس ما فعل العدو حيث أسس مدارس للتعذيب، كمدرسة " **جان دارك** " سكيكدة سنة 1957 م... وغيرها !!؟ وقد جاءت شهادات الفرنسيين مؤكدة هذه الحقيقة الإنسانية والأخلاقية، في المضمون والممارسة للثورة الجزائرية. وهذه إحدى تلك الشهادات عبر عنها احد الضباط الفرنسيين لصحيفة فرنسية سنة 1959م تؤكد ذلك، مما جاء فيها: (**إننا نحب أن نعلن عن المعاملة الطيبة التي لقيناها من الجزائريين ، فلم نتعرض أبدا للشتم أو الإهانة، ولم يستعمل ضدنا أي ضغط مادي أو معنوي، وكنا نتناول طعامنا قبل الجميع، وفي غالب الأحيان كنا نخجل من هؤلاء الرجال، الذين يعاملوننا بمنتهى الطيبة والروح الإنسانية، في الوقت الذي خربت ديارهم وقتلت عائلاتهم.**) (152) و شهد شاهد من أهلها !

تلك إذا خلاصة **الرسالة "الإنسانية"** و "**الأخلاقية"** للبيان، و لثورة نوفمبر 1954 في كل مسارها، حيث نظرت إلى الإنسان بكونه: كائنا آدميا و أخلاقيا، قبل أن يكون "**مشروع سياسة"** أو "**حرب"**، في يد محترفي السياسة، و مجرمي الحرب، من أمثال المستعمر الكولونيالي الفرنسي في الجزائر. و قد اتخذت الثورة الجزائرية

---

152 - **نفسه** ص 61.

لنفسها منهجا في التعامل، و حل المشاكل- منذ أول يوم اندلعت فيه- قائم على **"روح السلم"**، و قيم الشريعة الإسلامية السمحة، و المثل الإنسانية العليا... فكان مشروعها في **"السلم و الحرب"**، هو مشروع **"السلام الإنساني"**، و حماية الحريات و الحقوق، و احترام الأخوة الإنسانية. بعيدا عن صور الهمجية و الوحشية الفرنسية الكولونيالية، التي لم ترع في الإنسان و لا الجماد... قيمة و لا شرعة، و لا موثق.

فهل بعد كل هذا يلام الجزائريون على انتفاضتهم و ثورتهم ضد العبودية و القهر؟ ودفاعا عن حق الإنسان كل الإنسان في الحياة الحرة الكريمة، في كنف المثل الإنسانية العليا.

<u>المحور الرابع و الأخير</u> :

لقد استهل البيان نداءه بعبارة: **"أيها الشعب الجزائري"**، جاءت أول فقرة أفتح بها، موجهة للشعب الجزائري. ما سر ذلك ؟ هل وثق محررو **"البيان"** حقا بالشعب و قدرته على تحمل المسؤولية ، حيال قضية كبرى بحجم **"الثورة"** ، وبالتالي استأمنوه عليها ؟ ألم يكونوا يعلمون بأن **"الشعب"**- معظمه- مؤطرا داخل التنظيمات السياسية ، و يأتمر بأوامرها و ينقاد لقراراتها ؟... أليس ذلك من قبيل المغامرة و الرهان على حصان مقيد في ربح سباق مصيري لا يقبل الخسارة ؟!... أسئلة تطرح نفسها، و تبحث عن سر تلك الثقة المطلقة بالشعب لدى مفجري ثورة نوفمبر 1954 ؟

إن طبيعة الاستعمار الاستيطاني، و ممارساته العدوانية في حق الشعب الجزائري، من : احتلال للأرض ومصادرة للأملاك، و قطع للأرزاق، و إهانة للمقدسات الدينية، و الاعتداء على حرمتها، و تشويه للتاريخ القومي، ومصادرته للثقافة الوطنية ولغتها العربية، و سياسة الفصل و التمييز الاجتماعي، و القهر السياسي الممارس. إلى جانب التزوير الانتخابي لإرادة الشعب، و حقه في التمثيل و التعبير الحر. ناهيك عن المجازر التي ارتكبها في حق الأبرياء، و الاعتداء على الأعراض... و تغييب كل صور و مظاهر الدولة الوطنية الجزائرية! كل ذلك وغيره، ترك بصمته وأثره على نفسية الجزائري، فأصبح حاله كحال الغريق الذي ينتظر القشة التي يمكن أن تنقذه قبل غرقه ! كما أصبح الشعب الجزائري، كما قال الشيخ الإبراهيمي، في بيانه الذي وجهه له يوم 15 نوفمبر- تشرين الثاني 1954م: (**أيها الإخوة الجزائريون الأبطال: لم تبق لكم فرنسا شيئا تخافون عليه، أو تدارون لأجله، و لم تبق لكم خيطا من الأمل تتعلقون به...،... إن فرنسا لم تبق لكم دينا و لا**

دنيا... و إنها سارت بكم من دركة إلى دركة... إن الرضا بسلب الأموال، قد ينافي الهمة و الرجولة، أما الرضا بسلب الدين والاعتداء عليه فإنه يخالف الدين، و الرضي به كفر بالله و تعطيل للقرآن !...،... إن شريعة فرنسا، أنها تأخذ البريء بذنب المجرم...، وهي بذلك مصممة على محوكم، ومحو دينكم وعروبتكم، وجميع مقوماتكم.)[153]

إنها أبلغ صورة - والله- **"للجريمة الفرنسية"** في حق الشعب الجزائري، و قد أوصلته إلى موقف أصبح فيه يتمنى الموت العاجل على حياة الذل و العبودية **!؟** هكذا خبر محررو البيان نفسية الشعب الجزائري، فرموا بالثورة في أحضانه و حملوه مسؤوليتها في البداية و النهاية... كما أرجعوا إليه سلطة القرار، و منحوه السيادة المطلقة في اتخاذه، و تحديد مصيره من خلال مصير الثورة. و كأني بهم يعلنون **"استفتاء عاما"** حول الثورة، دون حملة انتخابية مسبقة ؟ لأن الحملة كان قد قام بها الاستعمار منذ سنة 1830 و حتى سنة 1954، و قد أعد الشعب و اقتنع بما فيه الكفاية، بضرورة التصويت على الثورة **"بنعم"** ؛ ولعلها كانت مزية و حسنة الاستعمار الوحيدة تجاه الشعب الجزائري !

إن البيان قد اعترف واقر منذ البداية **"سيادة الشعب"**، و سلطته التي يجب أن تمارس في ظل **"اختياره السيد و الحر"**، و كانت هذه أول **"خطوة ديمقراطية"** ، في البناء الديمقراطي الوطني الذي دشنته الثورة ليلة الفاتح من نوفمبر- تشرين الثاني 1954م، فجاء في البيان : **(أنتم الذين ستصدرون حكمكم بشأننا - نعني الشعب عامة-...)** [154] ، و قد توخي مفجروا الثورة أن يعلموا الشعب كيف يسترجع حريته و قراره و اختبار منذ البداية، تلك الحرية، و ذلك الحق الذي ظل مصادرا طيلة قرن و ثلث القرن من الاحتلال ؟ و الباقي اليسير منه، كان قد احتكرته بعض زعاماته الوطنية، عبر منطق استبدادي، و تهارش سياسي؛ غيب قضية الوطن و مصير الشعب. ولولا قلة من الأخيار من الثوار، الذين قال فيهم د.سليمان الشيخ : **(... إن لقاء الأقلية الفاعلة، و المنظمة بقوة، بالأكثرية التي انتبهت لندائها، هو الذي أتاح لشرارة أول نوفمبر أن تشعل الحريق الذي امتد**

---

[153] - الإبراهيمي، **في قلب المعركة**، مرجع سابق، ص17-18

[154] - النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني. مصدر سابق ص03

شيئا فشيئا، حتى ألهب كل المناطق.) [155] ذلك هو اللقاء... وتلك هي صناعة الثوار... و الاستفتاء الشعبي على الثورة منذ البداية، حين حمله البيان المسؤولية. فبماذا ختم **"البيان"** نداءه ؟

لقد ختم البيان نصه بفقرة تضمنت نداءا جديدا للشعب ولكل جزائري أبي، يدعوه لمباركة و تزكية هذه الوثيقة - "البيان" ، بل يذكره بأن التزكية المطلوبة؛ هي من قبيل الواجبات التي الملزمة في ساعة الخطر، و عند اللحظة الحاسمة لإنقاذ مركبة الوطن من الغرق؟ لأنه إذا غرقت حتما سيغرق كل من فيها. و كان المركب **"مركب الوطن"** الذي يحمل الجميع : مناضلين ، ثوار، و شعب . فهل نتركه لمصيره المحتوم الذي خططه له العدو؟ جاء في خاتمة البيان: (**أيها الجزائري ! إننا ندعوك لتبارك هذه الوثيقة، و واجبك هو أن تنظم إليها لإنقاذ بلادنا، و العمل على أن نسترجع له حريته..)** [156]

الملاحظ أن البيان- النداء- كما أسلفنا- استهل بعبارة **"أيها الشعب الجزائري"**، و فيه تخصيص مقصود للمواطنين الجزائريين؛ من أصول اجتماعية و ثقافية جزائرية، بينما ختم بعبارة **"أيها الجزائري"** و فيه توسيع و تعميم لكل الجزائريين- بما فيهم السكان غير الأصليين من غير المسلمين من المسيحيين و اليهود، وقد منحهم من قبل الضمانات الكافية - أن ينخرطوا جميعا لإنقاذ الوطن؛ باعتباره وطن الجميع. و هو خطاب ذكي فيه من المرونة و الدبلوماسية، ما ينم عن مستوى عال من النضج والقدرة على صناعة الخطاب، والإقناع معا !

يواصل البيان: (**إن جبهة التحرير الوطني هي جبهتك، و انتصارها هو انتصارك**)، وفي ذلك إشراك للشعب مسؤولية احتضان الجبهة - كذلك كتنظيم سياسي- و حمايتها من العواصف و الأعاصير، التي ستهب في إبحارها بالثورة إلى بر الأمان، كما فيه من الإغراء **"بالمغنم الإستراتيجي"** القادم، وهو الانتصار و ثمرته ! ثم يختم البيان بصورة من التضحية، و تقديم النموذج لذلك من قبل محرري البيان- قليل مثله في التاريخ -حيث وضعوا أنفسهم في الصف الأول من المعركة، مؤكدين إصرارهم عليها، واثقين بأن الشعب إلى صفهم ضد الاستعمار الامبريالي. مقدمين أنفسهم **"قرابين"** للوطن وحريته، فكانوا كذلك كما وعدوا ؟!.. (**أما نحن**

---

[155] - سليمان الشيخ، **الجزائر تحمل السلاح**، مرجع سابق، ص81.

[156] - النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، مصدر سابق ص06

العازمون على مواصلة الكفاح، الواثقين من مشاعرك المناهضة للامبرياليين فإننا نقدم للوطن أنفس ما نملك.) [157]

بهذا ختم البيان "**المشهد الثوري**" الذي رسمه، بأول قربان للحرية يقدم من صانعيه؛ الذين لم يبخلوا بأنفسهم ودمائهم... لأن القضية التي تروى بالدم تظل حيا ابد الدهر، كما يحفظها التاريخ، و ترويها الشعوب لأجيالها، لا كقصص للتسلية، بل "**كميراث**" يجب أن يحفظ و يصان أبد الدهر... و صدق المرحوم بوضياف حين قال: **(لقد نشأ أول نوفمبر من فكرة الاعتماد على الشعب أساسا.)** [158]

ختاما لهذا المبحث، يمكن التأكيد على أن "**بيان أول نوفمبر** 1954» بمحاوره الأربع التي وقفنا عليها بإيجاز ! حمل من: المشاعر الوطنية، القيم الفكرية، المنطلقات الإيديولوجية، الدلالات السياسية، و الآفاق المستقبلية... الخ. ما يمكن أن نعتبره "**نظرية**" و "**مشروع مجتمع**" متكامل المضامين و الأبعاد. وقد سعى إلى "**إعادة التأسيس**" للدولة الوطنية ـ التي غيبها الاحتلال قهرا ـ ، و بعث الإنسان الجزائري صاحب المواطنة الكاملة، سيد القرار في الاختيار والقرار؛ في إطار أبعاد الشخصية الجزائرية.

تلك التي بلورتها تجارب التاريخ، و صقلتها محن الزمن؛ فخرجت صافية «كمعدن **الذهب**"، و "**جواهر اللؤلؤ**"؛ متمثلة في: قيم الإسلام (عقيدة و سلوكا)، ووشائج العروبة (لغة و ثقافة)، ومبادئ الإنسانية (أخوة وسماحة، و تعايش...) و بذلك اكتمل العقد، و تمت الصفقة، و جاء الوعد الصادق نصرا خفاقا... بإذن الله أولا، و إرادة الشعب الجزائري البطل ثانيا.

---

157 - **نفسه** ص 06.

158 - محمد عباس، **ثوار عظماء**، مرجع سابق، ص 33

<u>المبحث الثالث</u>: موقع و**أهمية البيان ضمن المسار الثوري**

يكتسي بيان أول نوفمبر- تشرين الثاني 1954م أهمية قصوى، لا من حيث كونه أعلن باسم **"جبهة التحرير الوطني"** اندلاع شرارة الثورة، و بداية الكفاح المسلح ضد الاستعمار الفرنسي فقط، بل لأنه رمى بالثورة إلى الشعب، و ألزمه **"واقع الأمر"** الذي كرس الخيار المسلح كوسيلة أخيرة و وحيدة؛ لتحصيل حق الشعب الجزائري في الوجود **أولا**، و بناء دولته الوطنية الحرة ذات السيادة **ثانيا**. بعد أن أثبتت التجارب السابقة فشل باقي الحلول المطروحة في هذا السياق، وبعد مناشدة القوى الوطنية الحية و السليمة أن تضم طاقاتها ورصيدها النضالي لتغذية الزخم الثوري، والالتفاف حول المشروع النوفمبري للتحرير والكرامة .

لقد وضع بيان أول نوفمبر- تشرين الثاني 54م، هدفا حيويا- على المستوى الداخلي- و هو: محاربة الفساد، و تصحيح الاعوجاج، و رد قاطرة الكفاح الوطني إلى سكتها، لبلوغ الاستقلال. و من ثم دعا إلى تشكيل **"جبهة موحدة"** للتحرير الوطني، تفتح حضنها لكل الجزائريين، من كل الفئات الاجتماعية، و السياسية... لأجل الاندماج في معركة التجرير. لكنه وضع شرطا أساسيا لذلك ؟ في مقدمته **"الالتزام الفردي"** لا **"الالتزام الحزبي"**، و في ذلك دلالة قصد منها عدم تكرار تجارب الماضي في **"الائتلاف السياسي"**، التي لم تعمر طويلا بسبب التناقضات : الفكرية، السياسية، والشخصية...الخ. من مثل تجربة **"المؤتمر الإسلامي"** سنة1936، و **"جبهة أحباب البيان و الحرية"** 1944، و كذا تجربة **"جبهة الدفاع عن الحرية"** 1951سنة.

و عليه - كما يقول الأستاذ سليمان الشيخ - فإن: **(صفة المناضل في جبهة التحرير لا يمكن أن تقبل أي انتساب لأية مؤسسة سياسية أخرى.)** [159] و كان أن قدم البيان **"جبهة التحرير"** للشعب الجزائري وتشكيلاته السياسية باعتبارها: **"موجه الأمة و محرك الثورة"**. هكذا نرى الشعب الموحد حول **"جبهة التحرير"** والثورة؛ يلملم صفوفه ويتوحد، وبدت **"الجبهة"** رمزا للوحدة الشعورية والعملية المحررة، طالبت بصفتها التمثيلية **"الحصرية"**. و استطاعت تحقيقها و فرضها في أقل من سنة و نصف، و تحديدا في ربيع- أفريل- ابريل 1956م، عندما أعلنت التشكيلات السياسية الوطنية الأساسية : (الاتحاد الديمقراطي للبيان، العلماء، و المركزيين...) الالتحاق الرسمي و النهائي بالثورة، و حل تنظيماتهم الحزبية و الثقافية لصالحها.

إلا استثناءا نشازا، عديم الصلة بالجماهير قضية و موقفا ؟ انه **الحزب الشيوعي الجزائري**، إلى جانب **الجناح المصالي** للحركة الوطنية الاستقلالية، الذي لم يتفهم دعوة الثورة ونداء الجبهة، واليد الممدودة للثوار الأوائل. فكان أن وجدا نفسيهما على هامش الثورة، يسبحان ضد التيار- خارج دورة التاريخ و حكمه الذي لا يغفر ولا يرحم- يقول **الشيخ** في ذلك : **(هناك استثناءين في هذا الإجماع الجميل، إذ يأبى حزبان سياسيان الإمحاء لمصلحة جبهة التحرير، أحدهما يتألف من الأوفياء اللاشرطيين لمصالي، الذي ينشئ منذ ديسمبر 1954 ما يسمى بالحركة الوطنية الجزائرية (MNA)... والثاني الممثل بالحزب الشيوعي الجزائري، يدافع بعنف عن استقلاله العضوي وعن جبهة التحرير...،... فالأول يعتمد على الماضي، و الثاني يعتمد على المستقبل، و لكن الاثنين معا ينفيان، بعنف مختلف "هذا الحاضر" !!** ؛ **أي حاضر يفرض فيه وحدة النضال تحت لواء جبهة التحرير.)** [160]

يا للمفارقة العجيبة! فـ**"مصالي"** الرجل الوطني الراديكالي والثوري، الذي بح صوته بنداءات الاستقلال و الثورة ، طيلة مسيرته النضالية -التي امتدت لحوالي ثلاثة عقود من الزمن !- يجد نفسه خارج السياق الثوري عند اللحظة الحاسمة، و نداء التاريخ والشعب الجزائري؟ فكم كانت سخرية القدر مؤلمة، و حكم التاريخ صعبا وقاسيا، يوم ينتصر الإنسان لنفسه وغريزته في السيطرة، على حساب قضايا الأوطان والشعوب... فهل من معتبر ؟

---

[159] - سليمان الشيخ، **مرجع سابق** ص 345.

[160] - **نفسه** ص 347.

أما الحزب الشيوعي الجزائري الذي بني أيديولوجية، و فكره السياسي على فكرة الانتصار "**البروليتاريا**"، والفئات الاجتماعية و طبقاتها المضطهدة والمحرومة من قبل البرجوازية، وحكم الامبريالية العالمية المتغولة... الخ. نجده يتنكر لهذه الإيديولوجية و الفكر، ويتخلى عن "**صراعه الطبقي**"، وحلمه بمجتمع العدالة الاجتماعية و مساواة الجميع لصالح "**التحالف**" مع الطبقة الكولونيالية النافذة، ومصالح الامبريالية الرأسمالية العالمية... على حساب تلك الفئات.

لكن "**نهر الثورة العظيم**" الذي شق طريقه في "**الزمن الثوري**"، و تغذى من "**ينبوع الشعب**" كما تدعم بهبوب "**رياح الفكر الوطني**" الأصيل. لن تقف أو تحول دون وصوله إلى "**مصبه**" وغاياته، بقايا الصخور الهشة، ولا تجمع "**نفايات**" الوادي من القش، وأوراق الخريف الساقطة **!** فرجالات الثورة الذين أعلنوا تقدمهم قافلة الموكب، بإيمان و يقين بالنصر كانوا قد حسموا خيارهم الوطني الثوري منذ زمن بعيد. وها هو "**ابن بولعيد**" - أسد الاوراس- يعلن للمحتلين منذ ثماني سنوات قبل اندلاع الثورة، أن رهانه على الله، وعلى الشعب الجزائري وحده ؟ فيرد على "**مساومة قذرة!**" لحاكم بلدته ب"**أريس**" في انتخابات المجلس الجزائري سنة 1948 - بعد نجاحه في الدور الأول ومساومته في الدور الثاني - قائلا: (**إذا نجحت عند الشعب فلا شأن لي بالنجاح عند فرنسا.**)[161] وقد قال عنه "**فرانسوا مونتاي**" الرائد في المخابرات الفرنسية الذي استنطقه بعد أسره في 12 فيفري- شباط 1955: (... **لأنني خرجت بانطباع راسخ بأن بن بولعيد رجل مؤمن بالثورة..، إنه لن يلين و سيقاتل حتى آخر رمق دفاعا عن الشعب و وحدة الجزائر واللغة العربية.**) كذلك كان فعلا: عفيفا، شريفا، مخلصا؛ إلى أن أهدته "**يد الغدر**" الفرنسي الشهادة في مارس - آذار 1956م.

و ها هو "**ابن مهيدي**" - رفيق ابن بولعيد- في الاجتماع التاريخي 22 في جوان- يونيو 1954م، يقول لزملائه: (**القوا بالثورة إلى الشعب فسوف يحتضنها**)، و بوضياف - العقل المدبر والمخطط للثورة- يعلن بعد اندلاع الثورة، وبعد تحقيق الاستقلال؛ مؤكدا أن الثورة وأول نوفمبر جاءا بعد يقين في الشعب و إرادته قائلا: (**لقد نشأ أول نوفمبر من فكرة الاعتماد على الشعب.**) كلهم كانوا كذلك**!** فماذا بقي لغيرهم يوم كسبوا الثورة، ونالت الجبهة ثقة الشعب. وقد قال الشاعر أبو القاسم الشابي:

إذا الشعب يوما أراد الحياة * فلا بد أن يستجيب القدر !

161- محمد عباس، **ثوار عظماء** ..مرجع سابق ، ص 56.

بعد كسب "**رهان الشعب**"، واصطفاف القوى الوطنية السياسية إلى جانب الثورة... تكرس خيارها كثابت في أجندة الكفاح الوطني. و بدأت عملياتها المنظمة لدك حصون العدو، و استرجاع الأرض، فكانت معركة **الجرف الأولى** أفريل- ابريل 1955، و **هجومات 20 أوت- آب** 1955م.. الخ. إجابة حاسمة، و قطع للشك باليقين. ولذلك قال عنه "dépêche " في كتابه "**زمن الفهود**" **"le temps des leopard"** : (**... إنه الهجوم الأول الحقيقي لحرب الجزائر... دخلت حرب الجزائر الآن مرحلتها النشيطة، الأقنعة تسقط والسياسات ستتطور من الآن فصاعدا سيكون هناك "قبل 20 أوت و ما بعد 20 أوت.**) [162]

هكذا استطاعت الثورة في مدى السنة والنصف، أن تحقق دعم شعب كامل، وإنجازات سياسية وعسكرية أبرزها: "**الانطلاقة**" و "**الوعي الثوري**" لدى الجماهير، ثم "**انضمام القوى السياسية**" و نخبها و "**التوسع الميداني**"، و تحقيق الانتصارات العسكرية الواحدة تلو الأخرى...الخ، فصارت الثورة "**حقيقة**" و واقع، في منطق الصديق و العدو؛ ثورة وطنية راهنت على الطبقات الوسطى، وعموم الشعب الجزائري.

غير أن ظهور "**الجبهة**" كقوة قيادية للحركة الثورية أقنعت بها الجميع، لكن طريقة التجسيد العملي لمشروع الثورة كان يكتنفه بعض الغموض في أذهان البعض ؟ خصوصا و أن صانعيها الأوائل قد بدءوا يختفون من الساحة بصورة أو بآخر: ك **بوضياف** الذي رحل إلى الخارج ولم يعد، و **بن بولعيد** الذي اسر ثم استشهد ، و **ديدوش** الذي **استشهد** قبله كذلك، و **خيضر** و **ايت أحمد** و **بن بله** ، الذين كانوا في القاهرة بعيدين جغرافيا عن ميدان و قلب المعركة.

لكن ظهور أحد رجالات الحركة الثورية القدامى على الساحة - بعد أن أطلق العدو سراحه بعد 05 سنوات تقريبا من السجن، ربيع 1955 - "**عبان رمضان** " - رجل الثورة في المرحلة القادمة - الذي أقنع ، حسب رواية محمد حربي زيغود يوسف بتنظيم عمليات 20اوت- آب 1955م. وقد ساعدته في مهمته الجديدة، وهي تحويل الجبهة من "**هيئة للثورة**" إلى "**جبهة فعلية**" لكل الفعاليات الوطنية السياسية ، والمدنية. والذهاب بها - بعد تكليفه من قبل كريم بلقا سم، الذي عهد إليه بمهمة الإشراف عليها في العاصمة (المنطقة الرابعة)، وتحديد

---

[162] - علي كافي، **مذكرات...** مرجع سابق ص 89.

وجهتها- إلى "**مرحلة التنظيم."**[163] التي كان مفجروا الثورة قد طرحوا بشأنها سؤالا في اجتماعاتهم الأخيرة التحضيرية للثورة مفاده:**هل ننظم ثم نفجر الثورة أم العكس؟**

قلت: جاء " **عبان** " وكأنه مبعوث السماء في الوقت المطلوب ! ليعزز مسار الثورة، ويعلن للمرتابين والمترددين والخائفين، بأنه قد حان الأوان ليختاروا معسكرهم ؟ وكتب موضحا بأن هدف الثورة هو الاستقلال، وليس الثورة الاجتماعية - كما هو واقع في الصين وأماكن أخرى- قائلا: (**إن الصينيين يقومون في ذات الوقت بمقاومة وطنية وبثورة اجتماعية، أما نحن فسنقف في منتصف الطريق الذي اختاروه، وذلك أن الثورة الثانية غير مطروحة بالنسبة لنا فقد حملنا السلاح من أجل هدف محدد وهو التحرير الوطني.)** [164] بهذا يدشن بداية التحول الجديدة في مسار الثورة، ويضيف نقطة جديدة في منجزات "**بيان أول نوفمبر- تشرين الثاني 1954** "؛ إنها مرحلة "**التنظير"** الفكري، والتنظيم السياسي والمؤسساتي للثورة. هذه المرحلة التي سيلعب فيها عبان رمضان، و نشطاء الحركة الوطنية من: البيانيين والشيوعيين والطلاب... وغيرهم، الدور الكبير والحيوي فيها، ومن ثم بداية "**التوازن التنظيمي"**، ثم "**الصراع"** بين العسكري والسياسي في مسار الثورة.

عموما يمكن لنا إبراز "**أهمية البيان وموقعه ضمن المسار الثوري"**، من خلال المنجزات التي حققتها الثورة والجبهة معا، خلال الفترة الأولى من عمرهما (الانطلاق والتوسع)، الممتدة من نوفمبر- تشرين الثاني 1954 حتى أوت - آب 1956م وهي :

1 - **التوحيد السياسي والاجتماعي** لأغلبية الشعب ونخبه السياسية والفكرية الوطنية ، تحت لواء "**جبهة التحرير الوطني"**، الجناح السياسي، **و"جيش التحرير الوطني** " الجناح العسكري للثورة .

2 - التأكيد على **الوحدة الجغرافية** للجزائر، وضمان **الوحدة الترابية** لها في حدودها النهائية .

3 - التأسيس **للدولة الوطنية** المستقبلية المستقلة، "**البنت البكر للثورة"** الجزائرية؛ ذات الطابع الجمهوري، والبعد الاجتماعي، والممارسة الديمقراطية الحرة. وصاحبة السيادة في قراراتها وخياراتها الكبرى،

[163] - حربي: **الثورة سنوات المخاض،** مرجع سابق ، ص 148-149 ... لكن الكل يعلم أن الهجومات جاءت استجابة لواقع داخلي للمنطقة و فرضته سيطرة المستوطنين عليها ، وكذا بتنسيق مع المنطقة 1- التاريخية " **الاوراس** " التي رأس أحد قادتها "**شيحانى البشير** "، زيغود؛ طالبا منه القيام بعمليات لفك الحصار وتخفيف الضغط على الاوراس . انظر في ذلك: محمد لحسن زعندي ، **مؤتمر الصومام، وتطور ثورة التحرير الجزائرية (54-62)** ط1- و ك الجزائر ؟ ص.136-146، وكذلك علي كافي، **المذكرات،** مصدر سابق .

-94 Francis jeanson **, l'Algérie hors la loi** .Le seuil, 1955,P 302 et suiv.

ضمن إطار إسلامي، ثقافي - حضاري. معززة لدوائر الانتماء الطبيعي لها: المغاربي، العربي، والإسلامي.

4 - تأكيد " **الطابع السلمي**" التفاوضي المشروط، كأسلوب مقبول في منطق الثورة لتحصيل الاستقلال، وطي صفحة الاستعمار. وبداية صفحة جديدة لمعالجة قضايا المستقبل، في كنف الاحترام والتعاون مع عدو الأمس؟ دون نسيان "**الذاكرة التاريخية**" للشعب الجزائري أو إهمالها، باعتبارها جزءا من كينونته وتطوره التاريخي، وحق للأجيال القادمة في معرفتها وتقويمها

وعليه - ومن خلال ما سبق- يمكن القول: بأن ثورة نوفمبر 1954 ، وبيانها التاريخي " **نداء أول نوفمبر 54** "، لم يولدا من العدم، كما لم يبدأ من الصفر؟ وأنهما لا ينتهيان ك "**مضمون ورمزية**" بيوم النصر العسكري والسياسي على المحتل، ولن ينتهيا بإعلان الاستقلال سنة 1962م؛ بل هما "**اطراد ثوري** " مستمر، **و"حركة تغيير**" جذرية وشاملة نحو التحرر الشامل، التجديد، والنهضة؛ ذلك أن هدف الثورة الآني كان "**الاستقلال** "، بينما الهدف الاستراتيجي هو "**البناء الحضاري** " وتفعيل قيم وفلسفة "**بيان أول نوفمبر 1954**". وبالتالي يجب الحفاظ على تلك المكاسب المحققة: بالدفاع والحماية، التدعيم والتطوير المستمر لها، حتى تتحول إلى "**مرجعية فكرية وسياسية**" للدولة والمجتمع، **و"مشروعا مستقبليا**" للوطن، **و"ذاكرة تاريخية**" وطنية حية للأجيال القادمة .

فنوفمبر- تشرين الثاني 54 أولا و آخرا؛ هو تجسيد لمشروع جديد، ومجتمع وليد. إنه وليد القرن 20م، وثمرة المقاومة والنضال الوطني ضد القوى الاستعمارية الكولونيالية المتغطرسة ! استلهم وسار مع حركة التاريخ، وتيارها المتصاعد من نصر إلى نصر. فهو كما يقول د.ولد خليفة : " **نظرية للتحرر**" و"**قواعد المنهج**" [165] الثوري، وخلاصة مكثفة لأهم وأكثر الخلاصات نضجا وتطورا في مسيرة شعبنا المكافح، وصيرورته التاريخية الفاعلة نحو المستقبل الواعد. فماذا عن الصومام 56م؛ محطة التقويم والتنظيم، ومنعرج التحول الشامل في مسيرة الثورة ؟... ذلك ما سوف نحاول التعرف عليه في الفصل الثاني من هذه الأطـروحة.

---

[165] - ولد خليفة، **الثورة ومكاسبها الباقية**، مجلة المصادر، مرجع سابق، ص 81.

الفصل الثاني

[illegible] 1956 [illegible]

1- ظروف انعقاد مؤتمر الصومام أوت-أب 1956م وصدور وثيقته

2- المحتوى والمضمون الفكري والسياسي لوثيقة الصومام56م

3- البوادر السياسية... وآفاق الثورة بعد الصومام

4- أهمية وثيقة الصومام بالنسبة للثورة

لقد نجحت القيادة الثورية لجبهة التحرير الوطني إلى حد كبير، في تحقيق أهداف الثورة الأولى التي أعلنها بيان أول نوفمبر- تشرين الثاني 1954م؛ متمثلة في إنجاح انطلاقة الثورة، والالتفاف الشعبي الجماهيري حولها، وانضمام معظم القوى السياسية الوطنية، وحل نفسها لصالح الثورة و الجبهة - باستثناء الحركة المصالية و الحزب الشيوعي- كما كان لالتزام شخصيات سياسية مرموقة من مثل : عباس فرحات، الإبراهيمي، المدني، و أوزقان عمار... وغيرهم، بالثورة أثره في تمكين الجبهة من كسر الطوق الدبلوماسي الذي سعت فرنسا و حلفائها إلى فرضه عليها، و بالتالي زيادة الاعتراف الدولي بها . ناهيك عن الانتصارات العسكرية الحاسمة التي حققتها الثورة على مستوى الداخل، مثل: هجومات 20 أوت -آب 1955م، ومعركتي الجرف الشهيرتين الأولى والثانية (55-56م)، وكذا فتح جبهة الغرب الجزائري بالمنطقة الخامسة، و تعميم الثورة إلى معظم مناطق الوطن ! كل ذلك مكن الجبهة خلال السنتين تقريبا، من التفكير في ضرورة إيجاد أطر أكثر ملائمة تنظيميا وسياسيا؛ حتى تستوعب المستجدات الثورية، و تحتوي كافة القوى الوطنية الحية المنخرطة في مشروعها التحرري، وبالتالي تتمكن من توجيه الثورة بكيفية أكثر انضباطا و تخطيطا لتحقيق أهدافها وغاياتها.

في الاتجاه المضاد فقد صمم المستعمرون و متطرفي الكولون، و حلفائهم السياسيين و العسكريين في الجهاز الإداري والعسكري الفرنسي، ومؤسسات الحكم التنفيذية والتشريعية الرسمية...الخ؛ عزموا مجتمعين على إجهاض الثورة بكل قوة ؟ حيث شرعوا في إعداد مخططات سياسية (برنامج سوستيل أفريل - ابريل 1955) و عسكرية، من خلال تنفيذ مخططات التقسيم الرباعي -الكادرياج - الأمر الذي عقد من مهمة الاتصال بين مختلف القيادات الثورية (العسكرية و السياسية) في الداخل والخارج، و زادت الحاجة إلى السلاح و المال. وكذا إلى التنسيق والتكوين السياسي للفرق المسلحة، و توضيح الرؤية السياسية للمسئولين وكافة عناصر الجبهة. كي تستطيع مواجهة مخططات العدو- التي أشهرها كل من "**غي مولي**" "Guy Mullet" - من خلال اتصالاته ببعض قادة الثورة و المعارضين، لتشكيل قوة ثالثة يبحث معها التسوية المبرمجة، كما طمع "**روبير لاكوست**" ".R . Lactose" في القضاء على الثورة عبر الوسائل العسكرية.

كل تلك التطورات والتحديات معا، جعلت قيادة الثورة تحسم موقفها في ضرورة إعداد و بناء في إستراتيجية شاملة، تتوخى تقييم التجربة القصيرة للثورة، وتتخذ من مبادئها و أهدافها..، كمعالم في التحضير للمعركة القادمة؛ ذات الأبعاد و المهام المختلفة. و كان من اللازم لإنجاز كل ذلك، والتقاء قادة الثورة، للتحضير لعقد لقاء

وطني جامع تدرس فيه مختلف التطورات والأوضاع، ويشرع "**الميثاق سياسي**"، و "**تنظيم عسكري**"، و "**أطر مؤسساتية**"، و"**فلسفة تنظيمية**"...الخ؛ تستوعب المشروع الثوري النوفمبري ! و تدفع به نحو التحقق، لأجل تصفية الوجود الاستعماري بشكل نهائي .

فكان اجتماع الصومام م 1956 المحطة، المنعرج، والتاريخ. فكيف تم التخطيط له ؟ و ما هي ظروف وملابسات انعقاده ؟ من الأطراف المشاركة والغائبة عنه، ما حيثيات كل ذلك؟ هذا ما سنتعرض له في المبحث الأول من هذا الفصل؛ متابعة وتحليلا.

<u>المبحث الأول</u> : ظروف انعقاد مؤتمر الصومام أوت- آب 1956... وصدور وثيقته:

إن التطورات التي حصلت بين الفاتح من نوفمبر- تشرين الثاني 1954، و صيف 1956م، بخصوص ظروف العمل الثوري، واتساعه من جهة، وتوافد القوى الوطنية والمنظمات الجماهيرية (العمال والطلبة...) للالتحاق بالثورة، ناهيك عن ظهور الجبهة و جيش التحرير كما وأنهما مجموعة من الأجهزة الوظيفية اللاممركزة، في ظل غياب إستراتيجية عمل موحدة و مشتركة، يمكن الاستهداء بتوجيهها...الخ . كل ذلك جعل الثورة - كما يقول ابن طوبال- تظهر في صورة تنظيمات، وسياسيات، و شعوب داخل ولايات مختلفة.. ؟ **(كان من الممكن أن يكون هناك ست سياسات مختلفة و كذلك ست شعوب مختلفة مثلما كان يوجد ست ولايات مختلفة.)**[166]

بهذا فرضت ضرورة العمل، و تشتت القوى، و غياب التنسيق، و مواجهة **"ملف العدو"** الطامع في القضاء على الثورة في بداياتها... الذهاب إلى **"مؤتمر وطني"** لمعالجة مكامن الضعف في الجبهة، و الرد على خصومها؛ الذين زعموا أن الثورة بدون تنظيم و تنسيق، وكان في زعمهم ذاك جانب من الحقيقة، كونها أي: (**الثورة الجزائرية، ليست تمردا ذا طابع فوضوي، محدود محليا، من دون تنسيق، و لا قيادة سياسية، و محكوما عليها بالفشل.)**[167] ذلك أنه حتى قبل الدعوة إلى عقد المؤتمر، كانت كل منطقة تتمتع بتنظيم قيادي سياسي وعسكري يدير شؤونها، ويضبط حركتها، و يراسل المناطق الأخرى بشأن القضايا المشتركة، و القرارات الكبرى المصيرية..الخ. بدا هذا العمل نشطا و كثيفا خاصة بين المناطق الأولى و الثانية، و بين الثانية و الثالثة، و التنسيق شبه الدائم بين المنطقة الرابعة والثالثة بقيادة كل من: كريم بلقاسم، أوعمران، وعبان... وغيرهم، الذين طرحوا أنفسهم كقيادة للثورة - على الأقل - على مستوى الداخل .

حسب رابح بيطاط فإن مجموعة الست كانوا قد اتفقوا على الالتقاء بتاريخ 11 جانفي - يناير 1955، من أجل تقييم العمل المسلح و تنظيم أمور الثورة.[168] و من ثم فإن فكرة عقد المؤتمر كانت مقررة منذ اليوم الأول لاندلاع الثورة، مما يعني إيلاء الأهمية لجانب المتابعة والتقييم منذ البداية. لكن الظروف المستجدة بعد قيامها،

---

166 - محمد حربي، **جبهة التحرير الوطني الأسطورة و الواقع**، ترجمة كميل قيصر داغر، ط1، مؤسسات الأبحاث العربية، بيروت لبنان 1983، ص 147

167 - نفسه ص : 147

168 - إبراهيم لونيسي، **التجربة الديمقراطية في الوطن العربي**، مرجع سابق، ص 247

من :اعتقال واستشهاد لبعض الزعماء، و الحصار الشديد الذي ضرب على المناطق الثورية من قبل قوات العدو، و صعوبة الاتصال... الخ ؛ كلها عوامل أجلت عقد اللقاء التقييمي المبرمج سلفا. بهذا فان عقد المؤتمر جاء استجابة لقرار كان قد اتخذ، كما أن تطورات الثورة، و الحاجة إليه عجلت بتنفيذ الفكرة وعقد اللقاء في الصومام.

يعتقد أن الشهيد **زيغود يوسف** هو صاحب مبادرة إحياء فكرة عقد مؤتمر وطني تحضره كل المناطق، مقترحا منطقة الشمال القسنطينيي - التي كان يشرف عليها بعد استشهاد ديدوش مراد- مكانا لعقده (شبه جزيرة القل). و قبل ذلك فإن قيادة المنطقة الثانية كانت قد دعت إلى مؤتمر محلي بقيادة زيغود في 01 نوفمبر- تشرين الثاني 1955 م- أي بعد مرور سنة من اندلاع الثورة- في دوار بني صبيح، حضره 400 مجاهدا، تناول بالتقييم عمليات 20 أوت 1955، وتطور الثورة بالمنطقة الثانية. و حسب **علي كافي،** فإن المؤتمر المحلي كان قد خرج بقرارات من بينها :

1- إيفاد ممثل عن المنطقة الثانية لمعاينة الوضعية الثورية والتنظيمية في الاوراس.

2- الاتصال بباقي المناطق لتقييم شامل، و تحديد إستراتيجية عامة و قيادة موحدة، و بحث حل لقضية السلاح.

3- إنشاء المجالس الشعبية لأول مرة، وهي مبادرة ذاتية اعتمدت لاحقا في تنظيم و تأطير الشعب، في وثيقة الصومام56، التي استوحت حسبه، "**الهيكل التنظيمي للثورة**" و عممته على المستوى الوطني بعد أوت - آب 1956م. [169]

في نفس الشهر، أي نوفمبر-تشرين الثاني 1955م زار **عمارة رشيد** ا- مبعوث المنطقة الرابعة - المنطقة الثانية، فعاين الوضع الثوري والتنظيمي بها. حيث اقترح عليه قائد المنطقة الثانية- زيغود يوسف- (**ضرورة عقد مؤتمر وطني من أجل التقييم و بلورة الطريق التي حددها أول نوفمبر، و تكوين قيادة موحدة على المستوى الوطني.)** [170] ثم عاد عمارة رشيد حاملا رسالة مطولة من زيغود، سلمها إلى عبان رمضان، أطلع "**أوعمران**" على فحواها. و بعد تشاور بشأنها وافقا على مضمونها. حسب ما يذكر محمد حربي، فإنه وبدءا من شهر مارس - آذار 1956م اتخذت الإعدادات لمؤتمر الصومام شكلا ملموسا، من خلال إرسال "**سعد دحلب**"

---

[169] - علي كافي: **مذكرات**... مرجع سابق، ص 93-94 ، و كذلك محمد عباس، **اغتيال حلم، أحاديث مع بوضياف،** دار هومة الجزائر 2001، ص 190

[170] - علي كافي ، **مرجع سابق،** ص 97

من قبل عبان إلى الشمال القسنطينيي، للتباحث مع زيغود بشأن عقد المؤتمر. لكن "**علي كافي**" يؤكد أن دحلب وفد إلى المنطقة الثانية، في شهر ديسمبر- كانون الأول 1955م، أي بعد ثلاثة أسابيع من مغادرة عمارة رشيد لها، و كان دحلب قد حمل رسالة إلى قيادة المنطقة الثانية؛ تتضمن موافقة قيادة المنطقة الرابعة على عقد المؤتمر كما اقترح زيغود .

بدأ زيغود العمل الميداني لتحضير انعقاده، بتحديد منطقة "**المشروحة**" - بجبال بني صالح شرق مدينة قالمة- مكانا لعقده، لكن استشهاد **باجي مختار** قائد الجبهة أو الناحية هناك حال دون ذلك **!** فاستبدل المكان بـ: "**بو الزعرور**" بالقرب من شبه جزيرة القل، غرب مدينة سكيكدة، وعين "**كافي علي**" مسئولا مباشرا على التحضير. لكن العملية توقفت كذلك بعد وصول رسالة من المنطقة الأولى -الاوراس- ، تتضمن خبرا مأساويا يتضمن الإخبار عن استشهاد قائدها: **مصطفى بن بولعيد؟ !** وحسب كافي دائما، فإن زيغود علق على الرسالة بعين دامعة و قال "**قتلوه !**"[171] و هنا نطرح التساؤل: من كان يقصد زيغود، هل هم الفرنسيين أم جهات أخرى داخل الثورة ؟.. لم يورد أي تعليق أو إجابة عن ذلك **!!** وتبقى الرواية المتداولة بشأن استشهاد ابن بولعيد هي قضية جهاز الاتصال الملغوم، أو "**عملية كانتات**"[172] « cantate » !

يذكر بعض الكتاب أنه بمناسبة اتفاق مجموعة الست - في اجتماعها الأخير قبل اندلاع الثورة 23- 24 أكتوبر- تشرين الأول 1954م - على ضرورة عقد لقاء تقييمي تشاوري بعد شهور من اندلاع الثورة؛ أي في منتصف جانفي- يناير 1955م، أنه كان من واجب **محمد بوضياف** - وهو منسق المجموعة- أخذه مبادرة الدعوة إلى هذا الاجتماع التنسيقي، وتحضير الوثائق الأساسية التنظيمية والسياسية المطلوبة، لتقييم النشاط الثوري. لتنظيمها، وضبط مسارها وآليات إدارة معركتها، لأجل اتخاذ القدرة على اتخاذ القرارات الملائمة لاستمراريتها ؟.. لكن بوضياف تخلف عن تبني هذه المبادرة - التي هي من صلب مهامه التنظيمية و الثورية- مما أوجد فراغا تنظيميا و سياسيا، دفع البعض إلى استغلاله لإطلاق مبادرات بهذا الخصوص. و كان الشهيد **مصطفى بن بولعيد** واحد من هؤلاء المبادرين. حيث يورد مصطفى هشماوي أن وثيقة الولاية الأولى المقدمة للمؤتمر الوطني الثالث لتسجيل أحداث الثورة، تؤكد بأن الشهيد بن بولعيد كان قد وجه - بعد فراره من سجن قسنطينة في 11 نوفمبر-

---

171 - نفسه ص 98

172 - انظر تفصيل القضية في: أحمد شقرون، **عملية كانتات**، مجلة **المصادر** الصادرة عن المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، عدد: 07 ، نوفمبر 2002، ص 189-194

تشرين الثاني 55م- مبعوثين إلى المنطقة الثانية والثالثة، يحثهم إلى السعي إلى عقد لقاء لقادة الكفاح الوطني، و اقترح منطقة سوق أهراس كمكان لعقد الاجتماع، كما اتصل بأحد أعوانه جنوب تونس المدعو **"عبد الحي"**، طالبا منه تحضير الإمكانيات المادية لتغطية حاجة اللقاء.[173]

لكن الاستجابة والرد لم يجيئا من قيادة المنطقتين المذكورتين ؟ ! و إذا صحت الرواية فإن المنطقة الأولى وقائدها ابن بولعيد، يكونا أول من أطلق مبادرة لعقد لقاء تنظيمي- تقييمي للثورة، وبحث استراتيجيه لتحركها، و بذلك يكون لهما الفضل في ذلك، و في الالتزام بتنفيذ القرارات التي اتخذتها لجنة الست المفجرة للثورة. لكن الحيرة و الغرابة في عدم التجاوب مع المبادرة ؟ و إقصاء الاوراس من الحضور لاحقا في الصومام 1956م .

ثم جاءت رسالة ثانية من عبان و قيادة المنطقة الرابعة (العاصمة)، تقترح منطقة الصومام بالقبائل، داخل حدود المنطقة الثالثة، كمكان لعقد المؤتمر- باعتبارها منطقة وسط لحضور القادة- وحدد تاريخ 20 أوت- آب 56م، حسب علي كافي فقد كان ذلك تكريما و تشريفا وتخليدا لهجومات 20 أوت - آب1955م . لكن - ربما- يكون ذلك انطباعا شخصيا منه، لا موقفا معبرا عنه من قيادة المنطقة الرابعة؛ باعتبار هذه الأخيرة كانت قد تحفظت من قبل على الهجومات، و اعتبرتها غير مناسبة، و كان عبان قد انتقد بشدة قيادة المنطقة الثانية معتبرا بأن الأحداث قد: (**مست بقدسية الثورة.**) [174]

بذلك انتقل التحضير للمؤتمر إلى المنطقة الرابعة، تحت قيادة عبان رمضان الذي أنشأ - حسب كافي دائما- الهيئات و الاتحادات لمختلف شرائح المجتمع (الطلبة، العمال، الفلاحين..)، معتبرا ذلك عملا يحمل خلفيات محسوبة استعدادا لمؤتمر الصومام[175] ؛ حتى يتمكن من استعمال بعض العناصر والفئات كورقة، كانوا يقدر أنها كاسبة، و تخدم أغراضه في احتواء الثورة . من جهة أخرى فإن الوفد الخارجي للثورة المقيم بالقاهرة (ابن بله، ايت أحمد، محمد يزيد، و خيضر...) كان قد أرسل تقريرا سياسيا كتبه **ايت أحمد** و **محمد يزيد،** اقترحوا فيه - على الصعيد التنظيمي- تكوين قيادة من 12 عضوا. تتألف من قادة المناطق الستة، و ستة آخرين من البعثة

---

[173] - محمد حربي، **جبهة التحرير...** مرجع سابق، ص 147

[174] - مصطفى هشماوي، **جذور نوفمبر 1954 في الجزائر**، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، ط1، الجزائر؟ ص 111.

[175] - على كافي: **مرجع سابق**، ص 99

الخارجية.[176] تحضيرا للمؤتمر المزمع عقده، كما تؤشر الرسالة إلى رغبة في المشاركة الفعالة تحضيرا و تأطيرا للمؤتمر من قبل هذه العناصر القيادية بالخارج.

لكن عبان سوف يعمل على تجاوز رغبة البعثة الخارجية، و يسعى إلى إبعاد العناصر الديناميكية في المجموعة ممثله خاصة بابن بله، و محمد بوضياف؟ ! خصوصا بعد أن ضمن إلى جانبه حليفيه الجديدين كريم بلقا سم، و محمد العربي بن مهيدي. فما حقيقة و دواعي ذلك ؟ حين عاد ابن مهيدي من مهمة خارج الوطن لجلب السلاح، وانتظار استقبال الشحنة المفروض قدومها من القاهرة إلى إسبانيا، و منها إلى مراكش؛ لكنها لم تصل ؟ مضى باتجاه القاهرة في فيفري- شباط 56، هناك وقف على السبب؛ ممثلا في رهن مركب الأسلحة بالظرف الدبلوماسي بين حكومة القاهرة وفرنسا، و أطراف أخرى؟ مما جعل الشحنة تتعطل، كما تأكد من عدم وجود قيادة موحدة للجبهة بالخارج - كما هو الأمر بالداخل - بل كانت عبارة عن مجموعات و أفراد تسعى لإيجاد قيادة.

عند عودته إلى الجزائر، تعرف- عن طريق عبان- إلى حجم الخلافات بين البعثة الخارجية تحت سيطرة ابن بله، محساس، و بوضياف..، و مجموعة عبان، و كريم في الجزائر؛ الساعين لتزعم الثورة و توجيهها، مع تحالف الأخيرة مع المنطقة الثانية الشمال القسنطينيي. فما كان من ابن مهيدي إلا مؤازرة هذه المجموعة - مجموعة الداخل- ذات القاعدة العريضة وسط تنظيمات الطلبة، العمال و الفلاحين، ناهيك عن نفوذها العسكري على المعركة داخل البلاد...الخ. كل ذلك جعل عبان و كريم و حلفائهما في الداخل، يستأثرون بالقرار في الصومام56 ، و يقصون بطريقة ذكية مجموعة الخارج من المشاركة والحضور.

ففي منتصف جوان - يونيو 1956، اجتمع كل من: كريم ، عبان، أعمران، و ابن مهيدي بالعاصمة، و اتخذوا سلسلة قرارات أبرزها :

1- تنظيم إضراب عام يوم 05 جويلية - يوليو 1956 ، لتأكيد التفاف القاعدة العمالية و التجارية حول قيادة الجبهة و الثورة.

2- عقد مؤتمر و طني للثورة، تجتمع فيه كافة مناطق الوطن قبل نهاية صيف 1956[177] و تقرر في نفس الاجتماع بدء التحضير للمؤتمر، و تقاسم المهام على النحو الآتي :

[176] - حربي، **مرجع سابق**، ص 147

ابن مهيدي : مكلفا بمهمة الاتصال بالمناطق، لإقناعها بالحضور و التمثيل في المؤتمر.

عبان: مكلفا بمهمة إعداد الوثائق، و قد اختار لجنة يعهد إليها بإعداد أرضية الصومام.(*)

كريم و أعمران : مكلفان بمهمة اختيار المكان، و ضمان شروط الأمن لوفود المؤتمر .

وكانوا قد حددوا الموعد في البداية ب 30 جويلية - يونيو؛ بقلعة بني عباس - حيث ضريح المقراني بطل ثورة 1871- ثم أجل اضطراريا إلى 20 أوت -آب 1956، بعد شرود البغلة المحملة بالوثائق، و وقوعها في قبضة العدو ما بين "مشدالة" و "تازمالت"، ببني منصور قرب البويرة. فكانت منطقة غرب وادي الصومام، و تحديدا منطقة "**أوزلاقن**"، بلدية "**أيغزر أمقران**"، دائرة "**أقبو**" مكانا استقر عليه القرار و الرأي. و يرجع الأستاذ **زغيدي**، دواعي اختيار المكان إلى: (**اعتباره مظهرا من مظاهر السيطرة العسكرية لجيش التحرير، لأن هذا المكان بالذات الذي اختير للمؤتمر، كان الفرنسيون يزعمون أنهم سيطروا عليه، لذلك أراد قادة جيش التحرير أن يكون المؤتمر قويا من بدايته، و أن يتحدوا العدو و يظهروا للرأي العام الفرنسي، و العالمي مدى قوة و سيطرة جيش التحرير الوطني في حربه ضد الاستعمار.)** [(178)] لكن الواقع أن حصانة المنطقة طبيعيا (تضاريسيا، وغابيا...) و وعورة مسالكها، إلى جانب قربها من المنطقة الثانية، كان وراء اختيار المكان. ناهيك عن رغبة قادة المنطقة الثالثة، بعد توافقها مع الرابعة اجتماعيا..، عزز من حظوة المكان.

إذا شئنا حوصلة الواقع الثوري و السياسي الذي هيأ لانعقاد مؤتمر الصومام 56، فيمكن القول أن ثلاثة عوامل صنعت الحدث، و ألزمت الذهاب إلى المؤتمر لاستدراك الوضع الثوري، و تحضير خطة و إستراتيجية تحرك جديدة..، عساها تدفع بالثورة للخروج من الطوق الأمني، و التعثر التنظيمي، و تعدد الرؤوس و القرار؛ الذي لازمها بعد الانطلاقة. ناهيك عن رحيل بعض قادتها التاريخية استشهادا أو اعتقالا. ويمكن لنا أن نلخص كل ذلك في العوامل التالية :

1- ضعف التنسيق الثوري في الداخل، وكذلك مع الخارج ؟ بسبب التباعد الجغرافي، والحصار العسكري و الأمني... الخ ؛ مما شكل تهديدا حقيقيا و خطيرا على الثورة، و نقطة ضعف يمكن أن يستعملها العدو الفرنسي لضربها، و تفكيك بنيتها غير المكتملة .

---

[177] - محمد عباس، **ثوار عظماء**، مرجع سابق، ص 123

(*) تكونت اللجنة من السادة: عمار أوزقان، عبد الرزاق شنتوف، محمد لبجاوي، عبد المالك تمام. عملت اللجنة تحت إشراف عبان نفسه.

[178] - لحسن زغيدي، **مؤتمر الصومام و تطور ثورة التحرير الوطنية الجزائرية 1956-1962** م مرجع سابق، ص 119

2- تضارب التصريحات و المواقف بشأن خيارات الثورة و آفاقها: بين الاعتراف المسبق بالاستقلال أولا، ثم التفاوض على أساسه، أو التفاوض على شروط. و كان هذا التضارب معبرا عنه في تصريحات قيادات الداخل خاصة عبان ، و كريم، و قيادة الوفد الخارجي بالقاهرة ، ممثلا بشكل خاص في ابن بله و بوضياف؛ هذا الذي وجدت فيه قيادة العدو وإعلامها، مادة دعائية لإثارة البلبلة و الريبة، بشأن الانقسام بين زعماء الثورة، وادعاء غياب متحدث حقيقي باسم المقاومة يمكن التعامل أو التفاوض معه ؟ ومن ثم البحث عن طرف ثالث غير الجبهة لبحث تسوية معه .

3- تفكك و ذهاب النواة القيادية النوفمبرية - ذات الموقف الثابت و الواضح بشأن قضية الاستقلال والتحرر- من خلال الاستشهاد (ديدوش، وابن بولعيد)، أو الاعتقال(بيطاط). هذا ما أثر سلبا في نهجها ومسلكيتها، و عطل عجلة القيادة. وكذا الدور الأساسي المنوط بها في معركة حاسمة ومصيرية؛ كمعركة التحرير الوطني. ناهيك عن تعثر مهمة التسليح المفترض ضمانها من قبل وفد الجبهة في الخارج...الخ؛ هذا ما شكل صعوبة بالغة في إدارة المعركة مع قوة خصم مسلح بامتياز عدة و عتادا، أوجد ذلك هوة سحيقة في ميزان التكافؤ بين الطرفين المتحاربين.

4- اتفاق كريم و أوعمران مع عبان رمضان ، على تكوين نواة قيادية جديدة للجبهة - بعد تكليف هذا الأخير بالشؤون السياسية للجبهة - ما جعله رحمه الله يعتمد في جهده لتنظيم الثورة قبل مؤتمر الصومام على بناء قيادة جديدة اعتمادا على مبدأ: **"توحيد جميع الجزائريين"** - باستثناء المصاليين، والشيوعيين الرافضين للانضواء تحت لواء الجبهة - كشرط أول لا بد منه في نظره، و من ثم فتح أبواب الجبهة لكل الفعاليات الوطنية، حيث جمع بداخلها: ثوار أول نوفمبر 54، مع أعضاء اللجنة المركزية، إلى جانب العلماء و البيانيين، مع بعض القيادات الشيوعية المنفردة. ناهيك عن بعض الأوربيين المتعاطفين. وبذلك نقل جبهة التحرير الوطني مع وضع أو صيغة الحزب الثوري، إلى جبهة ثورية حقيقة، أو كما يقول الأستاذ محمد عباس بأنه مارس: (**منطق جبهوي في محتواه إن لم يكن في شكله.**) [179]

هكذا فقد دافع عبان بقوة وحزم، عن فكرة فتح الجبهة لكل التيارات السياسية الوطنية، التي كانت تنشط في الساحة الوطنية قبل الثورة، لكي تساهم في الدفع لبلوغ هدف الثورة، على الرغم من التحذير الذي أطلقه كريم و

---

[179] - محمد عباس، **ثوار عظماء**، مرجع سابق، ص 368-369

تحفظه على العملية قائلا: (**... ينبغي إشراكهم بحذر في أمور الثورة، و منعهم من تحويل هياكلها إلى أطر للخصومات البيزنطية كما حدث في السابق.)** [180] لكن عبان كان ينظر إلى المسألة لا من زاوية صراع الأشخاص، و حساسيات الأفكار. بل من منطلق تجميع القوى الوطنية، في سبيل إنجاز مشروع التحرر والوحدة الوطنية؛ فكان تأكيده على أنه **: (يجب أن تصبح الجبهة مرادفة للوحدة الوطنية ، لذلك يجب علينا أن نعتمد كل الحركات السياسية، حركة فرحات عباس، و المركزيين و العلماء بل و حتى الشيوعيين... لقد تخلوا جميعهم عن خطهم السياسي لصالح جبهة التحرير الوطني، لذلك يجب أن يكونوا ممثلين.)** [181]

المواقف المؤيدة والمعارضة لمؤتمر الصومام 1956م

ضمن هذا السياق جاء تنظيم عقد مؤتمر الصومام أوت- آب 1956م، ذلك المؤتمر الأول في تاريخ الثورة الجزائرية، الذي سعى منظموه إلى إظهاره في صورة **"المؤتمر الجامع"** الناجح ؟ بمعايير المشاركة و التمثيل، و القرارات و الوثائق الصادرة عنه..، ناهيك عن الهيكل التنظيمي المادي و البشري الذي أفرزه، و ما كان له من تأثير على مسار الثورة...الخ. في حين دأب معارضوه على إظهاره في صورة المؤتمر **"الانتقائي"** و**"الإقصائي"** ! الذي اختزل الثورة في مناطق محددة، و استأثر أشخاص بعينهم بمصيرها، واحتكار الجبهة وتنظيماتها لتحقيق مآرب شخصية، ولتصفية حسابات فئوية؛ لا تنسجم و الهدف - الغاية المعلنة للثورة في بيان أول نوفمبر- تشرين الثاني 1954م، كما لا تخدم المصلحة العليا للشعب و الوطن، الطامحين للإنعتاق والتحرير والسيادة.

ونجد من التبرير الموضوعي والسياسي المقدم من كل طرف، في عرض وجهة نظره حيال عقد المؤتمر و قراراته؛ ما يحتاج إلى مزيد من النظر و التفحص والتقويم؛ بعيدا عن صراعات الأشخاص، و أوهام التسلط و الحكم، و النزعات الفئوية و الجهوية المقيتة. و لعل وقفة مع ظروف التحضير، الانعقاد، المكان، الأشخاص، والوفود الحاضرة والغائبة... الخ. و كذا القرارات المتخذة، كلها توحي بمدى وحجم اللاتناغم الذي كان سائدا على الأقل بشأن: تمثيل الأشخاص والقيادات في الداخل والخارج، و كذا تقسيم المناطق الثورية. حيث يلاحظ حضور قيادات: المنطقة الثانية، الثالثة، والرابعة فقط، دون باقي المناطق: (الأولى، القاعدة الشرقية "سوق

---

[180] **- نفسه** ص 123

[181] -Couriere(Yve) **: la guerre d’Algérie** (paris 1968) T3,P: 921

أهراس"، الجنوب، منطقة الغرب، فيدرالية الجبهة بفرنسا، والوفد الخارجي بالقاهرة !!) ؛ مما يعطي الانطباع الأولى بكون المؤتمر نظم بصفة استعجاليه. ولعل فيه من الانتقائية والإقصاء ما ستظهره بعض قراراته، وتركيبة القيادة في المؤسسات المنبثقة عن المؤتمر. والتساؤل المطروح: لماذا لم تحضر كل المناطق الثورية بالداخل - على الأقل- أشغال المؤتمر؟

اختلفت الروايات والشهادات بهذا الخصوص، فعلي كافي يذكر أن وفد منطقته بقيادة زيغود يوسف، لم يكن على علم بعدم حضور المناطق الأخرى، وأن عبان وحلفائه هم وراء العملية لحسابات خاصة بهم.([182] كما يؤكد أن ابن مهيدي، كان قد تكلم ومثل المنطقة الخامسة دون وثائق، وقد غادرها - اى المنطقة الخامسة- إلى العاصمة منذ أكثر من 06 أشهر، دون الاجتماع بقيادة المنطقة، كما لم تشارك في التشاور معهم بشأن المؤتمر؟ ! أما المنطقة الأولى- الاوراس- فإن قائدها **"ابن بولعيد"** ، كان قد سقط شهيدا في ساحة الشرف في مارس - آذار 1956م، ولم يحضر ممثلين عنه وعنها، عدا أخ ابن بولعيد **"عمر"** على رأس مجموعة من الجنود، لكنه غادر قبل بدء أشغال المؤتمر، مع تأكيده الالتزام بما سيصدره المؤتمر. لكن من خوله باتخاذ مثل هذا القرار، وهو لم يكن مسئولا عن المنطقة ؟ ! ثم ما مدى صحة هذه الرواية المزعومة ؟

أما تقرير منطقة الصحراء بقيادة **"سي الشريف"**، فقد تلي في غياب ممثليها ؛ و بخصوص فيدرالية الجبهة بفرنسا، فقد قدم تبريرا بكونها لم تهيكل بعد. الحقيقة أن **"عبان"** نفسه كان قد عين **"صالح الوانشي"** كمستشار سياسي لفدرالية الجبهة قبل انعقاد المؤتمر بمدة (شهور).[183] فلماذا لم يحضر هذا الأخير، أو من ينوب عنه ؟ أما بخصوص الوفد الخارجي بقيادة ابن بله و بوضياف، فقد بقي جزء منه في **"سان ريمو"** بإيطاليا، والآخرين **"بطرابلس"** ينتظرون الإشارة الخضراء لدخول الجزائر ولحضور المؤتمر. لكن الإشارة لم تأت من الداخل، إلا بعد انقضاء المؤتمر، ليبلغ الوفد بقرارات الصومام، وقد تم كل شيء كما لو أن ثمة اتفاقا على إقصاء أعضائها .

هكذا كان عقد مؤتمر الصومام في 20 أوت - آب 1956م، و تمت الدعوة إليه لحل مشكلات الثورة، ولبحث سياسة وإستراتيجية جديدة للتحرك، ومواجهة خطط العدو... لكن يبدو أنه جاء ليدشن عهد جديد الصراعات الداخلية، و يستأنف تجربة الحركة الوطنية المريرة قبل الثورة . فهل كان قدر الثورة التي مر على

---

[182] - على كافي، **مذكرات**... مرجع سابق، ص 102

[183] - محمد حربي، **جبهة التحرير الوطني...** مرجع سابق، ص 148

قيامها، ونجاح انطلاقتها حوالي 22 شهر؛ أن تقع فريسة هوى الأشخاص والأجهزة، والأطماع السلطوية من جديد؟ أم أن المؤتمر و قراراته ستفتح عهدا جديدا من الممارسة الثورية الديمقراطية ؟ وكذا احتواء الخلافات داخل المؤسسات- كتعبير عن الموقف الديمقراطي الحر- وأن عجلة الثورة ستستمر في السير نحو هدفها بوسائل وأساليب أكثر نجاعة؛ عبر تكاتف العمل العسكري في لداخل، والجهد الدبلوماسي والإعلامي لقيادات الجبهة بالخارج. ذلك ما سنحاول رصده و الوقوف عليه: تحليلا و تعليقا من خلال التعرف على مضمون وثيقة وأرضية الصومام، وأهم دلالاتها الفكرية و السياسية، المواقف بشأنها... في ثنايا مضامين المبحث الموالي.

المبحث الثاني : المحتوى و المضمون الفكري و السياسي لوثيقة الصومام 56م

لقد تم تعيين مكان وزمان انعقاد الاجتماع -المؤتمر بوادي الصومام بالمنطقة الثالث، ووجهت الدعوات ممضية من قبل كريم بلقا سم - قائد المنطقة الثالثة- و يمثل ذلك تقليدا تنظيميا باعتبار منطقته المستضيفة للمؤتمر والمؤتمرين، ولعل في ذلك أيضا ما يعبر عن الطموح والرغبة في تزعم الثورة . الملاحظ أن مجموعة الخارج استثنيت، حيث لم توجه لها الدعوة كتابيا. فبقي خيضر في روما، بن بله في مدريد، بوضياف في المغرب، و صالح الوانشي- حليف عبان- في مرسيليا بفرنسا؛ و هو ممثل فيدرالية الجبهة في المهجر و الجالية هناك بفرنسا. كما لم تحضر- كما أسلفنا- المناطق الأولى، الخامسة، السادسة (الجنوب)، والقاعدة الشرقية من الداخل. واقتصر الحضور على المنطقة الثانية بوفد من 06 قادة برئاسة زيغود، والثالثة - المنظمة للمؤتمر- بوفد من 04 قادة برئاسة كريم بلقا سم، والرابعة بوفد من 02 قادة، أما المنطقة السادسة فحضرت بواحد(على ملاح) الذي لم يكن قائدا للمنطقة، بينما حضر عبان رمضان المؤتمر بصفته ممثلا للجبهة. (184)

و التساؤل المطروح هو: من فوض عبان بتمثيل الجبهة كجهاز سياسي للثورة دون سواه ؟ وماذا يمثل باقي الحاضرون ؟ من جانب آخر فقد عهد إلى لجنة تحضيرية تحت رئاسة عبان، مكونة من السادة: أحمد بن بله، محمد يزيد، الصديق بن يحيى، مصطفى الأشرف، رضا مالك، محمد حربي، عبد المالك تمام، وعمار أوزقان. قلت أوكلت إليها مهمة إعداد وثائق المؤتمر والثورة. و وزعت المهام على أعضائها على النحو التالي:

- رضا مالك، و مصطفى الأشرف كلفا بجانب: تحديد طبيعة الثورة ؛ أي الجانب التاريخي الإيديولوجي للثورة .
- محمد الصديق بن يحي و محمد حربي: كلفا بإعداد السياسة الاجتماعية، الاقتصادية و العلاقات الخارجية، و الغالب أن عمار أوزقان كان من بين عناصر هذه اللجنة.
- عبد المالك تمام: كلف بإعداد خطة تنظيم الجبهة- الحزب ! و يمثل هذا أحد المحاور الأساسية خاصة في جانب القانون. (185)

---

[184] - مصطفى هشماوي، **جذور نوفمبر 1954 في الجزائر**، مرجع سابق، ص 117

[185] - **نفس المرجع** ، ص 205

السؤال الذي يطرح بهذا الصدد هو: أين بقية الأعضاء: بن بله، محمد يزيد؟ هل وضعت أسماؤهم في اللجنة للتغطية على إظهار البعد التمثيلي للداخل والخارج فقط، لماذا لم يحضروا و يشاركوا في تحضير وثائق المؤتمر؟ هل بسبب كونهم متواجدين خارج الوطن أم بسبب الحساسيات الشخصية مع عبان، و الاختلاف في التوجه الفكري و الإيديولوجي معه ؟ لذلك تم تغييبهم و إقصائهم؛ لا من حضور عمل اللجان فقط بل في المؤتمر كله!

لقد اشتغلت اللجان المذكورة على عجل: حيث لم يستغرق عملها سوى 10 أيام فقط حررت تقاريرها باللغة الفرنسية دون تنسيق بين أعضائها- مع أن جميعهم فرانكفونيين- وبدت الصياغة، الأفكار، والمضامين مفككة غير مترابطة؛ لا منسجمة في روحها التاريخية، أو الإيديولوجية، مع أدبيات الحركة الوطنية، و بيان الثورة الأول نوفمبر- تشرين الثاني 1954م. وسنقف على تحليل هذه المضامين والتعليق عليها لاحقا.

حسب رواية أوعمران -أحد قادة المنطقة الثالثة المشرفين والفاعلين في مؤتمر الصومام 56م- أن أعمال المؤتمر بدأت يوم 20 أوت - آب و تمت على نحوين:

أ- **جلسات عمل** ب- **حلقات دراسية؛** في ضيافة **"عمي مخلوف"**، الذي احتضن المؤتمر وأطعم المؤتمرين..!؟ قدمت في الجلسات الأولى للعمل عروضا من قبل القادة الحاضرين حول مناطقهم، شملت الجانب التنظيمي، السياسي، والعسكري، إلى جانب الحالة المعنوية للثوار، و مستوى التفاعل الجماهيري مع واقع الثورة و تطورها.

أما في الجلسات الدراسية (الثانية)، قدم فيها ما يشبه المحاضرات حول واقع الثورة و آفاقها، متبوعة بمناقشات و تعليقات، وقد استغرقت الأشغال أسبوعين تحت إشراف العربي بن مهيدي رئيسا وعبان رمضان كاتبا عاما. وقد بث في جل القضايا التنظيمية والسياسية، مع حسم القضايا العالقة والخلافية عبر الانتخاب بالأغلبية، كما خضع المكان لحراسة أمنية مشددة تحت إشراف العقيد عميروش، الذي سخر 3000 جندي لضمان أمن المؤتمر و المؤتمرين.[186]

هنا يطرح التساؤل الحقيقي والمحوري المتمثل في : ما الذي جاء به اجتماع- مؤتمر الصومام 56م ؟ هل أضاف شيئا جديدا إلى الثورة التحريرية ؟ إلى أي مدى كانت قرارات الصومام موضع اتفاق بين قيادات

---

[186] - محمد عباس، **ثوار عظماء**، مرجع سابق، ص 374

وفعاليات الثورة في الداخل والخارج ؟ وهل انسجم نصه مع المرجعيات الفكرية، والسياسية للحركة الوطنية والثورة الجزائرية؛ كما عبرت عنها أدبياتها ومواثيقها، على رأسها بيان أول نوفمبر- تشرين الثاني 1954م؟

تلك أسئلة وأخرى كثيرة يستلزم على دارسي و باحثي الصومام 56م الإجابة عنها، أو على الأقل إثارة النقاش العلمي الموضوعي حولها. عسانا بذلك نصل إلى رؤية مكتملة حول السياقات والتطورات، ومواقف الأشخاص الفاعلين في المسار الثوري، ناهيك عن الكشف عن موقف القوى المضادة للثورة؛ ممثلة في كيان الاحتلال وحلفائه من المستوطنين والأعوان في الداخل، وكذا القوى المناهضة لتحرر الشعوب و عتقها بالخارج.

1- جبهة التحرير الوطني... من الحزب إلى جبهة للثورة

الحقيقة أن جبهة التحرير الوطني لم تعرف بين سنتي 54-56م - كجهاز سياسي للثورة- أي تنظيم قانوني أو سياسي مؤسساتي ؟ و بدت- كما يقول لمين شريط- : **(... كما و كأنها تنظيم عسكري أو حزب الثوار.)** [187] كما أن مدلول الجبهة نفسه، لم تحمله سياسيا إلا مع ربيع أو مطلع صيف 1956، حينما بدأت الفعاليات الوطنية والتشكيلات السياسية تلتحق بها. وبذلك أخذت الجبهة تؤسس لنفسها أطرا جمعوية (للطلبة و العمال و الفلاحين..) و جاء مؤتمر الصومام 56م لينقلها من صفتها الحزبية المحدودة والضيقة، إلى رحاب و واقع الجبهة الشاملة، المستوعبة لكل الحساسيات و فعاليات المجتمع الجزائري ضمن أتون الثورة فكانت: **(... الجبهة مؤسسة وعملا وائتلافا سياسيا معقدا !.. وأحيانا متناقضا !)**[188]

يؤكد محمد بوضياف- أحد مفجري أول نوفمبر- تشرين الثاني 1954 و منسق لجنة الست - هذا التوجه في حياة الجبهة في الفترة المذكورة آنفا؛ حيث يتحدث باسم المجموعة المفجرين، بأنهم اتفقوا على اللقاء في جانفي - يناير 1955- أي بعد شهرين من اندلاع الثورة- للتقييم و إعداد إستراتيجية عمل الجبهة، وكانت قد قامت على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: بناء الهيكل السياسي (للجبهة)، والعسكري (للجيش) للتحضير للثورة.

المرحلة الثانية: تحديد تاريخ اندلاع الثورة بـيوم 15 أكتوبر، ثم الفاتح من نوفمبر 1954م.

---

[187] - د.لمين شريط، **التعددية الحزبية في تجربة الحركة الوطنية (1919-1962)**، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1981، ص 95

[188]- **نفسه.**

المرحلة الثالثة: توفير التسليح الذي لم يتم قبل الثورة...[189] (مما يعني أن مفجري الثورة لم يولوا اهتماما للجانب التنظيمي للجبهة .)

حسب بوضياف دائما فإن مؤتمر الصومام، لم ينسجم بالشكل المطلوب مع المراحل المذكورة التي حددها الست التاريخيون عشية انطلاق الثورة، فيورد قائلا: (**... أما مؤتمر الصومام فقد علمت به من خلال نتائجه فقط...،... إن ما جاء به مؤتمر الصومام في موضوع القيادة خاصة، يبدو مخالفا بوضوح لإستراتيجية المراحل الثلاثة أنفة الذكر.)** [190]

هنا التساؤل المحير: كيف لا يعلم بوضياف - وهو منسق الثورة الأول- بمؤتمر الصومام 56م إلا من خلال نتائجه ؟ ما ذا يقصد بمخالفة ما جاء في الصومام في موضوع القيادة لإستراتيجية المراحل المذكورة؟ هل يقصد التخلي عن مبدأ اللامركزية المعتمد من قبله و رفقائه في إدارة شؤون الثورة ؟ أم غياب التمثيلية للقيادة في مؤسسات الثورة المنبثقة عن المؤتمر ؟... أم ماذا ؟

مهما يكن الأمر فإن الفضل في توسيع الجبهة، لتتحول من شعار و واجهة لمفجري الثورة ولها... إلى جبهة عريضة تسع وتستوعب الجميع؛ فان جهد ذلك يعود إلى عبان رمضان؛ حيث عمل على **"مركزة"** شؤون الثورة، وفتحها على المركزيين والعلماء والبيانيين. ما عدا المصاليين والشيوعيين الذين رفضوا الانخراط فيها، و تذويب كياناتهم السياسية بها، وقد وافقه في ذلك كريم بلقا سم، مع تحفظ بشأن موضوع إسنادهم المسؤوليات.

بهذا يظهر "عبان" - الرجل السياسي القوي- في الصومام، مدافعا بشراسة عن فكرة فتح الجبهة لكل التيارات السياسية الوطنية التي كانت تنشط في الساحة الوطنية قبل الثورة، غايته بلوغ هدف الثورة المعلن في بيان أول نوفمبر**"الاستقلال الوطني"**، فأكد أنه: **(يجب أن تصبح الجبهة مرادفة للوحدة الوطنية، لذلك يجب علينا أن نعتمد على كل الحركات السياسية، حركة فرحات عباس والمركزيين والعلماء، بل و حتى الشيوعيين... لقد تخلوا كلهم عن خطهم السياسي لصالح جبهة التحرير، و لذلك يجب أن يكونوا ممثلين.)** [191]

وعليه يمكن القول بأن **"عبان رمضان"**، اعتمد في جهده لإنجاح مؤتمر الصومام 56م، وتنظيم الثورة، ثم بناء قيادة جديدة لها على مبدأ : **"توحيد جميع الجزائريين"** كشرط أول لابد منه، لينطلق بعده في إيجاد

---

189 - محمد عباس، **ثوار عظماء**، مرجع سابق، ص27

190 - **نفس المرجع**، ص 29

-Couriere(Yve) : **la guerre d'Algérie** ,op cit, P 921 26-

الميكانيزمات التنظيمية والمؤسساتية لجمع ثوار أول نوفمبر 54م، مع غرمائهم من أعضاء اللجنة المركزية، إلى جانب العلماء الإصلاحيين، جنبا إلى جنب مع البيانيين والليبراليين. إن عمل سياسي جامع كهذا لا يقوى عليه إلا من كان في: ذكاء، حنكة، صبر، وطنية، وعظمة عبان ! فقد فرض كما يقول محمد عباس: (**منطق جبهوي في محتواه إن لم يكن في شكله**.) (192)

2- مؤتمر الصومام 1956... المنعرج و المحطة التنظيمية للثورة

لقد شكل مؤتمر الصومام 1956م ، محطة و مرحلة حاسمة في تاريخ الثورة الجزائرية، ذلك أنه مثل الخطوة الأولى في مسار التقويم الثوري، ومكن الثورة من التزود ببني تنظيمية ومؤسساتية لأول مرة منذ الفاتح من نوفمبر- تشرين الثاني 1954، كما وسع و فصل في المبادئ و الأهداف، و وسائل العمل التي أجملها بيان الثورة الأول. بذلك مكنها من مما يمكن تسميته: "**بالمظلة الفكرية و العقائدية**"، ناهيك عن الجوانب الإجرائية العملية، والتقنية، التي سيكون- لهما معا - الأثر الحاسم في مجرى تطور البناء المؤسساتي، و اطراد الأحداث في معركة التحرير الوطني.

يعتقد الأستاذ سليمان الشيخ أن الأهداف التي حددتها وثيقة الصومام، هي نفسها تلك التي أعلنها بيان أول نوفمبر- تشرين الثاني 1954؛ حيث يجملها في التالي :

1- الاستقلال الوطني دون أي انتقاص حتى في الدفاع أو الدبلوماسية، و بالتالي رفض الحلول الوسطى و سياسة المراحل... كتلك التي كانت مع الجارة تونس.

2- السيادة الكاملة على الأرض الوطنية، بما في ذلك الصحراء، و رفض كل أشكال التقسيم.

3- انبعاث الدولة الجزائرية في إطار جمهورية ديمقراطية اجتماعية، والتأكيد على الصفة التقدمية للثورة... (193) (**)

---

192 - محمد عباس، **ثوار عظماء**، مرجع سابق، ص 369

193 - سليمان الشيخ، **الجزائر تحمل السلاح**، مرجع سابق، ص 92

(**)- سنأتي على مناقشة هذه النقطة، و هوية أو مرجعية دولة الصومام في عنصر لاحق من هذا الفصل!

لأجل إنجاز هذه الأهداف الطموحة، فقد انحاز محررو الصومام إلى الوسيلة المفضلة؛ وهي **"النضال المسلح"** أما أدوات هذا النضال وأجهزته، فهي جيش التحرير وجبهة التحرير..، باعتبارهما ممثلا الثورة و الشعب .

وعليه يضيف الأستاذ الشيخ فقد انبثق عن مقررات الصومام 56م، نظام و تنظيم فعال تأسس على :

أ- توسيع حركة التحرير في المكان أو **"البناء الفوقي"**، و يظهر ذلك من خلال التقسيم الجغرافي للبلاد على النحو الآتي: ولايات، مناطق، نواحي، قسمات، و خلايا. هذا في الداخل، و في الخارج اعتماد نظام **"فدرالية الجبهة"** بالمهجر خاصة فرنسا، و البعثة الخارجية بالقاهرة، و جيش الحدود -كتنظيم عسكري- في كل من تونس و المغرب لاحقا.

ب- تقسيم العمل وتنظيم الصلاحيات في إطار **"البني العمودية"**: من خلال بناء سلطة ذاتية مستقلة للثورة، تجسيدا للقطيعة مع النظام الكولونيالي الاستعماري، وإعادة التأسيس للدولة الجزائرية الجديدة المستقلة والمستقبلية، ناهيك على التنظيمات الجماهيرية المدنية: النقابية، الكشفية، والإنسانية... الخ. كلها تمثل أطرا تنظيمية جديدة للثورة جاء بها الصومام، معززا المسيرة الثورية الوطنية في معركة التحرير والاستقلال.

إن قراءة أولية في نص أو أرضية الصومام 1956، توقفنا على أربعة محاور أو فصول كبرى اشتملت عليها الوثيقة (***) :

المحور الأول:

يتمثل في الجانب التنظيمي، حيث يشمل عدة مبادئ و أسس عدة تتعلق بـ : **"القيادة الجماعية"** للثورة و نبذ الزعامة الفردية و الشخصانية... و ضبط الأجهزة السياسية والعسكرية للثورة والعلاقة بينهما، إلى جانب التأشير على تكوين مؤسسات قيادية للثورة من مثل: **"المجلس الوطني للثورة الجزائرية "CNRA"**، **"لجنة التنسيق و التنفيذ "CCE"**، واللجان الفرعية، وكذا ضبط أولويات العمل السياسية ،العسكرية في الداخل والخارج... وإنشاء المجالس الشعبية، تنظيم الجيش، الشعب، والمجالس القضائية..، إلى جانب التقسيم الإداري- العسكري للبلاد إلى ست ولايات... الخ. سنجيء على تحليل مجمل هذا الجوانب، و تقييمها... وعرض المواقف المتباينة بشأنها في حينه.

المحور الثاني:

يشمل عرضا عاما للسياسة الراهنة، و واقع الثورة منذ انطلاقتها ودور جيش التحرير ومعاركه، وتنظيم الجبهة وصمودها في وجه المساومات والتحديات، ومواجهة إستراتيجية العدو، وحكوماته المتهالكة الواحدة تلو الأخرى...

المحو ر الثالث:

جاء تحت عنوان البوادر السياسية العامة، تم تحديد طبيعة الثورة، وأهداف الحرب المعلنة، وشروط وقف القتال: السياسية والعسكرية... الخ، ومهام الجبهة الجديدة و وسائل الكفاح، والعمل مع الشعب

(***)- أنظر نص الوثيقة في الملحق رقم:06 صص403-432. اعتمدنا هذا التقسيم المنهجي لمحاور وثيقة الصومام 56، اجتهادا منا لتسهيل التناول و الدراسة... و الفهم.

وفعالياته الوطنية (فلاحين و عمال، طلبة، نساء، مثقفين، حرفيين و أحرار.)

المحور الرابع :

ركز على مخاطبة الأقلية اليهودية في الجزائر باعتبارهم مواطنين، وضرورة مساندة الكفاح التحريري لشعبهم، إلى جانب مناشدة أحرار العالم، و أصحاب الضمائر الحية من الفرنسيين و باقي الرأي العام الديمقراطي، و الهيئات الدولية و الإنسانية... الخ. للوقوف في صف كفاح الشعب الجزائري، و قضيته العادلة والإنسانية. ثم عرض خطة العمل الدبلوماسي للجبهة، لأجل كسب التأييد العالمي لصالح القضية الجزائرية؛ اعتمادا على التضامن المغاربي، الإفريقي، والعربي الإسلامي، و تكثيف النشاط والدور الإعلامي الدعائي لدى الرأي العام الدولي كله. فيما يلي تفصيل الحديث عن كل محور.

المحور الأول :

الهيكل التنظيمي و المؤسساتي : لقد خرج مؤتمر الصومام 56 م، بجملة قرارات تنظيمية و سياسية هامة، سعى من خلالها إلى ضبط آليات التحرك السياسي للجبهة والثورة معا، و توفير الأطر القانونية والمؤسساتية لعملهما. مؤكدا على مبادئ ثابتة تتلخص أساسا في: وحدة الجزائريين حيال المعركة القائمة في طابعيها السياسي والعسكري، و وحدة الهدف والمصير؛ المتعلق بالاستقلال والتحرر الوطني، لإعادة إرساء أسس و دعائم الدولة الوطنية الجزائرية... تلك التي كانت قائمة وموجودة قبل الاحتلال، تمارس

سلطاتها القانونية والسياسية و تمثيلها الدولي... الخ. في ظل مقومات الشخصية الوطنية والقومية، ذات العمق والأبعاد التاريخية الحضارية، وفي إطار محيطها الطبيعي المغاربي، العربي، والإسلامي.

فأبرز القرارات التنظيمية والسياسية التي أسفر عنها مؤتمر الصومام 56 م، هي :

1- الالتزام بمبدأ "**القيادة الجماعية**" للثورة، ذلك المبدأ الذي أقره مفجرو الثورة في بيانهم الأول سنة 1954 م، ونبذ الفردية وتقديس الأشخاص، مع التأكيد على وحدة القيادة الثورية. ثم توزيع المهام و الصلاحيات بين الولايات، و قيادات الداخل ووفد الجبهة الخارجي؛ حسب ما تقتضيه المصلحة الثورية و ضرورات العمل الوطني، وفي إطار النصوص التنظيمية والقانونية المحددة لعمل مؤسسات الثورة كل حسب اختصاصاتها. مع التنويه بأن فعالية الجبهة و نجاحها في مشروعها الثوري من 54-56 م؛ إنما كان الفضل فيه - بصفة خاصة- يرجع إلى الالتزام بهذا المبدأ والشرط، إلى جانب شروط أخرى... جاء في المنهاج السياسي للصومام : (**ففي فترة من الزمن قصيرة جدا وفقت الجبهة إلى التفوق... و لم يحدث ذلك عرضا و مصادفة، و لكن كان نتيجة توفر الشروط الضرورية الآتية: 1- منع النفوذ الشخصي و إقرار مبدأ الإدارة الجماعية المؤلفة من رجال أطهار أمناء يتنزهون عن الرشوة، شجعان لا يردهم الخطر و لا السجن و لا رهبة الموت.**) [194]

بذلك فقد أحسن مؤتمر الصومام 56م، حينما حسم إشكالية القيادة في الثورة نهائيا، و كرس مبدأ القيادة الجماعية؛ التزاما بما نص عليه بيان أول نوفمبر- تشرين الثاني 1954. بذلك قطع الطريق أمام الطامعين و الطامحين في تزعم الثورة، و الانفراد بقراراتها المصيرية، كما عصم مسيرتها من الانزلاق إلى عفونة التسلط الفردي، و عهد ما قبل الثورة؛ و ما حمله من أزمات وصراعات عصفت بثمرة الجهد الوطني. ينوه الأستاذ سليمان الشيخ بهذا المبدأ- القرار، فيقول: (**لقد جنبت القيادة الجماعية حركة التحرير الوطني، بروز زعيم يجسد شخصه الثورة... و ما من قائد اعتبر كرجل القدر... و عندما صان مبدأ القيادة الجماعية حركة التحرير الوطني من كل خطر ينجم عن قطع الرأس، و حال دون تركيز سلطة اتخاذ القرار في يد شخص واحد، فإنه نجح في الإبقاء على توازن مستقر نسبيا على مستوى القيادة.**)[195]

---

[194] - **النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني (54-1962)**م، مصدر سابق، ص 10

[195] - سليمان الشيخ، **الجزائر تحمل السلاح**، مرجع سابق، ص 308

والتأكيد على فكرة "**المركزية الديمقراطية**"، لتجنب الانقطاع ما بين القمة و القاعدة؛ مع أن ظروف الثورة، ومجابهة العدو، وغياب التمثيل الواسع و الحقيقي لكل المجموعة الوطنية داخل المؤسسات الثورية و أجهزتها... وغيرها، كل ذلك لم يسمح بالممارسة الحقيقية لهذا المبدأ !

2- تقسيم البلاد إلى ست ولايات حربية، يرأسها قائد برتبة عقيد يحمل الصفتين العسكرية و السياسية، يحيط به ثلاث نواب يتولون الاعتناء بفروع العمل:العسكري،السياسي، الاستعلامات، و الاتصالات...الخ. يتفرع عن الولاية: مناطق، نواحي، و قسمات، يتولى إدارتها قادة معينون من مسئول الولاية.

الملاحظ هنا اعتماد التقسيم الذي أقره مفجرو الثورة الأوائل باسم "**المنطقة**"، و نفس الترتيب: الولاية الأولى (الاوراس)، الثانية (الشمال القسنطيني)، الثالثة (القبائل)، الرابعة (الجزائر)، الخامسة (وهران)، السادسة (الصحراء). مع إعطاء نوع من الاستقلالية والخصوصية لمدينة الجزائر-"**العاصمة**"- عن الولاية الرابعة (الوسط)؛ نظرا لخصوصيتها كعاصمة، بثقلها الديموغرافي، السياسي، والدبلوماسي ...الخ. و كلفت لجنة التنسيق و التنفيذ "CCE" باتخاذ مقرها بها، والإشراف كذلك على النشاط الثوري: السياسي و العسكري بها، بقيادة عبان رمضان كما سيجيء لاحقا.

الإشكالية الأساسية والكبرى التي أثيرت بهذا الخصوص هي: منطقة "**سوق أهراس**" أو ما اصطلح عليها "**بالقاعدة الشرقية**" ؟ التي لم يحضر وفد عنها إلى المؤتمر، واكتفت المنطقة الثانية بقيادة زيغود يوسف بتلاوة تقرير شفهي عن واقعها ضمن تقريرها. هذا الأمر لم يقنع قيادتها؛ خاصة لما اقر المؤتمر فصلها عن المنطقة الأم (الاوراس) منذ 14 أوت - آب 1955، و إلحاقها بالولاية الثانية (الشمال القسنطيني) تنظيميا؛ وهو ما أثار حفيظة قيادتها الجديدة بزعامة "**عمارة بوقلاز**"، و استاءوا من المناورة التي أخضعوا لها وحرمتهم بالتالي من حضور المؤتمر. و قد كان هؤلاء يطمحون إلى انتهاز فرصة عقد المؤتمر الوطني، لتشكيل كيان ثوري و تنظيم مستقل خاص بهم، لكن الفرصة ضاعت و تبخر الحلم ! مما استدعى بناء موقف سلبي حيال هذا التقسيم ؟ عبر عنه قائد المنطقة "**عمار بوقلاز**"؛ حينما قال: (**المؤتمر الذي قسم البلاد إلى ست ولايات، لم يأخذ بعين الاعتبار كيان ناحيتنا في خدمة الثورة، نظرا للموقع الجغرافي و الاستراتيجي.**) [196]

---

[196] - الطاهر جبلي: **مؤتمر الصومام و القاعدة الشرقية**، مجلة **المصادر**، عدد 09، السنة 2004...مرجع سابق، ص 214

هذا ما جعل قادة سوق أهراس بزعامة **"بوقلاز"** يباركون وثيقة الصومام، لكنهم رفضوا التقسيم والإلحاق الخاص بمنطقتهم ! على الرغم من أن المؤتمر كان قد أشار- حسب رواية الحسن زغيدي - إلى وضعية المنطقة في محضر الجلسات. فأرسل بعد نهاية أشغاله كل من زيغود يوسف وإبراهيم مزهودي كموفدين لحل المشكلة. إلا أن قادة المنطقة لم يتوانوا في اتخاذ قرار إنشاء ولاية سوق أهراس! في اجتماع لهم بقيادة **"عمار بوقلاز"** بتاريخ 16 نوفمبر- تشرين الأول 1956[(197)] ؛ أي بعد شهرين و نصف من انتهاء أشغال مؤتمر الصومام. هذا الذي أدى إلى فتح النار على قرارات مؤتمر الصومام التنظيمية في وقت مبكر، و أوجد مشكلة عويصة للجنة "CCE" لاحقا؛ كما وسع جبهة الرفض لدى منتقدي ومعارضي قرارات الصومام في الداخل و الخارج!

إلى جانب تقسيم البلاد إلى ولايات، فقد اعتمد نظام تصنيف عسكري يتكون من: المجاهدين، الفدائيين والمسبلين، كما حددت الرتب العسكرية، الزى،الشارات، والرواتب والمخصصات...الخ [(198)]، و تقرر الشروع في توسيع العمليات العسكرية الهجومية عبر كافة التراب الوطني.

3- اعتماد تنظيم سياسي و مؤسساتي متكون مما يلي:

أ- **المحافظون السياسيون** : هم أشخاص يعينون على مستوى كل ولاية، صفتهم مدنية يضطلعون بمهمة الاتصال بالجماهير الشعبية و تنظيمها، و إلقاء دروس و محاضرات تكوينية و تثقيفية، وكل ما يتصل بالأخبار، الدعاية والتوجيه؛ فهم بمثابة منشطي الحرب النفسية والتجنيد وسط الشعب، و جهاز مناعة في وجه الدعاية و أساليب الضعف النفسي و المادي التي يشنها المستعمر بهدف عزل الجماهير عن الثورة، و حرمانها من سنده المعنوي و المادي.

كما أن للمحافظين السياسيين الحق في تقديم الآراء و الملاحظات للقادة العسكريين، بشأن برامج العمل العسكري و العمليات الحربية... الخ. باختصار أنهم **"نواة"** جهاز الاستخبار والاستعلامات والاتصال، الذي سينشأ لاحقا تحت إشراف لجنة التنسيق والتنفيذ CEE في العاصمة، ثم في الحدود الغربية... تحت إشراف عبد الحفيظ بوصوف.

---

[197] - لحسن زغيدي، **مؤتمر الصومام و تطور ثورة التحرير الوطنية الجزائرية**، مرجع سابق، ص 270

[198] - نفس المرجع، ص 124، و ما بعدها.

ب- **المجالس الشعبية** : تتشكل في كل قرية ودوار و بلدية، بواسطة الانتخاب وسط الشعب و المناضلين، يكون **"المسبلون"** عمادها، تتكفل هذه المجالس بالنظر في القضايا الاجتماعية، الاقتصادية، والثقافية للمواطنين الجزائريين، وتنظيم الشؤون الإسلامية والعدلية، وضبط الأمن؛ فهي بمثابة إدارة محلية ترعى الشؤون العامة.

جـ - **المحاكم الإسلامية** : حيث تم تشكيلها لمحاكمة الأشخاص المخالفين للنظام الثوري، والمرتكبين للمخالفات و الجرائم، وتعتمد بالنسبة للعسكريين النظام القانوني الثوري، وللمدنيين أحكام الشريعة الإسلامية في المنازعات؛ كنظام بديل يلجا إليه الشعب بدل الذهاب إلى المحاكم الفرنسية، التي تصدر أحكامها وفق القانون الوضعي. و قد جاء في جريدة **"المجاهد"** - اللسان الناطق باسم الثورة- التأكيد على أن مؤتمر الصومام 56م، ناقش قضايا الدين، الشرف، والأسرى وفق النظرة الإسلامية. كتبت المجاهد: (**سن قوانين محددة لا يتعداها المجاهد، و يرجع إليها جميع القادة، و هكذا أصدر ذلك المؤتمر بتحريم الإعدام ذبحا، و بتحريم جميع أنواع التمثيل الشخصي أو التشويه لخلقته، كما نص على أن كل من يتعدى على عرض فتاة أو امرأة يحكم عليه بالإعدام، و على أن تنفيذ الإعدام لا يتم إلا بعد محاكمة شرعية قانونية..**) (199)

من جهة أخرى فقد وضع نظاما للانضباط داخل الجبهة، مرتكزا على الأخلاق الإسلامية، مما جاء فيه: (**على كل مجاهد أن يتصف بالأخلاق الكريمة ، لأنه مسئول عن تصرفاته و أقواله، و إذا لم يحترم هذا المبدأ فإنه يكون قد تعدى على إحدى المبادئ الإسلامية.**) (200)

كما نظم المؤتمر- عبر قوانين الجبهة - الأخطاء المرتكبة، و التي تترتب عنها عقوبات، حددها و صنفها إلى:

- أخطاء من الدرجة الأولى: و تشمل الكلام الفاحش والبذيء، والتدخين...

- أخطاء من الدرجة الثانية: كرفض الأوامر، النميمة، و شهادة الزور...

- أخطاء من الدرجة الثالثة: كإفشاء الأسرار، إثارة الفتن، التعامل مع العدو، أو الاستسلام... وغيرها. (201)

خلاصة القول: أن هذه المجالس الشعبية، و المحاكم الشرعية مثلت نواة الإدارة الجزائرية القادمة، في جانبيها الإداري، الاجتماعي، و القضائي. بذلك عززت الثورة كيانها، ووسعت دائرة اختصاصاتها الحربية و السياسية؛

---

199 - أنظر : **جريدة المجاهد**، عدد : 09، الصادر بتاريخ : 20 أوت 1957م.

35- Guentari Med **: Organisation politico-administrative et militaire de la révolution algérienne 1954--1962** Volume 1Alger 1994 P 456

Op. cit. P M 557-558 36-

إلى التكفل الشامل: اجتماعيا، اقتصاديا، و قضائيا بقضايا وهموم الشعب، محدثة بذلك قطيعة شاملة مع كيان العدو و إدارته .

د- **الهيئات القيادية المسيرة** : قرر مؤتمر الصومام 56 م، إنشاء هيئات قيادية وطنية لتسيير شؤون الثورة، و إدارة عملياتها العسكرية والسياسية، و تزويدها بهيكلة تنظيمية ،إلى جانب المؤسسات السياسية الضرورية. و من هذه المؤسسات:

1- المجلس الوطني للثورة الجزائرية "CNRA": و يتكون من 34 عضوا، نصفهم (17) دائمون والنصف الآخر مؤقت(****) ، يمثل الهيأة العليا القيادية للثورة. وهو بمثابة البرلمان وهيئة التشريع، يجتمع مرة في السنة أو بطلب من ثلثي أعضائه، أو من لجنة "CCE" ، كما ينظر في القضايا الكبرى و المصيرية للثورة: كإيقاف الحرب، المفاوضات، و الاستفتاء... الخ، يتخذ قراراته بأغلبية الثلثين. و قد اجتمع منذ تأسيسه في أوت- آ ب 1956، وحتى الاستقلال في 1962 في ست دورات؛ يضطلع بالمهمة التشريعية و القانونية في الثورة، وقد خلفه المجلس التأسيسي الوطني في سبتمبر- أيلول 1962- م.

يختلف المحللون والكتاب في النظر إلى هذه الهيأة وأصل التسمية، حيث يذهب الأستاذ مصطفى هشماوي إلى أن أصل تسمية المجلس الوطني للثورة الجزائرية "CNRA" الذي أعتمده مؤتمر الصومام 56م، مستمدا من أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية، خاصة اتجاهها الاستقلالي، حزب الشعب- حركة الانتصار للحريات؛ كما يذكر أن التسمية كان قد أطلقها مصالي الحاج بعد حله اللجنة المركزية في جويلية - يوليو 1954م، على إثر النزاع الذي حصل داخل الحزب آنذاك. [202] أما الدكتور لمين شريط فيرى في المجلس الوطني للثورة ، بأنه يمثل منذ ظهوره أوت - آب 1956، و حتى إعلان الاستقلال جويلية - يوليو 1962 : (**عنوانا للوحدة، وحدة القيادة، وحدة السلطة، وحدة الأمة، وحدة المصير، وحدة القرار**...) [203] ما عدا في اجتماع طرابلس 1962 - و هو الاجتماع أو الدورة الأخيرة في عمر المجلس- الذي انقسم فيه بشأن السلطة السياسية؛ ممثلة في تركيبة المكتب السياسي، ومن ثم فقد عصم الثورة من الانقسام والمواجهة الداخلية. و في أول فشل له في إنجاز عنوانه المذكور؛ دخلت البلاد في أزمة عاصفة كادت أن تذهب بثمرة الاستقلال .

-(****) " أنظر قائمة اسمية بأعضاء المجلس الوطني.ث.ج CNRA 402 ص 05 : الدائمين و المؤقتين في الملحق رقم "

[203] - د.لمين شريط، **التعددية الحزبية في تجربة الحركة الوطنية** ، مرجع سابق، ص 92

يتقاسم النظرة نفسها مع الباحث إبراهيم لونيسي؛ حينما يؤكد بأن "المجلس الوطني للثورة الجزائرية" هو: (**بمثابة الإطار الحقيقي لمبدأ الوحدة داخل الثورة وحدة القيادة، وحدة السلطة، وحدة الأمة، وحدة المصير.)** [204] إلا أنه يستدرك بأن هذه المعاني و القيم التي عبرت عنها المادة 23 من القانون الأساسي للجبهة، لم تستطع أن تتخطى الإطار النظري إلى الواقع ألممارساتي و العملي لأعضاء المجلس؛ حيث تؤشر حقائق الوقائع لهذه المؤسسة و عملها، أنها كانت دون مستوى تلك الطموحات و الآمال في كثير من المواقف وبشأن العديد من القضايا. وذلك بسبب تباين تركيبة البشرية ومستواها الثقافي، واتجاهاتها السياسية والقناعات الفكرية، والإيديولوجية لأعضائه... حيث يحيا بعضهم على طرفي نقيض، بعيدا عن الانسجام المطلوب.

2- **لجنة التنسيق و التنفيذ : "CCE"** :

هي هيئة تنفيذية تتولى مهمة الإشراف على الشؤون السياسية و التنظيمية للثورة، كما تبحث آليات تنفيذ قرارات المجلس الوطني للثورة. تتكون من 05 أعضاء. و يذهب البعض إلى أن عبان رمضان و كريم ، استأثرا بتعيين أعضائها بعد انصراف المؤتمرين و انقضاء أشغال مؤتمر الصومام 56م ؟ و هم السادة: عبان رمضان، كريم بلقاسم، العربي بن مهيدي، بن يوسف بن خده، و سعد دحلب[205]. كما يلاحظ في تركيبتها طغيان النشطاء السياسيين (عبان، خده، دحلب) على العسكريين (كريم، بن مهيدي) من حيث العدد؛ ذلك أن عبان عين حليفين سياسيين له في اللجنة، ليضمن امتلاك الأغلبية التي بها يستطيع يسيطر عليها و يوجه قراراتها.

وهو ما سيثير حفيظة من يحسبون على العسكريين، و سيسعون إلى توسيعها بما يزيل هذا الخلل في نظرهم على الأقل؟ كما ستبدأ الخلافات بين أعضائها، خاصة بعد اتخاذها قرارها في فيفري- شباط 1957م، بالخروج خارج الوطن- بعد حرب مدينة الجزائر- و الضغوط التي فرضت عليها وعلى أعضائها... ! لكن ومهما يكن الأمر، فإن اللجنة ستلعب الدور الحيوي في إدارة شؤون الثورة و تنظيمها؛ حيث ستتولى مهمة تعيين قادة الولايات و نوابهم، و مسؤولي الجبهة ، و تبحث قضايا التسليح، والتموين من الخارج، ناهيك عن النشاط السياسي، الإعلامي، و الدبلوماسي الذي ستضطلع به، عبر أجهزتها وهياكلها التنظيمية. إضافة إلى إنشاء جريدة **"المجاهد"** التي سيتولى **"عبان رمضان"** الإشراف عليها... وكذا تأطير المنظمات الجماهيرية (الطلبة و

---

204 - إبراهيم لونيسي، **التجربة الديمقراطية في الوطن العربي**، مرجع سابق، ص 272
205 - مصطفى هشماوي، **مرجع سابق** ص 124

العمال و الفلاحين و النساء)...الخ ؛ مما يظهرها كهيئة ممثلة و ناطقة باسم الثورة في الداخل والخارج. وقد مكنها ذلك من التهيؤ والتحضير للانتقال إلى **"حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية"** في 19ديسمبر- كانون الأول 1958م. بذلك فقد شكلت **"النواة الأولى"** الحقيقية لبعث مؤسسات الدولة الوطنية، في الجانبين: التنظيمي، والتنفيذي خاصة، كما ستكون-عبر أشخاصها ونشاطاتها- محل نزاع وصراع مرير بهدف السيطرة على الثورة وتوجيهها.

جدلية العلاقة بين السياسي والعسكري وتداعياتها :

في سابقة غير محسوبة العواقب..؟ قرر المؤتمرون في الصومام - بإيعاز وتخطيط من عبان رمضان، حسبما تتفق أغلب الشهادات والروايات- إقرار مبدأ خطير، لم يسبق للحركة الوطنية أو الثورة الجزائرية (54-56) م أن أقرته؛ ذلك المبدأ هو: الفصل التعسفي بين السياسي والعسكري ! أو ما عرف في أدبيات الثورة بـ: **"أولوية أو أسبقية السياسي على العسكري"**؛ حيث أن قيادة الثورة في بدايتها لم تكن تميز بشكل واضح ودقيق بين السياسي والعسكري، لان **"المجاهد"** أو المقاتل في الثورة التحريرية كان في واقع الأمر عسكريا في الميدان، وسياسيا في وسط الشعب. يخطب معبئا وداعيا الجماهير لنصرة الثورة والالتحاق بها على النحو نفسه الذي هو نفسه عليه ! إلى أن عقد مؤتمر الصومام في أوت - آب 1956م، ودون سابق إشعار ولا إنذار، وجد الثوار أنفسهم مصنفين إما : سياسيين أو عسكريين .

ترى ما هي الخلفية التي انطلق منها واضعو هذا المبدأ في تصنيفهم ؟ وما هي المعايير التي اعتمدوها في ذلك ؟ هل جاء القرار بدافع تنظيمي محض؛ هدفه خدمة الثورة، من خلال الفصل بين المسؤوليات والصلاحيات ؟ أم أقر لحسابات أخرى: شخصية وسياسية ، تتوخى تغليب فريق على آخر؟ ولمصلحة من كان ذلك كله ؟... أسئلة أثيرت وأخرى لا تزال تثار بهذا الخصوص، وفد أسالت حبرا كثيرا، كما تباينت بشأنها المواقف والآراء ، إلى حد التناقض والتجاذب غير البرئ ! بل إن هذا المبدأ كان إقراره نذير شؤم، وبداية لاندلاع فتيل الصراع والفتنة بين قادة الثورة في الداخل، ومع ممثليها في الخارج . وانبرى كل فريق يبحث ويقدم المبررات والتحليلات لإقناع الآخر بصحة وجهة نظره .

من خلال قراءتنا المتواضعة لما كتب ودون بهذا الخصوص، وجدنا آراء ومواقف وشهادات كثيرة ومتباينة، آثرنا تلخيصها والتعليق عليها كالتالي :

"**فعلي كافي**" - وهو أحد القادة الميدانيين الذين حضروا المؤتمر عن المنطقة الثانية رفقة زيغود- يرى أن محترفي السياسة وعلى رأسهم عبان رمضان هم الذين كرسوا مبدئي :" **أولوية السياسي عل العسكري**" ، ومبدأ "**أولوية الداخل على الخارج** "[206] ، وكان هدفهم الأول والأخير حسبه هو: (**القضاء على الثوريين الحقيقيين)؛** في مقدمتهم جيش التحرير الوطني صانع أول نوفمبر. وكذلك خدمة ودفاعا عن المدن والبرجوازيين والبيروقراطيين "**من خلال اقتراحه "عباس فرحات"**، المرفوض نضاليا وثوريا حسبه دائما **!** وكذلك الشيخ " **عباس بن الشيخ الحسين**" كعضوين أساسين في مجلس الثورة. فما هو هدف "**عبان**" في رأي "**كافي**" ؟ إنه: (**... العودة بالثورة تدريجيا إلى الكفاح السياسي ومواصلة طريق التفاوض، يتساءل)** ثم يواصل " كافي": "**أليس هذا ناقوس الخطر وبداية اللعبة السياسية المنحرفة والانتهازية!**" إن أصحاب القرار في شهادة كافي يمثلون الفئة والمجموعة التي تحيى: (**بعيدا عن الواقع مرابطين في أبراجهم يلوكون النظريات و يتشيعون بالأفكار المستوردة!**)[207] ترى ما هي هذه الأفكار المستوردة التي يكون عبان فد تشبع بها، وحركت فيه الدافع إلى اقتراح وتكريس هذا المبدأ ؟ أهي الليبرالية السياسية، أو الديمقراطية الليبرالية، التي تؤكد على فكرة الفصل بين السلطات ؟ المعلوم لدارس شخصية عبان و أفكاره، أنه كان شديد الحساسية و التطرف حيال الفكر الليبرالي-الامبريالي. أم هي الشيوعية التي تؤمن "**بالمبدأ الشمولي**" في الإدارة و التسيير..؟ يجيب كافي في سياق آخر فيقول : (**لم يكن لعبان رمضان توجها يساريا، و ليست له هواجس فكرية، و إنما كان هاجسه الأساس هو بسط سلطته على الثورة، و افتكاك زمامها من الوفد الخارجي، و هذا ما تبلور في قرارات الصومام بالنسبة للداخل و الخارج، و كذلك نزع السلطة من القيادات العسكرية و وضعها في أيدي السياسيين، باعتباره وضع نفسه سياسيا محسوبا على السياسة.**) [208]

---

[206] - على كافي، **المذكرات**... مرجع سابق، ص 103

[207] - **نفسه** ص 103-104

[208] - **نفس المرجع**، ص21-222

بقدر ما تجلى خلفية المبدأ، واتضح الموقف؛ بقدر ما كان هذا التوضيح **"اتهاما صريحا"** من **"كافي"** **"لعبان"**، بأنه قد دبر- من خلال إقرار المبدأين المذكورين- **"انقلابا سياسيا و مؤسساتيا"** ضد مفجري نوفمبر1954، ورجالات الثورة، وقادتها الميدانيين . و الأدهى من ذلك - ومن خلال قراءتنا المتفحصة لكلام كافي- أن عبان قد سعى إلى **"سحب البساط"** من وفد الجبهة والثورة بالخارج، و العمل على تحويل وظيفتهم إلى مجرد **"مكلفين بمهمة"** من خلال تحالفه مع من لا يؤمن بالثورة من أمثال: عباس فرحات، و ابن الحسين، حسب زعمه.

إن "كافي" لم يكتف بتوجيه الاتهامات الخطيرة السابقة "لعبان"، بمحاولته الهيمنة و السطو على الثورة و تزعمها على حساب مفجريها الأوائل، وقادتها الميدانيين؛ بل ذهب ابعد من ذلك، حينما وجه له اتهاما أخطر يرقى إلى مستوى **"الخيانة العظمى!** " ذلك أنه حمله مسئولية كل الصراع و الفتن التي نشبت بين قادة الثورة بعد الصومام، و اعتبره متعاونا وعلى علاقة حقيقية مع إدارة العدو الفرنسي؟ وقد ساق في هذا الشأن شهادة لقادة كانوا معه - أي مع عبان- وكريم بلقاسم ، و عميروش. هذا الأخير الذي حرر بمعية **"الأمين خان"** محضر الاتهام مكتوب[(*****)] ضد عبان بهذا الخصوص ؟ و أن عبان قد سعى إلى إثارة الفتنة داخل الولاية الثالثة. يقول كافي: (**... فعميروش و كريم بلقاسم و بن طوبال كانوا يؤكدون وجود علاقات بين عبان و فرنسا، و اتهموه بفتح قنوات مع العدو دون علمهم، و أشيع بأنه محكوم عليه بالإعدام من الثورة.**) [(209)]

أخيرا يؤكد كافي أن "عبان" - في خضم صراعه مع خصومه "كريم" و "ابن طوبال"... في تونس- حاول استمالته ضدهم، لكن كافي بقي على الحياد ؟ والتساؤل الذي يمكن يطرح بشأن هذه الشهادة - الرواية: هل كان حقا عبان بهذا السوء والطموح المجنون، لتزعم الثورة و لو على حسابها ؟ وهو الرجل المناضل ابن حزب الشعب، والمنظمة الخاصة "OS" ، والمسجون في سبيل القضية الوطنية 05 سنوات كاملة. ثم ما ضير عبان - وهو السياسي المحنك- أن يجس نبض المستعمر بشأن التفاوض، إن كان ذلك حقا؟ والكل يعلم أن نص بيان أول نوفمبر- تشرين 1954 أبدى الاستعداد الكامل لبحث تسوية مشرفة مع العدو، حقنا للدماء!..، هل يمكن لرجل واحد - مهما كان ذكاؤه، فطنته، و قدرته السياسية - أن يتآمر ويشن حربا على الجميع في الداخل و الخارج،

(*****)- المحضر المؤرخ في 1958/11/27 في نفس المصدر،انظر: ملاحقه، ص 402-403

44- **نفس المصدر**، ص:122

لأجل نزوة السلطة. ثم لماذا لم يعارض كافي - وهو القائد العسكري لزيغود كما يقول- هذا القرار في المؤتمر، و يقنع القيادة على الأقل بخطوة ما يخطط و يدبر للثورة من قبل عبان؟ ألم يورد في **"مذكراته"** بأن الجانب التنظيمي كان قد استوحى من الوثيقة التنظيمية المطبقة في منطقته الثانية، و أقنعوا المؤتمرين بتبنيها ؟!

تلك أسئلة و أخرى كثيرة تطرح على شهادة كافي، و تنتظر منه الإجابة... أو من الوثائق التي ستكشف عن أسرار جديدة في الأيام والسنوات القادمة؛ علها تثبت أو تنفي هذه الشهادة.

يورد عبد الرزاق شنتوف - محامي في حركة الانتصار للحريات قبل الثور، وأحد محرري أرضية الصومام ضمن اللجنة التي عهد لها ذلك العمل - بشأن الخلاف الذي أثارته مسألة المبدأين الأوليين (السياسي على العسكري، والداخل على الخارج) بين أعضاء اللجنة، فيقول: (**بخصوص المبدأين المذكورين أعلاه أنني كنت ممن تحفظوا على الفكرة لسبب واضح، و هو أنني لم أكن لأوافق على تجسيد الحساسيات أو الصراعات في مبادئ!)** [210]

نفس الموقف تقريبا أبداه وأعلنه المجاهد عمار بن عودة -أحد قادة المنطقة الولاية الثانية المشاركين في الصومام 56م- لكن بتبرير مختلف حيث أكد قائلا: (**تحفظنا على مبدأ "أولوية السياسي على العسكري"، لأننا لم نكن جيشا من المحترفين و كانت المهام السياسية و العسكرية متداخلة في بداية الثورة، و تحفظنا كذلك على مبدأ العلمانية، و كان رأينا أن هذه المسألة سابقة لأوانها. فكيف ندعو الناس إلى الثورة باسم الجهاد، و نرفع راية العلمانية في آن واحد؟!)**[211]. لكن ذلك التحفظ لم يمنع قيادة المنطقة الثانية من الالتزام بما صدر عن مؤتمر الصومام من قرارات، و إلزام إطاراتها بتنفيذها ميدانيا!.. لماذا هذا الالتزام إن كان فعلا قادة هذه المنطقة - كما يورد كافي خاصة- أحسوا بالانحراف والخطر المحدق بالثورة ؟ هل كان من واجبهم إيقاف ذلك الانحراف والخطر... أم المسايرة لأجل أهداف و غايات غير معلنة .

أما أحمد محساس- و هو أحد المناضلين القدامى بحزب الشعب و عضو قيادي بـ "OS"، وأحد قادة الثورة البارزين بالمنطقة الحدودية الشرقية بتونس- فإنه يعتبر إقرار **"أسبقية السياسي على العسكري"**، و **"الداخل على الخارج"** هو من قبيل سبق الأحداث والوقائع؛ وأن ذلك يضر أكثر مما ينفع طالما أنه كان: (**ثمرة للتنازع**

---

[210] - محمد عباس، **ثوار عظماء**، مرجع سابق ، ص 373

[211] - نفس المرجع، ص: 221

على السلطة لا غير!) [212] ، واعتبر انعقاد مؤتمر الصومام 56 ضرورة موضوعية، لكن غياب أطراف أساسية عنه من الداخل و الخارج، جعل المؤتمر لا يحقق الإجماع المطلوب، بل كرس مجموعة العاصمة "الجنة CCE" برئاسة عبان رمضان كقيادة وحيدة للثورة لاحقا ! و من ثم فقد عارض محساس قرارات الصومام؛ و اتخذ بشأنها مواقف متقدمة في نقدها، سنقف عليها في المبحث الأخير من هذا الفصل.

من جهته يورد الأستاذ هشماوي أن: كريم بلقاسم - وهو أحد قادة الثورة ومفجريها الأوائل، وأبرز قادة الصومام 56م- كان متحفظا على القرار المبدأ: **"أولوية السياسي على العسكري"**[213] وقد سعى جهده لاحقا، في أول دورة للمجلس الوطني للثورة بالقاهرة أوت - آب 1957، إلى إلغائه طارحا فكرة الأولوية في قيادة الثورة تكون لأصحاب **"الساعة الأولى"** لانطلاقتها؛ باعتباره الوحيد من التاريخيين الذي ظل طليقا في الميدان- بعد اعتقال الزعماء الآخرين واستشهاد بعضهم الآخر- كان يرى في نفسه الشخصية الوحيدة المؤهلة لقيادة الثورة وتزعمها؛ على اعتبار أن الوقت قد حان لإيجاد رجل يتزعم الثورة .

هذا ما يؤشر إلى أن أصل المشكلة وخلفية اعتماد المبدأ: هو إيجاد الغطاء القانوني والسياسي لتزعم الثورة وقيادتها، كل بطريقته، ووفق التصور والخطة التي يعتقد في نجاعتها.

لكن الأستاذ سليمان الشيخ يذهب في تحليل خلفية اتخاذ هذا القرار إلى تقديم رأي مخالف؛ حيث يعتقد أن المبدأ القاضي بأولوية السياسي على العسكري يبرز**"الصفة السياسية أصلا للعنف"**[214] ، و بحكم ذلك، فإنها تكرس خضوع الرؤساء العسكريين للمسئولين السياسيين، و تعلن منذئذ عن التطور الذي يبدأ اعتبارا من مؤتمر الصومام 56- حسبه دائما- باتجاه تقسيم العمل بين **"السياسي"**و **"العسكري"**، على حين أن الساسة كانوا منذ أول نوفمبر 1954 عسكريين أيضا !... بذلك فإن الذي يفهم من إقرار هذا المبدأ -حسبه - هو ضرورة تعليق استخدام العنف على المقتضيات السياسية (أي **مستجدات الوضع السياسي و تطوره مع العدو الفرنسي إيجابا أم سلبا**)(49مكرر). لكنه يعقب بأن هذا الأمر لم يعد ذا جدوى خاصة بعد خروج لجنة "CCE" خارج المعركة، بمغادرتها أرض الوطن في فيفري- شباط سنة 1957 ؟ حيث أوجد ذلك انفصاما وانفصالا بين القائد العسكري والسياسي بعد أن كان واحدا، وهو الأمر الذي أوجد تناقضات داخل الوظائف، وحده في الممارسة، أفسد وحدة

---

[212] - **نفسه**، ص: 154

[213] - مصطفى هشماوي ، **جذور نوفمبر 1954**، مرجع سابق، ص 120

[214] - سليمان الشيخ، **الجزائر تحمل السلاح**... مرجع سابق، ص 93

القيادة والعمل معا ! كما حول القضية "**المبدأ**" إلى مسألة تنازع وصراع، طارحا في المقابل المشكلة في سياق مشروعية القيادة والإدارة للثورة. [215]

في الوقت نفسه يعطى تفسيرا لسبب اعتماد "**أولوية الداخل و الخارج**"؛ بأنه يفهم منها التركيز على الأولوية التي تعطى للعمل المسلح، والمجابهة المباشرة مع العدو، وضمن هذا المنظور فإن "**جيش التحرير الوطني**" يمثل موضوعيا القوة الأكثر ارتباطا و التزاما بالعمل المسلح ضد سلطة الاحتلال، كما يوضح أولوية "**المعركة الداخلية**" على "**العمل الدبلوماسي**". بهدف إبعاد حركة التحرير الوطني من أن تقاد من الخارج، من قبل أناس مقطوعين عن مسرح العمل الأساسي. لكنه يعقب بأن هذين المبدأين خاصة الأخير؛ حملا بذور النزاع داخل الجبهة، على اعتبار التغييب -ربما المبرمج- لممثلي الوفد الخارجي عن حضور المؤتمر، مما يجعل هؤلاء لا يغفرون لمنظمي الصومام، على رأسهم عبان زلتهم تلك ..! ونعتقد أن في هذا التحليل جانبا من المنطقية والموضوعية في تفسير سبب اعتماد المبدأين، خصوصا إذا تناولناه ضمن السياق الزمني الحاسم للثورة، و تطورها التاريخي بعد الصومام 56م

أما الأستاذ إبراهيم لونيسي فيذهب إلى أن اعتماد مبدئي "**أولوية السياسي على العسكري**"، و"**الداخل على الخارج**"؛ طرحا من قبل الباحثين والدارسين، و خاصة المبدأ الأول- من زاوية "**الرجل السياسي**" و "**الرجل العسكري**"[216]، ومنح الأفضلية للأول على حساب الثاني. مما أحدث - في نظره- حقيقة أزمة أدت إلى اتهامات متبادلة وصلت حد التصفيات غير المبررة، ولو طرحت القضية في سياقها الصحيح الذي قصده الصومام ومحرريه القائم على: أولوية العمل السياسي على العسكري، كما نص عليه بيان أول نوفمبر- تشرين الثاني 1954 الذي أكد: (**فقد أعددنا للسلطات الفرنسية وثيقة مشرفة للمناقشة، إذا كانت هذه السلطات تحدوها النية الطيبة...**) [217] لما كان كل هذا النقاش و تداعياته الخطيرة على الثورة ورجالاتها .

المبدأ الثاني "**أولوية الداخل على الخارج**"، الذي بدوره كان سببا في التنازع و الصراعات المحتدمة بين القيادات الثورية؛ فإنه لم يكن في الحقيقة وليد الصومام، بل ظهر قبله وقبل قيام الثورة نفسها، إذ أشار محمد

---

[215] - نفس المرجع، ص 453

[216] - لونيسي إبراهيم، **التجربة الديمقراطية**... مرجع سابق، ص 262

[217] - **النصوص الأساسية للجبهة**، مصدر سابق، ص 5-6

بوضياف -منسق لجنة الستة- إلى أن القضية طرحت في اجتماعات اللجنة قبل اندلاع الثورة، و أنه تم الاتفاق على قضيتين :

الأولى: اللامركزية نظرا لاتساع رقعة البلاد، ولأجل ترك حرية المبادرة لكل منطقة لتقرر ما تراه مناسبا.

الثانية : إقرار أولوية الداخل على الخارج؛ أي وضع سلطة اتخاذ القرارات الهامة بيد مجاهدي الداخل قبل غيرهم.[218]، (****) ففي رسالته المؤرخة في 29 أكتوبر - تشرين الأول 1954، التي أرسلها من سويسرا إلى الوفد الخارجي بالقاهرة على أن: (**الإخوة في الداخل حريصون جدا على استقلاليتهم، و لا يقبلون التدخل من أحد، لذا يجب أن يكون موقفكم منسجما مع ما تقرر، لتجنب أي سوء تفاهم قد يشكل خطرا على مستقبل العمل.**) [219]

نختم عرض القراءات والتحليلات بشأن القرارين المذكورين: بآخر الآراء التي رأينا تسجيلها، وهي لأحد مجاهدي الأمس، و رجالات الدولة بعد الاستقلال، انه الأستاذ مصطفى هشماوي الذي يذهب إلى أن قضية "**أولوية السياسي على العسكري**"، أغلب الظن أن **"عبان"** هو من كان خلفها ليعزز موقعه و سلطته داخل أجهزة الثورة !.. أما أولوية "**الداخل على الخارج**" فكان يراد منها إبعاد "**بوضياف**" و "**ابن بله**" عن قيادة الثورة، و قد شكلا **"لعبان"** - في رأيه - مصدر إزعاج مستمر! [220]

مما سبق ذكره يمكن أن نخلص إلى أن : المسألة أخذت أكبر من حجمها في تلك المرحلة و بعدها ، على اعتبار أن أصل القضية يعود إلى تباين المواقف بشأن توسيع قاعدة الثورة، بمشاركة التشكيلات السياسية و رجالاتها أم لا ؟ هنا أصل المشكلة**!** فالعسكريون أمثال: كريم ، بن طوبال، وكافي... وغيرهم، كانوا يرون جدوى من ذلك؛ خوفا منهم على تراجع "**المسيرة الثورية"** لصالح "**الإصلاح السياسي**"؛ الذي ثبت فشله في تحقيق الاستقلال قبل الثورة، بينما رأى عبان، وابن مهيدي وآخرون. ضرورة استيعاب كل الفعاليات والطاقات

53- محمد عباس، **ثوار عظماء**، مرجع سابق، ص 26

) وقد أثارا جدلا واسعا على عهد الثورة، و بعد انتهاء مؤتمر الصومام 56م مباشرة، بين قيادات الثورة في الداخل و **** (.. لفض النزاع بشأنهما، كما أثارا نقاشات !!الخارج، و بسببهما سيندفع البعض إلى استعمال العنف اللفظي والجسدي، والاغتيال و منها ما كان موضوعي، وسبق أن عرضنا بعضها.**!**كثيرة منها ما كان ذاتي- شخصي

-54- Belhoucine (Mabrouk) **. le Courier algérien le Caire 1954-1962 et le Congrès de Soummam dans la révolution** (casbah éditions, Alger 2000) P : 77

220 - هشماوي، **جذور نوفمبر 1954**، مرجع سابق، ص 126

الوطنية لصالح الثورة، والاستفادة من كفاءتها وخبرتها السياسية والتنظيمية؛ خشية أن يستقطبها الخصم والعدو المتمثل في إدارة الاحتلال، ومن ثم يقع توظيفها ضد الثورة. وهي الحجة التي أقنع بها عبان خصومه، كما أنه عمل بنص و روح بيان أول نوفمبر- تشرين الثاني 1954، الذي نادي هذه الفئات وكل الطاقات الحية، وخاطبها داعيا إلى ضرورة الانخراط في الثورة لتصفية النظام الاستعماري.

بالتالي فإن إقرار هذين المبدأين من حيث المنظور التاريخي، لا يتعارض مع روح أول نوفمبر- تشرين الثاني 1954 والتوجه العام للثورة. كما أن توسيع قاعدة المشاركة، وتحديد الصلاحيات هو جوهر العمل المطلوب في تلك المرحلة الحرجة والدقيقة التي بلغتها الثورة... فهي بحاجة ماسة إلى كل الطاقات السياسية والعسكرية معا. لكن سوء التقدير والتصرف من بعض القيادات، ولعل "عبان" أحدها كان خلف تلك الضجة التي أثيرت حول المبدأين، و بالتالي سببا للأزمة المفتعلة ؛ التي أخذت الثورة باتجاه الانزلاق، و سمعة بعض رجالاتها نحو التردي والسقوط للأسف!

<u>المحور الثاني:</u>

<u>واقع السياسة الراهنة للثورة</u> : في هذا القسم عمد محررو الصومام إلى عرض واقع المسيرة الثورية منذ 18 شهرا، مؤكدين استمرارية الثورة نحو هدفها المرسوم وهو الاستقلال الوطني؛ باعتبار ذلك حقا مشروعا للشعب الجزائري، كما أن كفاحه أصبح محل أنظار العالم و إعجابه. و قد تم عرض :

أ- **<u>تطور المقاومة المسلحة</u>** : حيث بدأ جيش التحرير بعمليات محدودة، قامت على أساس حرب العصابات، ليتحول تدريجيا إلى حرب شاملة منظمة؛ عبر جيش نظامي يحمل من الإمكانيات والوسائل والتنظيم العسكري..، ما عجزت القوات الفرنسية عن القضاء عليه. وتحصلت قناعة لدى قادتها العسكريين والمدنيين، باستحالة تسوية المشكلة الجزائرية عسكريا ! نظرا لاتساع رقعة الحرب و زيادة الالتفاف الشعبي والمساندة الخارجية، وكذا التحاق الكثير من الجنود و الضباط العسكريين، الفارين من الجيش الفرنسي بوحدات جيش التحرير الوطني، و تكون منظمات مدنية للمقاومة في المدن، وأصبحت تشكل جيشا ثابتا بدون بزة عسكرية، يضرب مراكز الجندرمة والشرطة..، ويستهدف مصالح المستوطنين والعملاء، و يخرب المنشآت الحيوية للاقتصاد الاستعماري. هذا الأمر أفقد سيطرة الفرنسيين على البلاد، وأوجد حالة من الأزمة الشاملة مست كل الأصعدة. جاء في منهاج الصومام: (**... لقد خرج جيش التحرير من أول اختبار في القتال موفقا في وقت قصير نسبيا..،**

وما انفك يدعم مراكزه بتحسين خطته وفنه ونفوذ عمله: و استطاع أن ينتقل بمزيد من السرعة من حرب العصابات إلى مستوى الحرب الجزئية.)[221] يضيف البيان بشان التفاف الجماهير حول الثورة وجيش التحرير: **(... وإن الجيش ليتمتع بحب الشعب الجزائري حبا عميقا، و تأييده المتحمس الشديد وتضامنه الفعال المادي و المعنوي...)** ، أما بخصوص المنظمات المدنية المكونة من المسبلين والفدائيين، و المشكلة داخل المدن و الأحياء... فقد أكد أنه: **(يجب علينا أن ننبه على الخصوص إلى ما تكون في المدن، من منظمات المقاومة الكثيرة التي أصبحت تؤلف جيشا ثابتا بدون بزة عسكرية.)** [222]

هذا التطور في عمل و آليات التحرك و المقاومة لجيش التحرير الوطني ، أوجد حالة من الارتباك العام وسط قوات العدو، كما فرض حالة من اللااستقرار السياسي، جاء في الميثاق: (**فمن الأمور التي لا ينكرها أحد أن نشاط جيش التحرير الوطني ، قد قلب الجو السياسي في الجزائر)** كما كان لهذا التطور أن: (**بعث في الشعب الجزائري الشعور بكرامته القومية، و كون اتحادا روحيا و سياسيا بين جميع الجزائريين.)**

ب- **التنظيم السياسي الفعال** :

أكد منهاج الصومام على الصفة التمثيلية - الحصرية لجبهة التحرير للكفاح الوطني، و قدرتها على استيعاب باقي المنظمات والفعاليات الوطنية بداخلها، لتصيرها جزءا لا يتجزأ من معركة التحرير الوطني، و يعود الفضل في ذلك - حسبه- إلى توفر شروط من بينها :

- إقرار مبدأ القيادة الجماعية، و منع النفوذ الشخصي في إدارة شؤون الثورة.
- وضوح الهدف المتمثل في الاستقلال الوطني، باعتماد الثورة المسلحة كوسيلة لتدمير النظام الاستعماري.
- توحيد كفاح الشعب الجزائري بدون تحيز أو تعصب..
- نبذ تقديس الشخصية و محاربة الوشاة، و تصفية العملاء والخونة... و إحباط كافة المناورات السياسية للعدو.

لكن ذلك لم يحل دون ظهور صعاب وعراقيل، أثرت سلبا في تعطيل عمل الجبهة، و من هذه:

- قلة الوسائل المادية و المالية، و محدودية الإطارات.
- المهمة الشاقة المتبقية لتوضيح الهدف السياسي، و بيان الموقف الثوري بوضوح.

---

(56)- **النصوص الأساسية...** مصدر سابق، ص : 7-8

[222] - **نفسه** صص: 09 -11

- الواجب الاستراتيجي، الذي يقتضي تعليق كل شيء بجبهة الكفاح المسلح.[223]

لكن ذلك لم يمنع الثورة من قدرتها على أن **"تجتاز مرحلة أولى تاريخية بعزة و شرف"**، مما أعطاها صفة **"الثورة المنظمة"** لا الحركة الثورية الفوضوية !.. محافظة على صفتها الوطنية بعيدا عن التعصب الديني أو الحروب الدينية - العنصرية ، تلك التي سادت في عهود الرجعية والإقطاع، في أوربا القرون الوسطى خاصة. جاء في المنهاج : (**... إنها كفاح وطني يهدف على تدمير حكم الاستعمار الفوضوي، و ليست بحرب دينية، أنها سير إلى الأمام في الاتجاه التاريخي للإنسانية، وليست برجوع إلى النظام الإقطاعي.**)[224]

هنا تثار إشكالية المحتوى الإيديولوجي للثورة وهويتها العقائدية ؟ تلك التي حسم أمرها بيان أول نوفمبر- تشرين الثاني 1954؛ حينما أكد على المرجعية الإسلامية للثورة بقوله: (**إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية.**) [225] لكن منهاج الصومام - حسب البعض- تخلى عن هذا التوجه، وأقر **"الصفة العلمانية"** للكفاح الوطني و معركة التحرير، نافيا **"الصفة الدينية"** له، باعتبار ذلك شكلا من أشكال الحروب الإقطاعية الثيوقراطية! فهل صحيح أن الصومام تخلى عن المبادئ الإسلامية ؟ خصوصا إذا نظرنا إلى نوع الدولة التي أقر العمل لإقامتها ؛ حيث جاء في المنهاج (**الحاصل أنه كفاح في سبيل نهضة دولة جزائرية في شكل جمهورية ديمقراطية و اجتماعية، و ليست في سبيل إعادة حكم ملكي أو حكم قائم على ما يعبر عنه باللاهوتية، و تلك نظم قد اضمحلت و دالت دولتها.**) [226]

ابتداء فإن **"الحرب الدينية"**، في عقيدتنا الإسلامية، و نظام حكمها لا وجود لها؛ لا في نصوصها و أدبياتها، ولا في التجربة التاريخية للدولة الإسلامية. فهي نظام و دولة مدنية صاحبة المرجعية و التشريع الإسلامي!... ومن ثم فالتأكيد على نفي الصفة الملكية والحكم اللاهوتي، من مشروع الدولة الجزائرية المراد بعثها و إقامتها من جديد، أمر لا يتنافى وعقيدة الشعب والدولة. باعتبارهما مسلمين: عقيدة، انتماء تاريخيا، وحضاريا منذ أكثر من 14 قرنا و لا تزال. حتى مشاريع التنصير الفرنسي المطبق خابت و فشلت أمام تمسك الجزائريين بإسلامهم، وهويتهم الحضارية. من هنا فان سياق التأكيد على استبعاد صفة أو طابع **"الحرب**

---

(58) نفسه

224 - **نفسه** ، ص 12

225 - **نفسه** ، ص 04

226 - **نفسه** ، ص 12

الدينية" على الثورة الجزائرية، إنما جاء من منظور تفويت الفرصة على الفرنسيين و أعوانهم، الذين حاولوا إظهار معركة التحرير الوطني، بكونها **"حرب عنصرية دينية !"** ضد المسيحيين و العالم المسيحي؛ بهدف تأليبه ضد الكفاح الوطني المشروع للشعب الجزائري، في سبيل تحرره و انعتاقه.

لأجل إبطال هذا المسعى الخبيث للعدو، جاء التأكيد على كون حرب التحرير والثورة الجزائرية؛ إنما هدفها: **"تدمير حكم المستعمر"** و ليست **"حربا دينية"**؛ بل غايتها إنما هي إعادة بعث ونهضة الدولة الجزائرية الجمهورية الديمقراطية والاجتماعية... تلك الدولة التي كانت قائمة قبل الغزو الفرنسي سنة 1830م، بمقوماتها الوطنية و القومية، و انتمائها التاريخي الحضاري؛ في إطار العروبة والإسلام.

نعتقد أن اعتبار الثورة ليست **"حربا دينية"**، وإعلان ذلك إنما جاء -كما يرى الأستاذ لونيسي- على خلفية اعتبار الوثيقة موجهة للرأي العام الغربي، من مصلحة الثورة عدم التركيز على هذه القضية، وتفويت الفرصة حتى لا تتذرع بها فرنسا، و تدعي كما تروج باستمرار بأن حرب الجزائر **"حربا دينية عنصرية"** [227] ضد العالم المسيحي، يخوضها **"متعصبون دينيون"** ؛ مما قد يفقد الثورة الدعم المطلوب من قبل المجموعة الأوروبية المسيحية، وباقي أحرار العالم.

ضمن هذا المنظور أورد المرحوم ابن خده بن يوسف، بخصوص عدم تركيز وثيقة للمؤتمر الثاني لحركة الانتصار في أفريل - ابريل 1953، على **"المبدأ الإسلامي"**[228] ، على اعتبار أن الوثيقة - كما يقول- جاءت في خضم الأزمة السياسية للحزب آنذاك، و كانت تتوخى التسوية التي يرتقبها الرأي العام. خوفا من إثارة العالم المسيحي ضد الجزائر آنذاك، وعليه فضل المؤتمرون اعتماد مبدأ السرية بخصوص هذه المسألة.

لكن بن خده، و في معرض تقييمه لوثيقة الصومام، يعيد النظر في موقفه السابق -الذي يتضمن في منطقه بعدا تكتيكيا أكثر منه موقفا مبدئيا- حيث يعتبر أن **"وثيقة الصومام"** المنبثقة عن المؤتمر تمثل **"ميثاقا"** تضمن بكثير من الدقة، الجوانب المختلفة من واقع الثورة وتطورها، و آفاق المجتمع الجزائري بعد استرجاع السيادة الوطنية؛ ممثلة في تأسيس الدولة الجزائرية في شكل: **"جمهورية ديمقراطية واجتماعية"**، و ليس **"ملكية ثيوقراطية"** مع إبعاد **"الإطار و القيم و المبادئ الإسلامية"**، يقول بن خده: (...**مما يعني عدم الالتزام**

---

227 - د.محمد بجاوي، **الأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية ..**" **إيديولوجية الثورة الجزائرية بين النظرية و التطبيق**... (مقال)، مرجع سابق ص 101

228 -Benyoucef benkhedda,**les origines du 1er Novembre 1954**, Ed-dehleb,Alger 1988 P: 222

بالاستمرارية مع بيان أول نوفمبر !) [229] نتساءل: هل كان هذا الموقف من بن خده يمثل مراجعة للموقف التبريري السابق، أم هو تكتيك جديد ؟

نفس الرأي تقريبا يذهب إليه د.ناصر سعيدوني، حينما يؤكد بأن الثورة الجزائرية و منذ انطلاقتها: (**حملت في أعماقها بل بشرت بمشروع حضاري مستقبلي للشعب الجزائري**)، و أن مفجري الثورة و رعيلها الأول ظل وفيا و متمسكا (**بقناعاتهم الوطنية الصادقة ذات التوجه العربي الإسلامي.**)[230] لكن مؤتمر الصومام 56- حسب رأيه- قد عمل على وضع تصور مشترك و إطار عام للثورة: (**و لم يركز على البعد العربي الإسلامي مع التسليم به ضمنيا.)** كما اكتفى - حسب سعيدوني- بالتوجيهات التنظيمية و المبادئ الوطنية **:(ذات الطبيعة اليسارية.)**

خلاصة الرأي أن محرري البيان السياسي للصومام "**عمار أوزقان**" و رفاقه، الذين ترك لهم "**عبان**" حرية العمل؟.. توافقوا جميعهم في التصور والنظرة، والتوجه اليساري؛ ومن ثم جردوا الوثيقة من أبعادها القيمية الإسلامية، فأعطوها المسحة التنظيمية التقنية، ذات البعدين الاجتماعي والاقتصادي... لكن ذلك لم يغير في واقع الأمر شيئا، لكون القيم والمبادئ الإسلامية هي أساس الكفاح الوطني، كما تمثل عقيدة الشعب الجزائري. و لا غرور فهذا "**توفيق المدني**" يؤكد هذا المعنى- وهو أحد قادة الثورة و عضو المجلس الوطني المنبثق عن الصومام - حينما صرح في فيفري- شباط 1957م قائلا: (**إن الثورة الجزائرية لا تعمل إلا في دائرة الإسلام و العروبة، و وحدة المغرب العربي.)** [231] و سيقف الكثير في وجه هذا التعديل، أو الإسقاط للإطار الإسلامي للثورة والدولة المستقبلية. ليشكل جبهة الرفض في وجه قرارات الصومام؛ معتبرا ذلك انحرافا خطيرا (**عن الخط النوفمبري**)، وفي مقدمة هؤلاء، "**أحمد بن بله**" الذي سيتهم "عبان" "**بالانحراف**"، و"**سرقة الثورة**" ؛ وسنأتي في المبحث القادم على تفصيل الحديث بهذا المسألة.

من جانب آخر فقد أكد منهاج الصومام 56م، التحاق المنظمات السياسية الوطنية (المركزيون، البيانيون، والعلماء) بالثورة، وانخراطهم في صفوفها، في حين تلكأ التيار المصالي عن ذلك ؟ مصرا على إفلاسه و انهياره

64- Benyoucef benkhedda, **Aban, ben M'hidi leur apport à la révolution algérienne**,Dehleb, Alger 2000 P 163

[230] - د.ناصر الدين سعيدوني، **ثوابت الأمة الجزائرية بين الشعارات و الواقع المعيش**، كتاب جمعية أول نوفمبر ..."**الثورة الجزائرية، أحداث و تأملات**"، مطبعة عمار قرفي باتنة 1994، ص 266-267

[231] - مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، **القيم الفكرية و الإنسانية...** مرجع سابق ص 285

خارج الإطار الثوري. مثلما كان حال الحزب الشيوعي الجزائري، الذي تخلف عن الركب هو الآخر، ولم يؤد دورا يستحق الذكر؛ مفضلا الإبقاء على **"حبله السري "** الذي يربطه بالحزب الشيوعي الفرنسي ، ومتشبثا بوهم ثورة طبقة العمال الشيوعية في المترو بول، كشرط أساسي لتغيير موقفه مما يجري في الجزائر. فكان أن وجد نفسه خارج دورة التاريخ حتما و مصيرا !

جـ - **إستراتيجية الاستعمار الفرنسي** :

أشار المنهاج إلى أن نمو الثورة و تعاظمها، أدى إلى إبطال كافة التكهنات و أراجيف الاستعمار الفرنسي بإمكانية القضاء عليها، كما أوقعت بمؤسساته العسكرية و السياسية في حالة تأزم مستمر؛ دفعها إلى تسوية مشكلات استعمارية عديدة في إفريقيا السوداء وفي المغرب العربي. وعليه عمد المستعمر إلى بناء إستراتيجية مضادة للثورة الجزائرية قامت على :

- الحيلولة دون قيام جبهة كفاح مشترك وموحد، بين الريف المغربي والثورة الجزائرية.
- منع قيام وحدة الكفاح و المصير بين الأقطار المغاربية الثلاثة.
- عزل الثورة الجزائرية عن محيطها التضامني، لما تشكله من خطورة بسبب طابعها الجماهيري.

بذلك بدا أسلوب المناورة والتسوية الجزئية أو المنقوصة، التي فرضتها على الجارتين تونس و المغرب؛ ما هي في واقع الأمر إلا خدعة استعمارية جديدة، هدفها ربح الوقت، والتفرغ للقضاء على الثورة الجزائرية، على أمل استرجاع السيطرة على القطرين المغاربيين، من ثم أكد المنهاج على أن: (**استقلال المغرب و تونس بدون استقلال الجزائر لغو.**) [232]

وما تبني الحكومة الفرنسية لسياسة جديدة في الجزائر، تقوم على تنفيذ مخطط **"لاكوست"** للتهدئة المزعومة، ثم إنشائها المجالس التشريعية، و ادعاؤها الإصلاحات... وغيرها. ما هو في واقع الأمر إلا أسلوب جديد للنيل

---

[232] - **النصوص الأساسية**... مصدر سابق، ص 19

من الثورة، ومحاولة فصل الشعب عنها، لكن هيهات، هيهات! فإن : (**جبهة التحرير الوطني ستخيب مساعي العدو المقبلة كما خيبتها في الماضي .)** [(233)]

<u>المحور الثالث:</u> البوادر السياسية... و آفاق الثورة بعد الصومام56م

إن قدرة الثورة الجزائرية على تحقيق بعدي: "**الوطنية**" و "**الشعبية**"، وتطلعها إلى إنجاز إدارتها المستقلة ضمن وحدة جغرافية الوطن، ثم سعيها إلى تحقيق النصر بخطى ثابتة... كل ذلك أقنع الفرنسيين بعدم إمكانية الحسم العسكري! مما استلزم على جبهة التحرير الوطني التمسك بمبدأ: (**المفاوضات تأتي تتوجا لكفاح مستمر ضد عدو غاشم، وليس قبل أبدا.)** [(234)] وبذلك يبنى الموقف اللاحق على ثلاث اعتبارات حددها منهاج الصومام هي :

1- اتخاذ مذهب سياسي واضح، أي التمسك بالأهداف والغايات المعلنة .
2- توسع نطاق الكفاح المسلح حتى تصير الثورة عامة .
3- القيام بنشاط سياسي واسع النطاق .

لأجل ذلك وجب ضبط و تحديد أهداف الحرب، و طرح التساؤل: لماذا نحارب ؟

لقد حسم مفجرو الثورة من قبل، و أجابوا على هذا التساؤل في بيانهم التاريخي (أول نوفمبر- تشرين الثاني 1954م)؛ حيث أكدوا بوضوح ودون لبس؛ أن مهمة الثورة المعلنة إنما هي مهمة تاريخية وإنسانية، تتوخى القضاء بصفة نهائية - لا رجعة فيها - على النظام الكولونيالي الجاثم على أرض الوطن، و صدر الشعب. هذا الاستعمار الذي حال لقرن و ثلث القرن دون رقيه، و ضمان السلم الاجتماعي والمدني الذي طالما حرمه منه.

---

[233] - **نفسه**، ص 20
[234] - **نفسه**، ص21

من ثم فإن: (**أهداف الحرب هي نهاية الحرب التي منها يبدأ تحقيق السلم.**)[69مكرر] يا له من هدف واضح و بليغ ! فبالحرب يقتنع المستعمرون بأهدافنا السلمية، التي طالما رفضها بوسيلة السلم من قبل. وعليه فإن الأهداف الجزئية والمرحلية، التي يجب إنجازها للوصول إلى الهدف العام؛ وهو السلم هي:

- إضعاف الجيش الفرنسي، بحيث يستحيل عليه تحقيق الانتصار على الثورة بقوة السلاح.
- إتلاف و إنهاك الاقتصاد الاستعماري، و إشاعة حالة من الفوضى العامة في كامل فرنسا لعزلها دوليا.
- إضفاء الصفة القانونية والدولية على الثورة الجزائرية، لضمان الدعم و المساندة و التعاطف.
- تعزيز التضامن الشعبي للثورة ، باعتباره السند الحقيقي و وقود النصر.[235]

بهذه السياسة الحربية للثورة، تجبر الثورة الفرنسيين على الرضوخ، لوقف إطلاق النار الذي يجب أن يلتزم بالشروط التالية:

- الاعتراف بوحدة الشعب الجزائري.
- الاعتراف بالاستقلال و السيادة الكاملة للجزائر.
- الإقرار بالصفة التمثيلية القصرية لجبهة التحرير الوطني، كممثل للشعب الجزائري، وهي صاحبة القرار بوقف القتال نيابة عنه.

تلك هي الخطوط الحمراء التي لا يجب تخطيها، لضمان إقرار وقف القتال، يليه التفاوض الذي يجري على أساس الاستقلال. تحدد محاوره الكبرى في: وحدة التراب الوطني، و وحدة الشعب الجزائري، و مصير الأقلية الأوربية و أملاكها، و كذا أملاك الدولة الفرنسية الاستعمارية، و أخيرا أشكال المساعدة الفرنسية المستقبلية في الميادين: الاجتماعية، الاقتصادية، والثقافية... و غيرها.

وفق هذا المنظور، وضمن الإستراتيجية التي حددها منهاج الصومام 56م ، لم ينس التذكير بالإطار الطبيعي المغاربي لانتماء الجزائر داخل محيطها الشمال إفريقي، وأنها (**...مجموعة كلية تؤلفها الجغرافيا و التاريخ و اللغة و الحضارة و المصير، لذا يجب أن يسفر هذا التضامن على تأسيس الدول الثلاث.**) [236] وفي القانون الأساسي للجبهة - الذي أعد بعد مؤتمر الصومام - جاء الالتزام والتأكيد على هذه القضية بصراحة وحزم؛ حيث

---

[235] - **نفسه**، ص 22-23
[236] - **نفسه**، ص 23

أكد بـ: (**إن الجزائر جزء من المغرب العربي، الذي تربطها به أربعة عشر قرنا من التاريخ و الثقافة العربية الإسلامية، و الكفاح المشترك ضد الاضطهاد الاستعماري.**) [237]

و جاء انعقاد مؤتمر طنجة أفريل - نيسان 1958م، تأكيدا و تتويجا لهذا المسعى النبيل و تثبيتا لقيم التضامن و الوحدة المغاربية، كقيمة قومية و حضارية طالما أكدتها أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية، و ناضلت لأجلها القيادات الوطنية المغاربية ، كما كافحت في سبيلها الثورة الجزائرية ، و ضمنتها وثائقها و نصوصها الأساسية منذ انطلاقتها.

بما أن استقلال الجزائر صار الغاية الأولى للثورة الجزائرية ، التي تزحف للوصول إليها بسرعة ، من خلال انتصاراتها : العسكرية و السياسية و الدبلوماسية..، و ستكون حقيقة ماثلة في القريب العاجل ! فانه يجب على جبهة التحرير الوطني أن تعد عدتها لاستقبال هذا اليوم الموعود؟ لتتسلم زمام الأمور، وتهيمن على الوضع العام في البلاد. لمجابهة المناورات الجديدة التي يمكن للقوى الاستعمارية وعملائها أن ينسجوها؛ للقضاء على مكاسب الثورة و الشعب الجزائري. و من ثم لابد من التبصر والحذر الشديدين - كما أكد منهاج الصومام - عبر:

- ربط الثورة العامة بالتحرر الوطني.
- التركيز على تحضير الإطار الفني، و إعداده جيدا و ترقيته.
- تدعيم تناسق العمل السياسي و العسكري.
- تمتين الاتحاد الوطني المناهض للامبريالية.
- التركيز على الطبقات الاجتماعية لطابعها الثوري ممثلة في الفلاحين و العمال(****)
- تنظيم حملة لإقناع كل العناصر، و تشجيع المترددين، و بث مزيد من الوعي لتنبيه الغافلين و المترددين.
- عزل المتطرفين من الكولون و غلاة الاستعمار، وكسب المتنورون من الليبراليين و الإنسانيين.

---

237 - كتاب: مخبر الدراسات التاريخية و الفلسفية، **القيم الفكرية و الإنسانية**، مرجع سابق، ص 286

(******..) – يظهر جليا من خلال لغة التحرير، و التركيز على إظهار الطابع الطبقي للصراع و منهجية التقسيم و التبويب، و ما تحمله من عنصره و تجزئة... الخ، التأثر بالتحليل اليساري الذي يقوم على تقسيم فئات المجتمع و النضال الثوري بين: (الفلاحين، العمال، المثقفين، التجار، الحرفيين، الشباب، النساء..) وهذا بالضبط ما نلمسه في طريقة المعالجة، و التأشير على وسائل العمل اللازم اعتمادها في المعركة القادمة.. !؟

هذا في الداخل، أما في الخارج فإن الجبهة مطالبة لتحصين عملها، و حماية ثمرة كفاحها الوطني أن تبذل المزيد من الجهد الدعائي و الدبلوماسي؛ لكسب أكبر قدر ممكن من التأييد المادي و المعنوي، و مضاعفة تعاطف الرأي العام العالمي، و استمالة الأطراف و الحكومات المحايدة، أو تلك التي لم تطلع على مضمون الكفاح الوطني .

في سبيل إنجاز كل ذلك، و لأجل الاضطلاع بتلك المهمات المستقبلية الصعبة، وجب تنظيم وسائل العمل و الدعاية، واستخدامها لتحقيق النصر المنشود للكفاح الوطني. و قد طرح منهاج الصومام المسألة وفق المنظور الآتي :

أ- كيفية تنظيم و قيادة ملايين الرجال للكفاح العظيم، و نشر الوعي السياسي، و التصدي لدعاية العدو... الخ .

ب- تصفية الجو السياسي، بإزالة الحواجز و العراقيل التي نصبها العدو في طريق الثورة.

جـ- تحويل السيل الشعبي إلى طاقة خلاقة، من خلال تنظيم فروع النشاط البشري في أشكال عديدة، تضمن الثورة الاستفادة منها وتسخيرها في معركة التحرير الوطني، تتمثل تلك الفروع في:

(الحركة الفلاحية، الحركة العمالية، حركة الشباب، المثقفون وأصحاب المعن الحرة، التجار و الصناع، الحركة النسائية... الخ.) [238]

بهذه الإستراتيجية الشاملة المتضمنة تحري نشاط جيش التحرير الوطني، و حقنه بدم جديد، و بناء خطة جديدة تستلهم المهام المستقبلية للجبهة وتحددها بدقة. كما تم ضبط وسائل العمل و الدعاية، وتجنيد كل الطاقات الحية والفاعلة في المجتمع، ثم تحويلها إلى نهر جارف يقوض أركان المستعمر، ويزيل معالمه. ليفسح المجال

---

[238] - **النصوص الأساسية**... مصدر سابق، ص: 26-37

لإعادة بناء الكيان الوطني الجزائري- المغيب تعسفا و قهرا- وقد رسم منهاج الصومام إجرائيا وعمليا، كما أعد برنامج إنقاذ وطني بديل للنظام الاستعماري؛ أملا في نهضة الجزائر ورقي شعبها، والعودة بهما إلى رحاب الأمم المتحررة، الساعية إلى التنمية في مناخ من الأمن و الاستقرار والسلم و التعاون... مع باقي شعوب العالم.

المحور الرابع : المعركة الدبلوماسية المكملة لمعركة الداخل

استكمالا لعدة المعركة، واستنفاذا لكل وسائل المقاومة لضمان النصر القريب، نبه نص أو منهاج الصومام56م إلى ضرورة الإستقواء بكل عوامل نجاح معركة التحرير الوطني الداخلية والخارجية، على الرغم من تأكيده على أن: **(يعتمد الجزائريون أول ما يعتمدون في تحرير بلادهم على أنفسهم.)** [(239)] إلا أن ذلك لم يمنع جبهة التحرير الوطني من أن تعمل على تعبئة جميع القوى؛ بما فيها الأقليات الأوربية بالجزائر نظرا لأهمية عددها وتأثيرها في قرار الحرب و السلم، خاصة المستوطنين. و من ثم عدم تركها لقمة سائغة في يد إدارة الاحتلال الفرنسي، لتستعملها لضرب الثورة الجزائرية و كفاحها المشروع؛ من خلال لغة التخويف و الفزع التي انتهجها لتأليبها. تارة باسم **"الوحشية العربية"**، و أخرى باسم **"الحرب الدينية"** ، و ثالثة ب**"مصيرها المحتوم في البحر"**... و غيرها، من الدعاوى و الأكاذيب التي يروجها المستعمر لتشويه صورة الثورة و هدفها، و كذا موقفها من الأقلية الأوربية .

لأجل ذلك فإن جبهة التحرير، والثورة الجزائرية، مطالبة بأن تستعمل سجلها الإنساني و قيم التسامح، و المعاملة الحسنة التي عاملت بها هذه الأقلية، ومنهم أسرى الحرب الفرنسيين..؛ الذي نوهت به التقارير الصحفية الأجنبية و الفرنسية معا؛ لتصحيح الموقف، و كسب هذه الفئة إلى صف الكفاح المشروع للشعب الجزائري. وبخاصة الليبراليون الأحرار، الذين يتوزع موقفهم بين **"فكرة الحياد"**، و **"الحل الوسط"** التفاوضي، ناهيك عن أصحاب المواقف الجريئة التي تقبل فكرة **"استقلال الجزائر."**

فأكد منهاج الصومام56م دون مواربة على أن الثورة الجزائرية؛ ليست ضد الشعب الفرنسي و لا ضد الأوربيين أو الحضارة الغربية، و لا تريد بهم شرا، و (**ليست غاية الثورة الجزائرية أن تلقى في البحر بالسكان الأوربيين، و لكنها تحطم نير الاستعمار الوحشي، وليست الثورة الجزائرية حربا أهلية و لا حربا**

---

[239] - **نفس المصدر**، ص 37

دينية، و إنما تريد الثورة الجزائرية أن تسترد الاستقلال الوطني، لإقامة جمهورية ديمقراطية اجتماعية تضمن مساواة حقه بين جميع سكان الوطن، بدون تفريق و لا تمييز...)

وتدخل **"الأقلية اليهودية"** ضمن هذا النداء، و قد برهنت الثورة الجزائرية بأنها تكفل لليهود حظهم في الحياة الحرة الكريمة، والازدهار في ظل الجزائر المستقلة، والتاريخ يؤكد دلائل التسامح والتعايش مع هذه الفئة. لأجل الوصول إلى تلك الغاية المنشودة توصي الجبهة بـ:

- تشجيع ومساعدة تأليف لجان وحركات من بين الديمقراطيين الأحرار، والليبراليين الجزائريين.
- مضاعفة الدعاية بين المجندين والجنود الذين أعيد طلبهم (تجنيدهم) في فرقهم العسكرية.
- تكثير اللجان و زيادتها، تلك التي تضم نساء المجندين، للمطالبة بتسريح أزواجهم من الجندية.[240]

دور فدرالية الجبهة بفرنسا :

لقد سعت الثورة التحريرية منذ انطلاقتها، إلى إيلاء الأهمية القصوى للجالية الوطنية في المهجر و خاصة في فرنسا، إلى جانب متابعة تطور الرأي العام الفرنسي حيال قضية التحري الوطني. لأجل ذلك فقد أنشأت **"فيدرالية جبهة التحرير الوطني"** في فرنسا، و عززت قيادتها لتوكل إليها مهام سياسية كبيرة، تشمل التعريف بالثورة الجزائرية وعدالة قضيتها لدى الرأي العام الفرنسي الشعبي و المدني من خلال :

- القيام باتصالات سياسية مع المنظمات والحركات، ولجان مقاومة الحرب الاستعمارية.
- تنظيم التجمعات،المظاهرات، الإضرابات، وحركات الاحتجاج ضد ترحيل الجنود الفرنسيين، وعمليات شحن الآلات الحربية لإبادة الشعب الجزائري.
- تنظيم المهاجرين الجزائريين، باعتبارهم رأس مال ثمين، وتوظيف قوتهم العددية والسياسية ضد الحركات المعادية للثورة، وإثارة الرأي العام الفرنسي الأجنبي: الإعلامي، الأكاديمي، الطلابي، والشعبي... الخ .
- تعزيز التضامن المغاربي بين الجالية المغاربية، وتنسيق العمل المشترك؛ عبر الاتصال و إنشاء اللجان المشتركة و التعاون.[241]

[240] - **نفسه**، صص 40-41

الجـزائر أمام العـالـم.

على الرغم من الحملة المسعورة التي نظمتها فرنسا الاستعمارية دوليا لخنق الثورة، لمنع صوتها من الخروج إلى العالم، و حشدها التأييد المادي والأدبي ضدها. إلى جانب تعزيز التحالف الغربي الانجلو- أمريكي - والأوربي الغربي عامة ضد الثورة الجزائرية، ثم توظيف ترسانة الحلف الأطلسي للقضاء على الثورة...الخ . إلا أن مسعاها خاب ولم يفلح في فرض طوق العزلة على الثورة؛ فكان للصحافة الغربية و أحرار العالم، والمنظمات الحقوقية والإنسانية. ناهيك عن الدور الدبلوماسي والإعلامي للثورة...الخ، الدور الهام و الرائد في تأكيد و إقناع دول العالم بعدالة الحرب الجزائرية؛ مستعينة في ذلك بدعم الأشقاء العرب، و إخواننا المسلمين، وشعوب وحكومات دول العالم الثالث - داخل الكتلة الآفرو- أسيوية- و بقية الشرفاء في العالم. وصحوة منظمة الأمم المتحدة؛ التي استيقظت أخيرا؛ بفضل كفاح الشعب الجزائري، وتمسكه بقضيته العادلة، إلى جانب نضالات المجموعات السابقة الذكر .

وأصبحت دبلوماسية الجبهة تضغط؛ لأجل بحث تسوية سلمية عادلة للقضية الجزائرية، والمطالبة تقرير مصير الشعب الجزائري. واستطاعت الثورة الجزائرية أن تحقق مكسب **"التدويل الإعلامي والدبلوماسي- الرسمي"** لقضية الشعب الجزائري و كفاحه الوطني. كما تمسكت وأصرت على الطابع الاستقلالي للثورة، وبالتالي رفض كل إشكال الوصايا الإقليمية و الدولية عليها. جاء منهاج الصومام مؤكدا أن الثورة الجزائرية ما هي: (**... إلا كفاح وطني يعتمد على أساس قومي و سياسي و اجتماعي، و ليست الثورة الجزائرية تابعة للقاهرة أو لندن أو موسكو، أو واشنطن.)** [242]

بهذا عززت الجبهة تواجدها الخارجي، عبر وفدها المتحرك الذي كان يتمتع بـ :

- مكتب دائم لدى هيئة الأمم المتحدة، و في الولايات المتحدة الأمريكية بنيويورك.
- وفد في البلاد الأسيوية .
- وفود متنقلة لزيارة العواصم، و المشاركة في التجمعات العالمية: الثقافية، تجمعات الطلبة و النقابات...

---

[241] - **نفسه**، صص 41-42
[242] - نفسه، ص 44

- دعاية مكتوبة قائمة على وسائل الجبهة الخاصة من: تنظيم الندوات الصحفية، نشر التقارير، وعرض الأفلام... الخ.[243]

خلاصة القول: أن الثورة الجزائرية مثلت انفجارا هز وزعزع أركان النظام الاستعماري، ليس في الجزائر فحسب؛ بل في كل القارة الإفريقية، والعالم الثالث، سائرة في طريق التحرير والاستقلال. اعتمادا على جهد المخلصين من أبنائها، ومساندة والتفاف شعبها، و تضامن الأشقاء و الشرفاء في العالم؛ خدمة لقيم الحرية، الكرامة، والعيش في سلام... و سيادة الشعوب على أراضيها و ثرواتها.

تلك كانت مجمل الخطوط العامة، والأفكار الأساسية، والمضامين السياسية، الاجتماعية، الآفاق العامة، وسبل وخطط العمل ووسائله، التي رسمها منهاج الصومام 56م. مركزا على تنظيم الثورة و تزويدها بالهيكلة والبناء المؤسساتي السياسي والثوري؛ من مثل : **المجلس الوطني للثورة "CNRA"**، و **لجنة التنسيق و التنفيذ "CCE"**، وتنظيم الشعب في **"مجالس شعبية"**؛ لأجل التكفل بانشغالاته اليومية، وتجنيده مسبلا أو فدائيا... لإنجاح العملية العسكرية لجيش التحرير. كذلك ضمان الاتصال الدائم بالقاعدة الشعبية؛ بهدف حلول الثورة و أنظمتها محل الإدارة الاستعمارية، ومقاطعة الأخيرة بشكل نهائي !! بهذا حددت معالم الطريق للجميع، و أنشأت أرضية الصومام 56م : المؤسسات الدستورية، والقانونية الأولى للدولة الجزائرية الحديثة. ومن ثم أعطت الجبهة **"بنية"**و**"هيكلة"** شبه دولتيه؛ كما خاطبت الرأي العام الفرنسي والدولي، موضحة طبيعة الثورة وغايتها الوطنية و الإنسانية، بهدف كسبه إلى جانب قضية الشعب الجزائري العادلة.

فكيف كانت ردود الفعل الوطنية في الداخل و الخارج حيال المضامين الفكرية والسياسية لهذه الوثيقة ؟ إلى أي مدى أنجزت الهدف المنوط بها ؟ وهل حققت الإجماع والوحدة الوطنية المنشودة ؟ ما هي تأثيراتها على المسار الثوري العام لاحقا ؟ تلك أسئلة ملحة سنحاول الإجابة عنها؛ تحليلا وتعليقا في ثنايا المبحث الموالي.

المبحث الثالث : أهمية وثيقة الصومام بالنسبة لمسار الثورة

تكتسي وثيقة الصومام 56 م أهمية خاصة في مسار الثورة التحريرية الجزائرية، و ذلك لكونها عززت مسيرة الثورة وزودتها بأشكال وآليات تنظيمية إدارية و عسكرية، إلى جانب المؤسسات السياسية القانونية التي

[243] - نفسه، ص 46

تؤطر القيادة، وتضمن وحدة المسار الثوري. ناهيك على أنها عملت على حماية و تسعير أوار الثورة، و بناء استراتيجيه جديدة للكفاح الوطني، في سبيل التحرير و الاستقلال؛ يتكافأ كليا أو جزئيا مع حجم المعركة، قوة الخصم، تحديات النضال، أهداف و غايات الثورة... تلك التي لا تقل عن تقويض أركان المستعمر، إنجاز السيادة الكاملة، ضمان وحدة الوطن و الشعب، والتطلع إلى غد مشرق.

على الرغم من اتفاق أغلب الدارسين والباحثين لنص وثيقة الصومام 56 م، وإقرارهم كونها ليست وثيقة إيديولوجية تحمل مشروع مجتمع، كما لم تنظر لفلسفة الحكم لما بعد الاستقلال...الخ، لكنهم أجمعوا على كونها وثيقة تنظيمية، سياسية، اجتماعية... عززت البعد التنظيمي والتعبوي للثورة، و رسمت إستراتيجية الكفاح في المرحلة القادمة، كما حددت الأهداف، وسائل وآليات العمل، وأساليب التعامل، وكذا شروط التسوية مع العدو... الخ. إلى أن ذلك لم يشفع كونها حملت كذلك: ملامح فكرية وسياسية؛ لم تتوافق بصورة كلية مع أدبيات النضال الوطني. و لا مع بيان الثورة وندائها التاريخي الأول -نوفمبر- تشرين الثاني 1954م- كما أن غياب صفة الإجماع في التمثيل في مؤتمر الصومام لكل مناطق الداخل، و غياب ممثلي الجبهة في الخارج، والانفراد بإقرار مؤسسات قيادية، و تبني مبادئ سياسية حساسة - بالرغم من وجود بعض المصادر التي تؤكد بأن **"بن مهيدي"** خلال ترأسه لجلسات المؤتمر في أوت - آت 1956م، ذكر بأن وفد الجبهة في الخارج ممثلا في **"بن بله"** و **"خيضر"** و **"ايت أحمد"**، كانوا قد أعطوا موافقتهم المسبقة على مشروع أرضية الصومام **!**(244)- إلا أن ذلك لم يمنع من ظهور أصوات قوية معارضة في الداخل و الخارج للوثيقة، طاعنة في مشروعيتها و وطنيتها **!**؟ يأتي الزعيم التاريخي **"أحمد بن بله"** على رأسهم؛ كأشد المعارضين لوثيقة الصومام .

وقد وجه **"عبان رمضان"** - رجل الصومام الأول و المشرف على لجنة "CCE"- رسالة بعد نهاية المؤتمر إلى أحمد بن بله؛ ضمنها لهجة شديدة، مرفقة بقرارات المؤتمر، مما جاء فيها: (**إن هذه القرارات لا رجوع فيها، وقد تم تشكيل قيادة الثورة بالاتفاق، وتحدد خطها السياسي... وتحددت مسؤولية الجميع، وكل من يقف في طريقها ستحصده !..**) (245) وقد جاء رد بن بله برسالة أقل حدة، تضمنت أسباب معارضة للوثيقة، والتأكيد على كون:

---

79 - Henri Lemire, **histoire militaire de la guerre d'Algérie**, Albin Michel Paris 1982, P83-84

245- مصطفى ، **هشماوي، جذور نوفمبر 1954**... مرجع سابق، ص 126

1- المؤتمر غير تمثيلي، لم تحضره قيادة الاوراس، ولا المنطقة الشرقية (سوق أهراس)، ولا منطقة وهران، إلى جانب البعثة الخارجية.

2- أن الإسلام ليس له وجود في قراراتكم، و أعدتم النظر في الطابع والمبادئ الإسلامية لمؤسسات الثورة و الدولة بعد الاستقلال؛ و كأن توجهكم علماني ! هذا يتنافى مع مبادئ نوفمبر- تشرين الثاني 1954م.

3- وضعكم مسؤولي أحزاب معادية لنا داخل الهيئات القيادية (إشارة إلى البيانيين و العلماء)، و هذا مناف كذلك لمبادئ نوفمبر 1954م. [246]

في المقابل فقد جاء رد "**بوضياف**" - رجل نوفمبر الأول و منسق مجموعة الست- أقل حدة؟!.. في حين لم يكن لكل من "**ايت أحمد**" و "**محمد خيضر**" رد مماثل؛ ترى هل قبلا بما جاء به الصومام ؟ أم أنهما غير معنيين بالمسألة ؟ أم أن القرارات لم تكن تقصدهم، عكس "**ابن بله**" و "**بوضياف**" غريما "**عبان**" !؟

وبالتالي فإن البعض يبرر عدم حضور "**بن بله**" المؤتمر، بعدم رغبة "**عبان**" و إقصائه المتعمد مع كامل الوفد الخارجي؛ خشية أن ينافسه و يقف في وجه تجسيد رغباته الشخصية والسياسية المتضمنة في قرارات الصومام. خاصة و أنه معروف على **بن بله** الصلابة في الموقف، و قوة الشكيمة والقدرة على الإقناع...الخ. ثم ماذا يمثل "**عبان**" أمام "**بن بله**"- رجل "OS"، والشخصية التاريخية ضمن المجموعة المفجرة للثورة 6+ 03 ؟!- بينما يذهب البعض إلى إعطاء تفسير مغاير لعدم حضور ابن بله للمؤتمر؛ بكون السبب يعود إلى خـــوف **ابن بله** على حياته من "**عبان رمضان**" الذي يعرف بالغدر و العنف ؟ و أن ذلك جاء باتفاق ابن بله مــع جمال عبد الناصر. [247]

لا نعتقد في صحة هذا التفسير الأخير، ذلك أن "**ابن بله**" و "**بوضياف**" كانا قد غادرا القاهرة باتجاه إيطاليا، واستقرا في "**سان ريمو**" جنوب إيطاليا، منتظرين إشارة من الداخل للقدوم لحضور المؤتمر. إلا أن ذلك لم يتأت لهما ؟ الغالب أن هذا التفسير لا يعدو أن يكون من نسج خيال قائد المخابرات المصرية السابق، "**فتحي الذيب**" لا عجب فكتابه كله يوحي و كأن الثورة الجزائرية من صنع عبد الناصر !

---

[246] - **نفسه**، ص 127

[247] - فتحي الذيب، **عبد الناصر و الثورة الجزائرية**، نشر دار المستقبل العربي، القاهرة 1984، ص 236

المهم أن الصراع الذي أخذ مداه التصاعدي، بين مؤيدي وثيقة الصومام بزعامة عبان، و معارضيها بزعامة "ابن بله"، وقد توسعت "**جبهة الرفض**" للصومام وقراراته في الداخل، حيث شملت قيادة الولاية الأولى، منطقة سوق أهراس، قيادة الحدود الشرقية، ناهيك عن وفد الجبهة الخارجي... وكان أن التأمت "**مجموعة الرفض**" في مؤتمر على الحدود الشرقية بتاريخ 15 ديسمبر- كانون الأول 1956[(248)] ؛ أي بعد ثلاثة أشهر و نصف من انتهاء مؤتمر الصومام. حضر المؤتمر: "عمار بوقلاز، عبد الله بلهوشات، مسعود بن عيسى، عمر بن بولعيد، الباهي شوشان، والأزهر شريط... وغيرهم"؛ كممثلين عن مناطق: سوق أهراس، سدراتة، خنشلة، وتبسه. وبعد مناقشات ومداولات خرج بالقرارات التالية:

1- عدم الاعتراف بقرارات الصومام، بحجة ضعفها التمثيلي داخليا و خارجيا.

2- تطهير منطقة تونس، بإبعاد العناصر التي سببت الفوضى وعرقلت المسير ة الثورية.

3- تعهد لمنطقة سوق أهراس أداء مهمة التموين بالسلاح للولايات الداخلية.

4- تجديد الثقة في المناضل "**أحمد محساس**"- ممثل وفد الثورة بالخارج (بالقاهرة)- ، بجميع أعمال الجيش السياسية و العسكرية بالخارج، و تمثيل جيش التحرير الوطني.

تلك هي المرحلة التصعيدية العملية التي جاءت في سياق رفض قرارات الصومام 56م. أما بخصوص "**أحمد محساس**"، الذي كان مع وفد الجبهة الخارجي بالقاهرة، فقد كلفه الوفد بتمثيله في تونس، والقيام بالإشراف على أعمال جيش التحرير على الحدود الشرقية، و قضايا التمويل بالسلاح وغيرها، بذلك أعتبر "**المسؤول العسكري**" بقاعدة تونس الحدودية. و كان قد وقف موقف التنديد بقرارات مؤتمر الصومام 56م، و أصدر لائحة بهذا الخصوص بمعية ممثلي: سوق أهراس، الولاية الأولى التاريخية (الاوراس.)[(249)] فكيف كان موقف عبان ورفقائه من كل ذلك ؟ وكيف تعاطوا مع خصومهم المعارضين لقرارات الصومام ؟

<u>عبان رمضان رأس الحربة... و كبش الفداء !</u>

برز "عبان رمضان" ، عضو لجنة "OS" المعتقل سنة 1950 والمحكوم عليه بـ 05 سنوات سجنا نافذة - باعتباره أحد النشطاء القدامى في حزب الشعب - عند إطلاق سراحه في فيفري- شباط 1955م حيث التحق

---

[248] - فتحي الذيب، **عبد الناصر و الثورة الجزائرية**، مرجع سابق، صص 290-293

[249] - هشماوي، **مرجع سابق**، ص 158، و ينظر الملحق رقم 10 ص 259-261 بنفس المرجع. لعل اللائحة المعنية هي نفسها قرارات مؤتمر ديسمبر 1956، التي سبقت الإشارة إليها.

بالجبهة في العاصمة، استعمله كريم بلقاسم كمعاون سياسي له. وسرعان ما لمع نجمه - في ظل الفراغ السياسي القائم- بعد استحالة دخول ممثلي الجبهة من الخارج، خاصة بوضياف وبن بله، فأصبح بذلك رجل الجبهة الأول ! كان صاحب الفضل الأول في تجميع الفعاليات السياسية الوطنية حولها، خاصة قيادات الأحزاب السياسية الوطنية (البيانيون، العلماء، والمركزيون) ؛ الأمر الذي أثار مخاوف بعض القيادات العسكرية في الداخل خاصة كريم بلقاسم، و في الخارج و تحديدا احمد بن بله .

وجاء انعقاد مؤتمر الصومام 1956م، و الإشراف المباشر لعبان على التحضير السياسي والبشري لوثائقه ورجالاته، ثم أدائه دور "**المهندس**" التنظيمي والسياسي في أشغال المؤتمر وجلساته وكواليسه...الخ. مما أفضى إلى قرارات أبرزها :"**أولوية السياسي على العسكري**"، و "**الداخل على الخارج**" ! وتعيين الأشخاص القياديين في المجلس الوطني للثورة، ولجنة "CCE"؛ كل ذلك أثار حفيظة خصومه السياسيين السابقين، ومنافسيه على زعامة الثورة ؟ أدى ذلك إلى نشوب إلى أزمة حقيقية بين قيادات الثورة؛ مثل عبان فيها "**رأس الحربة**" ! و للأسف سيكون ضحيتها وكبش فدائها الأول !؟ ذلك أن عبان- الرجل الذكي، والداهية السياسي الطامح إلى قيادة الثورة- لم يسكت أمام خصومه ومعارضيه؛ حيث يذكر ايت أحمد أنه : "**هدد بوصفه منسق "CCE" بإرسال 4000 مجاهدا إلى تونس لمعاقبة، و تصفية كل من يرفض قرارات الصومام؟**"[(250)] هذا ما زاد في تعميق الخلاف واتساع الشرخ، كما أنه لم يغظ الطرف عن خصومه المجتمعين على الحدود الشرقية، تحت إشراف "**أحمد محساس**". وكانوا قد عرفوا "**بجبهة الرفض**"، حيث اعتبر اجتماعهم ذاك "**مؤامرة**" ضد الثورة . ومن ثم وقع تحرك لمجابهته من خلال الاتصال بالسلطات التونسية بقيادة بورقيبة، وطلب منع عقد اللقاء. بعد إفشال هذا الأخير "**للمؤامرة !**"، قام عبان بعزل "**محساس**" كمسئول عسكري للثورة على الحدود الشرقية، و عين بدله العقيد "**عمر أوعمران**" كمندوب لـ "CCE" بتونس مطلع سنة 1957، وهو الأمر الذي دفع "**محساس**" للتحالف مع بؤر الأزمة للتصدي للقرار.[(251)]

وقد زاد من تعكير الجو وصفو مسار الثورة، وكذا ضعف التنسيق القيادي، قضية اختطاف طائرة الزعماء الخمس في أكتوبر- تشرين الأول 1956م - حيث كانت تقل وفد الجبهة الخارجي المكون من السادة : أحمد بن

85- H.Ait Ahmed**, guerre et après guerre**, ed minit, Paris, 1964 P 198 -

86 Henri Alleg,**La guerre d'Algérie**, T2, tempsachels, Paris 1981 P 573

بله، ايت أحمد، بيطاط ، بوضياف، و مرافقهم مصطفى الأشرف - من قبل سلاح الجو الفرنسي، و إجبارها على النزول بمطار الجزائر العاصمة. ثم نقل الزعماء الخمس مقيدين أمام عدسات الكاميرات إلى السجن؛ هنا خلا الجو لعبان، كما خلصه القدر من ابرز خصومه "**ابن بله**". لكن خروج "**محساس**" وعقده مؤتمرا صحفيا بتونس العاصمة، معلقا على الحادثة بقوله: (**بأن إلقاء القبض على أربعة من القادة، لا يعني توقف الثورة.**)[252] أثار حفيظة عبان فبعث برسالة عنيفة شديدة اللهجة إلى محساس بتونس، يحذره ويتهمه فيها: "**بالتصرف و كأنه قائد الثورة !!**" ، و هو أمر مستغرب من عبان؟... فهل كان يفضل السكوت، أم إتاحة الفرصة له - هو- ليتولى التعليق باعتباره الزعيم الوحيد للثورة حسب اعتقاده ؟

هنا يذهب محساس إلى التأكيد على أن حقيقة الصراع بينه ورفقائه من جهة، و بين عبان من جهة أخرى؛ إنما هو"**صراع إيديولوجي**" بشان انتماء الجزائر للمجال العربي الإسلامي، أم للمجال الفرانكفوني الذي يمثله عبان- بحسبه - بامتياز ! ومن اجل ذلك جاء تكليف أعمران من قبل عبان- باسم "CCE"- بمهمة في تونس، للتصدي للمعارضين لقرارات الصومام؛ وهم جماعة بن بله ومنهم طبعا محساس. و إثر نجاح أوعمران في تلك المهمة ! وعند خروج لجنة التنسيق والتنفيذ "CCE" إلى تونس، هنأه عبان و كافأه في اجتماع المجلس الوطني للثورة في دورته بالقاهرة أوت - آب 1957؛ حيث عين أعمران عضوا في لجنة "CCE" الموسعة، مكلفا بالتسليح و الإمداد [253]

هكذا انسحب "**محساس**"، بعد عدم التفاهم مع القيادة الجديدة -"**أ وعمران و فريقه**"- إلى القيام بمهام مماثلة شملت تموين الثورة بالسلاح من الشرق الأوسط (البلاد العربية)، و من أوروبا... وهي المهمة التي ظل يؤديها حتى الاستقلال.

من جانب آخر فقد أضيف خصم جديد لعبان - إلى جانب خصومه المذكورين- هذا الأخير يعد من الوزن الثقيل والمؤثر؟ إنها "**حكومة القاهرة !**" الممثلة لجمهورية مصر العربية - سند الثورة القوي منذ انطلاقتها، حاضنة وفد الجبهة الخارجي، ممولة الثورة بالمال والسلاح، والدعم الإعلامي والدبلوماسي. لماذا كان هذا الخلاف ؟ وهل من مصلحة الثورة خسران حليف استراتيجي كمصر؟

---

[252] - محمد عباس، **ثوار عظماء**، مرجع سابق، ص 155

[253] - نفس المرجع، ص 190

إن السبب يعود إلى استياء حكومة القاهرة بقيادة جمال عبد الناصر، من عبارة وردت في أرضية الصومام 56م، تقول: (**... وما الثورة الجزائرية رغم كل الدسائس و التحريضات التي تقوم بها الدعاية الاستعمارية، إلا كفاح وطني يعتمد على أساس قومي و سياسي و اجتماعي، و ليست الثورة الجزائرية تابعة للقاهرة أو لندن أو موسكو أو واشنطن.**) [254] فقد تحفظت "**الحكومة المصرية**" على قرارات الصومام، و نظرت إلى لجنة "CCE"، التي يشرف عليها "**عبان**" بعين الحذر و الريبة ؟ و ظلت كذلك محملة "**عبان**" المسؤولية ، و متهمه إياه بمعاداة الاتجاه القومي العروبي الذي تمثله وتتزعمه مصر . واستمر الحال كذلك حتى تأسيس الحكومة المؤقتة "GPRA" في سبتمبر- أيلول 1958، لتعيد النظر بعدها في موقفها. و لولا جهد ثمين قام به وفد الجبهة الخارجي، لتصفية الأجواء وإعادة المياه إلى مجاريها... لخسرت الثورة الجزائرية حليفا سياسيا ودبلوماسيا، و لوجستيكيا خارجيا بحجم مصر !

لكن "عبان" لم يرضخ لخصومه، و واصل صموده بشتى الوسائل، من خلال سيطرته على جريدة "**المجاهد**" - اللسان الناطق باسم الثورة - متخذا منها منبرا لتصفية حساباته معهم - خاصة العسكريين و رجال نوفمبر الأوائل- عبر شن هجومات و حملات دعائية عنيفة ضدهم؛ جعلهم ذلك لا يتحملون ويصبرون على مواقفه، خاصة كريم بلقاسم - الذي كان قد جاء بعبان وفتح له المجال، و صنعه كزعيم للثورة في ظرف قياسي- بعدما انتقده عبان بشدة[***...] جعله؛ أي كريم يوجه له إنذارا عن طريق "**عباس فرحات**" في تونس ، لكنه عبان لم يكترث للأمر، ولم يكف عن حملته تلك .

مغادرة لجنة "CCE" نحو الخارج... و المنعرج الخطير في حياة عبان

جاءت الحملة الفرنسية المركزة على مدينة الجزائر، بعد تزايد العمليات الفدائية و تصاعدها، على إثر إعلان إضراب الثمانية أيام (أواخر جانفي- كانون الأول ومطلع فيفري- شباط 57م)؛ حيث شنت السلطات الأمنية والعسكرية الفرنسية، مدعومة بقوات المضليين للجنرال ماسو..، حملة مداهمات و تفتيش واسعة بأحياء العاصمة، خاصة في حي"**القصبة**" معقل النشاط الثوري و العمل الفدائي، ومقر لجنة "c.c.e" ، مما أدى إلى

254 - **النصوص الأساسية**،مصدر سابق، ص 44

(****...) أنظر: جريدة **المجاهد**: العدد 12 الصادر بتاريخ 15 نوفمبر 1957

ضغط شديد على الثورة، و اعتقالات دفعت أعضاء اللجنة إلى اتخاذ القرار بالخروج من العاصمة - بعد اجتماع أعضائها أواخر فيفري- شباط 57م - إلى جبال الشريعة القريبة من العاصمة، إلى أن تتوفر الظروف الأمنية المناسبة لخروجها النهائي خارج الوطن... إلى تونس .

يزعم الكاتب محمد عباس أن قرار الخروج كان باقتراح من الشهيد العربي بن مهيدي، الذي قال: (**فلنذهب بعض الأشهر إلى الخارج على أن نستغل ذلك لمعالجة أمور الوفد الخارجي و مشاكل الحدود، و بوسعنا أن نسوى بأنفسنا مشكلة التسليح العويصة.)** [255] تقرر في اليوم الموالي للاجتماع الخروج من العاصمة نحو جبال الشريعة، و منها يتحول **"كريم"** و **"ابن خده"** إلى تونس، بينما يتوجه **"عبان"** و **"دحلب"** إلى مراكش... لكن **"ابن مهيدي"** سيلقى عليه القبض من قبل قوات الأمن، في الشقة التي كان مختبئا فيها مساء نفس اليوم الذي رحل فيه رفقاؤه!.. هل كان ذلك ضربة حظ و سوء طالع ابن مهيدي- رجل نوفمبر- تشرين الثاني 1954- كما تؤكد روايات رفاقه على رأسهم ابن خده و دحلب ؟ أم عملية مدبرة للتخلص منه (حيث سيعدم لاحقا من قوات المستعمر في 05 مارس- آذار 1957) ! خاصة إذا علمنا أن مصادر تاريخية أخرى تؤكد على أن **"ابن مهيدي"** كان الشخصية الوحيدة ضمن لجنة "CCE" التي رفضت الخروج من الجزائر إلى تونس، و أنه قال لرفاقه في اللجنة في اجتماع 15 فيفري- شباط 1957 بأنه : (**يفضل الموت في ساحة المعركة حتى يكون وقودا جديدا و كافيا للثورة، لن تتوقف حتى تسترجع الجزائر سيادتها.)**[256] إذا صحت الرواية، والتكهن - الذي لا نملك عليه دليلا قاطعا - فإن الثورة تكون قد دخلت مرحلة **"أكل أبنائها"** و رجالاتها بداية بابن مهيدي، ثم عبان بعده ؟ و قافلة من الأسماء الأخرى التي ستتبعهم... فيا ويح عاقبتها !

هكذا خسرت الثورة أحد رجالها التاريخيين البارزين، وخرجت لجنة "CCE" من أرض المعركة ملتمسة أمنها في الخارج... فهل كان خروجها بدافع تأمين حياة رجالها، و تسوية لمشاكل الوفد الخارجي للجبهة، على أمل العودة لاستئناف المشوار بالداخل حقا ؟.. أم هو بحث عن التموقع السياسي لأفرادها و على رأسهم **"عبان"** الذي ستتوسع قائمة خصومه وأعدائه بالداخل والخارج ؟ فهذا علي كافي - أحد قيادات الثورة بالولاية الثانية(الشمال القسنطينيي)" ، الحاضرين في مؤتمر الصومام - يوجه انتقاداته اللاذعة لعبان متهما إياه بالتآمر

---

[255]- محمد عباس، **ثوار عظماء**، مرجع سابق، ص 126

[256]- لونيسي، **التجربة الديمقراطية**.. مرجع سابق، ص 282

مع العدو ضد الثورة، حتى قبل الصومام و بعده ؛ من خلال اتصالات مشبوهة لعبان بسلطات الاحتلال بالعاصمة عبر رجالاته، دون علم من القيادة الثورية. حجته في ذلك ما جاء على لسان **"ابن مهيدي"** حينما ودع زيغود عقب اختتام أشغال مؤتمر الصومام 56م، قائلا له : (**سنتقابل قريبا في شارع ايزلي... في نهاية هذه السنة أو مطلع سنة 1957م إنشاء الله، للاحتفال بالنصر.)** [257] يعلق **"كافي"**: أليس هذا تأكيدا صريحا لما ورد أعلاه ؟... بأن **"التيار"** سائر في طريق التفاوض مع حكومة **"غي مولي"**؟ **!** وهو اتهام مبطن أو صريح لابن مهيدي كذلك بأنه ضالع هو الآخر في عملية التفاوض المزعومة.

يضيف "كافي" بأن "زيغود" بعد عودته مع وفد الولاية الثانية قال لرفاقه: (**إن الاستقلال سنحصل عليه لا ريب، و لكن الثورة انتهت !)** [258] فهل أحس زيغود - إن صحت الرواية- انحرافا في الصومام عن خط الثورة الأول، و أن صفقة ما تبرم وراء الظهر على حسابها، ومبادئها النوفمبرية ؟ ترى ماذا كان يقصد بالاستقلال و ما نوعه ؟ هل كان يدرك المساحة الفاصلة بينه و بين "الثورة"، ومن ثم اعتبرها قد انتهت كمشروع تحريري ؟ أم كان يقصد رجالات نوفمبر التاريخيين الذي سينقضون الواحد تلو الآخر، ليغيبوا عن ساحة المعركة عبر التهميش، التصفية، الاستشهاد، والإقصاء في النهاية ؟ وبذلك - باعتبارهم حاملي مشروع الثورة الفكري والحضاري- سيذهب المشروع الثوري بذهابهم... ويبقى الاستقلال السياسي الصوري ؟ أم كان زيغود يقصد شيئا آخر؟

مهما كان قصد زيغود -إن صحت مقولته- فإن الاستقلال حصلنا عليه، لكن الثورة ومشروعها المتكامل عطل أو أجهض، ولا يزال ينتظر البعث والتحقق في حياة الجزائريين.

بعد هذا يواصل "كافي" حملته ضد "عبان" معتبرا إياه **"رجلا محموما بفكرة الزعامة"**، و أنه التف على الثورة من خلال محاولاته عبر لجنة CCE تسييرها من الخارج. في نفس الوقت - حسبه - يقع الاستنجاد بقادة الولايات بالداخل لتسوية نزاعات القيادة الخارجية؛ التي كان عبان سببها الأول و المسؤول عنها.[259]

هكذا أصبح "عبان" مغضوبا عليه في الداخل والخارج، غير مرغوب فيه في أوساط قيادة الثورة؛ بل حتى لدى السلطات التونسية، المصرية، و المغربية ؛ بسبب ما روج عن كونه: **"معاد لكل ما هو عربي إسلامي" !**

---

[257] - كافي، **المذكرات**... مصدر سابق، ص 107

[258] - نفس المصدر، ص 107

[259] - نفسه، ص 212

وسعيه إلى تنفيذ "**انقلابه**" على الاتجاه القومي العربي الإسلامي للثورة، كما نص عليه بيان أول نوفمبر- تشرين الثاني 1954م.

لكن "**عبان**" لم يستكن، واستمر في التصدي ومجابهة خصومه في القاهرة و في تونس معا؛ حتى بلغ مستوى الصراع حول السلطة بينه - كسياسي محسوب على السياسيين المعتدلين الإصلاحيين- وبين العسكريين بقيادة كريم بلقاسم، قلت بلغ التأزم أوجه ، مما دفع "**عباس فرحات**" إلى الاستعانة "**بالثقل الروحي**" والديني للشيخ **البشير الإبراهيمي**؛ للتدخل وتهدئة الجو لتخفيف حدة الصراع بينهما ؟!.. ويروي "عباس" أن الشيخ الإبراهيمي قال له: (**لا بد من فك النزاع بسرعة، لأنه إذا قبائليان تنازعا فإن الدماء ستسيل حتما.**)[260] فهل كان الإبراهيمي بفراسته وخبرته، يدرك أن أحد طرفي النزاع سيسقط ويكون ضحية للأخر .

يذكر رفقاء عبان أيضا، بأن هذا الأخير كان شديد الحساسية من بعض القيادات الثورية خاصة العسكرية، حيث انتقد "**بوصوف**" واصفا أساليبه "**بالستالينية و البوليسية!**" كما روي عنه احتقاره الشديد لغير المتعلمين والمثقفين، فيذكر المحامي "**مبروك بن الحسين**" أنه عند طلبه من "عبان" السماح له بالالتحاق بالجبل كمقاتل في المعركة، رفض وأمره بالالتحاق بالخارج قائلا له: (**نحن المثقفون نمثل العقل المدبر والمخطط، أما الآخرون (يقصد العسكريين) فمهمتهم التنفيذ و تحمل المشاق.**) [261] ترى هل سيجني على عبان عقله و تعلمه ؟

كما تذكر المصادر نفسها أنه أهان "**كريم**" بكلام جارح في القاهرة، بعد خروج لجنة "CCE" إلى هناك؛ حينما هما معا لعقد مؤتمر صحفي، وأراد "كريم" التحدث، فخاطبه "عبان" قائلا له: (**بأية لغة ستحدثهم يا حمار !.. بالقبائلية ؟ !)**[262] هذا ما اثأر ضده الضغينة، و بيت له كريم ورفقائه نية التخلص منه؛ خاصة بعد تهديد عبان مجموعة "CCE" بالدخول إلى أرض الوطن، و كشف خفايا الصراع لمجاهدي الداخل.

اغتيال عبان... عقل الثورة !

في القاهرة حيث استقرت معظم قيادات الثورة (وفد الجبهة بالخارج، لجنة" CCE " بما فيها "عبان"... الخ) ، تمت الدعوة إلى عقد الدورة الأولى للمجلس الوطني للثورة الجزائرية في جو مشحون، طبعته الصراعات

---

260 - رابح لونيسي، **الجزائر في دوامة الصراع**، مرجع سابق، ص 22

261 - نفسه، ص 23

262 - نفسه، ص 23

و تبادل الاتهامات بين السياسيين بزعامة عبان، والعسكريين بزعامة كريم - ابنا المنطقة الواحدة (القبائل) ورفيقا النضال بالأمس، و زعيما الصومام !- و قد جاء الاجتماع بعد شهر واحد من اجتماع لجنة "CCE" بالقاهرة، وكان "عبان" قد هدد أعضاءها العسكريين بالدخول إلى الجزائر و فضحهم أمام قادة الولايات؟ التأم شمل المؤتمر في أوت - آب 1957، و حضر الاجتماع 23 عضوا، منهم 10 مصنفين بأنهم عسكريين، و الباقي صنفوا مدنيين، بدأ الاجتماع بهجوم كاسح من قبل عبان على خصومه على رأسهم "كريم" و"بوصوف"؛ حيث وصف الأخير بصاحب التصرفات البوليسية. وقد تضمن جدول الأعمال نقطتين بارزتين:

<u>الأولى</u>: توسيع المجلس الوطني للثورة، لتحقيق التوازن التمثيلي المطلوب.

<u>الثانية</u>: توسيع لجنة التنسيق و التنفيذ "CCE" لنفس الغرض.[263]

و **نقطة جانبية**: تتعلق بإعادة النظر في بعض بنود مؤتمر الصومام 56م، خاصة مبدئي الأولويات !؟ و بعد نقاش و مداولات قصيرة، اتخذت التوصيات واعتمدت التعديلات؛ حيث وسع مجلس الثورة من 34 إلى 54 عضوا كلهم أصبحوا أساسيين، كما وسعت لجنة التنسيق و التنفيذ "CCE" من 05 أعضاء إلى 09 أعضاء [***...] بذلك أبعد حليفي "عبان" "ابن خده" و "دحلب" ، ليحل بد لهما "عبد الحميد مهري" و "عباس فرحات"، إلى جانب "المين دباغين" المحسوب على العسكريين؛ كرجل متشدد صلب المواقف. وبذلك رجحت كفة العسكريين في المجلس الوطني للثورة و كذا في لجنة "CCE"، وأصبح القرار بيدهم. لم يعد من ثم "عبان" - والسياسيين المتحالفين معه- سوى أقلية يؤدون دور التزكية للقرارات المتخذة ! خصوصا بعد أن تمكن كريم من فرض صيغة "**الأولوية الجديدة**": "**لرجال الساعة الأولى**"؛ يقصد بهم مفجري الثورة. و كان هو- أي كريم - الوحيد المتبقي منهم في الميدان حرا طليقا، وبصورة غير مباشرة فتح له الباب لتزعم الثورة و الطموح إلى رئاستها، بدلا من "عبان" الذي تبخر حلمه.

كما ألغيت الأولويات التي أقرها مؤتمر الصومام: "**السياسي على العسكري**" و"**الداخل على الخارج**"، و أصبحوا سواء بسواء - نظريا على الأقل !- كما أعيد صياغة هدف الثورة كالتالي: **(إنشاء جمهورية جزائرية ديمقراطية و اشتراكية لا تتناقض مع مبادئ الإسلام.)** [264] الملاحظ أن العبارة الجديدة التي دخلت في الصياغة

---

[263] - هشماوي، **جذور نوفمبر 54 ...** مرجع سابق، صص 133-134

(*******)- شملت السادة: عبان، كريم، عباس فرحات، عبد الحميد مهري، الأمين دباغين، و المساجين الخمس.

[264] - **نفس المرجع** ، ص 134

هي "**الاشتراكية**"؛ حيث لأول مرة تذكر صراحة على الرغم أنها ذيلت بلفظة "**لا تتناقض مع مبادئ الإسلام**". حيث اعتبرت تصحيحا للانحراف الذي حصل في أرضية الصومام حينما استبعدت نهائيا، وكانت إحدى ذرائع "**ابن بله**" في رفض مقرراته، و شن حملته المسعورة ضد "عبان". إلا أنها في رأينا تمثل سابقة خطيرة، ومؤشر واضح على الحضور القوي لأصحاب الاتجاه اليساري في الثورة؛ أولئك الذين صاغوا أرضية الصومام على رأسهم "**أوزقان عمار**" - أمين الحزب الشيوعي الجزائري سابقا- تحت إشراف "عبان" المحسوب إيديولوجيا عليهم. إضافة إلى التنظير الفكري والإيديولوجي من قبل "**فرنس فانون**"؛ الشيوعي التروتسكي المقرب من الثورة . وهذا يعني بداية التكريس القانوني والرسمي لهذا التوجه، الذي - و مع تطور الثورة و تسلق زعماء هذا الاتجاه في دواليب الإدارة الثورية - سيتمكنون من فرضه كمنهاج وخيار وأسلوب في برنامج طرابلس 1962، هذا ما سنأتي على تفصيله في الفصل الثالث إنشاء الله.

عموما فإن "عبان" بعد دورة المجلس الوطني للثورة الأخيرة بالقاهرة أواخر 1957م بات معزولا، وبدا كأنه قد خسر الرهان؛ حيث همش من قبل خصومه العسكريين، وكان لا يستدعى لبعض اجتماعات "CCE" ؟ لكنه لم يسكت و سيظل يقاوم . إلى أن يبدأ التفكير ثم يتبلور بشأن فكرة التخلص منه ماديا من قبل خصومه، بعد أن عزل سياسيا. و تذكر المصادر التاريخية أن تصفية "عبان" جاءت بعد استشارة بين عسكريي لجنة "CCE" والسجناء الخمسة، خاصة "ابن بله" -غريم "عبان" التقليدي- لكن "**بوضياف**" ينكر علمه بالقضية؛ في حين يذكر العقيد **سليمان دهيليس**" المدعو "**الصادق**" أنه في حوار مع ابن طوبال (ثالث الباءات الأقوياء !) حول اغتيال "عبان" وسبب ذلك، أجاب: (**لأنه حول الجبهة إلى جبهة فعلا، يجتمع فيها البيانيون و المركزيون والعلماء والشيوعيون !)** [265]

حسب **محمد بجاوي** فإن "بوصوف"- رجل المخابرات في الثورة- كان صاحب الاقتراح "**بتصفيته**"، في حين فضل الآخرون - رفقاء بوصوف- سجنه.

---

[265] - محمد عباس، **فرسان الحرية**، مرجع سابق، ص : 99- 100

(****.....)- من المفارقات المحزنة أن الباءات الثلاث (بوصوف، كريم، بن طوبال) مقترفي الجريمة في حق عبان، تستروا عليها، وكلفوا "أحمد بومنجل" بكتابة موضوع بجريدة "**المجاهد**" (لسان الثورة) ينعي فيه عبان؛ وأذيع بأنه سقط شهيدا في معركة بميدان الشرف مع العدو الفرنسي على الحدود الغربية للجزائر.. و نشرت صورته مكبرة على الصفحة الأولى منها!؟

هكذا نسجت المؤامرة ضد "عبان"، واستدرج إلى المغرب بحجة حضور اجتماع هناك مع سلطات المغرب، لتسوية بعض المشكلات العالقة؛ حيث رحل من تونس إلى المغرب وعند وصوله استقبل من قبل أشخاص (رجال بوصوف)؛ وهم شخصان كلفوا بتصفيته، نقلوه إلى بيت و في الطابق العلوي منه خنق أو شنق من قبلهم في 27 ديسمبر- كانون الأول 1957م؟ !!(***....)

بذلك انتهت مسيرة رجل مناضل ومكافح في الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، تاركا بصمة واضحة وقوية؛ كرجل سياسي، عبقري، وشجاع، في الصومام و ما بعد الصومام... كما خلا الجو للعسكريين ليشهروا البندقية و لغة الرصاص في حواراتهم؛ كأسلوب مفضل لحل خلافاتهم التي لا تنتهي. و ستستمر تلك الخلافات حتى استقلال الجزائر في 05 جويلية - يوليو 1962، و ما بعد الاستقلال... ولا تزال.

هكذا إذا وبهذه الطريقة الدراماتيكية المحزنة وضع حد لحياة **"عبان ومسيرته الثورية !"**، أحد رجالات الثورة البارزين... خسرته الثورة والجزائر؛ كما ستخسر آخرين بنفس الأسلوب و الطريقة . سيتحول هذا المسلك - للأسف - إلى تقليد راسخ في إدارة الحكم والنزاعات، وفي الصراع حول السلطة بين القادة؛ مما عكر صفو جو مسار الثورة... وأفضى إلى أزمة صيف 1962؛ تلك التي مثلت وسابقاتها... نقطة سوداء في تاريخ الثورة الجزائرية بلا شك.

على الرغم من النهاية المحزنة التي آل إليها مصير "عبان رمضان" ، رجل الفكر و التنظيم في الثورة الجزائرية، فإن فقدانه في حد ذاته - على الرغم من الخسارة الكبيرة التي لحقت الثورة جراء تلك النهاية المحزنة لأحد قادتها- إلا أن ذلك كان متوقعا ؟ و قد سبقته خسارة قادة بارزين أمثال: **باجي مختار، ديدوش، ابن بولعيد، و ابن مهيدي...** و أسماء أخرى كبيرة، فلا غرو فإن لكل جهاد تضحيات، و لكل ثورة ضريبة، و لكل انعتاق ثمن !

المؤسف حقا هو أن يصفى رجال وقادة أبطال من قبل رفقاء الدرب و الكفاح؛ لا لشيء إلا بسبب خلافات صغيرة كانت أم كبيرة، غير مبررة بالمطلق لمثل هذه الأفعال الشنيعة .

فكان أن شكل ذلك انزلاقا خطيرا في طريقة إدارة الشؤون الداخلية للثورة؛ حيث بدل أن توجه البندقية الثورية إلى صدر العدو، أخطأت وجهتها لتصوب باتجاه أحد قادتها وابرز رموزها الثورية ! هكذا أخمد صوت عقل مفكر، و رجل ربما لو قدر و أن عاش؛ لأخذت الثورة مسارا مختلفا تماما .

لكن انتهاء صوت"عبـان" لم ينه قطار الثورة من الاستمرار في سيره، وشق الطريق إلى هدفه وغايته المنشودة، المتمثلة في الاستقلال وتحرير كامل الوطن. فقد كان من فضائل المرحوم "عبان"، توسيعه العضوية داخل الجبهة لتشمل كل العناصر الوطنية المخلصة والكفأة، كذلك فعل في مؤسسات الثورة المنبثقة عن الصومام56 (المجلس الوطني، و لجنة "CCE"). ولعل هذا الانفتاح والتوسع للقاعدة القيادية للثورة، هو الذي ضخ في جسم الثورة دما جديدا، فكان يهدف - كما يقول سليمان الشيخ - بالأساس إلى السعي إلى **"قطع الطريق"** أمام أية محاولة من العدو وإدارته، الهادفة إلى **"استقطاب"** هذه الفئة السياسية الوطنية **"المعتدلة"**، لتصنع منها **"قوة ثالثة"** بديلة ؛ تضعها وجها لوجه أمام جبهة التحرير الوطني. من جهة أخرى سعيه؛ أي عبان إلى **"إلزام"** هؤلاء **"الإصلاحيين"** بالنضال، و إدخالهم ضمن الهياكل التنظيمية للجبهة، وبالتالي **"إبعادهم"** عن كل الإغراءات والضغوطات والمساومات، التي قد تحملهم على قبول **"حل وسط"** مع العدو- كما جرى مع الجارتين تونس والمغرب- وبالتالي ضمان مواجهة العدو **"بجبهة عريضة- موحدة"**[266] قادرة على التعبئة الجماهيرية والنخبوية، لأجل التصدي لعدو شرس، و كائد خطير بامتياز .

انبرى **"عباس فرحات"** السياسي المخضرم، والمثقف المتفتح..، للاجتهاد وتنشيط الثورة فكريا وسياسيا، وآمن بضرورة أن يقود الثورة **"مثقفون"** قادرون على التصدي لمخططات الحرب النفسية والدبلوماسية الفرنسية المتجددة !... إلى جانب عسكريين متمرسين على القتال و فنون الحروب الحديثة؛ لمواجهة جيش منظم، مجهز، وعصري. كما اعتقد في ضرورة أن تحمل الثورة مضمونا فكريا وإيديولوجيا؛ لنقلها من **"مجرد عمل مسلح"** أو **"حركة متمردة"**، إلى **"ثورة قائمة على نظريات ومعتقدات فكرية، وسياسية...الخ"**. وبرز- بعد اغتيال عبان- كما وكأنه خليفته المبعوث لاستكمال مسيرته !؟ مع صلابة وتشدد يفرضهما الموقف وطبيعته. كما كان الأمر يوم صرح سنة 1960 في رده على ديغول، الذي

---

[266] - سليمان الشيخ، **الجزائر تحمل السلاح**، مرجع سابق، ص 93 و ما بعدها

رفض لقاءه كرئيس للحكومة الجزائرية المؤقتة قائلا له: **(إن الاستقلال يؤخذ و لا يعطى، و الحرب سوف تستمر طويلا.)** [267]

بذلك فإن مؤتمر الصومام 56م، قد أعطى دفعا جديدا لمسار الثورة، كما زودها بالمؤسسات القيادية، الهيكلة التنظيمية، القيادات الجديدة، ورؤية تحمل أفقا أوسع سياسيا وعسكريا... الخ؛ لإنجاح المشروع الثوري الوطني. ولأول مرة في تاريخ الثورة الجزائرية، توزع المهام، وتحدد المسؤوليات بدقة، ويسود القانون والنظام في إدارة شؤونها، على الرغم من بروز بعض التجاوزات والأخطاء هنا وهناك، بل حتى الصدامات بين المسئولين و القادة، ويعتبر ذلك أمرا طبيعيا ومتوقعا في مسيرة حركة ثورية ضخمة؛ تنشد عملا تحرريا ووطنيا جبارا. كما ترنو إلى تقويض أركان قوة استعمارية عاتية، ومن ثم بناء مشروع وطني - انسانى تحرري على أنقاضه. صرح احمد توفيق المدني مثمنا ما جاء في الصومام، وتأثيره الإيجابي على إدارة أعمال الثورة قائلا : **(و أصبحنا في القاهرة و في غير القاهرة نعلم من نحن، و ما هي وظيفتنا، و نعرف خصوصا لمن نحن تابعون... وضحت أمامنا معالم الطريق.)** [268]

فعلا فقد حدد الصومام معالم الطريق للثورة وقياداتها... وللشعب أيضا. بذلك فإن الشروط التي هيأتها الثورة منذ انطلاقتها، و دعمتها بقوة أرضية الصومام 56؛ قد ساعدت على وقاية الثورة من خطر المستعمر ومخططاته، كما زادت عملياتها الميدانية، ببناء إستراتيجية عسكرية و سياسية مضادة لخطط العدو؛ المحضرة لإجهاض الثورة وإبطال مفعول قرارات الصومام؛ من خلال عزله عنها في الداخل (المحتشدات، مراكز لاصاص للمراقبة... وغيرها)، و الداخل عن الخارج؛ عبر الخطوط المكهربة (موريس و شال...) لمنع عمليات الاتصال والتموين بالسلاح.

لكن القيادات العسكرية في الثورة بالولايات في الداخل، وتلك الموجودة في الخارج؛ ممثلة في مؤسسات الثورة الجديدة بعد الصومام 56م بأكثر من 85% (قادة الولايات، أعضاء في مجلس الثورة، ولجنة "CCE"... الخ) ؛ سيقفون حاجزا منيعا، وكتلة واحدة موحدة لحماية مشروع الثورة، و إحباط مؤامرات العدو.

---

[267] - د. بوصفصاف، **كتاب "القيم الفكرية و الإنسانية"** ، مرجع سابق، ص 237

[268] - توفيق المدني، **حياة كفاح، مع ركاب الثورة الجزائرية**، ج3 ،ط1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1982، ص 231

من جانب آخر فإن مجلس الثورة الذي انعقد بالقاهرة في دورة أوت - آب 1957، كان قد منح تفويضا للجنة "CCE" لاتخاذ القرار المناسب بشأن إنشاء **"حكومة وطنية مؤقتة"** حينما تحين الظروف[269]... فعلا، ونتيجة للتطورات الإيجابية (سياسيا و دبلوماسيا) للثورة من بينها: مجيء الجنرال شارل ديغول " Ch. De gaule" إلى السلطة على إثر انقلاب العسكريين الفرنسيين بقيادة ماسو"Massu" ، مدعومين من قبل غلاة المستوطنين في 13 ماي - أيار 1958م، ومطالبتهم إياه بسحق الثورة الجزائرية... تسلم ديغول السلطة في مطلع جويلية- يوليو 1958م - كمنقذ لفرنسا من ثورة الجزائر- طارحا مشاريعه الجهنمية (برنامج شال العسكري، مشروع الاستفتاء، وبرنامج أو مشروع قسنطينة : الاجتماعي، الاقتصادي، والثقافي ؛ الهادف إلى خلق القوة الثالثة...الخ .)

بسبب كل تلك التطورات المتلاحقة، فقد قررت لجنة "CCE" في اجتماعها بالقاهرة 18 جويلية - يوليو 1958م تشكيل **"الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية"**، وأعلن عنها رسميا في 19 سبتمبر- أيلول 1958م، برئاسة **فرحات عباس؛** لقطع الطريق أمام المشاريع الديغولية، و إبطال زعمه بعدم وجود مفاوض رسمي للمتمردين !.. ناهيك عن استكمال البناء المؤسساتي للثورة، وإعادة بعث مؤسسات الدولة الجزائرية المصادرة منذ 128 سنة من قبل المحتل الغاصب.

كان الإعلان مكسبا ثوريا و وطنيا للشعب الجزائري، على الرغم من معارضة البعض من القيادات الثورية لطريقة إعلان الحكومة المؤقتة؛ معتبرين الإعلان قد جاء نتيجة **"قرار ضيق"** غير موسع داخل المجلس الوطني للثورة، ولا مع ولايات الداخل. بل استأثرت به لجنة "CCE" والباءات الثلاث[270]..، وصل الحد - حسب عباس فرحات- أن بعض قادة الولايات بالداخل اجتمعوا - في غياب الولاية الثانية والخامسة- بتاريخ 12 ديسمبر- كانون الأول 1958م، للتنسيق بشأن الموقف؛ و خرجوا بمحضر مكتوب أرسل مع **"عمر أو صديق"**- كاتب الحكومة المؤقتة المشكلة - تضمن نقدا لاذعا لطريقة إنشاء الحكومة وإعلانها، كما طالبوا بتشكيل **"اللجنة للتنسيق بين الولايات لا تسير من قبل الخارج"**، وبضرورة العودة إلى العمل بمبادئ الصومام56م. [271]

---

269 - نفس المصدر، ص 339

270 - إبراهيم لونيسي، **التجربة الديمقراطية**، مرجع سابق، ص 285

-

107- Abbes(F) **: Autopsie d'une guerre**, Editions Garnier frères, 19 Rue des plantes, Paris 1980 . P 256

على الرغم من كل ذلك إلا أن إعلان تشكيل الحكومة المؤقتة جاء في وقته لمواجهة الظرف الحساس، والخصم القديم الجديد؛ "**الجنرال ديغول** "De gaule" وسياسته المعلنة للإجهاز والقضاء على الثورة. وسيكون على عاتق الحكومة المؤقتة - التي خلفت لجنة CCE المحلة - تحمل المهمة الصعبة للمرحلة القادمة من الثورة، وستضطلع بها بامتياز بلا شك !.. سنتعرض إلى ملابسات نشأتها، وجانبا من نشاطها، مسيرتها، مواقفها، إنجازاتها، وطبعاتها الثلاثة، ثم لأهم الصعوبات التي واجهتها... الخ - أي الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية - في الفصل القادم.

خـلاصة لما سبق عرضه و تحليله ضمن هذا الفصل ومباحثه؛ يمكن لنا أن نقف على الاستنتاجات التالية:

1- أن الثورة الجزائرية التي انطلقت ليلة الفاتح من نوفمبر- تشرين الأول 54م، كان هدف مفجريها الأوائل تحقيق النجاح بإعلان قيام الثورة ذاتها، وبالتالي اللحاق بركب الأشقاء المغاربة (التونسيين و المغاربة)، والتأكيد على رفض الكيان الاستعماري الجاثم على المنطقة منذ أمد بعيد،.. وضمان وحدة الكفاح والمصير المشترك . فكان ذلك مكسبا ثمينا في حد ذاته، يمثل الخطوة الأولى في مسيرة الألف ميل - كما يقال- نحو التحرير والاستقلال.

2- أن مفجري الثورة - الست التاريخيين ورفقاءهم الثلاث في الخارج- كانوا يدركون صعوبة المهمة، و كبر التحدي وعمقه، وكذا ثقل المسؤولية؛ التي تتطلب مزيدا من الإخلاص والصمود و التضحية، والاستعداد التام لدفع أغلى ما يملكون في المعركة... ولو كلفتهم أرواحهم. وقد أعلنوا ذلك من البداية، في ندائهم التاريخي الأول. فكان سقوط بعضهم شهيدا، وإلقاء القبض على آخرين: اعتقالا وسجنا وإعداما ! وصمود الباقي في ميدان الشرف..، كل ذلك كان بمثابة الوقود الذي زاد أوار المعركة اشتعالا، و قدم المثل الحي للجيل اللاحق؛ ليخوض المعركة بحماس و وفاء، ليستكمل المسيرة الثورية حتى بلوغ هدفها وغايتها المنشودة؛ ممثلة في التحرير الكلي والاستقلال الكامل للوطن الجزائري.

3- إن قادة الثورة أدركوا منذ البداية أنه: لابد من إعداد العدة الكافية واللازمة لخوض المعركة، ضمانا للانتصار على العدو. فكان الإيمان بالقضية أولا، والاستعداد للتضحية لأجلها ثانيا، ثم استكمال توفير باقي الأسباب والشروط: المادية، التنظيمية، السياسية، العسكرية، والبشرية... الخ. مطلبا ثانيا، تم التأكيد والتأشير عليه - بعد

العزم على اللقاء لتقييم الانطلاقة والمسيرة - فجاء الصومام 1956 محطة للتقييم والتقويم، وفرصة للتنظيم، و منعرجا للبناء والاستمرارية الثورية.

4- لقد شكل مؤتمر الصومام 56م، وأرضيته السياسية والتنظيمية، نقطة التحول الشاملة في المشروع الثوري الوطني، وإعلانا وطنيا وعالميا؛ تضمن إعادة بعث مؤسسات الدولة الجزائرية الحديثة - المغيبة - من جديد. كما كان نهاية فعلية للعهد الكولونيالي ونظامه المتعفن الظالم..، فعزز بذلك المسار الثوري، وقارب المعركة مع العدو جزئيا أو كليا؛ فاتحا أفقا جديدا لبناء إستراتيجية فعالة، تضمن تحقيق النصر القريب والوعد بالاستقلال القادم.

5- لقد شابت محطة الصومام 56م وكذا الوثيقة الصادرة عنه، وكل المرحلة بعده..، مشاحنات و خلافات؛ أفضت إلى صراعات وصدامات، وأحيانا تصفيات سياسية ومادية بين قادة الثورة . وكانت بحق تجربة مريرة وقاسية في مسيرتها ؟!.. لكنها فتحت الأعين والأنظار على صعوبة المعركة القائمة، و حجم التحدي المنتظر وضخامته مع الذات و مع العدو في الداخل والخارج؛ فكان الصومام المحك والامتحان الصعب للقيادة والشعب معا. لقد اجتازا المحنة بثبات وإصرار وتضحيات فاقت التصور..؟ حتى كاد الهدف يضيع في زحمة و وعورة الطريق !! لكن مشيئة الله، وإخلاص الرجال، وتلاحم الشعب... مكن في الأخير من انجاز التحرير والاستقلال.

تلك عصارة الدروس التي وقفنا عليها ! في ثنايا هذا الفصل؛ مستلهمة من خلال مضامين نصوص الصومام56 م، ومواقف رجال الثورة في هذه المرحلة الحرجة من عمرها، و شوطها الأول والثاني.

فماذا عن مرحلتها و أشواطها الأخيرة (استكمال بناء المؤسسات الثورية، المفاوضات، الاستقلال، نصوص و وثائق دولة الاستقلال- في مقدمتها برنامج طرابلس1962-...الخ) ؟ ؛ ذلك ما سنتناوله عرضا و تحليلا و تقييما.. في ثنايا الفصل الثالث من هذه الأطروحة .

الفـــصـــل الثـــالـــث

بـرنــامـج طرابلــس جــوان - يونـيـو 1962م

1- أهـم تطورات الثورة بعد الصومام 1956م

2- ظـروف إعداد برنامج طرابلس جوان-يونيو 1962م

3- المحـاور الكبرى لبرنـامج طرابلس

4- أهميـة البرنـامج بالنسبة للثورة والدروس المستخلصة...

المبحث الأول : أهم تطورات الثورة بعد الصومام 1956 م

الجزائر من البلدان القليلة بل لعلها الوحيدة في الوطن العربي، التي عرف ماضيها جدلا حادا حول مشروعية وجودها التاريخي والسياسي، من خلال تساؤلات - في غالبها مغرضة- تطرح من بينها: هل كان للجزائر تاريخ و انتماء حقيقي ؟ وهل كانت دولة قائمة بمؤسساتها وأنظمتها و علاقاتها... ؟! وقد روج لهذه الأفكار والأطروحات منظرو الإستعمار الحديث و مرتزقته بالخصوص، ليجدوا في ذلك تبريرا كافيا لمقولتهم المغلوطة " **الجزائر فرنسية** " ". "L 'Algérie française

لكن مقاومة الشعب الجزائري المستميتة و المتواصلة للمحتل، وجواب ثورة نوفمبر- تشرين الثاني 1954 البليغ، التي جاءت - كحتمية تاريخية و تواصلا حضاريا - مؤكدة وجود هذا التاريخ و الامتداد العريق؛ كاشفة شواهد تكون الدولة الجزائرية الماثلة عبر أحقاب الزمن و مراحل التاريخ الإنساني، واستمرارية..، أبطلت كل تلك المقولات الزائفة، والسياسات الدخيلة؛ تماما كما يبطل المضاد الحيوي مفعول البكتيريا الخبيثة في جسم الكائن الحي !

فالتشريعات الفرنسية التي أكدت اعتبار الجزائر أرضا فرنسية منذ مطلع الاحتلال؛ أي منذ سنة 1834م، لم تكن لتغير شيئا من واقع الحال لدى الجزائريين الوطنين، إن على مستوى الاعتقاد والتصور والفهم أو على مستوى الممارسة. وقد برهن على ذلك من خلال نضاله و كفاحه على مدى قرن و ثلث القرن دون توقف، من أجل التأكيد على حقائق التاريخ الثابتة، و المطالبة باسترجاع عناصر هويته الوطنية المستقلة. و برزت هذه المطالبة أكثر عقب الحرب العالميـــة2 ؛ حيث ظهرت قيادات ثورية صممت على حسم خيارها مع المستعمر عبر ثورة وطنية شاملة ، أتت على بنيانه و أركانه من الأساس لتقوضه!... ذلك بالضبط ما كان ليلة الفاتح من نوفمبر- تشرين الثاني 1954، وقد عبر عن ذلك الحدث باندهاش الكاتب الأمريكي " وليام .ب كواندت " w. b. kwindat "حيث قال : **(... قصة الثورة الجزائرية معقدة جدا تشابكت فيها سلسلة كاملة من العلاقات الإنسانية ، وحركتها أقوى العواطف في المشاركين فيها والمراقبين لها.)** (272)

لكن المستعمرين لم ينتبهوا في غمرة نشوة انتصاراتهم الموهومة، وانشغالهم بنهب ثروة الجزائريين، ومصادرة أرزاقهم؛ لتعزيز مكانة إمبراطوريتهم في أوروبا والعالم - قلت لم ينتبهوا- إلى طبيعة الشعب الجزائري التواق إلى الحرية والاستقلال، كما لم يخطر ببالهم وجود أمة جزائرية بكيانها الروحي و المادي و الحضاري... كما لم يتأكد لهم ذلك إلا بعد أن زلزلت الثورة الأرض من تحت أقدامهم، وسحقهم حكم التاريخ وعدالته الصارمة. وصدق "كواندت " حين اعتبر أن

---

[272]- وليام.ب.كواندت، **الثورة والقيادة السياسية الجزائرية (1954-1968)** ، ترجمة ونشر مركز الدراسات والأبحاث العسكرية ، ط؟ ، دمشق – سوريا .1981 ، ص 09

التاريخ قد أصدر حكمه بعد الحرب العالمية الثانية بإزالة الإستعمار ومحوه من عالم المستعمرين ! إذ يقول: **(إن اندفاع التاريخ في عالم ما بعد الحرب كان ينحني باتجاه دحر الإستعمار.)** [273]

ومن هنا يمكن القول بان سنوات 1954 حتى سنة 1962 ، كانت تمثل فترة الحوار مع العدو الفرنسي لإقناعه بشرعية وجود الجزائر التاريخي و السياسي، و حق الجزائريين في العيش الحر الكريم على أرضهم، لكن لغة الإقناع هذه لم تكن تلك المعهودة سابقا " **حورات سياسية** " وانتخابات مفبركة ومزورة، ومنابر للخطابة والتهريج... بل كانت لغة الرصاص والدم الرقراق وسقوط الضحايا والأشلاء...! تلك كانت اللغة الوحيدة التي أقنعته و أبطلت مزاعمه وأكاذيبه، وجعلته يعيد قراءة حساباته الخاطئة، ويراجعها على ضوء حقائق الواقع الثوري الجديد .

لقد تمكنت الثورة الجزائرية في ظرف قياسي، وتحت ضغط الظروف العامة - الإقليمية والدولية - والتطورات السياسية والعسكرية المحلية التي تلاحقت في مداها الزمني بين سنة 54- 1962؛ كما الحاجة الملحة إلى إنشاء إدارة وطنية تواكب و تؤطر الجهد الثوري المتزايد، ومن وحي واقع التجربة و رصيد النضال و الكفاح الوطني... تمكنت من الشروع في المرحلة الثانية ممثلة في الإثبات للأصالة التاريخية و السياسية، وتعزيز حجة الوجود للمؤسسة الوطنية الجزائرية؛ لأجل إقناع "كيان العدو "، وذلك عبر إعادة التأسيس للدولة وإيجاد مؤسساتها المدنية و السياسية و الإدارية. وكانت محطة الصومام أوت - آب 1956 م، المنطلق لميلاد الإدارة التنفيذية والتشريعية وكذا القاعدية للثورة الجزائر: لجنة التنسيق والتنفيذ"CCE" والمجلس الوطني للثورة الجزائرية "CNRA"، والمجالس الشعبية..، ناهيك عن الهيكلة التنظيمية والعسكرية لجيش التحرير .

بهذا الإنجاز "**تخطت الثورة و مؤسساتها مرحلة المشروعية التاريخية و السياسية، لتبلغ وضعفها القانوني الجديد**"([274]) كما يقول محمد لبجاوي، وعلى الرغم من أن السمة البارزة لهذه المؤسسات كونها "**مؤسسات حرب** " ؛ جاءت لإدارة المعركة التحريرية بأفضل الوسائل المتاحة ضد عدو شرس ومنظم، كما أن طابعها " **المؤقت و الانتقالي** " لم يمنعها من أن تكون بمثابة الخطوة التأسيسية في انتظار عودة الاستقلال المغتصب. لتعلن بعده إعادة التأسيس النهائي الرسمي للدولة الجزائرية وقت السلم... تلك مرحلة ستضطلع فيها بلا شك بأهداف و غايات جديدة لتنمية و توفير حاجات المجتمع المتجددة .

273- نفسه ، ص 14

274- محمد لبجاوي، **الثورة الجزائرية والقانون** ، ترجمة على الخش ط1، دار اليقظة العربية ، القاهرة ، 1961 ، ص 130.

أما الخطوة الثانية في طريق البناء المؤسساتي للثورة ستأتي من خلال توسيع لجنة التنسيق والتنفيذ من خلال تحويلها إلى الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية " GPRA " في 19 سبتمبر- أيلول 1958 م.

فما هي ملابسات هذا التحول ، وكيف نشأت الحكومة المؤقتة الجزائرية ؟ وكيف كان رد الفعل الفرنسي تجاهها ، هل تم الاعتراف بها أو إنكارها كعادتها ؟ ما طبيعة الحكومة ، تركيبية ومهاما و نشاطا ؟ و إلى أي مدى وفقت في أداء وظيفتها التنفيذية المحلية وأدوارها الإعلامية والدبلوماسية في الخارج؟... تلك أسئلة وأخرى سنحاول الإجابة عنها في ثنايا العنصر الموالي.

1- **الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية " GPRA " ملابسات النشأة و التطور**:

تباينت الآراء و المواقف بشأن ملابسات و ظروف نشأة الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، فنجد عربي يذكر أنه في اجتماع لجنة التنسيق والتنفيذ "CCE" بين شهري جويلية- يوليو وسبتمبر - أيلول 1957م، قدم أو عمران - مسئول العمليات العسكرية بالحدود الشرقية بتونس- تقريرا متشائما عن الأوضاع العامة للثورة ، في نهايته أكد وأوحى بمسائل ثلاث، جاء في تقريره :

1 - ضرورة تشكيل حكومة مؤقتة جزائرية

2- نبذ كل موقف استنجادي للشرق "العالم الاشتراكي والشيوعي "، لأنه (**سوف يسبقنا بورقيبة الغربي إلى موسكو.**)

3- توسيع العمل يشمل فرنسا (**... لتوجيه ضربات قاسية ضد النقاط الحساسة في الاقتصاد الفرنسي .**)[275]

نفس التوصية جاءت من كريم بلقا سم - مسئول مديرية الحرب في لجنة "CCE" حيث جاء تأكيده أيضا على تشكيل حكومة مؤقتة، وقال بهذا الخصوص: **(لقد مضى وقت القيادة الجماعية و الثورة بحاجة إلى زعيم.)** [276] يقصد شخصه طبعا؛ باعتباره التاريخي -النوفمبري- الوحيد من بين الست المفجرين للثورة بالداخل، الذي لا يزال حرا طليقا ! وبعد مداولات مكثفة أقرت لجنة "CCE" تشكيل حكومة جزائرية مؤقتة، وقد جاء في توصيتها: (... **إن وجود حكومة سوف يؤدي إلى تبدل جذري للخارج حيالنا...**) ([277])

وقد اتخذت قرارها النهائي بإنشائها، في 09 سبتمبر - أيلول 1958؛ دون جمع أعضاء المجلس الوطني للثورة الجزائرية " GPRA " للبث في القرار ؟ هذا الذي سيدفع البعض لاحقا للاعتراض على طريقة و كيفية إنشائها... [*]

في السياق نفسه يذكر محمد بجاوي بأن فكرة تأسيس حكومة جزائرية ظل حلما راود، كما اختمر في النفوس والعقول من سنة 1956م، وقد تداولته مؤسسات الثورة بدءا من سنة 1957 ، وخاصة في دورة المجلس الوطني للثورة شهر أوت - آب 57م بالقاهرة، ليعزز الفكرة مؤتمر طنجة " المغاربي " شهر أفريل- أبريل 1958 م؛ حيث جاء تأكيده على ضرورة قيام

275- محمد حربي، **جبهة التحرير الأسطورة والواقع** ، مرجع سابق ، ص 183.

276- نفس المرجع ص ، 185 .

277- نفسه ص 187، كذلك: د.محمد العربي الزبيري، **تاريخ الجزائر المعاصر**، ج2، ط1، دار هومة، الجزائر2000 ، ص141.

(*) كان من أبرز المعارضين لها محمد العمودي (أحد قادة الولاية 1 "الاوراس") ومصطفى النوى، وطالبا في اجتماع عقده بمنطقة الكاف التونسية في 58/11/16م بتصحيح مسار الثورة وإعادة مؤسساتها إلى وضعها وشرعيتها الطبيعية بتطهيرها من الدخلاء وعدم الابتعاد عن إيديولوجية بيان أول نوفمبر 54، ورفض الحكومة المعلنة لكن كريم والباءات اقتحموا اجتماعهم بدعم من القوات التونسية وأفشلوا الاجتماع وألقوا القبض على أصحابه، وحاكموهم عسكريا وأعدموهم، أنظر في ذلك: محمد حربي، **جبهة التحرير**...، ص 187، العربي الزبيري، **تاريخ الجزائر المعاصر**، ص141، وغيرها من المصادر والمراجع.

مشاورات موسعة بين جبهة التحرير الوطني و حكومتي تونس و المغرب بشأن الموضوع. في اجتماع لجنة "CCE"في 09 سبتمبر- أيلول 1958 بحث قضية أساسية و هي: **"تأسيس الحكومة الجزائرية "** و قد خرج الاجتماع- حسبه- بالإجماع التالي: (278)

1- تكوين في أقصر مهلة حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية

2- أن يتم تكوين هذه الحكومة على النحو الآتي (**)

3- الشروع فورا باستخراج الحكومات الصديقة بغية الحصول على اعترافها بالحكومة الجزائرية.

نفس الرأي يذهب إليه الأستاذ إبراهيم التونسي (279) بالتأكيد بأنه في نفس دورة المجلس الوطني للثورة بالقاهرة، حرص كريم بلقاسم على اقتراح إلغاء مبدأ الأولويات- وقد تم ذلك فعلا - واستبدالها بالأولوية لرجال الساعة الأولى و مفجري الثورة، مؤكدا أن زمن القيادة الجماعية للثورة وقد ولى، و انه حان الوقت لظهور **" قائد و زعيم للثورة "**. وكان طموحه شديدا لنيل هذا اللقب الذي لم يتأت له ! بل كان ضحية له بعد الاستقلال؛ حينما أختار موقع المعارضة لحكم بن بله ثم بومدين؟... و دفع ثمن ذلك؛ باغتياله في ألمانيا سنة 1970م. لكننا نشدد في المقابل على أن إنشاء الحكومة المؤقتة لم يجيء نتيجة قرار استشاري موسع داخل المجلس الوطني للثورة، ولا عن طريق استشارة قادة الولايات في الداخل ..، بل جاء نتيجة قرار ضيق اتخذته لجنة "CCE"، وتحديدا من قبل الثلاثي العسكري القوي المدعو والمعروف آنذاك باسم: الباءات الثلاث.(* * *)

يعتبر هذا السلوك بمثابة الهروب إلى الأمام (**وسبقا للزمن و محاولة للالتفاف على الثورة بمساعدة بعض القادة و الضباط العسكريين الفارين من الجيش الفرنسي الذين قربهم كريم وولاتهم مسؤوليات قيادية .)** (280) ، ومن هؤلاء الضباط العسكريين "مولود أيدير " الذي عينه كريم رئيسا لديوانه العسكري ؟!

7- محمد لبجاوي ، **الثورة الجزائرية والقانون** ، مرجع سابق ، ص 119.

(**) تتألف الحكومة من: رئاسة المجلس، نيابتان عن الرئاسة، وزارات، وثلاثة سكرتاريات للدولة، وقد حضر الاجتماع المذكور السادة: فرحات عباس رئيسا للجلسة، عبد الحميد مهري سكرتير الجلسة، لخضر بن طوبال، عبد الحفيظ بوالصوف، محمد الشريف، كريم بلقا سم، محمد الأمين دباغين، أنظر التفاصيل في ص 119-120

279- إبراهيم تونسي، **التجربة الديمقراطية في الوطن العربي** ، مرجع سابق، ص 272 وما بعدها .

(***) هم السادة: كريم بلقا سم، لخضر بن طوبال، عبد الحفيظ بوصوف... وكانوا العناصر الأقوى داخل الحكومة المؤقتة، وقد احتفظت بوجودها وموقعها في القيادة والتوجيه، حتى عشية الاستقلال سنة 1962م.

9- لونيسي، **مرجع سابق**، ص 285.

في الوقت نفسه يعتبر د. العربي الزبيري بأن عجز قيادة الحدود الشرقية تحت إمرة العقيد محمدي السعيد عن القيام بمهامها العسكرية، والتقاعس في توصيل السلاح والعتاد لولايات الداخل..، دفع لجنة التنسيق و التنفيذ "CCE" إلى عقد اجتماع لها في 09 سبتمبر- أيلول 1958م؛ حيث أقرت عقوبات مختلفة ضد قائد المنطقة الحدودية و نوابه، و في نفس الاجتماع أطلعت و بحثت اللجنة التقارير المقدمة من طرف أعضائها، و كانت - حسبة - قد عينتهم من قبل لدراسة إمكانية إنشاء حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية، وفي رأي الدكتور دائما أنه بدلا من استدعاء المجلس الوطني للثورة الجزائرية للانعقاد واتخاذ القرار المناسب بشأن المسألة - باعتباره المخول قانونا كصاحب سلطة شرعية باتخاذ القرارات من مثل هذا قبيل - يقول د زبيري : (**لجأ السادة بلقاسم كريم و لخضر بن طوبال و عبد الحفيظ بوصوف إلى القيام بأول انقلاب عسكري، و أعلنوا عن تكوين حكومة برئاسة السيد فرحات عباس على أن يظلوا أهم السلطة المرجعية الوحيدة التي بيدها الحل و الربط.)** [281] ؛ وذلك لاعتقاد هؤلاء عجز المجلس الوطني للثورة عن قيادة شؤون الثورة والجسم في خياراتها ، كما تناقلت الأخبار إلى أسماعهم امتعاض قادة الولايات من عدم قدرتهم الاضطلاع بمهامهم الثورية و العسكرية، ومن ثم التفكير في استبدالهم من على رأس مسؤولياتهم العسكرية، و تعويضهم بقادة آخرين أكثر كفاءة و التزم، لعل العقيد محمد العموري كان أبرز المقترحين لخلافتهم . في المقابل فإن توفيق المدني - أحد رجالات العلماء ، وقادة الثورة بالخارج (القاهرة) - ذهب إلى أن فكرة تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، جاءت بوحي من التوصية التي أتخذها اجتماع المجلس الوطني للثورة الجزائرية في دورته الثانية بالقاهرة أوت- آب 1957 م ([282]) .

عموما فإن جل الآراء المذكورة وغير المذكورة، تتفق على أن الحاجة الثورية التي ولدتها تطورات الثورة الجزائرية بعدما يقارب الأربع سنوات من قيامها، وكذا الضرورات التنظيمية و السياسية للعمل الداخلي، إلى جانب المعركة الإعلامية والدبلوماسية التي شنتها و تشنها فرنسا ضد الثورة و كفاح الشعب الجزائر بهدف تعطيل نيل حقوقه، ناهيك عن الإشارات والإيحاءات التي تضمنتها مقررات دورة المجلس الوطني للثورة الجزائرية في دورته الثانية بالقاهرة أوت -آب 1957م..، كلها مثلت الدوافع الأساسية والمبررات الموضوعية، لذهاب قيادة الثورة باتجاه تشكيل أول حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية في سبتمبر - أيلول 1958م.

281- العربي الزبيري، **تاريخ الجزائر المعاصر (1942- 1992)**، مرجع سابق، ص 14-141.

282- توفيق المدني، **مذكرات كفاح، ج3**... مصدر سابق، ص 399 وما بعدها.

بغظ النظر عن التفسيرات والتأويلات التي قدمت بشأن ملابسات النشأة، و الطرائف التي تم من خلالها اتخاذ قرار التأسيس و الإعلان عنه من قبل أعضاء لجنة "CCE" ، فإن الأهم و الأساسي في رأينا هو: تلك الخطوة السياسية و الدبلوماسية التي شقتها الثورة باتجاه إقرار المؤسسات السياسية لها، و استكمال البناء المؤسساتي لأجهزتها ؛ بغرض الوقوف في وجه المزاعم الفرنسية المروجة لفكرة غياب الدولة الجزائرية تاريخيا وواقعيا، وإدعاؤهم عدم وجود ممثل شرعي للشعب الجزائري يمكن بحث معه مسألة التسوية المطلوبة... وتنظيم - قبل ذلك -الجهد الثوري، وكذا الإشراف عليه بطريقة أكثر حداثة و عصرية. فماذا عن طبيعة هذه الحكومة الوليدة و مهامها ؟ وما هو الموقف الفرنسي منها ؟ وأخيرا ما هي الصعوبات والعراقيل التي واجهتها في سبيل بلوغ مراميها وغاياتها ؟

أ - **الحكومة المؤقتة الجزائرية... الطبيعة و المهام و المسؤوليات.**

جاء الإعلان عن تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في ندوة صحفية بالقاهرة ، نشطها فرحات عباس - رئيس الحكومة - يوم الجمعة 19 سبتمبر- أيلول 1958 م على الساعة 13 زوالا بتوقيت الجزائر، و جاء في نص الإعلان: **(باسم الشعب الجزائري: إن لجنة التنسيق و التنفيذ التي خولها المجلس الوطني للثورة الجزائرية هذه السلطة ، إقرار 27 أوت - آب 1957 قد قررت تشكيل حكومة للجمهورية الجزائرية .)**[283] وقد وصفت نفسها بالحكومة المؤقتة باعتبارها "**حكومة ثورة و حرب** "، وأن "**الحكومة النهائية**"؛ **هي** تلك التي ستتأسس بعد الاستقلال، ويقول الشعب فيها كلمته السيدة، أما الآن فهي بمثابة" **الوكيل المؤقت** " عن الميراث الثوري وحقوق الشعب الجزائري. وقد تأكد هذا في أول تصريح أدلت به بالقاهرة يوم 26 سبتمبر- أيلول 1958م حينما بينت: (**أنه بمجرد تحرير الوطن** ، **فإن الكلمة ستعود إلى الشعب، فإليه وحده يعود حق صياغة و تشكيل الأوضاع النهائية لدولة الجزائر.)** [284] وبعد يومين من هذا التصريح يصدر عنها آخر، استجابة لدعوة ديغول المتضمنة تقرير المصير، جاء فيه :(**أن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية هي المؤتمنة و الضامنة حقوق الشعب الجزائري إلى أن يعرب عن رأيه بحرية.)**[13مكرر]

نلاحظ من خلال التصريحين السابقين اجتهادا واضحا في محاولة إضفاء الشرعية الشعبية على الكيان السياسي الوطني الجديد، وتوجيه رسالة ضمنية إلى الشعب الجزائري للالتفاف حوله، وإنهاء صلته بالإدارة الاستعمارية بصفة كلية؛ باعتبار آن الثورة قد وفرت له الإطار السياسي التنفيذي للتكفل بقضاياه... باسم **" الجمهورية الجزائرية "** ! وهو الجزء الثاني

283- محمد لبجاوي، **الثورة الجزائرية والقانون**، مرجع سابق ، ص 120 .
284- نفس المرجع ، ص 123

من التسمية؛ وفيه رد مباشر على سلطة الاحتلال الفرنسي ساسته الرسميين ، بان " **الجمهورية الجزائرية** " قائمة ،كما أن حكومة مؤقتة قد نشأت باسمها؛ و هو ما يعني استكمال هرم السلطة الوطنية ، وبنائها المؤسساتي.

إن نظرة متفحصة في مضمون المذكرة التي وزعتها ووجهتها الحكومة المؤقتة إلى رؤساء حكومات دول العالم، تطلب فيها اعترافا رسميا بقيام الدولة الجزائرية التاريخية و الواقعية؛ يجلي هذا المعنى ويؤكد التوجه باتجاه أول خطوة لتحديد طبيعة هذه الحكومة الوليدة. وقد جاء في نص المذكرة بأن هذا الاعتراف بالجمهورية الجزائرية وحكومتها المؤقتة باعتبارهما: (**لا يؤلفان كيانات حقوقية طارئة بقدر ما هو تكريس لشرعية إنبعات دولة ذات وجود سابق.**)[285]

يتضح مما سبق أن الحكومة المؤقتة بتأكيدها هذا، تريد أن تقول للمجموعة الدولية بأنها لم تنشىء كيانها مستحدثا لدولة جديدة، و إنما هي تعيده إلى الوجود؛ و من ثم فالفعل لا يمثل في حقيقته سوى: تعلقا بحقيقة تاريخية قائمة طالما ظلت فرنسا تنكرها وتنفي وجودها بصلافة وعنجهية...! فهذا رئيسها ديغول "De gaule"- مدعي الإنقاذ و السلام- يستمر على نهج أسلافه في إنكار وجود هذا الكيان الوطني، بل يذهب إلى حد إنكار وجود شعب جزائري موحد يقول:(**منذ كان العالم عالما فإنه لم يكن هناك وحدة جزائرية و لا سيادة جزائرية، فأنباء قرطاجة والرومان و الفاندال والبيزنطية وعرب سورية وعرب قرطبة والترك والفرنسيين، وعمروا الجزائر الواحد تلو الآخر ، ولكنه لم يحدث أن قامت في وقت من الأوقات بأية صورة من الصور دولة جزائرية.**)[286]

الواقع أننا لا نستغرب كثيرا مثل هذا التصريح و غيره ، باعتباره نتاج " **فلسفة تغليط** " لحقائق التاريخ والواقع طالما لقنت لأجيال المحتلين، في المدارس والمعاهد والكليات المدنية و الحربية؛ مفادها أن الجزائر "**فراغ**" أكتشفه الفرنسيون، و أن شعبها خليط من الأجناس المتخلفة والبربرية لا يجمعها رابط، ورسالة فرنسا هي تأهيل الفراغ وملئه، و تمدين هذا الشعب و نقله من حالة التوحش و البداوة إلى واقع التمدن الحضارية؟... تلك رسالة فرنسا المزعومة ،التي تشربها ديغول وأمثاله، وصاروا يتصرفون من وحيها!! ؟ لكن ماذا عسانا نقول: فللأعمى الحق في أن يدعي بأن العالم كله ظلام ؛ طالما أنه لا يبصر و لا يرى نور الشمس الساطع !

285- نفسه ، ص 31

286- نفسه، ص 31.

إذا فإلى جانب الواقع التاريخي والحضاري الجزائري الذي لا ينكره عاقل، فإن الواقع الثوري القائم آنذاك، والتفاف كامل لفئات الشعب الجزائري وفعالياته الاجتماعية حوله: احتضانا وولاءا و انخراطا ..، يؤكد لساسة فرنسا وعسكريتها بما لا يدع مجالا للشك، وجود أمة جزائرية موحدة، ووطن عتيد هب الجميع لنصرته و تحريره من رجس المحتلين...

أما من الناحية القانونية فإن حقوقيين وقانونيين جزائريين انبروا لتأكيد هذه الحقيقة القانونية؛ فهذا محمد لبجاوي أحدهم يقول: (**عندما تستهدف حركة ثورية تحرير بلد ما من الإستعمار فلا يمكن إلا أن تكون شرعية سياسيا و حقوقيا في أي أن واحد... أما وقد تكونت الدولة الجزائرية من جديد، و تحققت الرقابة على قسم كبير من الوطن، وتم تأليف جيش نظامي، وحدد الشعب إعلان ولائه، فإن تشكيل حكومة جزائرية أصبح أمرا لابد منه... و يجد كل مبرراته...**) [287]

من جانب آخر فإن الكاتب الأمريكي " وليام .ب- كواندت " w . kwindat " يذهب في قراءته لمسألة تشكيل الحكومة المؤقتة و طبيعتها ووظائفها الأساسية، بعد أن استكملت التأسيس، وشرعت دول شقيقة وصديقة في إعلان حكوماتها الاعتراف بها [****] ؛ كاسرة بذلك الطوق الإعلامي والدبلوماسي الذي سعت فرنسا الاستعمارية لفرضه على الثورة، بزعمها أن المسألة الجزائرية تمثل شأنا داخليا فرنسيا بحتا، ليس لأحد التدخل فيها أو إثارتها دوليا. وردا على هذا الزعم يقول: (**لقد سعت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية بعد تشكيلها إلى أن تكون أكثر من مجرد مكتب إداري للجبهة، أو هيئة تنفيذية للثورة، بل تطلعت إلى اكتساب الشريعة التاريخية و السياسية و الشعبية للأمة الجزائرية، وبعث كيانها السياسي القومي و الحضاري، كبديل لسلطة إدارة الاحتلال الفرنسي.**) كما يقر " كواندت " بأن شرعية تمثيل الحكومة المؤقتة للشعب الجزائري مكنها: (**في الواقع وبعد خمسة أيام من تشكيلها** (حيث) **اعترفت بها فعلا أربع عشرة دولة، و هكذا تقدمت الجبهة السياسية للقضية الوطنية الجزائرية إلى حد كبير.**)[288]

من ناحيته يؤكد الدكتور سليمان الشيخ بأن الحكومة المؤقتة ولدت من رحم المؤسسات الثورية: مؤتمر الصومام 1956 ، ولجنة "CCE" ، وتفويض دورة المجلس الوطني .ث.ج أوت - أب 1957م؛ وبذلك فهي تكتسب **" الشرعية والمشروعية "**

---

(287) كواندت، **الثورة والقيادة السياسية**، مرجع سابق، ص 172.

(****) للتذكير فإن أول دولة اعترفت بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، كانت دولة العراق الشقيقة، حيث قام سفيرها بالقاهرة وسط الجمع الحاضر بعد إنهاء عباس فرحات قراءة بيان التأسيس لها، وأعلن أن حكومة جمهورية العراق تعترف رسميا بالحكومة المؤقتة ثم تبعها بعد ذلك دول عربية وإسلامية، وإفريقية تباعا، حتى بلغت سنة 1960م أكثر من 25 دولة.

(****) للتذكير فإن أول دولة اعترفت بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، كانت دولة العراق الشقيقة، حيث قام سفيرها بالقاهرة وسط الجمع الحاضر بعد إنهاء عباس فرحات قراءة بيان التأسيس لها، وأعلن أن حكومة جمهورية العراق تعترف رسميا بالحكومة المؤقتة ثم تبعها بعد ذلك دول عربية وإسلامية، وإفريقية تباعا، حتى بلغت سنة 1960م أكثر من 25 دولة. انظر تشكيلات الحكومات المؤقتة الثلاثة في الملحق رقم: 07 صص439-446

(288) سليمان الشيخ، **الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين**، مرجع سابق، ص 472

(17مكرر) الوطنية لقيادة الثورة و توجيهها في الداخل، وخوض المعركة الديبلوماسية التمثيلية في الخارج...، و تجد نفسها تؤدي وظيفتها الطبيعية سياسيا ودبلوماسيا .

وقد عبرت عن طبيعتها المشروعة ووظيفتها الثابتة صحيفة المجاهد بقولها: **(عندما بلغت جبهة التحرير مرحلة النضج استطاعت أن تنشىء حكومة مؤقتة جزائرية، وهذه إنما تلائم تعريفها، بحكم أصولها وما ندبت نفسها له من حيث هي حكومة، إنما تقوم فوق كل التحزبات، وتعبر عن سيادة كل الشعب، لا عن رأي هذه الشلة أو تلك، وتضع نفسها مباشرة على مستوى الوجود الحكومي الدولي .)**(289)

بذلك فقد نظرت الحكومة المؤقتة لوجودها بوصفها امتدادا طبيعيا لمكونات الدولة الجزائرية، وتعبيرا صادقا ووفيا عن روح بيان أول نوفمبر- تشرين الثاني54م، كما هي تجسيدا فعليا لمقررات أرضية الصومام 1956، وقرارات المجلس الوطني للثورة وتعليمات لجنة "CCE"... الخ. فهي بمثابة " **المولود الشرعي** " للثورة التحريرية الكبرى، ووظيفتها توجب عليها العمل وسط الشعب الجزائري لدعم سياستها، و التحرك دبلوماسيا لكسب مزيدا من الاعتراف الدولي بها **"كممثل شرعي ووحيد للشعب الجزائري "** ؛ هذا بالضبط ما أكدته في إستراتيجيتها التي عبرت عنها صحيفة المجاهد بالقول: **(إن الحكومة المؤقتة التي اعترفت بها حتى يومنا هذا دول عديدة هي الأمينة و الضامن لمصالح الشعب الجزائري، حتى يقرر هذا وضعة بحرية، وهي تقود و تراقب مقاومة الشعب الجزائري و النضال التحريري لجيش التحرير.)**(290)

تلك هي الخلاصة الطبيعية والمنطقية، وكذا وظيفة الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية - ممثلة الثورة و الشعب - وهي المعبر الأمين عن استمرارية الدولة الجزائرية؛ في ظل واقع الحرب، ومعركة التحرير الوطنية. فماذا عن تركيبتها وتطورها ؟ وما هي المشاكل والصعوبات التي إعترضتها في عملها خلال فترة ما بعد التأسيس ؟

ب- حكومات ثلاث... لمهمة واحدة، وصعوبات جمـة !

بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الثورة ، مع ظهور أول حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية في 19 سبتمبر- أيلول 1957 - كما أسلفنا - وتطلع الثوار ومن ورائهم الشعب الجزائري إلى أفق جديد يحررهم من حالة الضيق والارتباك الذي سعت الحكومات الفرنسية المتعاقبة إلى إيجاده وسطهم؛ من خلال وصفهم: **"بالمتمردين"** و **"الإرهابيين"** و **"الدخلاء "**.. رغبة

(289) المجاهد: **مرحلة جديدة للثورة الجزائرية**، عدد 32، الصادر بتاريخ: 1958/11/29م.
(290) المجاهد عدد 51، الصادر بتاريخ: 1959/09/29م.

منها في تجريدهم من الصفة الوطنية، والشرعية الشعبية والسياسية. وقد ساد انطباعا عاما بكون الحكومة المؤقتة هي الضامن السياسي والدبلوماسي الوحيد لكفاح الشعب الجزائري و ثورته التحريرية بعد تأسيسها.

يبدو من الوهلة الأولى أن هذه الحكومة الوليدة قد تجمع بداخلها رجالا ذوي آراء ومواقف خاصة فيما يتعلق بالهدف و الغاية المنشودة ،والمتمثل في التحرير والاستقلال! لكن قراءة في التركيبة الاجتماعية و الإيديولوجية والسياسية لأعضائها وتضح أن الأمر أبعد من ذلك ؛ حيث أن حكومة عباس فرحات الأولى مثلت خليطا من التوجيهات والمواقف تباينت إلى حد التناقض أحيانا إذ مثلت مجموعات ثلاث (291) انحدرت من أصول اجتماعية، ومدارس التكوين السياسي - على عهد الحركة الوطنية - اختلفت نظرتها لمنهجية التحرير و مقاومة الإستعمار، والوسائل والأساليب التي يجب استعمالها وتوظيفها كأسلوب فعال للمقاومة.

المجموعة الأولى:

بقيادة رئيس الحكومة عباس فرحات وعضوية أحمد فرانسيس، وأحمد توفيق المدني مثلوا التيار الإصلاحي المعتدل سياسيا ؛ فالأولان عضوان بارزان في الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري " udma" ، والثاني هو أحد قادة العلماء "المدني". وقد اضطلعوا داخل الحكومة بمسؤوليات الرئاسة و التموين و المال و الثقافة. و كان ينظر إليهم بعين الريبة من قبل زملائهم في الحكومة كونهم مرنين طيعين لا يؤتمنون على قضية الثورة - بحسبهم! -

أما المجموعة الثانية :

فمثلها بن يوسف بن خده، محمد يزيد، د.محمد الأمين دباغين؛ وهم من قدماء حركة الانتصار للحريات الديمقراطية وقد عكسوا التيار الراديكالي في الحكومة، بينما ثالثهم كان أميل إلى "**الثورة المتحفظة**"، وقد استأثروا بقطاعات الشؤون الاجتماعية والإعلام، الشؤون الخارجية و الديبلوماسية، كما حملوا شعار: "**الصراخ في وجه الرصاص**".

ثم تأتي **الفئة الثالثة** ؛ وهي الأقوى، مكونة من كريم بلقاسم، عبد الحفيظ بوصوف ولخضر بن طوبال، وثلاثتهم تاريخيين ثوريين من رجالات الثورة الأوائل .

وقد سيطروا على وزارة الحرب، و الاتصال و الاستخبارات و الداخلية، وشكلوا لاحقا تحالفا عرف "**بالباءات الثلاث** "Les trois B"؛ سيعملون داخل الحكومة على وقع الصراعات والتناقضات الكثيرة لكن يحد أدنى من التعايش ووحدة الموقف الرسمي، وذلك أن الفئة المعتدلة تمتعت بالبريق السياسي والشهرة و الوزن الدبلوماسي. هذا ما أقنع

---

(291) كواندت، **الثورة والقيادة السياسية**، مرجع سابق، صص 173-175

زملائهم الآخرين بالحاجة الماسة لهم على الأقل في تلك المرحلة الحرجة عسكريا ودبلوماسيا؛ التي كانت الثورة تواجهها ضد سياسة ديغول ومخططاته للقضاء على الثورة، لكن سيبدأ التخلص منهم الواحد تلو الآخر مع تقدم الثورة باتجاه التسوية السياسية مع فرنسا، وكان أول الضحايا المدني الذي تم الاستغناء عن خدماته في الحكومة الثانية مباشرة وسيتم إقصاء العضوين الآخرين عباس، وفرنسيين قدماء الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري" udma "في الحكومة الثالثة أوت - أب 1961م

بينما سيتزايد نفوذ الثوريين بقيادات الباءات الثلاثة ويشكلوا ما يمكن تسميته "**اللوبي الخفي**"، رغم صراعاتهم الشديدة الذي سيحافظ على تواجده وتوازنه داخل الحكومة حتى الاستقلال. [292]

في الوقت نفسه سيحظى الراديكاليون بقيادة ابن خده بموقع ممتاز في الحكومة ويقضي على نشاطهم الصفة الثورية وطابع الوطنية والنزاهة خصوصا بعد مساعيهم الخبيثة داخل المجلس الوطني للثورة لتسوية مشكلات الصراع بين الحكومة وقيادة الأركان لاحقا وسينتهي ذلك باستقالة ابن خده من عضوية الحكومة الثانية تلك الاستقالة التي سترفع من رصيده السياسي الثوري وتؤهله لتبوء الصنف الأول في قيادة الحكومة الثالثة بعد تزكية جامعة من أعلى هيأة قيادية للثورة المجلس الوطني للثورة الجزائرية في دورة أوت-آب1961م.

مهما يكن الأمر بشأن نوع وحجم التغيرات والتبديلات التي مست الأشخاص داخل الحكومات الثلاثة فإن المسألة الأبرز في العملية كلها هي بداية تنافي الصراعات والاختلافات والانقسامات داخل الجهاز الحكومي للثورة بسبب تباين التأثيرات الاجتماعية، وكذا النظرة السياسية لدى كل فئة ، مع الاحتفاظ بخيط رفيع كان يجمعهم بكثير من المرونة و القدرة على إدارة الصراعات الداخلية و كان لشخصية عباس وطريق السياسة و تنازلاته، دور صمام الأمان للحكومتين الأوليتين..! وعند إقصائه من الحكومة الثالثة والأخيرة في عمر الثورة، سيحتج بقوة ويغير ذلك نوعا من التوظيف الصراعات و اختلافات ما قبل الثورة بين أحزاب الحركة الوطنية، وعودة إلى منطقة الاحتكار و الوصايا على الثورة من قدماء عناصر حزب الشعب حركة الانتصار للحريات... مقابل تصفية متعمدة للبيانيين و العلماء ! و ذهب أبعد من ذلك من توصيف عملية استبداله بوصفها : "**انحرافا خطيرا** " [293] وقد جاء على لسانه قوله :(**إنه يظهر جليا ، بعد التحليل أن الحكومة المؤقتة**

(292) نفس المرجع، ص 176

(293) الزبيري، **تاريخ الجزائر المعاصر**، مرجع سابق، ص 361.

الجديدة لم تعد تمثل جبهة التحرير الوطني في مجموعة، بل الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية و حدها، فالمؤتمرات التي حبكت في تونس قد أدت إلى إبعاد ممثلي الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري للبيان الجزائري، مع اقتراب موعد الاستقلال، وتجمع المركزيين.) [294]

غير أن عباس تعامل مع الحدث بشيء من الذاتية و النرجسية، وذلك أن المجلس الوطني للثورة هو أعلى هيئة قيادية تشريعية سيدة و صاحب السلطة الأعلى للثورة، ومن ثم فمن حقه أن يقرر ما يراه مناسبا و صالحا للثورة و من سياسات و أشخاص، و المنطقة الديمقراطية يقضي باحترام و قبول قراراته السيدة، ومن جانب آخر فإن عباس لم يثير هذه الملاحظة الاحتجاجية " التاريخية " و عند إقصاء " المدني " و هو الممثل الوحيد للعلماء في الحكومة وفي الشكلية الثانية للحكومة والتي كان المجلس الوطني قد حدث فيه الثقة لرئاستها ؟ وعد ذلك أمرا عاديا و طبيعيا، وثارت ثائرته فقط عندما مسه القرار نفسه لاحقا ؟

ومن جانب آخر فإن في سنتي 1958- 1959 قد مثلثا اخطر سنوات الثورة بعد الانطلاقة 1984 من حيث صعوبة التحدي العسكري الفرنسي بعد إقامتهم لخطي شال وموريس العسكري على طول الحدود الشرقية والغربية ووضعهم إستراتجية عسكرية داخلية لحتف الثورة والقضاء عليها ، وهذا ما يستوجب من وقفة لتجلية معالم هذه الإستراتيجية وخطوطه العامة السياسية والعسكرية ؟ ومواقف الجنرال ديغول حيال الثورة وحكوماته المؤقتة المتعاقبة ؟ حتى نتمكن توضيح الموقف الثوري وتطوراته اكثر .

2-- الإستراتيجية الديغولية في مواجهة الثورة... وأفق التسوية القادمة.

من المفارقات العجيبة أن فرنسا الاستعمارية التي ظلت تعبث بصناعة الواقع السياسي الوطني في الجزائر، وتؤلف مشاهده الدرامية؛ منذ تثبيت أقدامها على الأرض بعد غزوها لها سنة 1830- حتى سنة 1954م ، يأتي عليها الدور نفسه وتصبيح المفعول به في منطقة اللغة، والسياسة الديبلوماسية !؟ حيث دأبوا من نوفمبر- تشرين الثاني 1954 ، لتصبح فرنسا تتأثر بواقع ما يجري في الجزائر خاصة وبعض المستعمرات الأخرى - ويصير المشهد السياسي الفرنسي تحت وقع ضربات الثورة ومن وحي أحداثها ؟ وسيعود عهد الخمسينات في ذاكرة الفرنسيون في صورة كابوس؛ يذكرهم بهزيمتهم في ديان بيان

(294) -Ferhat Abbas**, Autopsie d'une guère**, op cit , p318

فو ماي- ايار1954م بالفيتنام، وبالضربات الموجعة للثورة الجزائرية عسكريا ودبلوماسيا، بل سيمتد تأثيرها إلى المستوى الاقتصادي والاجتماعي، وتهديد السلم المدني داخل التراب الفرنسي نفسه.

ليس هذا التوصيف من قبيل الإطراء أو المزايدة بشأن تأثير الثورة الجزائرية على واقع الحياة والسياسية خاصة بفرنسا، بل هي حقيقة تاريخية، وواقع سياسي شهد به حلفاء فرنسا وخصومنا نحن بالأمس، فهذا الكاتب والمؤرخ الأمريكي: "وليام. ب. كواندت"w . b. kwindat" يؤكد على المأساة ويعترف بحقيقة التأثير للثورة الجزائرية المباشر في صناعة المشهد السياسي الفرنسي خلال هذه القرة فيقول: (**كانت الجزائر بعد حملة السويس الفاشلة عام 1956 العامل الرئيسي في قلب الجمهورية الرابعة وقيام الجمهورية الخامسة في فرنسا نفسها.**)[295] هذه الجمهورية الخامسة هي التي أسسها الجنرال ديغول بعد تسلمه مدة الحكم في فرنسا؛ على إثر انقلاب الضباط العسكريين الفرنسية وتحالف قوى الكولون المغالبة؛ في 13 ماي- أيار 1958م ، وتوجيههم نداء مستعجل للجنرال ديغول لتسليم السلطة ولإنقاذ فرنسا من ورطتها بالجزائر!

وجاء الجنرال مزهوا بنفسه فارضا شروطه السياسية والدستورية، وراسما لإستراتيجيته متكاملة الجوانب والأبعاد للقضاء على الثورة الجزائرية [296] كتب في مذكراته: (**لقد أنقذت فرنسا في المرة الأولى** (أي أثناء الحرب ع 2) **وسأعمل على إنقاذها في المرة الثانية**...) [297] ، ومن ثم فقد أعد مخططا رهيبا للقضاء على الثورة الجزائرية اشتهر باسمه"مخطط ديغول" كما عرف أيضا "**بمشروع قسنطينة**" **Project de Constantine**"[****...] ؛ حيث أطلق أواخر سنة 1958م، وشرع في تنفيذه مع مطلع سنة 1959 خطة خماسية ، اجتماعية، ثقافية، سياسية وعسكرية كان قد مثل في واقع الحال خطورة بالغة على الثورة خاصة في جانبه العسكري، حيث عمد إلى تطبيق برنامجه شال"châle" (نسبة للجنرال شال أحد ألمع القادة العسكرية الفرنسية)، المتمثل على نظام الخطوط - الحواجز المكهربة على الناطق الحدودية الشرقية والغربية لمنع تسرب الثوار وكذا العتاد من وإلى الجزائر مع الشقيقتين تونس والمغرب، وكذا نظام الكادرياج (المربعات) لتمشيط الولايات الحربية بالداخل الواحد تلو الأخرى تباعا، وإقامة المحتشدات للسكان لعزلهم في الأرياف عن الثورة، إلى جانب حمالات التمشيط والاعتقال ... الخ. هذا إلى جانب الحرب الدعائية والسيكولوجية ضد الثورة والثوار،ومحاولة إظهار ديغول

295- كواندت مرجع سابق، ص 05
296- انظر تفصيل ذلك في: رمضان بورغدة، **الجنرال ديغول والثورة الجزائرية**، مرجع سابق، صص 240-292
297-الجنرال ديغول، ، **مذكرات الأمل "التجديد" 1958-1962م** ، ترجمة سموحي فوق العادة، ط1، منشورات عويدات، بيروت لبنان 1971 ص 94
(*****) انظر تفصيلا أكثر عن طبيعة المشروع،وأهدافه ونتائجه في: بورغدة، **مرجع سابق** صص 374- 396
(******...)- من هؤلاء المبهورين بشخص ديغول، فرحات عباس الذي كتب في كتابه "**تشريح حرب**" قائلا: (**من وجهة نظري فإن الجنرال كان قادرا على تسوية مشكلتنا إلا أنه لم يكن يمينيا ولا يساريا، بل هو ضمير فرنسا.**) ، ص 241

كرجل سلم وسلام في الداخل وأمام الرأي العام الخارجي ، وقد مثلت الظاهرة الديغولية في هذا الشأن كما يقول الزبيري- عنوانا للحرب النفسية المركزة ضد الجزائريين، حتى تمكنت في ظرف قصير من أن تثبت في أذهان بعض الجزائريين بما فيهم بعض قادة لجنة الشيعة والتنفيذ"والحكومة والمؤقتة(*****...) بأنه رجل لأي ديغول قادر على إيجاد حل سلمي للمشكل الجزائري، وأنساب الكثيرون خلف هذه الدعاية المناورة ونسى الجميع - في لحظة فقدان الوعي وتغييب الذاكرة التاريخية- إمكانية ديغول نفسه بشأن المسألة الجزائرية قائلا: (**أن رجالا تاريخيين أمثال دوبرمونت، وبيجو، وكلوز يل، هم الذين بذلوا جهودا جبارة من أجل إلحاق الجزائر بفرنسا، وليس من المعقول أن تطيع هذه المستعمرة في حكومتنا.**)[298]

لكن عباس نفسه الذي استعاد وعيه من خلال وقوفه على حقيقة ديغول وأعماله الوحشية تجاه الجزائريين، من خلال سياسات وإستراتيجية الفكر، خاصة مخطط شال المذكور سابقا والذي استمر تنفيذه ميدانيا من جانفي - يناير1959 حتى مطلع سنة 1960، أعاد النظر في" **الزعيم المتلون**"، ومثله الأعلى سابقا؛ ليكتب عن خطورة مرحلته في حياة الثورة الجزائرية رأيا مناقضا تماما لما كان قد عبر عنه عشية مجيء ديغول إلى السلطة، يقول عباس:(**إن جيش التحرير لم يعرف ثقل الحرب مثلما عرف ذلك في عهد الجنرال ديغول.**) [299] هكذا فقد راهن ديغول المنفذ لفرنسا على إنجاز وتحقيقه نصر عسكري مبين في الجزائر بموجبة عار الهزيمة في ديان بيان فو، ويستجيب لطموحات من جاؤوا به إلى سورة الحكم من غلاة المستوطنين والعسكريين، كما يعزز موقعه الجماهيري والسياسي في نظر الفرنسيين، مما يجعله في النهاية يظهر "**كرسول سلام** " للفرنسية وأما العالم كله و"**فارس كريم**" على الجزائريين بعد التسوية - الإهانة التي كان يخطط لها مع الشعب الجزائري وممثليه المنهزمين الخانعين !! هذه النية والقصد والمخطط هو ما كان يسعى ويعمل لتجسيده ؟ وقد عبر أحد الفلاسفة الفرنسيين مؤكدا حقيقة النوايا الديغولية بالقول: (**ليس من شك أن الجنرال ديغول لأسباب سيقول فيها التاريخ كلمته، يريد على غرار الجيش مع اختلاف في السريرة وفي أسلوب العمل وضع نهاية للنزاع الجزائري بتسجيل نصر عسكري وسياسي على الخصم، وإعطاء الأمان "بكرم فروسي" للشجعان ... ولكن ، لشجعان ، عزل ، تائبين"**) [300]

لكن فأل ديغول خاب وحلمه تجز، مما دفعه إلى المناورة من جديد في سياسة الحرب السيكولوجية والدعوة المبطنة إلى فكرة تقرير المصير في 11 سبتمبر- أيلول 1959، لتسجيل نقطة إلا عملية ودبلوماسية على الثورة ورجالها، بعد عجزه عن كسب المعركة والرهان العسكري الذي طالما وعد به الشعب الفرنسي من خلال وعود قادته العسكريين الذين أجبرتهم ثورة

298-.زبيري ، **تاريخ الجزائر المعاصر**، مرجع سابق، ص 181.

299 -Ferhat Abbas, **Autopsie d'une guère**, op cit p 252

300 -B.H Simon **et la réalisation du l'intellectuelle**. **ثورة المثقفين** Le monde 28/09/1960

الجزائر على التقاعد المسبق من الخدمة حفظا لما الوجه. لكن قادة الثورة ومسؤوليتها في الحكومة المؤقتة تفطنوا إلى حقيقة النوايا الديغولية، ومرامي دعواته التضليلية، فانبروا يفضحون سياساته. فهذا لخضر بن طوبال (وزير الداخلية في الحكومة المؤقتة الأولى) يرد على ديغول الذي يسحق ويدمر كل شيء حي على أرض الجزائر، ويرفع غصن السلام في المنابر الإعلامية والدبلوماسية الدولية ، قائلا: (**ليس السلام إذا في الغد، لا سيما أن سلطة ديغول على جيشه لا تزال بعيدة عن التوطد ... طالما تحتفظ فرنسا بالأمل في نصر عسكري، ستبقى أفاق السلام بعيدة وعندما نتوصل لإقناعها باستحالة محو ثورتنا وحينئذ يصبح السلام أكيدا.**) [301]

بذلك يظهر المخطط الديغولي المزدوج ذو الطابع التكتيكي، ويبرر سلوكه في رغبته بانتهاء حرب الجزائر لكن ليس قبل (**...أن تسيطر قواتنا على المناطق، إلى أن يحين الوقت الذي أراه مناسبا لسحبها** .)[302] يقول الجنرال ديغول ونفس المعنى أكده في زيارته للجيش الفرنسي بالجزائر ما بين 03-07 مارس - أذار1960م بمرافقة وزراء وجنرالات أبرزهم "أيلي" élier"و "شال châle" حيث خاطب وحداته القتالية بالقول: (**إن النضال لم ينته بعد، وانه مازال مستمرا، ويجب البحث عن الخصم والتغلب عليه، وإلحاقه لهزيمة به.**) [303] فماذا يعني هذا الكلام غير المناورة والخداع .

في اتجاه آخر فقد سعى ديغول إلى جانب عملية العسكرية - إلى إنشاء " **القوة الثالثة** "[(**.....)] يهدف عزل بعض الولايات وزرع الشقاق بينهما و بين بقية الولايات الأخرى، لأجل تسوية منفردة معها ومن أمثلة ذلك قبول زيادة استقبال و قد عن مجلس الولاية الرابعة إلى باريس بعد دعوة وجهها لهم - بقيادة سي صالح زعموم قائد الولاية - و محادثتهم في قصر الإليزيه بباريس في إطار ما عرف " **بسلم الشجعان** " وكان ذلك في شهر جوان- يونيو 1964 م، ولكن قيادة الثورة تنبهت إلى الهدف الخطي لديغول من وراء ذلك، وقد ذكر فرحات عباس: (**أن المقابلة مع الجنرال ديغول لم تكن من أجل إيجاد حل للقضية، بل إن فرنسا كانت تهدف إلى حزب وحدة الثورة** .)[304]

لكن رغم كل الحصار العسكري المضروب على الثورة، والحرب الدعائية المركزة ،والبحث عن "**قوة ثالثة** " La troisième force" بديله للثورة، ومحاولة إغراء الشعب الجزائري بمشاريع اقتصادية واجتماعية وثقافية ، وفي إطار

301- محمد حربي، **جبهة التحرير الأسطورة والواقع**، مرجع سابق، ص 214.
302- ديغول، **المذكرات**، مصدر سابق، ص 98
303- نفسه، ص 98
(**.....)- يقصد بها إيجاد بديل عن جبهة التحرير، وجيش التحرير المحارب بالداخل، وبحث تسوية منفردة معه، وطرحه كطرق في التسوية المبرمجة. أنظر تفصيل العملية في ديغول، **المذكرات** ص 111. وكذلك: لخضر بورقعة، ، **شاهد على اغتيال الثورة**، تحرير الصادق بخوش، ط1، دار الحكمة للترجمة والنشر، الجزائر، 1990ص 37-57.
304 -Ferhat Abbas, **l' autopsie** ... op cit p 286

مشروع ديغول "**مشروع قسنطينة**"... وغيرها من المحاولات إلا أنها جميعا تحطمت على صخرة الثورة الصلبة، وقدرة القيادة الثورية للجهة - على رغم من خلافاتها وصراعاتها الكثيرة- من أن تتصدى في شكل موقف موحد لسياسة ديغول ومشاريعه الجهنمية؛ مما دفع به في النهاية إلى الاقتناع بضرورة بل حتمية الذهاب تسوية جدية عبر فكرة " **تقرير المصير** " التي اعترف بها لصالح الشعب الجزائري مرغما. فجاء على لسانه: (**... وبذلك أصبحت متأكدة، أكثر من أي وقت مضى، أنه رغم تفوقها وسائلنا الساحق، فإنه لا طائل من خسارة رجالنا و أموالنا عن طريق فرض شعار "الجزائر فرنسية" و أن السلم لا يمكن أن ينشأ إلا عن مبادرات سياسية تتخذ اتجاها معاكسا... فقد أدركت أن استمرارنا في متابعة نضال و همي سيسيء إلى معنويات جيشنا و بالتالي إلى وحدتنا الوطنية... (**و**) إلى شطر قوتنا إلى فئتين يزداد اختلافهما.**)[305]

وقد شهد شاهد من أهلها ! حيث في هذا الإقرار؛ اعترافا صريحا بالعجز والفشل في احتواء الثورة والقضاء عليها، بل أكثر من هذا انتقال الأزمة إلى المؤسسة السياسية الفرنسية، وتهديدها بالانقسام وانهيار الوحدة الوطنية الفرنسية. مما قد يغيم عنها حرب أهلية، يكون أول ضحاياه ديغول ثم من بعده الشعب الفرنسي. هذا بالضبط ما سيجعل ديغول يسعى إلى إنقاذ شرفة وشرف بلاده بالتوجه الجدي والصريح إلى مباشرة الاتصالات و المفاوضات مع جبهة التحرير الوطني، عبر الحكومة للجمهورية الجزائرية؛ التي طالما تنكر لها و أدار لها الظهر تغنتا و كبرياء، وادعاء عدم شرعيتها الشعبية والقانونية... ! وها هو يرضخ أخيرا لشروطها بالجلوس صاغرا إلى طاولة المحادثات التي انطلقت رسميا في مولان بداء من شهر جوان - يوليو 1960م. سنأتي على ذكر مجرياتها عنها ومراحلها ، ثم نتائجها والمواقف الجزائرية والفرنسية منها لاحقا ؟

لكن قبل ذلك يجدر بنا العودة للحديث عن الحكومة المؤقتة في طبعاتها الثلاثة، وبحث جذور الصراع الذي نشب بين أعضاء القيادة الثورية؛ وخاصة بين الحكومة المؤقتة وهيئة الأركان لجيش التحرير بقيادة العقيد هواري بومدين ؟ ثم إبراز دور"**الباءات الثلاث** " في تغذية الصراع وتوازناته، وتأثير كل ذلك على الجهاز التنفيذي والمسار العام للثورة. ذلك أن إشكالية القيادة، وتنازعها داخل أجهزة الثورة، ستوجه الأنظار -للأسف- عن القضية الجوهرية والأم وهي: "**المشكلة المفاهيمية**"، والمحتوى الفكري والإيديولوجي للثورة، وكذا النصوص المؤطرة والموجهة لها لمرحلة بعد الاستقلال. وهو موضوعنا الرئيسي ومدار بحثنا، والقضية الأولى وموضع الاهتمام في الأجندة الثورية . رغم ذلك فإننا لا نجدها حاضرة و محضية بالاهتمام والرعاية الكافية من قبل قادة الثورة ؟... الأمر الذي سمح لمجموعة قليلة من المتغربين والشيوعيين من أن يستأثروا بصناعتها وصياغتها؛ وفق منظور وتوجه بعيد كل البعد عن رغبة وطموح الشعب الجزائري، ولا ينسجم بل

305- ديغول **مذكرات**، مصدر سابق، ص 85

يتناقض مع أدبيات ونصوص الثورة الأولى؛ خاصة محتوى برنامج طرابلس 1962م، وهو الموضوع الأساسي في فصلنا هذا.

فماذا عن ظروف صدور هذا النص الوثيقة ؟ وما هي أهم التطورات السياسية التي مرت بها الثورة في مرحلتها الأخيرة وأوصلتها إلى محطة طرابلس ؟... تلك أسئلة وغيرها ستكون محور الإجابة وحديثنا في ثنايا المبحث الموالي.

المبحث الثاني : ظروف إعداد برنامج طرابلس جوان - يونيو 1962 م

يعتقد الكثيرون بأن قيام الثورات ضد عدو مشترك، تدفع في العادة الرجال والأشخاص المتخاصمين في بيئة الثورة إلى تجاوز وتجميد خلافاتهم، وتبني قيم، مواقف، وسلوكيات... جديدة تمكن من تجميع القوى، والمشاركة الجماعية في حالة العنف الثوري. ولعل من أبرز مؤيدي هذا الرأي الكاتب المارتينيكي **"فرانز فانون"** France fanon" في كتابه: **"معذبو الأرض"** (****) وبالرغم من سلامة هذا الرأي وصحته في أغلب الحالات، فإن مداه التطبيقي لا يتجاوز في الغالب مرحلة الانطلاق للعمل الثوري؛ فسرعان ما يرجع كل طرف إلى ماضيه يستلهم منه الرأي والتوجيه، ومن ثم تستأنف دورة الخلاف عملها ونشاطها في خضم العمل الثوري، لأجل التموقع والسطو على سلطة القرار، وغنم ثمرة الجهد الجماعي... الخ. باسم الشرعية التاريخية تارة، والأسبقية الزمنية أخرى، والمصلحة الثورية والوطنية ثالثة...! مما يؤدي في النهاية، وفي أغلب الحالات إلى استبدال نظام وقيم الخصم - العدو؛ بنظام يحمل لبوس الثورة والوطن. لكنه يخفي في تفاصيله النزعة الاستبدادية، والاحتكار الفردي أو الجماعي والفئوي، بل الإقطاعي؛ إن على المستوى الاجتماعي، الثقافي آو الاقتصادي... بعيدا عن رغبة الجماهير و طموحاتها **!؟**

في حالة الثورة الجزائرية تبدو هذه الظاهرة **"كسلوك مرضي"** و**"حالة مزمنة"**؛ ذلك أن الثورة نفسها قامت في أسبابها المباشرة على خلفية مثل هذا النوع من الصراعات داخل أحزاب الحركة الوطنية وأجهزتها، وبصفة خاصة داخل حزب الشعب - حركة الانتصار للحريات الديمقراطية - وقد سبقت الإشارة إلى طبيعة هذا الصراع و أطرافه و انعكاساته في الفصل الأول - وقد تمكن قدماء المنطقة السرية " o.s " من أخذ زمام المبادرة و تجاوز الخلافات بين الطرفين المتناحرين، ليشقوا طريقهم نحو العمل الثوري ليلة الفاتح من نوفمبر - تشرين الثاني 1954 م، ويصنعوا الحدث والمفاجأة الكبرى في تاريخ الجزائر المعاصرة.

واستطاعوا في السنتين الأوليتين من فرض خيارهم العسكري و الثوري على الجميع، و إنهاء حالة التمزق

(***) انظر تفصيل الفكرة في : فرانز فانون،: **معذبو الأرض**، ط1، م ترجمة ك. شولي، وفم للنشر، الجزائر؟ صص02-71. أصدر الكتاب في خريف نوفمبر (تشرين II) 1961، وتم توزيعه إبان وقف إطلاق النار بين الجزائر وفرنسا، ويتألف من خمسة فصول تتضمن مجموعة أراء فانون التحررية. انظر ص... وما بعدها.

والتشتت والتشرذم بين الفعاليات الوطنية؛ ماعدا الصوت النشاز للحركة المصالية التي ناهضت جبهة التحرير

الوطني، وحاولت صناعة تنظيمات موازية ("**الحركة الوطنية الجزائرية**" "MNA" و"**الجيش الشعبي الجزائري** "APA")؛ لكن الجبهة وجيش التحرير الوطني، تمكنا في نهاية المطاف من السيطرة على الموقف، وتوحيد التمثيل الثوري لصالحهما.

غير أن تطورات الثورة ومحطاتها الكبرى التنظيمية والسياسية، بدءا من مؤتمر الصومام 1956م والمؤسسات السياسية المنبثقة عنه، وكذا القرارات غير الاجماعية... الخ، كلها عجلت بإحياء الصراعات القديمة في خلفياتها وأشخاصها؛ الجديدة في أساليبها ومواقعها وانعكاساتها. ومع تتالي السنين وتزايد المتطلبات الثورية: سياسيا، تنظيميا، وعسكريا، وكذلك اشتداد حصار العدو وضرباته... توفرت الظروف الملائمة لتنامي الصراع وتفريخه؛ حتى بلغ حد المواجهة في مؤتمر طرابلس 1962، ثم المواجهة المسلحة في أزمة صائفة 1962م. يؤكد هذه الحقيقة كثير من قيادات الثورة ورجالاتها، وكتاب ومؤرخين جزائريين وأجانب، تناولوها بالدراسة. منهم الكاتب الأمريكي كواندت حيث يقول: (**ليس صحيحا أن الثورة الجزائرية حققت الوحدة من خلال القيادة ولم تلاحظ الثورة على الخصومات القديمة وحسب، بل خلقت مصادر جديدة من التوتر بين القادة السياسيين.**)(306).

1)- <u>أزمة القيادة الثورية... والصراعات المحتدمة و المؤجلة</u> !

إن بدايات التفكك السياسي و صراعات الزعامة في القيادة بين رجالات الثورة الأوائل، وبين السياسيين الذين و فدو إلى جبهة التحرير الوطني بعد مؤتمر الصومام أوت - آب 1956 م، يؤشر إلى تنامي الخلاف والصراع حول السلطة الثورية. ويمكن اعتبار سنتي 1957، 1958 ، بدايات المواجهة التي بلغت حد التصفية المادية (الجسدية) لبعض رموز الثورة؛ و كان عباس رمضان -رجل الصومام الأول- أولى ضحاياه ! وقد كان لهذا الصراع مؤشر آخر ؛ هو ظهور فئات جديدة وأشخاص غير معروفين على المسرح الثوري داخل السلطة، وهرم القيادة، سيكون لها الدور الفعال والبارز لاحقا في إدارة الصراع و توجيهه، ثم قيادة المفاوضات مع فرنسا، و التموقع القوي في أجهزة الثورة العسكرية منها خاصة، ومن ثم حسمه (أي الصراع حول السلطة) لصالحها وصناعة سلطة ما بعد الاستقلال. تعني بهذه الفئة والأشخاص تحديدا؛ قيادة الأركان العامة، وضباطها العسكريين الملتحقين بالثورة حديثا. الدين انتظموا جميعهم عسكريا خارج الحدود (داخل جيش

35- كواندت، **الثورة والقيادة السياسية الجزائرية**، مرجع سابق، ص 19

الحدود المرابط في كل من تونس و المغرب !) بقيادة العقيد هواري بومدين ومساعديه: علي منحلي و أحمد قايد... وغيرهم .

إلى جانب بعض النخب و المتعلقة من الطلبة و المثقفين ذوي النزعة اليسارية أمثال: عمار أو زقان، رضا مالك، مصطفى الأشرف، ومحمد حربي... وغيرهم، معظمهم انخرطوا في الثورة مع انعقاد مؤتمر الصومام. وكانت لمساعي عبان رمضان دورها في حلبهم وإدماجهم داخل أجهزة مؤسسات جبهة التحرير؛ ليضع بهم التوازن المطلوب في صراعه مع خصومه السياسيين، وليؤدوا وظيفة "**الرديف الأول**" في إسناد المؤسسات للثورة وتأطيرها إداريا و ديبلوماسيا - سينفذون بهدوء وتدريجيا بعيدا عن صراعات السياسيين و العسكريين، ليقوي نفوذهم داخل المؤسسات الإعلامية " **المجاهد** "؛ الناطقة بالفرنسية خاصة - في سكرتاريات الوزارات، و لجان العمل وورشاتها بالمجلس الوطني للثورة، وكذا ضمن البعثات الديبلوماسية للثورة في البلدان المناصرة والصديقة... وغيرها. وسيحضون بالمراكز الحساسة والمهمة في إدارة الاستقلال.

2- **حكومة جزائرية مؤقتة واحدة... وقيادة ذات رأسان !**

تعود أصول الخلاف داخل الحكومة المؤقتة إلى مرحلة سابقة عن تأسيسها؛ أي مرحلة ما بعد الصومام 56م، حيث نشب صراع حاد بين السياسيين بقيادة عبان رمضان، والعسكريين بزعامة الثلاثي كريم، بن طوبال، وبوصيف. وكان لجنة "cce" مسرحا لهذه المواجهات حيث انتهت بتصفية عبان أواخر ديسمبر- كانون الأول1957م من قبل الباءات الثلاث - رفقائه في الكفاح وخصومة الغرماء - بذلك خلا لهم الجو لإدارة شؤون الثورة كعسكريين ثوريين. وقد استمدوا نفوذهم داخل الجبهة ومؤسساتها السياسية والعسكرية، وتوجيه القرار الثوري؛ من كونهم يتمتعون بسابقة نضالية وتاريخية، استعملوها ضد خصومهم تتمثل في :

1- امتلاكهم الشرعية التاريخية، حيث كان منهم من أعضاء المنظمة الخاصة "os"، كما أن منهم من حضر اجتماع 22 التاريخي في جويلية - يوليو1954 ، الذي أتخذ فيه قرار الذهاب إلى الثورة. وقد انفرد كريم بلقاسم عن حليفيه : بن طوبال وبوصوف؛ كونه احد القادة الست التاريخيين المفجرين للثورة، بينما ينقصه عدم حضور اجتماع 22 المذكور؛ وهما نقطتان طالما تزايد بشأنها على بعضهما ! فادعوا من خلالها الأحقية التاريخية، والأفضلية السياسية... عن غيرهم من بقية قيادات الثورة .

2- امتلاكهم وسيطرتهم على القوة العسكرية خارج الحدود؛ فكريم وزيرا للقوت المسلحة، وبوصوف مسؤول جهاز الاتصال والاستخبارات، وبن طوبال وزيرا للداخلية... هذا ما مكنهم من الإنفراد بالقرار العسكري ، وإشهاره عند الحاجة في وجه خصومهم السياسيين داخل الحكومة المؤقتة وخارجها.

3- تحالفهم المستمر في إطار التكتل الذي عرف ب "الباءات الثلاث "les trois b "- كون أسماهم تبدأ أو تحوي حرف "**الباء** " - ليشكلوا ما يملكن تسميته "**باللوبي العسكري السري** "، كما أنهم -رغم تنازعهم السلطة بين بعضهم البعض- استطاعوا أن يحفظوا "**شعرة معاوية** "بينهم، ولم يتجاوزا الخطوط الحمراء في خلافاتهم وصراعاتهم البينية؛ بذلك ضمنوا وحدة الثورة، والموقف الثوري العام، كما أن خلافاتهم ظلت سرية ولم يعلموا على إنزالهم إلى القاعدة أو إشهارها.

4- توحدهم ضد خصومهم، وتمكنهم من ضمان بقائهم داخل الجهاز التنفيذي "**الحكومات المؤقتة الثلاثة** "، إلى جانب تصديهم لكل من يهدد نفوذهم وسلطتهم، واستقر حالهم على ذلك حتى أزمة صيف 1962م بعد إعلان الاستقلال.

بتوفر هذه العوامل الأربعة الأساسية، إلى جانب عجز الحكومة المؤقتة وتخاذلها في كثير من المرات، من اتخاذ قرارات من صميم صلاحياتها حيال مخالفيها، و كذا ضعف مؤسسة المجلس الوطني للثورة وأعضائها أمامهم، ناهيك عن تبعية وولاء معظم قيادات الولايات بالداخل للثلاثي المذكور... كل ذلك ساعدهم -كما يقول الأستاذ رابح لونيسي- من البقاء في أعلى هرم القيادة الثورية: **(وبذلك صنعوا علاقة متوازنة بينهم ضمنوا بها السلطة كما وحدة الثورة و استمراريتها.)**[307] بعد تأسيس الحكومة المؤقتة "gpra" كثيرا ما تصارعوا حول قيادتها - خاصة كريم بلقاسم- لكن و حفاظا على الخيط الرفيع الذي يربطهم، والتوازن القائم بينهم، يلجئون إلى تعيين " **رجل ضعيف** " مثل: عباس فرحات، ابن خده؛ ليحكموا من خلاله في الغالب !

وكانت تلك سابقة في تاريخ الجزائر المعاصر خاصة مرحلة الثورة، لتتكرس بعد الاستقلال؛ ببروز فكرة "**الرئيس الواجهة !**" ؛ وكان لذلك تأثيره المباشر والقوى على أداء حكومات الثورة الثلاثة، حتى أصبح دورها كما يقول المجاهد عبد الحميد مهدي"**غير فعال**" مقتصرا على: (**حل الصراع بين بن طوبال وكريم وبوصوف الذين كانوا يضعون مسدساتهم فوق الملفات.**)[308] وكان المفترض في المجلس الوطني للثورة باعتباره الهيأة العليا القيادة للثورة، وصاحب السلطة والصلاحية لاتخاذ القرارات الحاسمة، كما أنه (**بمثابة الإطار الحقيقي لمبدأ الوحدة داخل الثورة ؛ وحدة القيادة، وحدة السلطة، وحدة**

307- رابح لونيسي، **الجزائر في دوامة الصراع**، مرجع سابق، ص 27
308- نفس المرجع، ص 38

الأمة وحدة المصير...) [309] أن يحسم في هذه الخلافات وينهي الصراع الدائر بين **"الباءات"** بعضهم مع بعض، وبينهم وبين باقي أعضاء الحكومة المؤقتة. وذلك بموجب نص المادة 23 من القانون الأساسي للجبهة، التي تخوله هذه الصلاحية... لكن يبدو أن النصوص النظرية الرسمية كثيرا ما تكون رهينة قوى العسكر، والقوة المتنفذة في السلطة؛ تستعملها حسب ما تقتضيها مصلحتها !؟ ولعل من أسباب ضعف هذه المؤسسة الحيوية **"المجلس الوطني للثورة الجزائرية "** وعجزها عن القيام بمهامها على الوجه الكامل؛ هو تباين الاتجاهات السياسية وأعضائها، وتناقض القناعات الفكرية لدى البعض الأخر، وارتباط العديد منهم بمركز التحالف داخل الحكومة المؤقتة (حيث كان أعضاء الحكومة في نفس الوقت أعضاء في المجلس الوطني للثورة في الغالب.)

هذا الواقع المرير داخل هرم السلطة الثورية، يوازيه اشتداد الخناق العسكري الفرنسي على الثورة بالداخل للقضاء عليها؛ في إطار تنفيذ "برنامج شال" كخطة عسكرية؛ ضمن إستراتيجية ديغول الهادفة إلى تصفية الثورة ومشروعها التحريري. انه الأمر الذي اقنع عباس فرحات بعد عجزه عن إيجاد التسوية المناسبة لذلك، وخوفا منه من تفجير الوضع - حسب ما يورد- [310] ، وفي وقت أوشكت الثورة على بلوغ هدفها بعد خمس سنوات من الكفاح، ودعوة ديغول خريف 1959 م واعترافه بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره، ثم دعوته إلى محادثات بين الجبهة والحكومة الفرنسية... الخ؛ كل ذلك دفعه إلى اتخاذ قرار بدعوة **"مجالس الولايات "**إلى الانعقاد لبحث حلول مناسبة للمشاكل المتراكمة. فكان الاجتماع الذي اشتهر باجتماع **"العقداء العشر".** فماذا عنه ؟ ما هي القرارات والحلول البديلة التي تداولها ؟ كيف كان تأثيرها على أداء الحكومات اللاحقة وعلى المسار الثوري العام ؟

3- **اجتماع العقداء العشر... ودعوة المجلس الوطني للثورة للبث في قراراته.**

يعتقد محمد حربي أن **"روح الاستعفاء"** (من العفو والعافية)، الذي كان يتميز به أعضاء الحكومة المؤقتة التابعين للإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري إيديولوجيا، وبعض أعضاء اللجنة المركزية لحركات الانتصار للحريات الديمقراطية - ماعدا بن خده- كان وراء تبرير جل أخطاء وانحرافات مجموعة **"الباءات "** أو **"الثالوث "** - كما يسميه- كما **جعلهم** أيضا الضحايا و أكباش الفداء. مما دفع عباس فرحات بوصفه رئيسا للحكومة المؤقتة إلى اتخاذ مبادرة دعوة مجالس الولايات للانعقاد، وكلف "الباءات" أنفسهم من قبل الحكومة بتنفيذ الخطة ودعوة المعنيين للاجتماع؟ ! بعد أخذ ورد بينهم استقر رأيهم

309- إبراهيم لونيسي، **التجربة الديمقراطية في الوطن العربي**، مرجع سابق، ص 272.
310- محمد حربي، **جبهة التحرير، الأسطورة والواقع**، مرجع سابق، ص 204.

على دعوة قادة ولايات الداخل "**العقداء الخمس**" (****...) وكذا العقيدين المسئولين عن قيادة الأركان، وهما: هواري بومدين عن الجهة الحدودية الغربية (المغرب)، ومحمدي السعيد عن الجهة الحدودية الشرقية(تونس)، يضاف إليهم طبعا "**الباءات الثلاث**" وهم كريم بلقاسم، لخضر طوبال، وعبد الحفيظ بوصيف. بذلك أكتمل نصاب العشر عقداء.

التأم الاجتماع في تونس أواخر الصيف حتى نهاية خريف 1959 م، وكان اجتماعا ماراطونيا مطولا، اتسم بالحدة والصراحة إلى حد المواجهة، كما انضبط بروح المسؤولية الثورية، وكان عسكريا صرفا. حدد برنامج أو جدول عمل الاجتماع في ثلاث قضايا أساسية، وكان الباءات من حدودها من قبل وهي:

الأولى: بلورة برنامج عمل الحكومة المؤقتة...

الثانية : وضع نظام داخلي لجبهة التحرير الوطني .

الثالثة : تعديل عضوية المجلس الوطني للثورة الجزائرية.[311]

حسب حربي دائما، فقد كلف مناضلون "**اختصاصيون** " بالاشتغال على النقطتين الأوليتين وشكلت لهذا الغرض لجنتان للعمل:

الأولى : تضم عمر أو صديق، فرنز فانون، عبد الرزاق شنتوف، ومحمد الصديق بن يحي (وجميعهم ذوي ميول ومسحة يسارية؛ هم من أصبحوا يتمتعون بتسمية الاختصاصيين !) وقد كلفت بإعداد مشروع البرنامج.

أما **الثانية**: فتتألف من: بن يوسف بن خده ، ومبروك بن الحسين ، والأمين خان ،وقد اشتغلت على النظام الداخلي للجبهة .

بخصوص **النقطة الثالثة**: فقد اعتبرت من اختصاص "المنظمين" ؛ أي القادة العسكريين المجتمعين؛ حيث استولت على جل اهتماماتهم باعتبارها تتدرج ضمن صراع الأشخاص حول الزعامة، بينها لن تثير النقطتين الأخيرتين جدلا مهما حولها؟ هذا التوجه - للأسف - هو الذي أفرغ كما سيجرد جبهة التحرير الوطني من إيديولوجيتها الوطنية الواضحة والناضجة؛ المحددة لمسار الثورة و مستقبلها بدقة بعد الاستقلال، وتمكن من رسم معالم الدولة الجزائرية المستقلة. بل إن الجماعة المسماة " **بالخبراء "و"الاختصاصيين" و"التكنوقراط"...** وغيرها من الألقاب التي كانت تطلق آنذاك؛ هي من استأثر

(****...) هم السادة: عبيدي لخضر المدعو الحاج لخضر (قائد الولاية I) علي كافي (عن الولاية II)، العقيد لطفي (الولاية 05) الصادق دهيليس (الولاية04) الرائد يازوران (الولاية05) وكان الأخير في الخارج وقد مثلا الولايتين المذكورتين بسبب عدم قدرة قادتها الخروج والوصول إلى تونس.

311- محمد حربي، **مرجع سابق**، ص 205

بتحديد المرجعية الفكرية وهوية الثورة - ووجهت مسارها باتجاه لا يتوافق- في الغالب- مع منطلقاتها الفكرية والإيديولوجية ؟ !

أما العقداء فقد انقسموا بدورهم إلى مجموعتين متساويتين: **الأولى** بقيادة كريم و **الثانية** تحت إمرة بن طوبال وبوصوف، و قد وصفهما ابن خده بأنهما: (**عشيرتين تتنازعان جيش التحرير.**)[312] كان للباءات قوة التأثير في المداولات والقرارات بحكم" **تاريخيتهم** " و مسؤولياتهم في هرم السلطة. يذكر حربي بأن مدة الاجتماع كانت 110 أيام !! [****...] تخلله انقطاع لمدة 12 يوما بسبب خلافات حادة بين المجتمعين، ليستأنف بوساطة قادها كل من : بن خده، أوصد يق، أوعمران، ومبروك بن الحسين. [313] و سعى كريم جهده لإفتكاك إقرارا بزعامة الثورة، لكنه لم يفلح أمام تصلب مواقف العقداء: لطفي، كافي، وبومدين؛ مما أجبره في النهاية على الخضوع للأمر الواقع. وقد انتهى الاجتماع الحاسم إلى قرارات تضمنت تعيين مجلس وطني للثورة ودعوته للانعقاد في الفترة المحددة بين 16 ديسمبر - كانون الأول 1959- إلى جانفي - كانون الثاني 1960 م، لتحول مجموعة العقداء العشر إلى "**لجنة تحضيرية**" لدورة المجلس الجديد.

التأم المجلس في التاريخ المحدد له، ودامت اجتماعاته 33 يوما، بعد أخذ و رد ومشاحنات، انسحب كريم من الاجتماع، لكن تم استرضائه أخيرا . خرج الاجتماع بقرارات شملت كما يورد الدكتور زبيري :

أ- تعديل طفيف على تركيبة الحكومة مع تجديد الثقة في فرحات لقيادتها، وضبط الخطوط العريضة لبرنامجها ب- تكوين " لجنة وزارية " CiG" تكون مسئولة عن شؤون الحرب و تشرف على هيأة الأركان، تحت مسؤولية " الباءات الثلاثة ".

ج- إقناع كريم بلقاسم بالتخلي بمحض الإرادة عن فكرة تزعم الثورة، وتأكيد مبدأ القيادة الجماعية .

د- المصادقة بالإجماع على نصين أساسيين للجبهة مثلا "**مكسبا إيديولوجيا.** "[314]

على الرغم أن الدكتور زبيري يعتبر النصين " **مكسبا إيديولوجيا**" ، إلا أن الملاحظ أن توجهاتهما العامة بدأت تكرس خط التباعد مع النص السياسي - الأيديولوجي الأول للثورة؛ مع بيان أول نوفمبر 1954 م، خاصة فيما يتعلق بالبعدين: "**الإسلامي**" و "**العربي الإسلامي**" ، و البعد الثاني " **البعد المغاربي** " الذي أقصى من الوثيقة- النص ؟ ! وهاهو د.زبيري نفسه يشير في تعليق على النصبين، واصفا إياهما :"**بالسابقة الخطيرة**[315] كونهما:

312- نفس المرجع، ص 205

(****...)- يذهب علي كافي إلى أن الاجتماع دام 94 يوما، أنظر علي كافي **المذكرات**، مرجع سابق، ص 212.

313- محمد حربي، مرجع سابق، ص 206

314- الزبيري، **تاريخ الجزائر المعاصر**، مرجع سابق، ص 118

315 -نفس المرجع، ص 190-191.

1- خرجا عن الخط الإيديولوجي المسطر ليلة الفاتح من نوفمبر- تشرين الثاني 54 من قبل جبهة التحرير الوطني، خاصة فيما يتعلق بالبعد والإطار الإسلامي للثورة، ويرجع هذا إلى الميول اليساري الواضحة لأغلبية محرري الوثيقين، و قد أشرنا لذلك من قبل.

2- أن الوثيقة (البرنامج) أهملت في عرضها للمبادئ الأساسية للجبهة، التوقف عند أبعاد الثورة التي تضمنتها أدبيات الحركة الوطنية، و بيان أول نوفمبر 54 ، وكذا ميثاق الصومام 56 م؛ ممثلة في البعدين " **المغاربي**، و**العربي الإسلامي** ". وفي ذلك تأثير من بعض المتغربين داخل لجنة العمل وبصفة خاصة (أو صديق، فانون، بن يحي) الذين كانوا يرون أن مستقبل الجزائر القادم لن يكون عصريا وزاهرا في دائرة العروبة و الإسلام **!؟**

3- عدم الالتزام بالتطهير السياسي المرجو، و "**القضاء على روح الفساد و الإصلاح** " ، كما نص عليه بيان الثورة الأول؛ بل السماح بكيفية غير مباشرة للحزب الشيوعي الجزائري خاصة، بالبقاء والنشاط باستقلالية خارج دائرة الثورة، وكذلك توغل عناصره داخل أجهزتها والعبث بوثائق الثورة الأساسية؛ بهدف توجيه القرار الثوري حسب رغباتهم و أهوائهم الإيديولوجية .

لكن بن خده- وهو رئيس لجنة صياغة الوثيقتين، والمسئول الأول عنهما وعن مضمونهما- يبرر هذا الانحراف بادعائه كونه: (**لم يتنبه في حينه إلى هذه الأخطاء الفادحة، لأنه كان يعرف كفاءة أعضاء اللجنة، ويعتقد أنهم تخلوا عن معتقداتهم الإيديولوجية بعد التحاقهم طوعا بجبهة التحرير الوطني.**) كذلك انشغاله الكلي بإقناع أعضاء مجلس الثورة الجديد بتبني قراره القاضي (**بحتمية رجوع القيادة العليا للثورة إلى أرض الوطن.**)[316]

وعلى الرغم من علمنا المسبق بإخلاص بن خده، نزاهته، وثوريته، وهو الذي وصفه كواندت "kwindat" بأنه: (**من أبرار العناصر المثقفة و النزيهة و الجريئة.**) [317] ونعلم كذلك أنه الشخص الوحيد الذي قدم استقالته من الحكومة المؤقتة الثانية المشكلة بقرار من نفس هذه الدورة للمجلس الوطني للثورة؛ احتجاجا على ما كان يناضل لأجله بخصوص عودة قيادة الثورة إلى الداخل، وكذا بسبب رفض المجلس اقتراحه بتشكيل"**سلطة سياسية عسكرية واحدة داخل الجزائر**"[318]... لكن كل ذلك الرصيد المشرق لن يعفه - وهو رئيس اللجنة -أن يمرر هؤلاء" **الفرانكو-شيوعيين !** " إيديولوجيتهم المضرة بحط

316- نفس المرجع، ص 191
317 - كواندت، **الثورة والقيادة السياسية**، مرجع سابق، ص 176
318- نفس المرجع، ص 189

ومسار الثورة، وانتماء الشعب الجزائري والتاريخي و الحضاري... سنحاول كشف خلفيات الصراع ونتائجه على مسار الثورة في العنصر الموالي.

أ- صراع الزعامة في الثورة من "الباءات"... إلى هيئة الأركان

يذهب الدكتور سليمان الشيخ إلى أن سياسة **"تجزئة العمل"** [319] الذي اعتمدته الحكومة المؤقتة، الذي يبدو في ظاهرة كما و كأنه نوع من " **تطعيم الإدارة بالنجاعة** " المطلوبة... لكن في حقيقة الأمر ما هو إلا تكريس **"اللاستقلالية** " لكل قطاع وزاري و هو ما مكن " الباءات الثلاث" وبعدهم هيأة الأركان ومن أن يسيطرا بصفة شبه مطلقة على قرارات الحكومة و الثورة معا، و يستأثروا بالسلطة الفعلية ضمن إطار" CIG" ثم التلويح بقوة جيش الحدود التي تحت سيطرتهم؛ ذلك أن العسكريين في الحكومة الجديدة المنبثقة عن دورة المجلس الوطني للثورة الأخيرة ديسمبر- كانون الأول 59 جانفي- يناير1960 م كرست سلطة العسكر- حيث أصبحوا يشكلون 3/2 عضوية المجلس الوطني للثورة، ناهيك عن القبضة التي فرضوها داخل الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية .

من ثم فقد أصبحت المؤسسات الثورية (التشريعية والتنفيذية) مرهونة بسلطتهم وتوجيههم، مع أنهم بنفوذهم هذا حافظوا على وحدة الثورة، وفرضوها أحيانا بالقوة، كما أنهم ظلوا العين الساهرة على الهدف ـ الغاية التي قامت لأجلهما الثورة إلى أن تحقق الاستقلال، بل كثيرا ما كان طموحهم متعلقا بالرغبة في أن يتحقق ذلك عن طريق نصر عسكري مبين على العدو؛ ليعيدوا به طباعه **"ديان بيان فو"** جديدة لكن بسواعد جزائرية. في الوقت الذي كانت فيه ولايات الداخل وقادتها يستغيثون طالبين النجدة أمام شراسة سياسة ديغول العسكري وخسائرهم الفادحة، لكن لم يستجب لندائهم ؟! ولولا إيمان راسخ بالقضية، واستعداد مطلق للتضحية لأجلها، وقبله وبعده عون الله ونصرته... لكانت الهزيمة والنهاية الحزينة للثورة بالداخل.

بالرغم من أن قيادات الداخل باركت تشكيل هيئة الأركان العامة، بل إنها هي التي أقرتها كما سبق ذكره، واعتبرتها ـ كما يقول علي كافي قائد الولاية الثانية ـ **"حدث إيجابي"** في إطار الهيكلة النظرية للثورة، في جانبها العسكري. وكان من المفترض فيها أن تكون : (**الهيئة مرآة لمطامح الشعب ومبادئ وأهداف أول نوفمبر، مثلما وقع في الفيتنام مثلا.**) [320] باعتبارها الوظيفة الطبيعية، والصفة الموضوعية التي يجب أن تكون عليها مثل هذه الهيئات وفي مثل هذه الأجواء الثورية تحديدا، ناهيك عن هبة الشعب للتحرير الوطني... لكن كافي اعتبر الهيئة بمثابة غطاء لخلافات وتيارات ومطامح شخصية،

319- سليمان الشيخ، **الجزائر تحمل السلاح**، مرجع سابق، ص 478.
320- علي كافي، **المذكرات**، مصدر سابق، ص 282

كما اعتبرها مولودا يمثل "**نسخة طبق الأصل**" لسابقتها وصارت: (**... يراودها وسواس السلطة والاستيلاء على الثورة وإبعاد السياسيين من الساحة**).[321]

كل ذلك جعل قائد هيئة الأركان العقيد الشاب المغمور هواري بومدين يقول، في تقرير لهيئة الأركان بتاريخ 15 جويلية - يوليو 1961: (**إن اجتماع العقداء العشرة سمح إلى بعضنا بأخذ صورة عن عمق السرطان الذي ينخر ثورتنا.**)[322]

وقد تطور الصراع في البداية منذ مطلع سنة 1960 م، على الرغم من أن هذه الأخيرة كانت تعمل بشكل قانوني تحت سلطة اللجنة الوزارية للحزب CIG التي يرأسها الباءات.

حق تقرير المصير... القنبلة - المحك بين الطرفين.

في هذا الجو المشحون بالخلافات والتوترات والمؤامرات وصراع السلطة المحتدم بين" الباءات الثلاث" وهيئة الأركان لجيش التحرير، يلقي الجنرال ديغول "De gaule" بـ: " **قنبلته الموقوتة** "؛ المتضمنة الإقرار بحق الجزائريين تقرير مصيرهم في إطار فكرة الجزائر جزائرية؛ أطلقها في 16 سبتمبر- أيلول 1959، عارضا بدأ المفاوضات ضمن خيارات ثلاث: الانفصال، الاستقلال، أو الفرنسة و التشارك: (**حكم الجزائريين أنفسهم مستندين إلى مساعدة فرنسا، وفي إتحاد وثيق معها على صعيد الاقتصاد والدفاع والتعليم والعلاقات الخارجية.**) ([323])

وجد هذا التصريح والدعوة المفاجئة قيادة الثورة منقسمة على نفسها: تسكنها الصراعات البينية مما أربك موقفها، وجعلها ترد بتحفظ ! لأن العسكريين اعتقدوا في الأمر مناورة ديغولية جديدة؛ هدفها ربح الوقت للحصول على نصر عسكري حاسم ونهائي يفرض شروطه. بينما رأت فيه القيادة السياسية بزعامة عباس فرحات فتح لصفحة جديدة في العلاقات الفرنسية الجزائرية، ومن ثم اقترحوا عدم إقفال الباب أمام العرض الديغولي. وجاء ردها النهائي بقبول التفاوض وتعيين الوزراء المحتجزين منذ 23 أكتوبر- تشرين الثاني1956م، لدى الحكومة الفرنسية كمفاوضين؛ بهدف إحراج ديغول وكذا اختبار مدى صدق نواياه.و كان الجواب والرد فيه من الازدواجية والاحتراز، في انتظار ترتيب البيت الداخلي للقيادة

321- نفس المرجع، ص 282
322- رابح لونيسي، **الجزائر في دوامة الصراع**، مرجع سابق، ص 44.
323- ديغول، **مذكرات الأمل**، مصدر سابق، ص 86-87.

الثورية. ومن ثم فإن الفترة ما بين خريف 1959 حتى مطلع صيف جوان- يونيو 1960، ستتسم بالمراوحة وجس النبض، لتفتح الطريق أمام الاتصال الأول الرسمي الذي حدث في مولان 1960 م .

صرح ديغول في خطاب موجه إلى الأمة الفرنسية بتاريخ 14 جوان- يونيو 1960م- بعد أن استنفذ كل أوراقه للقضاء على الثورة، ولم تبق له إلا ورقة التفاوض الدبلوماسية- جاء فيه: (**ما مصير الجزائر ؟ إنه لم يدر بخلدي قط أنني سأتمكن بين لحظة وأخرى أن أحل هذه المعضلة الماثلة منذ مائة وثلاثين عاما... ولكن بتاريخ 16 سبتمبر - أيلول انشق الطريق السوي والواضح الذي يؤدي بنا نحو السلم... إن حق الجزائريين في تقرير مصيرهم هو الحل الوحيد الممكن لمأساة معقدة ومؤلمة.**) ليختم كلامه بنداء موجه لزعماء الجبهة لبحث تسوية مشرفة قائلا: (**إني أتوجه، مرة أخرى، باسم فرنسا إلى زعماء الثورة، فنحن في انتظارهم هنا لنجد مخرجا مشرفا للقتال الذي ما زال مستمرا...**) [324]

وبعد أقل من أسبوع كان وفد الحكومة المؤقتة ممثلا بـ: أحمد بومنجل، محمد الصديق بن يحيى في **"مولان"** - المدينة الفرنسية - وبدأت المفاوضات الأولى الرسمية بين الطرفين.[325] لكنها لم توضع في السكة الصحيحة إلا في أيفيان ماي - أيار 1961م، رغم أن ديغول استمر في دعواته وسعيه الحثيث لجلب قيادة الثورة إلى طاولة المحادثات، فإنه في المقابل اجتهد في الإمساك بخيط التوجيه، والإصرار على أن تكون هذه المفاوضات وفق الرغبة والخطة والأهداف التي رسمها؛ ذلك لأن هاجس المستقبل وطبيعة العلاقات الفرنسية - الجزائرية بعد التسوية المنتظرة، وامتيازات فرنسا الاقتصادية، الاجتماعية، والعسكرية..، ناهيك عن الحبل السري للغة والثقافة؛ الذي يجب أن يظل موصولا بمشيمة الدولة الجزائرية الوليدة !

كل ذلك جعله يصر ويؤكد على ضرورة بذل كل الحرص واليقظة، لأجل ألا ينقطع حبل الوصال بين الطرفين ذلك؛ الحبل الذي من خلاله سيمد جسر التعاون الذي يضمن ويحمي **"المصلحة الفرنسية"** التي كرسها الوجود الطويل بالجزائر طيلة قرن وثلث القرن ! من ثم فإننا نجده يلجأ إلى المراوغة والمناورة، وأحيانا المغازلة للشعور الوطني الجزائري؛ حين سعى للظهور بمظهر **"رسول السلام"**المبعوث لإنقاذ الجميع: فرنسيين وجزائريين ! وها هو في 05 سبتمبر- أيلول 1960 يعيد شرح موقفه من القضية الجزائرية، كاشفا عن هواجسه حيال مستقبل العلاقة بين الطرفين، يقول: (**لست ضريرا ولا**

324- نفس المصدر، ص 99-100

325- للمزيد من التفاصيل حول مجرى المفاوضات ومحطاتها الكبرى، أنظر بن يوسف بن خده،: **اتفاقيات أيفيان**، ترجمة لحسن زغدار وآخر، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1986، ص85-128.وكذلك رضا مالك،: **الجزائر في إيفيان**، ترجمة فارس غضوب، ط1، دار الفارابي بيروت 2003، صص 299-312

طاغيا، كي أتجاهل أهمية حركة النفوس الجريحة والآمال المتيقظة التي قادت الجزائر إلى الثورة... وإني أعترف في الوقت نفسه بالشجاعة التي يبديها المقاتلون، ومقتنع أيضا أنه عندما تنتهي الاشتباكات فإن النسيم الذي سيهب على الجزائر الجريحة هو نسيم الأخوة في سبيل التعاون والسلم.)[326]

نستشف من هذا الكلام اعتراف صريح بالثورة وشرعيتها؛ من خلال كشف دوافعها النفسية والموضوعية المبررة، كما فيه أيضا اعتراف بقوة شكيمتها، ويمثل ذلك أيضا إشارة ضمنية إلى العجز الفرنسي في مواجهتها ناهيك على المغازلة الصريحة للثوار؛ مبديا رغبة حقيقية وتطلعا صريحا إلى فتح صفحة جديدة في علاقات البلدين عنوانها **"الأخوة والتعاون والمساواة ! "** يعكس كل ذلك في رأينا حساسية وخطورة المرحلة التي يمر بها ديغول- وهو على رأس السلطة الفرنسية- وقلقا متزايدا بشأن السبيل إلى إنهاء الحرب الدائرة مهما كلف ذلك من ثمن سياسي. خوفا من استمرارها الذي قد يؤدي بين الفينة والأخرى إلى تفجر الوضع الداخلي لفرنسا؛ مما قد ينجم عنه خسارة كبرى لكل شيء: الجزائر، الحكم، الشعب الفرنسي، وهيبة ديغول نفسها ! هذا بالضبط ما عبر عنه بلباقة في خطاب جاء على لسانه في 02 نوفمبر- تشرين الثاني 1960 - وهو يحاول أن يظهر كرجل صاحب عزيمة وإصرار، ورباطة جأش - موجها الكلام لخصومه السياسيين والعسكريين الذين زاد عددهم في الجزائر وفرنسا، وهو يقول: (**فقد قررت باسمها "**الرئاسة الفرنسية **" اتباع الطريق الذي لا يؤدي إلى الجزائر التي تحكمها فرنسا وإنما الجزائر الجزائرية، ذلك أن الجزائر ستصبح مستقلة وتتمتع إذا شاءت، وهذا هو الواقع، بحكومتها ومؤسستها وقوانينها... إن جزائر الغد ستبنى وفق تقرير المصير، إما مع فرنسا أو ضدها...)** [327]

يظهر أن ديغول أصبح يصارع على جبهتين في آن واحد: جبهة الثورة ومحاولة ترويضها وإنهائها بأقل الخسائر والأضرار، وجبهة خصومه المعارضين له من السياسيين في فرنسا والعسكريين المدعومين بقوى الكولون (المستوطنين) وعملائهم بالجزائر. ولم يجد في الحالتين من مخرج لمأزقه ذاك، إلا مخاطبة الشعب الفرنسي في كل مرة، طالبا الوقوف إلى جانبه ودعم سياسته. لكن هل كان الشعب الفرنسي فعلا يتجاوب مع خطوات ديغول للتسوية بشان المسالة الجزائرية ؟ الحقيقة انه على الرغم من تململ الرأي العام الفرنسي كله بعد نهاية سنة 1959 ومطلع 1960م وما بعدهما؛ من استمرار حرب الجزائر وحجم النزيف المادي والبشري الذي تخسره فرنسا بسبب استمراريتها؛ إلا أن القوى السياسية الحقيقة (سلطة

326- ديغول، **مذكرات الأمل**، مصدر سابق، ص 102
327- نفس المصدر، ص 102

ومعارضة) - وهي المعبرة و المؤطرة للجماهير الفرنسية، الصانعة لمواقفه- لم تكن جادة في بحث أو دعم التسوية السلمية للمسألة الجزائرية عبر التفاوض، بل إن التحالف بين قوى المعارضة كان موثقا ضد استقلال الجزائر ؟! ومن ثم فان الجماهير الفرنسية كانت تفضل لعب **"دور المتفرج"** على المشهد - اللعبة، دون أن تحرك ساكنا ! وقد صور محمد حربي هذا المشهد المتخاذل وغير المتخاذل، بل العنصري بالقول: (**ما من صراع كولونيا لي ابرز وزن العنصرية والنزعة المحافظة في المجتمع الفرنسي قدر ما فعلت حرب الجزائر، فإذا كان اليمين واليسار منقسمين على الصعيد الاجتماعي فقد وجد نفسيهما متفقين، للحيلولة دون تحقيق مطلب الاستقلال.**)[328]

باستثناء - طبعا- بعض تلك الأصوات من المثقفين، المفكرين، جمعيات الطلبة، وبعض الأقليات الهامشية ذات التأثير المحدود...الخ. [*****...] لكن التساؤل الذي يطرح في مثل واقع هذا الانسداد المزدوج؛ داخل الثورة بسبب صراعات القيادة والو لاءات وتجاذبانها... داخل الحكومة الفرنسية ورأيها العام هو: من يحسم الأمر ؟ طبعا لن يكون الجواب إلا عند الشعب الجزائري البطل؛ فهو وحده القادر على قهر الطرفين وإلزامهما بالرضوخ لخياراته... فماذا سيفعل يا ترى ؟

ج - **<u>فرض الشعب الجزائري لخياره على الطرفين: على قيادة الثورة وعلى ديغول !</u>**

في الوقت الذي كان فيه الجميع غارقا حتى الأذقان في مشاكله وهمومه (قيادة الثورة وصراعاتها، ديغول مع خصومه...) بدا التفوق العسكري التقني والمادي للجيش الفرنسي بقيادة المع جنرالات فرنسا،على رأسهم: شال" châle "، جوهر"joiher"، زيلر "ziler"، وصالان"salon"... وغيرهم. واعتقد الكل أن حسم أمر الثورة لصالح الطرف الفرنسي ما هو إلا مسألة وقت (شهور بل مسألة أيام محدودة !)؛ في هذا الوقت الحرج والصعب، انتفض المارد من قمقمه " **الشعب الجزائري**" وهب هبة رجل واحد: من شمال الجزائر إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها، في مدنها وأريافها... مساندا ومؤازرا الحكومة المؤقتة العاجزة، ورئيسها عباس البائس، شادا أزر جيش التحرير الوطني في معركة الوجود والمصير. فكان ديسمبر- كانون الأول، ويوم11 منه تحديدا سنة 1960؛ محطة حاسمة وتاريخ فاصل في حسم خيار التحرير والاستقلال مهما كلف ذلك من ثمن. فأجبر الكل على إعادة قراءة حساباتهم الواهمة ! وقد أخذت المظاهرات الكل على حين

328- محمد حربي، **جبهة التحرير، الأسطورة والواقع**، مرجع سابق، ص 232.

(*****....)- أمثال جون بول سارتر، وجونسون، وسيمون ديبو فوار،... وغيرهم، أنظر في ذلك: عبد المجيد عمراني، **النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية(54-1962)م**، ط1، دار الشهاب باتنة- الجزائر1995 ، ص187-237

غرة؛ تلك الانتفاضة الجديدة والهائلة للشعب الجزائري، عمت معظم المدن الجزائرية حاملة شعارات: **" تحيا الحكومة المؤقتة، عاش الاستقلال، فليعش فرحات عباس"** [329]

فكان الزلزال عنيفا والصدمة قوية؛ أعادا وعي وصواب الجميع فرنسيين وجزائريين، كما أبطلت مزاعم السياسيين والعسكريين على حد سواء.

هذا في الوقت الذي اطمأن فيه قادة الجيش الفرنسي في الجزائر إلى نتيجة الحرب، واعتقدوا ضمانها لصالحهم... جاءت المظاهرات لتنسف أوهامهم، وتجعلهم في حيرة من أمرهم من هول ما حدث !؟ حتى أن واحدا من ضباطهم العسكريين صرح عقب المظاهرات قائلا: (**لقد أصبنا بديان بيان فو نفسية حقيقية... في 16 مايو 1958 لم نكن نمسك الوضع العسكري وكان الجميع يهتفون "عاشت فرنسا". أما اليوم فقد ربحنا على الصعيد العسكري لكن الناس يهتفون "عاشت جبهة التحرير."**) [330]

من جانب أخر فان ديغول نفسه شاهد المظاهرات، وعاين موقف الشعب الجزائري على الأرض؛ حيث كان في الجزائر - في زيارة لخمسة أيام: من 09 ديسمبر- كانون الأول إلى 13 منه 1960م - وقد أتاحت له هذه الزيارة فرصة التنقل من العاصمة (الجزائر) إلى الغرب بوهران وتلمسان، ثم الاتجاه شرقا مرورا بتيزي وزو، بجاية، وسطيف إلى الاوراس وبسكرة، صعودا عبر تبسه، وصولا لأخر محطة له في زيارته بعنابه. فوقف بنفسه على حقيقة الوضع بالجزائر، كما لامس تطلعات الجزائريين على لسان ذلك الطبيب الجزائري المسحوق؛ الذي أجابه من قبل ستة أشهر من حدوث المظاهرات في مدينة صيدا بغرب الجزائر (شهر أوت -أب 1959) ، حينما سأله ديغول عن فرقة المغاوير جورج المؤلفة من "**الحركة**" المنظمين للجيش الفرنسي، والتي قدمت له عرضا عسكريا ؟ فأجابه الطبيب الجزائري والدمع ينحدر من مقلتيه : (**إن ما نريده ونحتاج إليه هو أن نكون مسؤولين عن أنفسنا، وأن لا يكون احد مسئولا عنا**.)[331]

وفي هذه المرة قد جاءته الإجابة جماعية وعلانية من كل الشعب الجزائري، وسمعها بأذنيه كما رآها بعينيه في تلك المظاهرات التي تزامنت وزيارته تلك، وعند عودته مودعا من قبل الجنرال "غورو"Gouro" من عنابة إلى فرنسا اقتنع بمنطق الشعب الجزائري، وخياره النهائي. فكتب في مذكرته قائلا: (**إن ما رأيته بأم عيني خلال خمسة أيام وما سمعته بأذني وما تغلغل في أعماق فكري، ترك لدي انطباعا واضحا عن حقيقة وضع الجزائر، عندما سيمزق التصويت على حق**

329- محمد حربي، مرجع سابق، ص 22

330 -Alain Jacob, **d'une Algérie à l'autre**, gracier 1963, p 99

331- ديغول، **مذكرات الأمل**، مصدر سابق، ص 75

تقرير المصير آخر ستار قائم، إن الحرب أصبحت شبه منتهية... واحتلت السياسة المكان البارز.)[332] ؛ وكأني به يأسى ويتألم من حسم الجزائريين لخيار تقريـر مصيرهم بأنفسهم دون أن يكون له فضل في الأمر!

فورا، وبتاريخ 21 ديسمبر- كانون الأول 1960 وجه خطابه إلى الشعب الفرنسي، يدعو فيه إلى التصويت على خيار الشعب الجزائري "**تقرير المصر**"، ملتمسا شرعية قراراته من الشعب الفرنسي، وفي 08 جانفي - كانون الثاني1961 ، يخرج الشعب الفرنسي للتصويت لصالح مشروع تقرير المصير، وكانت نتيجة الاستفتاء بـ 76 % في فرنسا (المتر وبول) و70 % في الجزائر المستعمرة (المستوطنون). وهو الأمر الذي حرر ديغول أمام خصوم سياسته في فرنسا، وعسكريي الجزائر. كان الفضل الأول والأخير في ذلك الإنقاذ لديغول وسياسته؛ هو الشعب الجزائري وهبته العظمى في ذلك اليوم المشهود، كما كان تأثير تلك الانتفاضة على الطرف الجزائري، وتحديدا على الحكومة المؤقتة" كبيرا.

لقد وجدت الحكومة المؤقتة بقيادة فرحات عباس، المثقلة بملف الحرب التحريرية، العاجزة عن التسوية بين القادة العسكريين المتنازعين (الباءات الثلاث، هيئة الأركان)؛ متنفسا وجرعة قوية مكنتها من أن تتحرر جزئيا من خناقها، حيث كما يقول حربي[333] عمد فرحات عباس- الذي كان يأسف قبل أشهر لغياب الدعم الشعبي للحكومة المؤقتة - إلى دعوة المتظاهرين للعودة إلى بيوتهم قائلا لهم: (**المعركة التي خضتموها اتخذت حجما عظيما... هذه المعركة يجب أن تتوقف الآن.**)[334] من هنا استعاد عباس ومن خلاله الحكومة المؤقتة زمام المبادرة، بعد تعزيز الثقة والاستعداد لخوض الجولات القادمة من المفاوضات، حاملا ورقة "**المساندة الشعبية**" لها كسلاح لها لطرح الشروط الكفيلة بضمان حق الشعب الجزائري كاملا غير منقوص.

بدأت جولة المفاوضات الجديدة بين وفد جبهة التحرير الوطني والحكومة المؤقتة من جهة، وبين وفد الحكومة الفرنسية في أيفيان بتاريخ 20 ماي - آبار 1961 وفق الشروط التي نص عليه البيان الأول للثورة سنة 1954؛ باعتبارها ثوابت الشعب الجزائري والثورة التي على أساسها تتم التسوية المرتقية. وهي:

1- الاعتراف بالجنسية الجزائرية بطريقة علنية ورسمية...

2- فتح المفاوضات مع الممثلين الشرعيين المفوضين من قبل الشعب الجزائري على أساس السيادة الكاملة.

332- نفس المصدر ، ص 107.
333- حربي، **جبهة التحرير**، مرجع سابق، ص 228
334- صحيفة **المجاهد**، عدد 75، بتاريخ 19 ديسمبر (كانون الأول) 1960

3 - خلق جو من الثقة بإطلاق سراح المعتقلين السياسيين، ورفع الإجراءات الخاصة المتعلقة بمطاردة الثوار.[335]

ورغم مبادرات " **حسن النية** " التي أطلقتها السلطات الفرنسية في هذا الشأن، لإفتكاك قرار وقف إطلاق النار المسبق، و سعيها إلى طمأنه قادة الجبهة بشأن جدية الموقف الفرنسي[***.....]؛ إلا أن ذلك لم يوقع الوفد المفاوض الجزائري، ومن ورائه الحكومة المؤقتة في " **الفخ** " الذي، يمكن أن يكون قد نصب لهما من أجل إيهامها بقدوم التسوية السريعة و انتهاء الحرب. حيث ظلت قواتها مقاتلة مرابطة، في تأهب دائم حتى الوصول إلى تسوية حقيقية مرضية ؛ تكفل وتضمن الحقوق الكاملة للشعب الجزائري.

8- رؤى متضاربة للمفاوضات بين الحكومة و قيادة الأركان... و مجلس الثورة يحسم ؟

في سياق موضوع التفاوض الذي شرع فيه منذ جوان - يونيو 1960 بمدينة مولان الفرنسية، تتالت الاتصالات و اللقاءات بعده - كما رأينا - لتنتهي عند المرحلة الحاسمة في أيفيان ماي -أيار 1961 م، لكن التساؤل هو: هل تطابقت وجهات نظر قيادات الثورة حولها: شروطا، منهجا، و نتيجة... أم اختلفت ؟ الحقيقة أن وجهات نظر الحكومة المؤقتة من جهة وهيئة الأركان العامة من جهة ثانية، وكذا الوسيط بينهما؛ ممثلا في تحالف قيادي قدماء اللجنة المركزية بزعامة بن خده بن يوسف ورفقائه في الحكومة: يزيد و دحلب... كانت متباينة وغير موحدة حول صيغة التفاوض، وكذا حول الإستراتيجية التي يجب أن تتحرك من خلالها...الخ . من ثم - كما يؤكد محمد حربي- ظهرت ثلاثة مواقف:

الأول : تتبناه هيئة الأركان، حيث ربطت مسألة التفاوض بحل الأزمة الداخلية القائمة بينها و بين الولايات .

الثاني : وتبناه بن خده، و دحلب... المعارضان لتوجه الحكومة؛ وذلك بطلبهم دعوة المجلس الوطني للثورة الجزائرية للاجتماع؛ لبحث تحديد أرضية التفاوض بوضوح باعتباره صاحب الصلاحية في الأمر.

الثالث : يمثل رؤية رئيس الحكومة المؤقتة فرحات عباس و حلفائه، يقضي بعدم دعوة المجلس الوطني للثورة، متذرعا في ذلك بوساطة حكومات أجنبية (تونس و المغرب) ومعارضتها لأي تأجيل للمفاوضات..؟[336]

335- الزبيري، **تاريخ الجزائر المعاصر**، مرجع سابق، ص 220

(***.....)- من ذلك مثلا أن الحكومة الفرنسية عمدت إلى إطلاق سراح حوالي 6000 معتقل سياسي، ونقلت الوزراء الخمس المحتجزين إلى قصر تور كان، كما أعلن جيشها الهدنة من جانب واحد ... الخ.

336- حربي، **جبهة التحرير الوطني**، مرجع سابق، ص 234

نتساءل من جهتنا عن: خلفية كل موقف ومدى صحته ؟ فهيئة الأركان كانت تريد أن تضمن تصفية الأجواء بينها وبين قاعدتها، ومع حليفها القادم في المعركة السياسية المرتقبة للاستيلاء على السلطة؛ حتى تتمكن من فرض شروطها وهي في مأمن من إمكانية حدوث انقسام في الموقف العسكري بين الداخل والخارج. في حين فان رؤية قدماء المركزيين تبدو وكأنها تنطلق من مبدأ دعم " **الشرعية المؤسساتية** "؛ وهو رصيدها السابق قبل الثورة وسلاحها الذي أشهرته في مواجهة مصالي، وربما أيضا كانت تريد سحب البساط من تحت أقدام طرفي الصراع: الحكومة المؤقتة، وهيئة الأركان؛ عبر نقل القرار إلى المؤسسة العليا للثورة(المجلس الوطني للثورة) لتحسم في القضية و في الصراع الدائر معا، هذا الذي سيحدث في دورة المجلس القادمة في أوت- أغسطس 1961 م. في المقابل فإن عباس وحلفائه كانوا ينظرون إلى عملية " **تسريع المفاوضات** " من منظور كونها فرصة للتسوية من جهة، و طريقة حل لتجاوز مشكلة تعميق الخلافات البينية، إلى جانب فرض الأمر الواقع من خلال النتيجة التي ستوصل وتؤول إليها عملية التفاوض - وهي في الغالب الاعتراف بالاستقلال !- غير أن حجة عباس على الرغم من انتصارها بشروط هيئة الأركان في النهاية، إلا أنها لم تكن مقنعة ؛ ذلك أن الثورة عرفت "**بقراراتها المستقلة ذاتيا**" عن أي تدخل خارجي. وقد كرست ذلك في نصوصها ومواثيقها وكل قراراتها؛ منذ بيان أول نوفمبر- تشرين الثاني 1954 ، مرورا بالصومام 1956 ، وصولا إلى توصيات و قرارات الحكومة المؤقتة التي كان يرأسها عباس نفسه.

مهما يكن الأمر فإن المفاوضات استؤنفت لكن بعد تنازلات من قبل الحكومة لمعارضيها ، خاصة لصالح هيئة الأركان التي رفضت المشاركة في وفد المفاوضات بممثلين عنها ؟. إلا بأمر كتابي يقر الصفة الإلزامية للمشاركة، وترنو من وراء ذلك "**الشرط -الحيلة !** " إلى الظهور بمظهر الهيئة المنضبطة الملتزمة بالقرارات الصادرة عن المؤسسات الرسمية للثورة. وهي في النهاية كما يقول حربي: **(في مجملها لعبة توازنات و حسابات لدى كل طرف.)** [337] لكن مع ذلك فإن قبول هيئة الأركان العامة بالمشاركة في وفد المفاوضات بعنصرين هما: علي منجلي وأحمد قايد، سيكون"**موقفا ذكيا، وسلوك تكتيكيا**"؛ يجعلها تستثمره لاحقا كعنصر ومعطى و شهادة؛ لشن هجومها على الحكومة المؤقتة، واتهامها في دورة المجلس الوطني للثورة القادمة؛ بالاتجاه نحو صياغة " **نموذج جديد لاستعمار** " على حساب الثورة .

337- نفس المرجع، ص 234

الدورة الرابعة للمجلس الوطني للثورة... والحسم المزدوج !

انعقدت دورة المجلس الوطني للثورة الجزائرية بطرابلس يوم 09 أوت- آب 1961م، استمرت 18 يوما، وقد بحثت في جدول أعمالها نقطتين أساسيتين: **ملف المفاوضات** مع الحكومة الفرنسية، **وقضية القيادة** وإشكالية الصراع الدائر بين الحكومة المؤقتة وهيئة الأركان. حيث اتهمت هذه الأخيرة الحكومة المؤقتة بالعجز، التخاذل، والاستسلام للطرف الفرنسي؛ بل حملتها مسؤولية الذهاب والقبول بحل يكرس لاستعمار جديد! تضيع بموجبه مكاسب الثورة وتضحيات الشعب الجزائري؛ لصالح التعاون غير المتكافئ مع فرنسا. وقد ظل عضوا قيادة الأركان (علي منجلي وقايد أحمد) يكيلون الاتهامات ويرسلون الشتائم، نيابة عن قائدهم "هواري بومدين" الذي بقي صامتا [338] برضي ما يسمع من موكليه.

أما بخصوص النقطة الثانية المتعلقة بموضوع القيادة، فقد بحثت على ضوء مقترحات بن خده، الداعي إلى خلق قيادة جديدة للجبهة بمعزل عن الحكومة المؤقتة؛ لتكون المرجع الموجه للحكومة المسؤولة أمامها. كما كان لموقف كريم بلقاسم وهيئة الأركان أهميتهما في الموضوع... وقد انتهت المداولات بإقصاء فرحات عباس من على رأس الحكومة المؤقتة، وتعيين ابن خده بدله. بدا الأمر كما وكأنه توزيعا جديدا للسلطة لا تبدلا في التوجه العام، كما كان لهذه "**التسوية**" أثرها المباشر في تأجيج الخلاف وتعميقه بين الحكومة وهيئة الأركان، حتى بلغ حد القطيعة؛ حتى أن بومدين قائد الهيئة احتج وغادر الاجتماع قبل نهايته؛ متجها إلى ألمانيا مع حليفيه "منجلي، وقايد" وآخرين، قاصدين مقر قيادة فدرالية فرنسا لجبهة التحرير؛ معتبرين بأن ابن خده قد خدعهم، مقدمين استقالة الهيئة **!؟** وقد وصف حربي هذه "**المسرحية الجديدة !**" التي أخرجها بومدين ورفاقه بـ: (**التمرد المكشوف والقفز في المجهول!**)[67مكرر].

عموما فإن اجتماع المجلس الوطني للثورة قد خرج بالمصادقة على القرارات التالية:

1- تعديل جديد في الحكومة مس بالخصوص رأسها؛ فاستبدل فرحات عباس بـ بن خده، وقد احتج عباس على ذلك؛ معتبرا التعديل بمثابة عودة لهيمنة جماعة حركة الانتصار للحريات "MTLD" على الجبهة و إقصاء لغيرهم.

338- نفس المرجع، ص 237

2- إبقاء كريم بلقاسم نائبا للرئيس وتعويض حقيبة الخارجية بالداخلية، مع تكليف بن طوبال بمهمة إعادة تنظيم جبهة التحرير الوطني لأجل تحضيرها لقيادة الشعب.

3- توجيه الأمر لقيادة الأركان العامة للتراجع عن استقالتها... ومناقشة رسالة المعتقلين الخمس الموجهة إلى الدورة.

4- تقييم مسار التفاوض وإصدار تعليمات جديدة لمواجهة المرحلة القادمة. [339]

هكذا ففي الوقت الذي كان فيه الجميع ينتظر من هذه الدورة أن تخرج بقرارات حاسمة بشأن الملفات المطروحة، فإنها بنفس القدر الذي وفقت فيه بشأن وضع تصور للمفاوضات اتفق عليه الكل، فإنها فشلت في إخماد لهيب الصراع المتأجج بشأن موضوع القيادة. بل إن الدورة كرست القطيعة بين هيئة الأركان والحكومة المؤقتة، وقد اتسع الشرخ الذي سيزداد في كل مرة تصل فيه الثورة إلى محطة جديدة، تقترب فيها من التسوية النهائية وبالتالي تحقيق الاستقلال !

مع أن حكومة ابن خده الجديدة استأنفت نشاطها ورعايتها للمفاوضات في جولاتها القادمة في " **بال** " السويسرية أواخر شهر أكتوبر- تشرين الأول 1961، ثم في "**لي روس**" الفرنسية بين 11- 15 فيفري- شباط 1962، وأخيرا في أيفيان الثانية من 07 إلى 18 مارس- آذار 1962. حيث انتهت بالتوقيع على مشروع اتفاقيات أيفيان بين الطرفين، ليعلن وقف إطلاق النار رسميا في يوم 19 مارس - آذار 1962م - بعد مصادقة كل من الحكومة الفرنسية، والمجلس الوطني للثورة الجزائرية على مشروع المسودة الذي قدمه اجتماع " لي روس. "- لكننا نتساءل: هل أنهى ذلك الاتفاق صراع الإخوة الأعداء داخل قيادة الثورة ؟ الحقيقة أن الخلافات زادت ميادينها ومواضيعها يوما بعد آخر، بين حكومة بن خده وهيئة الأركان بقيادة هواري بومدين.

في رأي الباحث إبراهيم لونيسي فإن خلفيات الأزمة بين الطرفين وجذورها الحقيقية، ترجع إلى: (**القرارات التي اتخذها المجلس الوطني للثورة في ديسمبر- كان الأول 1959- جانفي - كانون الثاني 1960، والمتمثلة في إنشاء هيئة القيادة العامة للأركان وإلغاء وزارة القوات المسلحة، واستبدالها بلجنة وزارية للحرب "CIG" تتكون من كريم بلقاسم وعبد الحفيظ بوصوف، ولخضر بن طوبال.**) [340] ذلك أن سعى المجلس إلى

339- الزبيري، **تاريخ الجزائر المعاصر**، مرجع سابق، صص 223، 224

340- لونيسي، **التجربة الديمقراطية**، مرجع سابق، ص 302.

كبح جماح كريم "**الملهوف**" على تزعم الثورة؛ بتقليص مسؤولياته على القوات المسلحة، خشية الاستئثار بقيادتها وتوظيفها في أي صراع قادم محتمل، وتوزيع المسؤولية الحربية مع رفقائه "**الباءات**" ثم تشكيل هيئة الأركان "**كتخريج جديد**" للأزمة... الخ. فتح المجال لنمو وبروز طموح قادة هذه الأخيرة :"هواري بومدين"خاصة ليحل محل "CIG " في السيطرة على "**الملف الحربي**" والقوات المسلحة للثورة...؟ هذا ما كان فعلا، وستكون آثاره وخيمة، خاصة بعد دورة المجلس الوطني الرابعة أوت- آب 1961 المشار إليها .

وجاءت أزمة "**الطيار الفرنسي**" قبلها - الذي أسقطت طائرته قوات جيش الحدود الشرقية على الحدود التونسية (داخل أراضي تونس)، حيث أسر وتم تسليمه من قبل الحكومة المؤقتة للجهات الفرنسية، بعد ضغط مكثف من حكومة بورقيبة ومنه شخصيا- ، فكانت حادثة تسليمه سببا في تفجر الخلاف مجددا بين الحكومة المؤقتة وهيئة الأركان، دفع بومدين إلى تقديم استقالته بتاريخ 15 جويلية - يوليو 1961 م؛ احتجاجا على تصرف الحكومة المؤقتة بشأن مسألة الطيار الفرنسي. على الرغم من عدم قبول ابن خده للاستقالة؛ ولم تنته الأزمة إلا بعد عودة بومدين على رأس هيئة الأركان؛ وهو أقوى ما يكون، بعد طلب ملح من ضباط جيش الحدود والجنود المتضامنين معه، وتوقيعهم على عريضة بشأن ذلك.

لقد أحسن بومدين "**المناورة**" وربح الجولة؛ حيث وجد في عودته المسنودة بجيش كامل بإقرار مكتوب؛ "**ذريعة**" للتحرر والاستقلال بالهيئة وبالموقف العسكري عامة عن الحكومة. على اعتبار أن شرعيته هذه المرة استمدها من القاعدة والضباط العسكريين، وليس من الحكومة الخصم. [341] كما حولته الظروف والأحداث المتتالية إلى قوة مستقلة عن الحكومة، صانع للقرار السياسي من خلال النفوذ العسكري، وتولد لديه الطموح إلى خلافة كريم في فكرة تزعم الثورة ؟ !

وستكون اتفاقيات أيفيان والتوقيع عليها، "**القشة**" التي ستقسم ظهر الحكومة المؤقتة في صراعها مع هيئة الأركان، هذه الأخيرة التي رفضت الاتفاقيات وكذا التوقيع عليها؛ متخذة رفضها ذاك ذريعة لصناعة تحالف جديد مع بن بلة "**الرجل التاريخي**" ! تفاصيل كل ذلك وتجلياته، سنتعرض له في المبحث الموالي.

[341] -Harbi (M), **une vie de bout, Mémoires politiques 1945-1962** T1 (Alger 2001) , Pp 359, 360

المبحث الثالث: المضامين الفكرية، السياسية - التنظيمية لبرنامج طرابلس 1962 م

1- اتفاقيات أيفيان... الملف الذي عصف بوحدة القيادة الثورية !

إن قيادة الأركان العامة لجيش التحرير الوطني بقيادة هواري بومدين، المستوطنة خارج البلاد (داخل الحدود التونسية المغربية)، أفصحت -منذ وقت مبكر- عن رغبتها في أخذ زمام القيادة السياسية؛ على خلفية الصراع المحتدم بين "الباءات الثلاثة" والحكومة المؤقتة ، وخلافاتها مع حكومة بن خده خاصة، ثم الاستقالة المفبركة أو المزعومة للقيادة العسكرية؛ ممثلة في شخص قائدها بومدين جويلية - يوليو1961 م وهروبها إلى ألمانيا، وتحريكها لقواعد جيش الحدود وضباطه... وأحداث أخرى؛ ما هي في حقيقة الأمر إلا **"مناورة مكشوفة"** تعبر عن رغبة محمومة للسيطرة على السلطة الثورية وتوجيهها، كما هي رسالة قوية موجهة للحكومة المؤقتة، تتضمن تهديدا مبطنا بضرورة انصياعها وخضوعها لإرادتهم، بل فسح المجال أمام هيئتهم **"قيادة الأركان"** لتكون الرقم الأول في معادلة القيادة والثورة.

و جاءت النشرة المطبوعة سنة 1962 للمفوضية السياسية لهيئة الأركان، تحت عنوان: **"ماذا يجب على المناضل أن يعرفه"** لتقطع الشك باليقين - كما يقال- مما ورد فيها: (**إن جيش التحرير مع الشعب هو القوة المحركة الأساسية للثورة ... ولهذا فإن جيش التحرير يحمل مسؤولية ثقيلة تجاه الشعب وتجاه التاريخ! ولما كان قد نشأ بحكم إرادة سياسية معينة، وكان في خدمة مثل أعلى، بلا قواعد يخضع لها إلا مبادئ الثورة، فإنه حيث ينبغي تماما ، ليكون الضامن للثور.**)([342])

عمل بومدين مع قادته العسكريين على بناء جيش الحدود على مبادئ وأسس ضمنت تجانسه الفكري، وانضباطه العسكري، كما استمد عقيدته من "**روح نوفمبر**"، وأفكار" **فرانز فانون** " كإيديولوجية تغذت من فلسفة " **الصراع الاجتماعي الطبقي !** " المرتكز على سلطة ودور الفلاحين والمحرومين في الأرياف والقرى؛ بذلك ضمن الولاء العقائدي والعسكري لهؤلاء. وقد مكنه ذلك من أن يضفي على الصراع القائم بينه " **كهيئة** "، وبين غرمائه " **الباءات الثلاث** " وكذا مع الحكومة المؤقتة الأخيرة؛ طابع " **الصراع الاجتماعي** " الثوري، بدل الصراع " **حول السلطة والحكم** "؟ هذا التكييف للصراع القائم مكنه من أن يظهر بمظهر الرجل الأكثر غيرة على الثورة وجماهير الشعب المحرومة، ليكون الزعيم الأكثر مصداقية ووطنية.

[342]- سليمان الشيخ ، **الجزائر تحمل السلاح،** مرجع سابق ، ص 472

من جهة أخرى فإن بومدين وقيادة الأركان كانا شديدا الحساسية لفكرة العودة إلى داخل الوطن، وتولى الإشراف المباشر على قيادة معركة التحرير ضد العدو.هذا المطلب الذي ظل ابن خده يطالب به باستمرار منذ سنة 1958، سيكون تمسكه بموقفه هذا أحد الأسباب الرئيسية التي دفعته للاستقالة من عضوية الحكومة المؤقتة الثانية بقيادة عباس فرحات ، واستمر في تبني نفس الموقف وهو على رأس الجهاز التنفيذي للثورة في الحكومة الأخيرة للثورة . وقد مارس ضغوطه القوية على قيادة الأركان لأجل المثول للقرار... لكنه فشل في إقناعها ؟ كان لهذا الموقف تبريره من حيث أن بن خده يريد تحييد موقف القيادة العسكرية بشأن الصراعات السياسية؛ لإجبارها على تولي المهام والوظائف العسكرية التي وجدت لأجلها وأنيطت بها كقوة مسلحة لمحاربة العدو، لا احتراف السياسة.

يذكر العقيد علي كافي - قائد الولاية الثانية - أنه بعد تكوين هيئة الأركان العامة سنة 1960م؛ خاطب بومدين وقال له: (**تعالوا معنا داخل الوطن ! ولكم كامل المسؤولية.**)[343] إلا أن بومدين تملص من الإجابة مبديا امتعاضه؛ وكان كافي من أشد المعارضين لفكرة وواقع تواجد قيادة الثورة خارج البلاد، خاصة القيادة العسكرية. زاد الأمر سوءا بين قيادة الأركان والحكومة المؤقتة بعد توصل المفاوضين الجزائريين والفرنسيين إلى مسودة اتفاقيات أيفيان في فيفري - شباط 1962 ودعوة المجلس الوطني للثورة لإعلامه بها، ثم عرضها عليه ليبدي رأيه وموقفه بشأنها؛ حيث عند انعقاد دورته الخامسة للمجلس بطرابلس بين 22و27 من فيفري- شباط سنة 1962م، درس وفحص مضمون وبنود الاتفاقيات وخلص إلى الموافقة عليها، كما منح صلاحية التوقيع على الاتفاقيات لوفد الحكومة المؤقتة المفاوض. كما جاءت الموافقة أيضا من الوزراء المعتقلين، لكن هيأة الأركان عارضت ذلك ورفضت الاتفاقيات، واصفة إياها تارة "**بالعمل الخياني**" [344] تارة، و بعدم وضع "**الثقة فيما لا يمكن توقعه**" [345] تارة أخرى.

يبدو أن هذا الرفض جاء على خلفية الاتهامات السابقة للحكومة، ولم يكن لهذا الفريق القدرة على طرح بديل مقنع للتسوية، لا عسكري ولا سياسي! ومن ذاك التاريخ ستترس هيئة الأركان بهذه الاتفاقيات التي تحمل تنازلات خطيرة للعدو - بحسبها - لتقطع كل صلة لها بالحكومة، وتتخندق في صف "**المعارض الشرس !**" لكل

---

[343] - محمد عباس، **ثوار عظماء**، مرجع سابق ، ص302

[344]- الزبيري، **تاريخ الجزائر المعاصر**، مرجع سابق، ص 229.

[345]- حربي، **جبهة التحرير** ... مرجع سابق، ص 241

أعمالها؛ حيث سيتحول الصراع بعدها حول تنظيم السلطات المؤقتة إلى الخلاف الكلي، لتتالي المجابهات دون توقف حتى تحسم الموقف لصالحا في أزمة صيف 1962. وكانت هذه الهيئة تنظر إلى خصومها التاريخيين **"الباءات"**، وكذا للسياسيين في الحكومة المؤقتة، نظرة تعالي مشوب بالاحتقار ! بل ذهبت إلى حد المطالبة بسلطة مستقلة عن الحكومة، وببرنامج خاص بها ؟... لاعتقادها أن مصادقة الحكومة وتوقيعها على اتفاقيات أيفيان هدفه تسريح جيش الحدود وتفكيكه؛ نظرا لاعتقاد أعضاء قيادة الأركان بأن جيش الحدود هو القوة الوحيدة القابلة للحياة.

لعل هذا الموقف الدفاعي المسكون بروح الهجوم من قبل قيادة الأركان، كان يستند إلى بعض المبررات الموضوعية والسياسية ؟ ذلك أن اتفاقيات أيفيان حملت بالفعل الكثير من التنازلات والأفخاخ خاصة في الجوانب: الاجتماعية، الاقتصادية، والعسكرية، فضلا عن الامتيازات اللغوية والثقافية... الخ؛ مما يظهرها ابتداء وكأنها **"صفقة تنازل مشبوهة !"** تكرس لاستقلال منقوص وتمهد له بين الفينة والأخرى ! كما أن توجسات بومدين من الحكومة المؤقتة مصدرها نزوع ابن خده إلى التحالف مع قيادة الولايات - التي ضمنها إلى جانبه- خاصة بعد دورة المجلس الوطني للثورة الرابعة أوت- آب 1961 على اثر استقالة هيئة الأركان، وكذا التصريحات التي كانت تصدر عنه، منها قوله : **(سوف تزول هيئة الأركان تلقائيا في كل حال، ستكون الغلبة لنا.)** [346]

كل ذلك عزز الموقف المتصلب والمعادي لدى قيادة الأركان ضد الحكومة، وجعلها تذهب باتجاه البحث عن حلفاء سياسيين جدد للمرحلة القادمة؛ تتوفر فيهم: الشروط التاريخية، المصداقية الشخصية، والقدرة السياسية على خوض المواجهة... سيكون **"ابن بلة"** الرجل المناسب لهذا المخطط الهادف إلى سحب البساط من تحت أقدام حكومة ابن خده ؟ ! هذا ما سنقف عنده عرضا وتحليلا... في الجزء الأخير من هذا المبحث، بعد أن نعمد إلى قراءة موجزة في مضمون برنامج طرابلس، وعرض معالمه الكبرى، وكذا المواقف المختلفة المؤيدة والمعارضة للبرنامج... الخ.

[346]- نفس المرجع، ص 243

2- المضمون الفكري والسياسي- التنظيمي لبرنامج طرابلس 1962

يورد محمد بوضياف -أحد القادة التاريخيين للثورة- أن فكرة **"برنامج طرابلس"** تعود بالأساس إلى تلك الزيارة التي قادة لخضر بن طوبال في خريف 1961 إلى الزعماء الخمس المسجونين بقصر "ألنوى" وقد طرح عليهم سؤالا: (**هل أعددتم شيئا للمستقبل ؟ لأننا نحن لم نحضر شيئا بعد**) [347] كان وقع السؤال - حسب بوضياف - شديدا خاصة على أحمد بن بله ؛ الذي سارع بعدها مباشرة إلى وضع خطوط عريضة لبرنامج عمل رفقة محمد خيضر، ورابح بيطاط . بعدها طلب ابن بله من الحكومة المؤقتة الدعوة إلى عقد مؤتمر للمجلس الوطني للثورة - طبعا بعد خروج القادة من السجن وإطلاق سراحهم - لغرض دراسة نقائص الجبهة، وبحث إمكانية وضع برنامج من وحي **"التوجيهات الاشتراكية"** ؛ على اعتبار أن الثورة الجزائرية - حسب زعمه - كانت ثورة بدون إيديولوجية .

عند خروج الزعماء المسجونين شكلت لجنة لهذا الغرض مكونة من السادة: ابن بله ، ابن يحي، مصطفى الأشرف، محمد حربي، رضا مالك، محمد يزيد، وعبد المالك تمام. وقد اشتغلت على البرنامج - الميثاق، وقدمت صياغتها النهائية كانت حسب محمد حربي يطغى عليها البصمة اليسارية بسب تأثير كاتبها "عمار أوزقان" أمين عام الحزب الشيوعي سابقا. الحقيقة أن معظم الأعضاء إن لم يكن كلهم كانوا متشبعين بالنزعة اليسارية، مع تفاوت من شخص لآخر: عقيدة فكرا، وموقفا سياسيا! وقد قدم البرنامج إلى المؤتمرين من قبل رئيس اللجنة "أحمد بن بله."(*****....)

في المقابل فإن الأستاذ إبراهيم لونيسي، يورد بأن فكرة عقد دورة للمجلس الوطني للثورة الجزائرية بطرابلس، جاءت على إثر اجتماع للحكومة التي كانت تتحاشى الدعوة له ؟ لكن قيادة الأركان ساندت ابن بله في دعوته؛ مما جعل الفكرة تجد لها صدى وسط قيادات الثورة، بدءا من شهر أفريل- ابريل 1962. وقد التحق بمؤيدي الفكرة كل من: رابح بيطاط، محمد خيضر، ثم تبعهما ايت أحمد؛ بدعوى إنقاذ الوحدة الوطنية. [348]

---

[347]- محمد عباس، **اغتيال حلم**، مرجع سابق ، ص 193-194

(*****....)- يعتقد أن الذي قدم البرنامج المحرر من قبل أعضاء اللجنة المؤتمرين للمصادقة عليه هو السيد: محمد يزيد، باعتباره مقرر اللجنة، أنظر: سليمان الشيخ، **مرجع سابق**، ص 602

[348]- إبراهيم لونيسي، **التجربة الديمقراطية**، مرجع سابق، ص 299-300

وبذلك تمت مراسلة المجلس الوطني للثورة بهدف الانعقاد من قبل الحكومة المؤقتة..، وجاءت الموافقة على ذلك سريعة.

من جانب آخر فإن الأستاذ سليمان الشيخ يذهب إلى القول بأن انعقاد دورة المجلس الوطني الأخيرة (السادسة) في طرابلس 1962، إنما جاءت تنفيذا لتوجيه كان قد صدر عن دورة نفس المجلس (الدورة الرابعة) في أوت-أب 1961م، تلك التي نبهت إلى إشكالية **"الفقر الإيديولوجي"** الذي تعاني منه جبهة التحرير الوطني، الذي أدى إلى **"فراغ مفاهيمي"** بحسب تعبير المفكر الجزائري مالك بن نبي.

عموما فان هذه الحالة الفكرية استوجبت استدراك هذا النقص الذي تعاني منه الجبهة، ومن ثم الثورة؛ وجاء في التوصية الصادرة عن الدورة: (**... ولم تتمكن** (يقصد الجبهة) **من وضع عقيدة قادرة على تغذية عملنا الثوري، ويتوحد بها كافة المناضلين إيديولوجيا.**) [349]

أما من ناحيتنا فإننا نؤكد إلى جانب ما ذكر، على أن هناك ظرفان أساسيان عملا على دعوة المجلس الوطني للثورة للانعقاد في أقرب فرصة ممكنة :

- **الظرف الأول**؛ يتمثل في ذلك الصراع المتنامي إلى حد القطيعة والمواجهة التي كانت محتدمة بين هيئة الأركان ضد الحكومة المؤقتة، وقد سبقت الإشارة إلى خلفياتها وتطوراتها... وكان الهدف من وراء تحرك بن بله كذلك أمران:

الأول: احتواء هذا الصراع والتقليل من آثاره السلبية في وقت دقيق وظرف صعب تمر به الثورة ، مع بداية تنفيذ اتفاق وقف إطلاق النار؛ الذي وضع على المحك آنذاك، في إطار المرحلة الانتقالية (المؤقتة) بقيادة عبد الرحمان فارس. وقد حددت لها مدة 03 أشهر لإجراء استفتاء تقرير المصير للشعب الجزائري، وكان الواجب والمنطق يقتضيان الذهاب إلى الاستفتاء - على الأقل ظاهريا - والقيادة الثورية موحدة؛ حتى تضمن نتيجة الاستفتاء في سياق الظروف الملائمة التي يجب أن يجرى فيه، لا في جو يكتنفه الصراع والمواجهة والانقسام الذي قد يضيع كل شيء.

والثاني: هو الحسم في الخيارات الكبرى للثورة ولجزائر الاستقلال، وقطع الطريق أمام معترضي الاتفاق خاصة من الطرف الفرنسي .

349- سليمان الشيخ، **الجزائر تحمل السلاح**، مرجع سابق، ص 16.

- أما **الطرف الثاني:** فالكل يعلم أن المستوطنين وغلاتهم بالتحالف مع كثير من الضباط العسكريين في الجيش الفرنسي؛ كانوا قد عارضوا خطة ديغول في التفاوض مع جبهة التحرير، ووقفوا في وجه فكرة تقرير المصير: **"الجزائر جزائرية"**، مصرين على الاستمرار في النهج الاستعماري في ظل مبدأ **"الجزائر الفرنسية"**. وقد بلغ بهم الأمر أن دبروا انقلابا فاشلا لاغتيال الجنرال ديغول في 21 أفريل- أبريل1961 م، بعدها عمدوا إلى إنشاء المنظمة الإرهابية "**منظمة الجيش السري** OAS" بعد توقيع اتفاقيات أيفيان لإفشال المرحلة الانتقالية. (******....)

وقد أشار الجنرال ديغول إلى ذلك في مذكراته بالتأكيد على أن هذه المنظمة الإرهابية "OAS" وقادتها- بعد أن تيقنوا من نتيجة الاستفتاء التي أدلى بها الشعب الفرنسي، لصالح اتفاقيات أيفيان. وكانت نسبة 91 % نعم - حملوا شعار: (**لنتركها كما وجدناها سنة 1830**)[350] ؛ يقصدون الجزائر. فعلا فقد شرعوا في عمليات الحرق والتدمير للمنشآت والمؤسسات العامة، إلى جانب حملات القتل والاغتيالات ضد المواطنين الجزائريين، ولم يسلم شيئا من آلة الإرهاب الأعمى لهذه المنظمة .

ختم ديغول وصف المشهد الدموي لـ "OAS"، وإصرارها على تنفيذ سياستها العمياء لإحكام قبضتها الاستعمارية بالجزائر بالقول: (**إن نهاية الاستعمار تعد صفحة من تاريخنا، وفي هذه المرحلة كان يساور فرنسا في آن واحد شعور بالأسف لما حدث، كما كان يخالجها الأمل لما كانت تتوقعه في المستقبل.**) [351]

نتساءل - على الرغم من اعتراف ديغول بالخطأ والخطيئة التاريخية في حق الجزائريين طيلة قرن وثلث القرن من الاحتلال- هل يكفي يا سيادة الجنرال الأسف لما جرى؛ ليغفر التاريخ **"الجرم الفرنسي"**، والإرهاب الأعمى لـ"OAS" في حق الجزائريين؟ وهل سينسى الجزائريون ويمحون من ذاكرتهم الجريحة كل فضائع الاستعمار وأعماله الوحشية واللاإنسانية، ويقنعوا الأجيال اللاحقة بعدم فتح صفحة الماضي مجددا؛ يوم يسألون عن سبب تخلف الجزائر عن ركب التقدم والحضارة، قياسا لغيرها من الشعوب المتقدمة (الاستعمارية) ومنها فرنسا نفسها ؟!

(******....) أنظر تفاصيل أكثر عن المنظمة الإرهابية "**منظمة الجيش السري OAS**" ونشاطها التخريبي خلال هذه الفترة في: حسينة حماميد، "**المنظمة العسكرية السرية الفرنسية** (1962-1961)" رسالة دكتوراه في التاريخ المعاصر غير منشورة ، نوقشت بقسم التاريخ جامعة باتنة الجزائر سنة 2006 ، صص125-329

[350]- الجنرال ديغول، **مذكرات الأمل** ... مصدر سابق، ص 142.

[351]- نفس المصدر، ص 146

تلك هي الأسباب والعوامل التي وفرت المناخ السياسي، ودفعت إلى عقد مؤتمر طرابلس-وهو الأخير في عمر الثورة- مطلع صيف 1962م. فماذا عن مضمون البرنامج - الوثيقة التي انبثقت عنه ؟

دورة المجلس.و.ث بطرابلس 1962... بين الانحراف والقطيعة !

التأمت الدورة الأخيرة للمجلس الوطني للثورة في طرابلس في الفترة الممتدة من: 25 ماي- أيار إلى 07 جوان- يونيو 1962م، بحضور 66 مصوتا في المجلس، أحصى من بينهم 35 ممثلا لفيدرالية فرنسا، ومن ولايات الداخل -التي لم يحضر كل أعضائها إلى طرابلس- بل بعثوا بتوكيلاتهم (الوكالات)، وقد جرى تحديد جدول أعمال الدورة في نقطتين رئيسيتين - حسب "وليام كواندت"- هما :

1- تحديد برنامج لجبهة التحرير ولمستقبل الدولة والمجتمع الجزائري.

2- اختيار أجهزة السلطة السياسية، أو تشكيل قيادة عليا للثورة باسم "المكتب السياسي"، لحكم جزائر الاستقلال .[352]

أضاف "كافي" إليهما نقطة ثالثة وهي: المصادقة على اتفاقيات أيفيان.[353]

ويضيف كواندت، بأن الاجتماع ركز على موضوعين رئيسيين هما: الأول؛ عدم صلاحية جبهة التحرير القائمة أثناء الحرب للاستمرارية، والثاني يتمثل في اقتراحات من أجل المستقبل في ظل دولة مبادئها اشتراكية. يتفق جميع شهود المؤتمر والكتاب والمؤرخين... على أن المؤتمرين صادقوا بالإجماع ودون أية مناقشة ! على مشروع البرنامج الذي أعدته لجنة الصياغة التي اجتمعت لمدة عشرة أيام في الحمامات التونسية - وقد سبقت الإشارة لذلك - هذا النص هو الذي سيعرف لاحقا ويشتهر باسم: **"برنامج طرابلس"**. يعلق كافي على ذلك بالقول: (**تمت المصادقة عليه بالإجماع دون أية مناقشة إذ لم يغير منه حرف واحد.**) [354] ، ثم يضيف: (**وهكذا طويت وثيقة ذات أهمية قصوى في مستقبل البلاد السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي بكل سرعة وسهولة وإهمال ، لإفساح المجال للمطامح الشرسة.**) [83 مكرر]

يمكن أن إرجاع أسباب ذلك إلى طبيعة تركيبة المجلس الوطني للثورة الجزائرية؛ كونها لم تتوفر على أي عنصر إيجابي موضوعي للانسجام حول الاختيارات السياسية والتوجيهات الاقتصادية والثقافية...الخ. وهو نفس الرأي يذكره محمد عباس بشأن المسألة الأولى **"برنامج طرابلس."**[355]

352- كواندت، **الثورة والقيادة السياسية**، مرجع سابق، ص 211، 213

353- كافي، **المذكرات**... مصدر سابق، ص 285، الحقيقة أن هذه النقطة تمت المصادقة عليها في دورة فيفري (شباط) 1962م بالرغم من أن الدورة الأخيرة، أثارتها وأعطت تقييما للاتفاقيات.

354- نفس المصدر، ص 288

355- محمد عباس، **ثوار عظماء**، مرجع سابق، ص 305، وكذلك، حربي، **جبهة التحرير**، مرجع سابق، ص 194

علق فرحات عباس - الذي وافق هو الآخر على البرنامج على الرغم من فكره الليبرالي المتحرر- عن هذا البرنامج بالقول بأنه نوع من: (**الشيوعية غير المطحونة أو المهضومة جيدا أو بعسر !**) [356] أما بن بله - وهو أحد الذين شاركوا في صناعة البرنامج وصياغته- فيعلق عليه بالقول بأن: (**المؤتمرين كانوا جميعا اشتراكيين، بل لأن الذين لم يكونوا اشتراكيين كانوا بدون شك يفكرون في البون الشاسع بين المصادقة على منهج وبين تطبيقه.**) [85مكرر]

هذه خلاصة أراء ومواقف قادة الثورة والرأي في البرنامج المذكور؛ على الرغم من الأهمية القصوى له بالنسبة لإيديولوجية الثورة، ولجزائر الاستقلال. وباعتبار الوثيقة - البرنامج تمثل المرجعية الفكرية السياسية والتنظيمية لمرحلة الاستقلال، كما أنها حملت من المضامين والمفاهيم، ما أثار الاختلاف حولها، وأسال حبرا كثيرا بين مؤيديها ومعارضيها...الخ. فسنحاول الوقوف على مضمون البرنامج وخطوطه العريضة، وكذا أهم المبادئ والأفكار التي تضمنتها؛ لكن قبل ذلك سنستكمل حديثنا حول: **النقطة الثانية** في جدول الأعمال؛ متمثلة في: تشكيل قيادة للثورة وانتخاب المكتب السياسي، وكيف تعامل معها أعضاء المجلس؟ وماهي تداعيات ذلك كله على الدورة وعلى جزائر الاستقلال .

ابتداء فإن أعضاء المجلس الوطني للثورة وقفوا **أولا** عند نص اتفاقيات أيفيان بالقراءة والتقييم، وقد عارضته قيادة هيئة الأركان - كما أسلفنا من قبل - لكن حسب المؤتمرين، واعتمادا على ما جاء في بيان أول- تشرين الثاني 1954، ووثيقة الصومام أوت - آب 1956؛ فقد حدث إجماع بينهم بشأن القضايا المتضمنة في اتفاقيات أيفيان. نلخصها في العناصر التالية:

1- أن الاتفاقيات أنهت حرب إبادة ضد الشعب الجزائري قل مثيله في التاريخ البشري. كما أنها أقرت وحدة الشعب وسيادته كاملة**!** و وحدة وسلامة الأرض.[**]

2- مثلت انتصارا سياسيا، وقوضت أركان المستعمر... مع أن القيود الاقتصادية والثقافية المنصوص عليها في الاتفاقية تضمنت بقاء ما اعتبره وسماه المؤتمرون: "**استعمارا جديدا**"؛ ذلك الذي عمل ديغول في سبيل ضمانه، من خلال إنشائه ما عرف "**بالقوة الثالثة.** "

---

[356]- محمد مجاود، **الأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية**... مرجع سابق ، ص 194 .

3- الانزعاج من الضمانات الممنوحة للمستوطنين كأقلية محظوظة بامتيازات اجتماعية واقتصادية، ومشاركتها السياسية على جميع المستويات، ناهيك عن الأخطار المهددة للاستقلال؛ ببقاء قوات فرنسية وقواعد عسكرية في الشمال، وقواعد للتجارب النووية في الجنوب... مما يحد من حرية الدولة وسيادتها بدون شك !!

تقييم أوضاع العباد والبلاد بعد 92 شهرا من الكفاح المسلح، والوقوف على حجم التضحيات والآلام الكبرى: (شهداء، جرحى، معطوبين، ومشردين...)؛ مما يستوجب عناية خاصة بالوضع من قبل الحكومة الجزائرية الجديدة، ناهيك عن واقع الأمن والبطالة والفقر... الخ؛ كل ذلك يجب التكفل به في أقرب الآجال واعتباره أولوية مطلقة؛ لأجل استرجاع كرامة المواطن الجزائري ومحو أثار الاستعمار من حياته.

([*]) هناك اختلافات بشأن هذه السيادة " **هل هي فعلا كاملة أم منقوصة؟** خصوصا ونحن نعلم وأن الاتفاقيات منحت للطرف الفرنسي امتيازات اقتصادية بشأن تنقيب بترول الصحراء وثرواتها والاستفادة منه . وضمان امتيازات اقتصادية لغوية وثقافية كثيرة بالجزائر ناهيك عن الامتيازات العسكرية : بقاء واستمرار تجاربها النووية في الجنوب ، وقواعدها العسكرية في الشمال : المرسى الكبير بوهران وكذا قوات لمدة ثلاث سنوات ومسائل أخرى كثيرة ، أنظر نص الاتفاقيات في : ابن خده، **اتفاقيات أيفيان**، مرجع سابق، ص85 وما بعدها.

4- سعي الحكومة الفرنسية بعد فشلها في الحفاظ على "**الجزائر فرنسية**" ، إلى العمل بكل الوسائل لإفراغ الثورة من محتواها الحقيقي؛ من خلال ما تضمنته الاتفاقيات من فقرات مثلت "**ألغاما**" موقوتة قابلة للانفجار في أية لحظة، خاصة فيما يتعلق باستكمال استرجاع السيادة الوطنية كما نصت عليها مواثيق الثورة من قبل. من بين هذه القنابل- إن صح التعبير- ضمانات وامتيازات فئتي"**المستوطنين، والحركي**" المتعاونين مع العدو الفرنسي، وقد مثلوا حوالي 5/1 مجموع السكان. [357]

تلخيصا وتعليقا على كل ما سبق من ملاحظات أبدتها دورة المجلس الوطني بشأن هذه الاتفاقيات، نورد قول الدكتور زبيري: (**... أن التعاون المشروط** (الذي نص عليه لاحقا في عبارة الاستفتاء) **يصبح على مر السنين كابحا يمنع الثورة من مواصلة سيرها الطبيعي، وكلفنا عدم التفطن هذا ثمنا باهظا... واقتحمت اللغة والعقلية الفرنسيتين منازل الجزائريين والشخصيات منهم على وجه الخصوص...، والغريب أن هذه النتيجة التي تحققت في فترة وجيزة بعد استرجاع الاستقلال الوطني لم تتمكن سلطات الاحتلال من تحقيق ولو جزء بسيط**

[357] - الزبيري ، **تاريخ الجزائر المعاصر**، مرجع سابق، ص 229- 235

منها خلال مائة واثنين وثلاثين سنة من الظلم والاضطهاد، وتجربة السياسات الرامية إلى جعل الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا.) [358]

لعل ذلك الانجاز كان من دهاء ديغول، وجزء من ثمرة سياسته المطبقة في جزائر الثورة و مرحلة التفاوض خاصة ! تلك التي ضمن بها مصالح فرنسا بعد خروجها في جزائر الاستقلال. لنستمع إليه ماذا يقول بشأن تقييمه لمضمون هذه الاتفاقيات، التي اعتبرها إنجازا فرنسيا خالصا !؟ حيث يقول: (**... وتم توقيع الاتفاقيات في 18 مارس 1962 ، وقد ورد فيها كل ما كنا نتوخاه، مع قرار إيقاف القتال فورا، وبعد أن يمنح الشعب الفرنسي الاستقلال إلى الجزائر، ويصوت عليه الشعب الجزائري، فحينئذ يقوم تعاون وثيق بين فرنسا والجزائر في الشؤون الاقتصادية والنقدية، بالإضافة إلى التعاون العميق في المجالين الثقافي والفني... وتقديم ضمانات كافية لأعضاء الجالية الفرنسية، الذين قد يرغبون في البقاء في الجزائر.)** [359]

ليستطرد بعدها في ذكر باقي الامتيازات الاقتصادية (البترولية)، والعسكرية (التجارب النووية، والقواعد العسكرية، وبقاء قوات فرنسية ...) ؛ أنهى عرضه وتعليقه بالتأكيد على ثلاث حقائق اعتبرها لصالح فرنسا، تضمنتها اتفاقيات أيفيان. هي:

الأولى: أن تقرر الجزائر مصيرها بنفسها حسب ما تقتضيه مصلحة الكل.

الثانية: ضرورة ربط مصير الجزائر وتنمية شعبها بفرنسا.

الثالثة: أن يقوم بين الجزائر وفرنسا نوع من التجاذب الخاص البدائي.

ثم أردف القول بأن سنين الجمر والقتال الذي صار بين الشعبين ربما سيدفع إلى: (**الاقتناع بأنهما وجدا لا للتقاتل، وإنما للسير معا وأخويا في طريق الحضارة.)** [360] ياله من اكتشاف ديغولي عظيم بعد 132 سنة من الاحتلال الاستيطاني العنصري، المملوء بشتى أنواع القتل والاغتيال والنفي، والحرق والتدمير والخراب...،... في حق الجزائريون ووطنهم !

وقد أنهى تعليقاته وتقسيماته، برد الفضل في ذلك كله، وتوجيه التحية والتقدير على ذلك الإنجاز..، لكل من: "**الحكومة الفرنسية**" ثم لرئيس جمهوريتها "**الجنرال ديغول**" ، وأخيرا إلى "**الشعب الفرنسي**" الذي أتاح -

---

[358]- نفس المرجع، ص 238

[359]- ديغول، **مذكرات الأمل**، مصدر سابق، ص 140

[360]- نفس المصدر، ص 141

حسبه - الحل مجال النضج ! وبدا- وهو مزهو بنفسه وانجازاته الحقيقية لا الكاذبة - كما وكأنه في موقع **"الرسول المنقذ"** للجميع؛ لفرنسا والجزائر معا.

ذلك إذا هو تقييم الطرف الجزائري، ثم الطرف الفرنسي للاتفاقيات. الواقع أنهما لم يختلفا في جوهر التقييم والمكاسب المحققة، وإن سعى كل طرف إلى المزايدة بشأن من هو صاحب الفضل في الإنجاز و في إخراج هذه الاتفاقية - القنبلة ؟

على الرغم من أن المؤتمرين الجزائريين تنبهوا إلى خطورة ما احتوته الاتفاقيات ومضمونها على مستقبل الوطن واستقلاله، بإعلانهم في البرنامج بأن: (**الحكومة الفرنسية تحاول توجيه استقلال بلادنا حسب مقتضيات سياستها الاستعمارية... وتمثل اتفاقيات أيفيان قاعدة للاستعمار الجديد تريد فرنسا استعمالها لتمكين هيمنتها وتنظيمها في شكل جديد.**) (90) ، كما أكدوا إدراكهم نوايا الطرف الفرنسي وأهدافه البعيدة في الجزائر متمثلة في إفراغ الثورة من محتواها، وإعلان إفلاسها الإيديولوجي: (**إن المستعمرين الفرنسيين يحاولون أن يجعلوا من قبولنا التكتيكي لاتفاقيات أيفيان نكسة إيديولوجية تنتهي إلى التخلي عن أهداف الثورة...،... إن رغبة الحكومة الفرنسية هي أن تتغلب النزعة المعتدلة**(داخل جبهة التحرير وجزائر الاستقلال) **على القوى الثورية؛ وهذا ما يجعل ممكنا قيام تجربة تشترك فيها فرنسا مع جبهة التحرير في نطاق الاستعمار الجديد)**[361مكرر]

مع كل ذلك فإن الغريب المحزن فعلا؛ أن هذا التشخيص والتوصيف لمضمون الاتفاقيات ومراميها من قبل قيادة الثورة، دقيق وصحيح إلى حد بعيد ؟... والتساؤل المطروح هو: لماذا لم تعد قيادة الثورة والمجلس الوطني تحديدا، مخططا لبرنامج سابق أو لاحق مضاد لإبطال مفعول هذا الاستعمار الجديد ؟ بل أننا نجدها بعد هذه الاتفاقيات قد أعرضت عن مواجهة هذا الخطر المحدق بالثورة والاستقلال معا؛ و اتجهت صوب نزاعاتها وأطماعها السلطوية على حساب المشروع الثوري الوطني، ومصلحة الشعب الجريح ؛ وذلك بهدف احتلاله من جديد: لكن هذه المرة تم الاحتلال بأشخاص وسياسات جزائر- فرنسية مشتركة !!!

---

[361] - الزبيري ، **تاريخ الجزائر المعاصر**، مرجع سابق ، ص 238 – 239
نفسه، ص 243-246.

المعالم الكبرى للمشروع المجتمعي في برنامج طرابلس 1962

أ- الوضعية العامة للجزائر... وصياغة البرنامج.

يحوي برنامج طرابلس 1962 المعالم الكبرى لمشروع المجتمع الجزائري لفترة ما بعد الثورة والاستقلال، و يمكن لنا القول بأن جملة الظروف والعوامل التي صيغ فيها لم تكن ملائمة بالشكل المطلوب؛ لا فكريا ولا سياسيا، إن لم نقل ولا كفاءة أشخاص كذلك ! مما جعل الوثيقة - البرنامج تخرج في صيغة أبعد ما تكون عن روح المجتمع وفلسفته الحياتية؛ كما بدت كذلك مقطوعة الجذور التاريخية والحضارية بل متناقضة ومتنافرة مع إيديولوجية الثورة وأد بياتها الفكرية والسياسية؛ إلى الحد الذي يمكن اعتبارها" **مولودا غير شرعي !**" لجبهة التحرير الوطني التاريخية والثورية .

يجمل د. زبيري هذه العوامل والظروف -التي سبق التعرض لحيثياتها وملابساتها- في عوامل بشرية، وأخرى فكرية وسياسية تجمعت لتصنع البرنامج المذكور و إخراجه على الصورة التي بينا. من أهمها: ([362])

1- اللاتجانس بين الأعضاء الذين أوكلت لهم مهمة صياغة وتحضير المشروع البرنامج التمهيدي الذي تحول بقدرة قادر إلى نهائي، وخاصة كونهم جميعا مشبعين بالثقافة الغربية، يجهلون كلية الثقافة والحضارة العربية الإسلامية التي ينتمي إليها الشعب الجزائري برمته، ما عدا القلة القليلة المغتربة أو المتفرنسة منهم .

2- اعتماد الإقطاع كقاعدة ومنطلق لتحليل الواقع المجتمعي الجزائري، على الرغم من أن الإقطاع في مفهومه الطبقي- الصراعي، لم يعرف في الجزائر لا كظاهرة تاريخية، ولا كواقع اجتماعي ثقافي معيشي؛ وإنما هو - كما يعلم كل مطلع- وليد وابن بيئة أوروبية صرفة ترجع إلى حقبة ما قبل الثورة الفرنسية 1789م - أي فترة العصور الوسطى خاصة - وقد عمدت اللجنة إلى اعتماده كفلسفة؛ من منطلق التقليد الأعمى والتبعة المقيتة للغير. ومن ثم فقد أخطأت المنطلق والطريق منذ البداية ! وكان الأجدر موضوعيا أن ينطلق أعضاء اللجنة من واقع النظام الاستعماري؛ في التشخيص والتوصيف ثم التحليل، فالاقتراح والتنظير .

3- اعتماد النظريات الماركسية الماوية في تقييم مراحل الثورة ومساراتها، على ضوئها تم إعداد البرنامج المستقبلي للبلاد، ولم يكن ذلك - في تقديرنا- إلا لونا من التغليط والتزييف، وقفزا على الحقائق التاريخية

---

[362]- نفسه، ص 243-246، وقد استهل برنامج طرابلس بعرض الصورة العامة عن الوضعية الجزائرية في ظل الاستعمار، واتجاه الجزائر صوب الاستقلال، والصعوبات والنقائص التي ألمت بجبهة التحرير قائد التحرير، ومؤطرة الاستقلال...الخ.

والواقعية. كما أنه منافيا ومجافيا للمنطق الفكري والعلمي... لأن الثورة يوم انطلقت كانت قد اتخذت من المبادئ الإسلامية منطلقا وأسسا عقائدية في التحرك، وجهادية في التعبئة والإقناع... للفئات الشعبية والوطنية. و ظل **"الإسلام وقيمه"** القلب النابض للثورة وعنوانها الأساس، كما هو دافع التضحية والشهادة بالنسبة لعموم الشعب؛ فكانت مصطلحا ته ومفاهيمه الدافع الأول في حركة الجهاد الوطني للتحرير. ومن ثم نعتقد أنه من الخطيئة الكبرى صياغة محاور هذا البرنامج بعيدا عن وحي المبادئ والثقافة التاريخية الإسلامية، منطلقات وغايات.

4- تركيز لجنة صياغة البرنامج في طرابلس واعتمادها على "وثيقة الصومام 56 م"؛ كسند ومرجع أول، اعتمادا على نصوصها وتوجيهاتها وحدها في تقييم وعي الشعب الجزائري، ومتابعة تطور إيديولوجية الجبهة. وقد مثل ذلك-في حقيقة الأمر- نوعا من التجني والتغليط المقصود وبتر للواقع التاريخي؛ حيث أن الدور الأول لجبهة التحرير الوطني منذ تأسيسها في الفاتح من نوفمبر- تشرين الثاني 1954 م كان مركزا على توعية الشعب الجزائري، ونقل مستواه الثوري إلى حركة الفعل والممارسة؛ عبر تجنيد كل فئاته حول المشروع التحرري الوطني، وإحداث تغيرات جذرية على نطاق التصور وذهنية التفكير تجاه النظام الكولونيالي. أما القفز على هذه الحقيقة وغيرها من مثيلاتها فانه يمثل في النهاية نوعا من الإهانة للميراث الثوري للجبهة وللشعب الجزائري أيضا .

5- اعتماد فريق العمل في لحية الصياغة لبرنامج طرابلس، على وثائق وأدبيات غير نصوص الثورة ومواثيقها الأساسية؛ من مثل الأفكار الماوية، والفانونية... وغيرها. ناهيك عن استلهام تاريخ غير تاريخ الأمة الجزائرية ، وثقافة تغريبية استعمارية غير ثقافتها الوطنية والقومية ...؟ كل ذلك أفضى بل أنتج برنامجها مشوها، متناقضا، ومبتورا ! طغى عليه التنظير البعيد عن ملامسة الواقع الحقيقي لتطلعات الجزائريين؛ مما جعله لا يحظى بفرصة التطبيق والتنفيذ، بل سوف يهجر حتى من بعض صانعيه فضلا عن عموم الشعب، ويكون مصيره الأرشفة، والتخريج ألمناسباتي!

ب - **الثورة الديمقراطية الشعبية**

يستوقفنا العنوان بمفرداته الفكرية والسياسية؛ حيث جاء باسم **"الثورة الديمقراطية الشعبية"**، وهو تعبير غريب ودخيل على أدبيات الحركة الوطنية والنصوص الأساسية للثورة الجزائرية (خاصة بيان أول نوفمبر 1954م، وميثاق الصومام56 خاصة)؛ حيث نجد في النصوص المذكور توصيفا للثورة بمصطلحات ومفاهيم

تستمد روحها وقيمها من التراث العقدي والحضاري للجزائر من مثل: "**الحركة الجهادية**"، "**الثورة الوطنية التحريرية**" "**والدولة الوطنية الجزائرية**" ...الخ. كل هذه العناوين تستمد أهدافها وغاياتها من مفهوم: "**ديمقراطية واجتماعية في إطار المبادئ الإسلامية**"؛ كما عبر عن ذلك الهدف العام في بيان أول نوفمبر- تشرين الثاني 1954م. لكن يبدو أن البرنامج وصانعيه عملوا على توجيهه باتجاه منحى آخر يمثل في رأينا: "**تغيرا شاملا وخطيرا في مرجعية الثورة و إيديولوجية الجبهة !**" ولعله الأمر الذي دفع عباس فرحات - رئيس الحكومة المؤقتة الأولى والثانية خلال الثورة، إلى التعليق على البرنامج بقوله بأنه:"**تعبير شيوعي غير مهضوم.**"

ذلك أن تحديد ووصف الثورة بـ: "**الديمقراطية الشعبية**" يفصلها عن إطارها التاريخي والحضاري أولا، وعن بيئتها المكانية (الجزائر) وحضنها الطبيعي الذي ولدت فيه ثانيا، كما يجردها من هدفها الواضح وهو "**الاستقلال**" ، فضلا عن كونه يختزل منها المرجعية الفكرية والإيديولوجية التي توجه هذا الهدف في المستقبل ممثلا في: "**المبادئ الإسلامية.**"

الخلاصة أن عملية اغتصاب لروح الثورة وفلسفتها وإطارها وغاياتها... قد حدثت في البرنامج منذ البداية؛ من خلال العنوان ذو الطابع الشمولي الطبقي اليساري .

بعده يستهل البرنامج تعريفه بالسياق التاريخي "**لحرب التحرير**" ؛ وهو تعبير كذلك يختلف عن مفهوم الثورة معنى واصطلاحا حيث يؤكد أن: (**حرب التحرير التي قام بها الشعب الجزائري المظفر تعيد للجزائر سيادتها الوطنية واستقلالها، ولم تنته المعركة بذلك، بل بالعكس يجب أن تستمر لتوسيع ودعم انتصارات الكفاح المسلح بالنشيد الثوري للدولة والمجتمع... ومهام الثورة الديمقراطية الشعبية.**) [363] نلاحظ على العبارات المستعملة هنا طابع التعميم الفضفاض من خلال استعمال مفردات من مثل: "**النشيد الثوري للدولة والمجتمع**"، ماذا يعني ذلك؟ ثم "**مهام الثورة الديمقراطية**" التي لم تتحدد إلا من خلال تعابير دوغماتية؛ توحي لقارئها كما وكأنه أمام خطاب شعبي، تحريضي، طوباوي، ومناسباتي !

---

[363]- **النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني**، مصدر سابق، ص 65.

لكن محمد حربي يعلق على العبارة بالتأكيد على أن تلك الثورة حتى تستمر يجب أن تكون خلاصة لـ: (**تشييد واع للبلاد في إطار المبادئ الاشتراكية والسلطة للشعب**)[364] ، وكأني به يستدرك ما فاته من قبل هو وزملائه يوم أوكلت لهم مهمة التحرير للبرنامج، حيث أنجزوه على عجل ومزاجية سياسية، مقترنة بهوس إيديولوجي وتشيع واضح للاشتراكية العلمية لم يكن الكثير منهم يعيها ويدرك مخاطرها على مستقبل الوطن والشعب. وكانت "**الفانونية**" مصدر إلهامهم وتوجيههم، ومنهجا لتحليلاتهم للمحتوى الاجتماعي لحركة التحرير الوطني؛ طارحين أبرز المقومات الاجتماعية لهذه الحركة من منظور طبقي- بروليتاري !! مع الإشارة إلى أن ما سموه "**بالطبقة البرجوازية نسبيا**"، كرافد للثورة جاءت بالأهداف غير الواضحة ولا البريئة في كثير من الأحيان. ليخلصوا إلى فكرة مفادها اعتبار أن: (**نتيجة الحركة الشعبية** (هي) **تجاوز هدف الاستقلال إلى هدف أبعد هو الثورة.**) ويقدموا تعريفا يتضمن تحليلا جدليا لقيامها بالقول: (**إن الثورة الجزائرية ليست وليدة الفكر المجرد أو الصيغ النظرية بل أنها وليدة ضرورة تاريخية حتمية تحكمها الحركة الموضوعية لكفاح التحرير الوطني.**) [365] ، انه تفسير لحدث الثورة وصيرورتها التاريخية وفق "**المنظور الجدلي**" المرتكز على "**الحتمية التاريخية**" المسنودة "**بحركة الواقع الموضوعي**"... وكلها مفردات ومرتكزات من صميم "**التفسير المادي للتاريخ**" ؛ الذي تقوم عليه "**النظرية الماركسية الشيوعية**". ويبدو في ذلك تجني واضح على التاريخ الجزائري، باعتباره وليد "**الحتمية التاريخية**"التي تصنعها حركة الزمن؛ بعيدا عن منطق الأسباب، حركة الكفاح الوطني، والدوافع القيمية الجهادية لنضال الأمة الجزائرية ضد المحتل الفرنسي، طيلة قرن وثلث القرن من التضحيات الجسام.

هكذا إذا تظهر بصمة الأفكار الفانونية واضحة جلية في صناعة مفاهيم ومحتوى البرنامج، وذلك بحكم موقعه السابق كأحد العناصر المحررة في صحيفة المجاهد - اللسان الفرنسي الناطق باسم الثورة- وقد سرت أفكاره اليسارية في عقول بعض من سموا آنذاك "**بالخبراء** "سريان النار في الهشيم؛ بسبب "**الفراغ الإيديولوجي**" الذي نبه إليه برنامج طرابلس نفسه ! وهاهو فانون قد وجد الفرصة المواتية لملء هذا الفراغ، وتقديم ثم ووضع أفكاره التروتسكية موضع التنظير للثورة، فيقول: (**إن الثورة الجزائرية لا يمكن إلا أن تكون ثورة اشتراكية يشكل**

364-الزبيري، **تاريخ الجزائر المعاصر**، مرجع سابق، ص 246
365- **النصوص الأساسية**... مصدر سابق، ص 69 ، وهي عبارة وردت في نص البرنامج !

الفلاحون قواها المسيرة، وترتكز إستراتيجيتها على دور الإسلام الذي هو حصن الفقراء ضد الأغنياء، والذي يعطي للأصالة الجزائرية طابعها المميز.)[366] نستشف من هذا التحليل الفانوني للثورة الجزائرية فكرتين:

الأولى: تتمثل في الحسم المسبق في خيار الثورة واعتباره اشتراكيا، تحركه القوة الفلاحية البيروليتارية - مع العلم أن فانون توفي ديسمبر- كانون الأول 1961؛ أي قبل صياغة البرنامج وانعقاد مؤتمر طرابلس بستة أشهر كاملة !- مما يعني أن الحسم في إيديولوجية الثورة تمت على يده من قبل **"كرسول وأب روحي"** وسلطة مرجعية لاتخاذ مثل هذا القرار المصيري. فمن خوله تلك الصلاحية يا ترى ؟ وهل الأمة الجزائرية عاقر عن أن تلد منظرين ومصلحين يعرفونها بقيمها وخياراتها الوطنية والحضارية، ويجتهدون في التنظير لحاضرها ومستقبلها ؟ !

كما أنه حاول في **الفكرة الثانية**؛ المتضمنة في النص، تقديم دور الإسلام -في الظاهر- كمرتكز للإستراتيجية الاشتراكية للدولة القادمة، لكنه يختزل دوره في كونه طاقة تحريك وتهييج للصراع الطبقي بين الفقراء والأغنياء! وملجأ الفقراء وسلاحهم في معركتهم القادمة؛ لإرساء قواعد النظام الشيوعي الشمولي في الجزائر ؟! وهو الأمر الذي يعطي - حسب فانون- للأصالة الجزائرية طابعها المميز أي الثوري الشعبي، الطبقي... وفقط ! تلك هي خلاصة **"النظرية الفانونية"** التي اكتشفها محررو برنامج طرابلس 1962، وصادق عليها بالإجماع المؤتمرون. دون أدنى التفاتة إلى الطابع الاختزالي- **"الانتقائي"** للتحليل الذي قدم للثورة: كفعل، طبيعة، منطلقات، وأهداف. ترى ماذا بقي من روح الثورة وفلسفتها الوطنية، وأفقها التحرري... بعد ذلك ؟

ج- مهام الثورة الديمقراطية الشعبية:

لقد وقف برنامج طرابلس عند جملة محددات فكرية واجتماعية، حاول من خلالها تحديد مهام الثورة الديمقراطية الشعبية التي رسمها، في سبيل تحقيق ذلك انطلق البرنامج من أمرين اعتبرهما مناط العملية ومرجع الاستلهام: [367]

---

95 - الزبيري، **تاريخ الجزائر**، مرجع سابق، ص 247

1- الانطلاق من الواقع الجزائري من خلال معطياته الموضوعية ومطامح الشعب.

2- التعبير عن هذا الواقع مع الأخذ بعين الاعتبار متطلبات التقدم العصري، واكتشافات العلم وتجارب الحركات الثورية، ومحاربة الامبريالية في العالم.

ألح بعدها على ضرورة تفادي الاستلهام من الصيغ الجاهزة دون الرجوع إلى واقع الجزائر الملموس، للأسف فإن هذا التوجيه لم يؤخذ بعين الاعتبار في تبني الخيار الإيديولوجي والسياسي لجزائر الاستقلال، بل تم اللجوء إلى تجارب أخرى أجنبية (صينية، سوفيتية ،...وغيرها) عبرت عن منطلقات فكرية وواقع اجتماعي، وطموحات موضوعية، بعيدة كل البعد عن بيئة الشعب الجزائري؛ التاريخية، الاجتماعية، والحضارية. هذا ما جعل الخيار- التجربة يولد يتيما غير موصول ببيئته الطبيعية. من جهة ثانية فقد ربط البرنامج معركة استعادة الاستقلال الوطني بالمعركة العقائدية الجديدة، مؤكدا على ضرورة ضمان استمرارية الثورة والتوجيه. فجاء التنصيص على ذلك بالقول: (**إن الكفاح المسلح يجب أن يترك المكان للمعرفة العقائدية، وأن الثورة الديمقراطية الشعبية يجب أن تخلف الكفاح من أجل الاستقلال الوطني.)** [368] ثم يوضح فلسفة هذه المعركة العقائدية ومبادئها الفكرية والسياسية، بكونها ثورة اشتراكية تستمد شرعيتها من سلطة الشعب: (**إن الثورة الديمقراطية الشعبية تشييد واع للبلاد في إطار مبادئ اشتراكية وسلطة في أيدي الشعب.)** [(97) مكرر].

بعدها يجتهد البرنامج في وضع معايير لهذا التحول، والأطر المنظمة فكريا وسياسيا للدولة أو الثورة الديمقراطية الشعبية، ممثلة في:

1- تقوية الوطن المستقل، وضرورة استعادة قيمه المكبوتة التي حطمها المستعمر بحيث: (**تكون دولة ذات سيادة واستقلال كامل وثقافة وطنية...)** [369] عبر إلغاء الهياكل الاقتصادية والاجتماعية، للإقطاع ومخلفاته، واستبدالها بهياكلها ومؤسسات جديدة،هدفها كما جاء في البرنامج: (**تحرير الإنسان والممارسة الكاملة لحرياته وضمانها.)** طبعا ضمن منظومة الفكر الاشتراكي أصلا وضرورة.

2- نقل الفكر الديمقراطي من واقع التخمينات النظرية والفلسفية إلى مؤسسات الدولة وقطاعاتها، مع إلزامية التحلي بروح المسؤولية وإحلال هذا الفكر محل مبدأ السلطة ذي النزعة الإقطاعية؛ لتتمكن من التعبير بشكل

---

[367]- **النصوص الأساسية**، مصدر سابق، ص 70.

[368]- نفسه، ص 70-71.

[369]- نفسه، ص 71

جماعي وخلاق عن المسؤولية الشعبية ! فأكد على: (**أن مهام الثورة الديمقراطية، في الجزائر مهام هائلة ولا يمكن إنجازها بطبقة اجتماعية مهما كانت درجة استنارتها، إن الشعب قادر وحده على انجازها على الوجه الأكمل، والشعب هو الفلاحون والعمال على العموم والشباب والمثقفون الثوريون.**) (370)

3- - ضرورة حمل الطبقة البرجوازية على إخضاع مصالحها الخاصة لوحدة الشعب، و تعديل إدارة التحكم في مصير البلاد؛ وذلك بسبب فقدان هذه الفئة سند وتقاليد الكفاح الحقيقة، ناهيك عن عدم قدرتها على بناء وتشييد الوطن بمعزل عن أهداف ومطامح الامبريالية العالمية والرأسمالية المتوحشة. جاء في البرنامج: (**إن تولي الحكم في الجزائر يقتضي أن يتم بوضوح والاتحاد الوطني ليس اتخاذا حول الطبقة البرجوازية، ولكنه تأكيد لوحدة الشعب على أساس مبادئ الثورة الديمقراطية الشعبية، وهي الوحدة التي على البرجوازية أن تخضع لها مصالحها الخاصة.**) [371]

4- تكوين طبقة واعية من الفلاحين والعمال الشباب والمثقفين الثوريين، مهمتها وضع **"فكر اجتماعي سياسي"** يعكس بوفاء مطامح الجماهير في إطار "الثورة الديمقراطية الشعبية"، وضمن إطار مجهود إيديولوجي - عقائدي متواصل وخلاق.

5- لإنجاح مهمة الفكر الاجتماعي، والسياسي -السالف الذكر- الذي تم إقرار وضعه في إطار **"الثورة الجديدة"**، يجب كما يتعين: (**إحداث تصور جديد للثقافة وستكون الثقافة الجزائرية ثقافة وطنية وثورية وعلمية.**) [372]؛ بتأسيس هذه الثقافة على مبدأ إعطاء اللغة العربية موقعها وأهميتها وكرامتها ! مما يضمن النجاعة المطلوبة لها؛ كلغة حضارة وكمعبر حقيقي عن قيم الشعب الجزائري، حتى تتمكن من صد الهيمنة الثقافية وتأثيرات الغرب..، ومن ثم تكتسب صفة الثورية المحررة للشعب الجزائري من مختلف صنوف وأنواع الدروشة والشعوذة، والعادات البالية.

كما يجب إعطاء هذه الثقافة **"طابعها العقلاني"** وتمكينها من **"التجهيزات التقنية"** و **"روح البحث"** و **"منهجية الانتشار"**على كل مستويات المجتمع... الخلاصة أن تصبح قادرة على **"تجذير روح العمل"** ، و**"إعطاء النموذج"** الحي **"للطليعة الثورية"** المرتقبة.

---

370 - نفسه، ص 71-72
371- نفسه ، ص 72
372- نفسه، ص 73

إن قراءة برنامج طرابلس "**للمشكلة الثقافية**" الوطنية من هذا المنظور، وضمن إطار هذه المحددات، جعله يطلق عليها لفظة "**مفهوم جديد**" فما وجه الجدة في القضية ؟ هل بالفعل محددات "**الوطنية، و الثورية والعلمية**"... قادرة على إعطاء بعد الجدة والحركية المطلوبة لصناعة أهداف التنمية المرجوة ثقافيا ومجتمعيا .

إن اللافت للنظر- كما يقول الدكتور عبد الله شريط- عند قراءة نص برنامج طرابلس في الجزء المتعلق بهذه المسألة :"**المشكل الثقافي**"، هو النظر إليه بكونه واحدا من الموضوعات الأساسية على خلفية اعتباره يمثل أرضية ومنطلق نظري وقيمي لصناعة فكر إيديولوجي وطني، ثم ربطه بالعمل السياسي كإطار منشط له! بل يعترف البرنامج: (**بضرورة خلق فكر سياسي واجتماعي مدعم بفكر علمي يضع أيدينا على مفهوم جديد للثقافة.**) [373] ليخلص برنامج طرابلس بهذا الشأن إلى التأكيد على أن صناعة: (**الثقافة الجزائرية بهذا المفهوم يجب أن تكون الرباط الحي والضروري بين الجهد العقائدي لثورة الديمقراطية وبين المهام العملية واليومية التي يتطلبها تشييد البلاد.**) [374]

ما يمكن ملاحظته وتسجيله - حسب الدكتور شريط - بشأن هذا التصور النظري لمشروع الثقافة الوطنية الجديد الذي توخي برنامج طرابلس طرحه، ضمن منظور جديد، كونه (أي البرنامج):

أ- لم يحدد صلة الربط بين المفهوم الوطني للثقافة، ولسانها العربي وبين باقي مكونات الثقافة الجزائرية؛ كاللغة البربرية مثلا ، وكذا اللغة العربية ضمن وعائها العربي الإسلامي، إلى جانب القيم الروحية الإسلامية... كلها من العناصر البديهية التي يجب أن يتضمنها هذا المشروع الثقافي الجديد، إن أريد له حقا النجاح والاستمرارية.

ب- سعي البرنامج إلى ربط "الثورة" بالطليعة، أي التحية الاجتماعية الفكرية... وإهماله لعموم الشعب الأمي، رغم تأكيداته المتكررة على كون البيروليتارية الفلاحية مع وقود الثورة الديمقراطية الشعبية وصاحبة السلطة والقرار فيها. مع العلم أن الثورة المعلنة في برنامج طرابلس، التي توخت جعل الثقافة إحدى دعائمها وواحدة من مهامها الأساسية في سبيل تحقيقها؛ لا يمكن بأي حال من الأحوال إسقاطها واقعا ملموسا بمعزل عن التكوين الفكري والثقافي والسياسي لجماهير العريضة دون تمييز، باعتبارها الحصن الطبيعي لها والمدافع الأول عن مشروعها. كما هو منصوص عليه في النظرية الاشتراكية العالمية - على الأقل-

---

[373]- د.عبد الله شريط، **مع الفكر السياسي والمجهود الإيديولوجي للحركة الوطنية**، مرجع سابق، ص 180

[374]- **النصوص الأساسية...** مصدر سابق، ص 74.

جـ- ظهور هذا "التوصيف" للثقافة الجديدة كما وكأنه "**ترشيد أخلاقي بحت**" لا يمت بصلة إلى مفهوم "**السياسة الثقافية**" ؟ ذلك أن هذه الأخيرة في أسسها وآلياتها، يجب أن تتضمن: "**خطة ومبادئ و آليات إجرائية عملية**" ، إلى جانب "**الرقابة**" و "**المحاسبة**"...الخ . لأنها في النهاية تحوي: "**مشروع ثقافي مجتمعي**" تسهر الدولة على تنفيذه، ويتطلع المجتمع إلى تجسيده في حياته اليومية، مثل باقي المشروعات الاقتصادية والسياسية التي تضطلع بها الدولة والمجتمع معا! هذا ما يستلزم بالضرورة في الأخير "السهر الصارم" على سيره ورعايته، بل إدراجه ضمن منطقة الحق للمواطن والواجب عليه.

د- اختزال قيم الشخصية الوطنية في هذه الأبعاد الثلاثة (**الوطنية، الثورية، العلمية**) فقط دون الإشارة والتأشير على البعد الأهم في الشخصية التاريخية الحضارية للأمة والمحرك الأقوى في الكفاح الثوري للشعب الجزائري؛ وهو "**البعد الإسلامي**" ! فما موقعه ضمن خارطة المشروع الثقافي الجديد ، وفي حياة الفرد والمجتمع الجزائري ؟ إننا نجد البرنامج قد اكتفى فقط بالإشارة إلى الانتماء الفخري - إن صح التعبير- للحضارة الإسلامية، ثم دعا إلى رفض التوظيف الديماغوجي - كما سماه- للإسلام بعيدا عن المشكلات الحقيقية، وخلص إلى أن (**الإسلام الذي يتخلص من البدع والأوهام التي خنقته، وحرفت وهزت جوهره يجب أن ينعكس علاوة على كونه دينا، في هذين العاملين الأساسيين: الثقافة والشخصية.**) [375] لكن هل تم توضيح وتحديد كيفية حدوث ذلك ؟ وهل للإسلام حق المرجعية العملية في حياة الناس، وسلوكهم الثقافي ؟! وما هو موقعه ضمن منظومة الحكم والإدارة ؟... وباقي مشاريع التنمية الشاملة المستقبلية لجزائر الاستقلال.

كل ذلك تم إهماله ولم تقع الإشارة إليها لا من قريب ولا من بعيد، مما يعني أن الإشارة إلى هذا البعد هو لون من "**الغزل الاجتماعي - السياسي**" ؛ هدفه الإثارة أو لعله تسكين وتخدير الرأي العام حيال هذه المسألة، وهو البعد الحيوي الحياتي لدى عموم الشعب الجزائري الذي لا يمكن لأحد نكرانه أو تجاوزه.

هـ- التنديد بشدة - كما يؤكد الدكتور زبيري- بالنزعة القائمة على "**عدم تقدير المجهود الفكري حقه**"، بل الدعوة أحيانا إلى معاداة المثقفين، وهو عمل مرتبط - حسب محرري البرنامج- "**بأخلاقية البرجوازية الصغيرة**" التي تسعى إلى التوظيف الدوغماتي السياسيوي للإسلام ؟! لكنهم في الوقت نفسه أنكروا على الإسلام - كما أشرنا من قبل- القدرة على "**إحداث نهضة**" فكرية وحضارية في المجتمع؛ على اعتبار - حسب اعتقادهم- أن فلسفة

---

[375]- نفس المصدر ص، 75

الإسلام لا تعدو أن تكون "**صيغ ذاتية بسيطة في السلوك العام، وفي ممارسة الشعائر الدينية.**" [376] بذلك فإن : "**الحنين إلى الماضي يكون مرادفا للعجز والبلبلة**" ، والإسلام المحرر والناهض حسب ما أورده البرنامج هو الذي "**ينعكس علاوة على كونه دينا**" في عاملين أساسيين فقط هما : "**الثقافة والشخصية**" ! ترى ماذا يمثل باقي الإسلام في "**نظرية المجتمع**" القادمة ضمن تعداد سكاني أكثر من 99 % منهم مسلمين ؟ إنها لمفارقة وأطروحة برنامج طرابلس الثقافية الجديدة! وتنظير عصبة اليسار المسكونة بعقدة "**التقدمية**" المقطوعة الجذور عن كل قيمة حضارية ووطنية أصيلة .

وسائل تحقيق الثورة الديمقراطية الشعبية :

في سياق حشد الوسائل وعدها، لتحقيق برنامج طرابلس ومشروعه للثورة الديمقراطية الشعبية، الذي أطلق كاستمرار لثورة التحرير والاستقلال؛ فقد حصر جملة من الوسائل، يمكن الوقوف عليها وتركيزها في ثلاث هي:

1- بناء اقتصادي وطني.

2- انتهاج سياسة اجتماعية لصالح الجماهير والفئات المحرومة.

3- انتهاج سياسة دولية أساسها مناهضة الامبريالية... [377]

فيما يلي: بسط وتوضيح لإجرائية التوظيف والتنفيذ لهذه الوسائل، حسبما حددتها النصوص المتضمنة في البرنامج.

*** بناء اقتصاد وطني:**

استهل البرنامج بقراءة الواقع الاقتصادي والاجتماعي للجزائر المستعمرة، وخلص إلى أن الاقتصاد الجزائري رهين السيطرة الاستعمارية والأجنبية معا ! وهو اقتصاد مختل التوازن وغير متناسق، يتعايش فيه قطاعين:

376- نفسه ص 75

377- نفسه، ص 77-87

الأول: رأسمالي عصري مجهز، يسيطر عليه مستوطنون جشعون همهم الربح والاستغلال، والنهب للثروة الوطنية.

الثاني: تقليدي يحيا عليه السواد الأعظم من الجزائريين الفقراء ومن الفلاحين والرعاة أنتج: **"حالة اجتماعية فردية"** ، يعاني في ظله عموم الجزائريين عناء شديدا. وعليه حسب البرنامج يجب اعتماد مبادئ سياسية اقتصادية تقوم على:

1- رفض الهيمنة الأجنبية والليبرالية الاقتصادية.

2- العمل على إيجاد سياسة تخطيط مع المشاركة الديمقراطية للعمال في السلطة الاقتصادية.

بهذا فإن بناء الاقتصاد الجديد في ظل توجيهات برنامج طرابلس على أسس جديدة، لن يتم إلا بانقلاب جذري. جاء في البرنامج: **(ولن يتم بناء الاقتصاد على أسس جديدة إلا بانقلاب جذري في الهياكل الحالية.)** [378] هذا الانقلاب يجب أن يمس بنية الهياكل القائمة عبر قيام اقتصادية جديدة للثورة الديمقراطية تتحدد في:

***الثورة الزراعية :** القائمة على الإصلاح الزراعي تحت شعار: " **الأرض لمن يخدمها أو يزرعها** " ، كما المحافظة على الثروة العقارية .

* **تطوير المنشآت (دعائم الاقتصاد) :** بواسطة التأميم لوسائل النقل، وتحسين وتجديد شبكات الطرق والسكك الحديدية... بهدف ربط المدن الكبرى بالمناطق الريفية والقروية المعزولة.

* **تأميم القرض والتجارة الخارجية:** بواسطة تأميم شركات التأمين وكذا المصارف إلى جانب تأميم التجارة الخارجية... كل ذلك بهدف القضاء على النظام الإمتيازي المتجذر بين الجزائر المستعمرة وفرنسا الاستعمارية؛ وبالتالي ضمان مبادلات متوازنة أساسها المساواة وتبادل المنفعة المشتركة .

* **تأميم الثروات المعدنية والطاقوية:** وتوسيع شبكة الكهرباء والغاز، وتكوين الإطارات في مجال الهندسة والتفتيش.

* **إرساء الصناعة وتنميتها:** خاصة القاعدية منها إلى جانب الصناعات الزراعية... وتوجيهها عبر نظام المحطات الصناعية، مع مراعاة عدم إهمال الصناعات التقليدية، واستثمار الموارد الأولية، من خامات وطاقة... الخ .

---

[378]- نفسه، ص 80

تلك إجمالا أهم الخطوط العريضة الكبرى لخطة السياسية الاقتصادية التي حددها ورسمها برنامج طرابلس، في إطار نظام الإصلاح الاقتصادي الذي ينشده. الملاحظ أن الخطة إجمالا تستند إلى المبادئ الاشتراكية في التنظيم الاقتصادي القائم على مبادئ: التأميم، التخطيط، وهيمنة الدولة باسم الشعب على الثروة ومصادرها، وعلى المؤسسات الإنتاجية، مع تحقيق حد أدنى من المساواة في التوزيع للفائدة والريوع... الخ! في المقابل نلاحظ إقصاء وتغييب كلي للمبادرات الفردية، ومنع حق الملكية الخاصة، والمنافسة...الخ. أي كل ماله صلة بالنظام الليبرالي - التنافسي.

خلاصة ذلك كله هو: الانتقال الراديكالي من الليبرالية الاستعمارية إلى الاشتراكية الاجتماعية.

فماذا عن خطتها الاجتماعية .

* **من أجل تحقيق المطامح الاجتماعية للجماهير:** لا جدوى من سياسة اقتصادية توضع وترصد لها كل الإمكانيات البشرية والمالية والمادية التنظيمية؛ تحقيق أحسن النتائج إذا لم تنعكس اجتماعيا على حياة الناس وتعود عليهم بالرخاء والرفاهية والتطور العام لمستوى عيشهم واستقرارهم .

وعليه فقد انتبه محررو برنامج طرابلس إلى "**البعد الاجتماعي** " كرديف ومعيار لقياس مدى النجاح ؟ ومن ثم فقد ربط البرنامج "**السياسة الاجتماعية** " بهدف طموح يتجسد من خلال "**تحقيق المطامح الاجتماعية للجماهير**" عبر محاور أبرزها:

أ- رفع مستوى المعيشة: عبر محاربة البطالة، وشتى مظاهر الترف المادي، وتمكين المهتمين من حقهم النقابي في الإضراب... وغيره.

ب- محو الأمية وتطوير الثقافة: الوطنية من خلال غرس القيم الوطنية؛ التي أظهرت التجارب التاريخية للشعب الجزائري قبل الثورة ارتباطها "**بالحضارة الإسلامية**" في كل أبعادها: الدينية اللغوية، الثقافية، و الحضارية.

جـ- السكن: اعتبره البرنامج ميدانا يرتبط بحياة الأغلبية العظمى من الجزائريين الذين هم بدون مأوى؛ بسبب آلة التخريب والتدمير التي طالت مساكنهم في ظل الاستعمار، مما يستلزم توفيره بصفة استعجاليه، واعتماده كأولوية من خلال توفير كل ما يلزم من إمكانيات لإنجازه بالصورة اللائقة، التي تحفظ كرامة للجزائريين.

د- الصحة العامة: إن الاهتمام بها يكون عبر تأميم المؤسسات الطبية ومنشآت الصحة، بغرض ضمان مجانية العلاج مع مصاحبة ذلك بتكوين سريع ونوعي للإطارات التي تشرف على هذا القطاع الحيوي بما يضمن فعاليته.

هـ- تحرير المرأة: والكل يدرك أن موقع المرأة كأم، أخت، زوجة، وبنت... مجاهدة ! فهي بمثابة نصف المجتمع، بل ليس من المبالغة اعتبارها العامل الأول في وجود النصف الثاني "الرجل" وإسناده! ولكونها كانت إلى جنبه في معركة النضال والتحرير... فإن البرنامج ألح على واجب ترقيتها، ومحاربة الأحكام المسبقة بشأنها اجتماعيا، ناهيك عن المعتقدات الرجعية ذات الطابع الديني والاجتماعي المعطلة لحركيتها... وكذا إطلاق طاقتها الخلاقة لتتمكن من المشاركة في تسيير الشأن العام الوطني.[379]

تلك ابرز المعالم والعناوين الأساسية في " **السياسة الاجتماعية** " التي ضمها برنامج طرابلس؛ وهي امتداد وتكملة وتتويج "**للسياسة الاقتصادية**" - المذكورة - بتكامل السياستين ونجاعة التنفيذ، والرقابة... يمكن فعلا تحقيق مجتمع اشتراكي كما توخاه البرنامج !؟ لكن هل يمكن الذهاب إلى تحقيق ذلك الإنجاز الاقتصادي والاجتماعي داخل الوطن، بمعزل عن سياسة خارجية هي بمثابة غطاء وسند ودعم لكل ما تم ذكره ؟!

و- **<u>من أجل سياسة خارجية مستقلة</u>** :

جاء في البرنامج: **(إن التوجيه الصحيح للسياسة الخارجية عامل هام من بين عوامل تدعيم استقلال وتشييد اقتصادنا الوطني .) ([380])**

بهذا المدخل التأكيدي الذي ربط بين الاستقلال الوطني والسياسة الخارجية من جهة، وبينهما وبين إمكانية تشييد اقتصاد وطني ناجح ومتحرر من قبضة الإمبريالية من جهة أخرى. فقد أشار البرنامج أنه لأجل دعم الاستقلال الوطني، وبلورة معالم الشخصية الدولية للجزائر المستقلة؛ يجب الاهتمام بالسياسة الخارجية "**كمرتكز**" ومحور يقوم على: ([381])

---

[379]- نفسه، ص 85-87
[380]- نفسه، ص88
[381]- نفسه، ص 88-90.

محاربة الاستعمار والإمبريالية، والتحالف مع البلدان التي نجحت في دعم استقلالها وتحررت من الهيمنة الأجنبية:

أ- دعم حركة النضال من أجل الوحدة المغاربية والعربية والإفريقية... في اتجاه مصالح شعوب هذه النطاقات .

ب- دعم حركة النضال من أجل الوحدة المغاربية والعربية والإفريقية... في اتجاه مصالح شعوب هذه النطاقات .

ب- دعم حركات التحرر وتصفية الاستعمار، وتوسيع جبهة النضال بما يمكن من تحقيق التضامن الفعال ضده.

ج- النضال من أجل التعاون الدولي، وتعزيز السلام والحد من سياسات الأحلاف والتسابق نحو التسلح، والتدخلات الأجنبية ...

جاء في البرنامج: (**إن هذه السياسة الخارجية رافد لا بد منه للوصول إلى أهدافنا الداخلية، وهي ستمكن بلادنا من تحقيق أهداف الثورة الديمقراطية الشعبية والمساهمة في بناء عالم جديد.**)([382])

من ثم فإن برنامج طرابلس 1962، ربط بين شروط إنجاز الثورة الديمقراطية الشعبية في الداخل بمحيطها الخارجي؛ ضمن إطار مبادئ السياسة الخارجية التي رسمها وحدد معالمها بوضوح.

<u>ملحق البرنامج ... والمهام المستقبلية للجبهة- الحزب .</u>

أرفق نص برنامج طرابلس 1962 بملحق عنوانه:"**الحزب**"، تضمن توصيفا تاريخيا، إيديولوجيا، وتنظيميا غير دقيق؛ من حيث اتخاذه كقاعدة تبريرية لتحويل الجبهة "**الائتلافية التحريرية**"، إلى حزب سياسي بقوة الحتمية ؟! حيث بدأ البرنامج بوصف "**الجبهة**" بعبارة: (**فحزب جبهة التحرير الوطني الذي ولد في خضم المعركة...**) ([383]) ، في ذلك الوصف قلب للحقائق وعبث بالمفاهيم !؟ لأن جبهة التحرير منذ تأسيسها كانت "**جبهة**" ولم تكن حزبا في يوم من الأيام، وبكونها "**جبهة**" تسع وتستوعب كل الجزائريين أفرادا، أحزابا، وتنظيمات مدنية واجتماعية... فقد تمكنت فعلا منذ أواخر 1955 وعلى مدار سنة 1956 من استيعاب كل

---

[382]- نفسه، ص 91

[383]- نفسه ، ص 93 .

التيارات السياسية الحزبية، والتنظيمات والجمعيات المدنية وعموم الشعب؛ في ائتلاف و تفاعل سياسي وطني خلاق. هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن كل نصوص الثورة ومرجعياتها الفكرية والسياسية لم يعثر فينها ولم تورد فيها تسمية "الجبهة" باسم بالحزب. فمن أين جاء محررو البرنامج بهذا التـأسيس والتنظير والتكييف؛ غير التاريخي ولا السياسي لطبيعة الجبهة واقعها التنظيمي.

بعدها ينتقل الملحق لتناول طبيعة هذا "**الحزب**" كما حدد مهامه السياسية، التنظيمية، والجماهيرية؛ متخذا عناوين بمثابة عناصر جديدة من خلالها ميدان النشاط، ومجال التحرك. من بينها: "**الحزب منظمة ديمقراطية**"، "**علاقات الحزب بالدولة**"، "**المنظمات الجماهيرية**"، "**تطوير جيش التحرير الوطني**"، "**التكوين كشرط أساسي لتطوير الحزب**"... وأخيرا "**تعبئة الجماهير**".[384]

في إطار مضمون هذه العناوين الفرعية، أسهب البرنامج في الشرح والتوصيف، والتحريف كذلك !؟ ولا نجد ما نعلق به بهذا الخصوص إلا ما قاله د.زبيري حيث أن: (**الحزبية تتناقض جوهريا مع حقيقة جبهة التحرير الوطني، والتي تأسست على أنقاض الأحزاب التي برهنت على فشلها في قيادة الشعب نحو التوحد واسترجاع الاستقلال الوطني.)** [385] إن اعتبار أعضاء لجنة صياغة برنامج طرابلس 1962، جبهة التحرير الوطني، "**حزبا**"؛ هو لون من الدجل الذي لا يقوى عليه إلا الشيوعيون الدوغماتيون، كما أنه يبرر سلوك أعضاء الحزب الشيوعي إبان الثورة، ويقلل من أخطاء وخطيئة هذا التنظيم السياسي في حق الثورة والشعب ؟ كما يفتح المجال له ليعطيه المبرر والغطاء التنظيمي والسياسي - كحزب مستقل - للعودة إلى العمل... وقد جاء في نص الملحق ما يؤكد هذا "**التواطؤ**" في تعريف الجبهة بكونها: (**حزب جبهة التحرير الوطني**(الذي) **ولد في خضم المعركة، ليس تجمعا، ولكنه تنظيم يضم كل الجزائريين الواعين الذين يناضلون لصالح الديمقراطية الشعبية.**)([386]) وأوجز البرنامج في ملحقه المذكور مهام الجبهة- الحزب- بالقول: (**إن الوحدة الإيديولوجية، والعمل الديمقراطي، وتكوين الإطارات، والتثقيف السياسي للجماهير كلها من الشروط الملحة حتى يمكن للحزب أن يلعب دوره القيادي الواضح للشعب.**) ([387])

---

[384]- نفسه، ص94-97

[385]- الزبيري، **تاريخ الجزائر المعاصر**، ج2، مرجع سابق، ص 258

[386]- **النصوص الأساسية..** ، مصدر سابق،ص 93

[387]- نفسه،ص 95 .

خلاصة الرأي بشأن ما تضمنه الملحق، أنه استغل أمية جماهير لا تفهم مدلولات المفاهيم الأيديولوجية والسياسية التي طرحها بشكل واضح، وذهب من ثم - كما يؤكد د.زبيري - إلى صياغة البرنامج والملحق بنية مبيتة على هذه الطبيعة والشكل بهدف التضليل التاريخي، والتقويم الأيديولوجي والسياسي المزدوج؛ وبالتالي تضييع هدف الثورة في النهاية. جاء في كلام الدكتور معلقا: (**إن إعداد الملحق بهذه الصيغة كان مقصودا من أجل دفع الثورة إلى طريق الانحراف، بواسطة عزل القواعد النضالية والمنظمات الجماهيرية عن أيديولوجية الحزب.**) [388]

وفي سبيل ضمان ذلك عاجلا وزيادة في الغموض، فقد عمدت اللجنة المحررة بميولها اليسارية إلى تأجيل التوضيحات الضرورية بشأن المسألة الأيديولوجية في كل أبعادها ومستوياتها... إلى فترة ما بعد الاستقلال؛ حتى يتسنى لها الحسم أولا في قضية الزعامة التموقع السياسي، ولتضمن بعدها السيطرة على أجهزة التسيير وتوجيه القرار السياسي الوطني بواسطة أجهزة حيوية: كالإعلام، الثقافة، والشؤون الدينية ...الخ. وقد وضح الدكتور زبيري هذا المخطط الخفي لهذا اللوبي لفرانكو- شيوعي بالقول: (**...ولأن مجموعة العمل كانت تعرف كل ذلك، فإنها لجأت إلى خلط الأوراق وتأجيل التوضيح الأيديولوجي إلى ما بعد الدخول إلى أرض الوطن.**) (18مكرر) للاستيلاء على الحكم أولا، واستعمار الجزائر من جديد: مفاهيميا وإيديولوجيا وسياسيا ! أما بخصوص القوانين الأساسية للحزب، فقد تبنى المجلس الوطني للثورة الجزائرية النصوص نفسها التي صادق عليها في دورته الرابعة المنعقدة بطرابلس ديسمبر- كانون الأول 1959م، المعروفة "**بالقانون الأساسي**" للجبهة على عهد الثورة، وقد تم نقلها حرفيا دون تغيير لتصبح "**قوانين أساسية للحزب**" ! فهل ذلك من الواقعية الأساسية والموضوعية الاجتماعية، أن تسقط ما يصلح على عهد الثورة - حرفيا- على مرحلة الاستقلال؟ تلك إحدى مفارقات هذه الدورة وتخريجات لجنة الصياغة للنصوص المبنية على النية المغرضة، والعجلة غير المبررة في حسم قضايا خطيرة في حياة الأمة.

ما يمكن أن نخلص إليه بشأن برنامج طرابلس 1962م وملحقه: مضمونا، إيديولوجية، أهدافا، ووسائل...الخ. هو أن البرنامج صيغ من قبل فريق عمل غير مؤهل، وأناس معروفين بمحدودية المكانة والوزن الثوري، لم يحظ أحد منهم بالموقع الفكري أو ألتنظيري الذي يؤهله لمثل هذه المهام الحيوية والخطيرة في حياة الأمة

---

[388]- الزبيري ، **مرجع سابق** ،ص 261 –262

الجزائرية. من ثم فقد عبثوا قدر ما يستطيعون بمرجعياتها، كما جازفوا بطموحاتها وتطلعها المستقبلي ! للأسف فإن نفس العمل والموقف اتخذه أعضاء المجلس الوطني للثورة من خلال واقع الإهمال، اللامبالاة، وسوء التقدير لأهمية مثل هذه النصوص والوثائق في حياة الناس ومستقبل الوطن ؟ فجاءت المصادقة عليها دون قراءة أو نقد وتقويم !! طبعا ليتفرغوا لصراعاتهم المحمومة على السلطة والحكم؛ فكرسوا بهذا السلوك الأرعن تقليدا تنظيميا وسياسيا سيصبح- للأسف- ثابت من ثوابت سياسة وضع الخيارات والوثائق في حياة النظام السياسي والدولة الجزائرية لاحقا، بعد عرضها للاستفتاءات الشعبية دون وعي وتقدير شعبي مسؤول! بل كثيرا ما تفرض بطرق غير شرعية.

وقد أكد بن بله هذا المعني بصراحة - بشأن برنامج طرابلس- في حواره مع **"روبير ميرل"** ؛ إذ يقول أن الإجماع على: (**مشروع برنامج لتحقيق الثورة الديمقراطية الشعبية** (لم يكن) **لأن المؤتمرين كانونا جميعا اشتراكيين، بل لأن الذين لم يكونوا اشتراكيين كانوا بدون شك يفكرون بالبون البعيد بين المصادقة على منهج وتطبيقه.**) [389] وهذا - في رأينا - تبرير غير مقنع ولا مسئول **"للجريمة الإيديولوجية"** سيظل هو أحد المسئولين عنها ؟ كما علق محمد حربي - أحد محرري البرنامج- بعد الاستقلال عن هذا البرنامج بالقول بأنه: (**يعبر عن بيروقراطية قيد التكوين**) ليضيف: (**وليس صدفة أن يؤدي تطبيق هذا البرنامج إلى تكوين نظام اجتماعي سياسي يجمع بين مساوئ الرأسمالية، ومساوئ الأنظمة البيروقراطية (الشيوعية في بلدان الشرق.**)[390] ، وشهد شاهد من أهلها !

هذا عن برنامج طرابلس ومضمونه. فماذا عن الشق الثاني من جدول الأعمال الذي تضمنه مؤتمر طرابلس 1962م؛ وهو الصراع حول السلطة، وتكوين المكتب السياسي ؟ ذلك ما سنتناوله في العنصر الموالي بالعرض والتحليل.

<u>الصراع على السلطة بين الإخوة والأعداء ... وأزمة صيف 1962!</u>

---

[389]- روبرت مول، ، **مذكرات أحمد بن بلة**، ترجمة العفيف لخضر ط2، دار الكتاب، بيروت 1979، ص 135

[390]- محمد حربي، **جبهة التحرير الأسطورة والواقع**، مرجع سابق، ص 275

عادة ما يرافق الانتقال من واقع وموقع النضال التحرري سياسيا كان أم مسلحا، إلى مرحلة الاستقلال وجني ثمرته، وكذا العمل على تكوين قيادة وطنية جديدة تحكم وتدبر السلطة الوليدة... حالات من الفوضى والنزاعات والاضطرابات التي قد تصل إلى حد المواجهة المسلحة بين الإخوة الأعداء! وحالة الجزائر عشية الاستقلال ليست بمعزل عن هذا المعطى؛ فقد وجدت في إشكالية التكيف مع الوضع الجديد من الصعوبة والتعقيد ما عجزت قيادات الثورة عن إيجاد حلول لها، إلا بعد أن لجأت إلى القوة كخيار للحسم فيما بينها !؟ يذكرنا الكاتب الأمريكي وليام ب كواندت بشروط وعوامل للتكيف مع الوضع الجديد، لإرساء قواعد السلم المدني، وهي ثلاث:

1- توفر الفنيين الإداريين وتسلمهم الإدارة الجديدة بكفاءة ومسؤولية.

2- الدور الذي تلعبه الشخصية "**الكاريزمتية**" الجامعة؛ تلك التي لها من الصفات الخارقة ما يجعلها قادرة على صناعة التكيف بأمان.

3- وجود حزب وطني كبير يملك ويتوفر على قدرة عالية للتكيف مع الوسط السياسي الجديد، ومستلزماته.[391]

للأسف فإن حالة الجزائر عشية الاستقلال لم تكن تحظى بواحد من العوامل الثلاث بصفة كاملة، فضلا عن بقية العوامل مجتمعة. بل الذي كان متوفرا حسب كواندت "kwindat" هو: (...**خلفيات من انعدام الثقة (**داخل جبهة التحرير**) وقد أتاح الاستقلال الفرصة لتسوية الخلافات التي كانت غير ظاهرة بسبب الهدف الأكبر وهو المحافظة على واجهة للوحدة على الأقل حتى انتهاء مفاوضات أيفيان.)**(123مكرر) هذا الأمر أفضى إلى قيام أزمة سياسة وعسكرية حادة بدءا من جوان- يوليو 1962م لتستمر حتى مطلع سبتمبر- أيلول 1962، لتحسم دون تراضي لصالح الفريق الذي بيده القوة العسكرية والأقوى "**فريق بن بله**"؛ بذلك فتح الاستقلال الجديد على المجهول !؟

كانت محطة طرابلس أواخر ماي- أيار مطلع جوان يونيو 1962، آخر محاولة لرأب الصدع - الذي ازداد اتساعا بين الحكومة وقيادة الأركان و"الباءات الثلاثة"- على الأقل لأجل الحفاظ على مظهر الوحدة الثورية قبل انهيارها، و قد مثلت امتحانا واختبارا قاسيا لصدق القيادة الثورية وإخلاصها، ومدى قدرتها على تجاوز خلافاتها وحساباتها !؟ قبل أن نتعرض لفصول الأزمة التي نشبت في دورة المجلس الوطني للثورة الأخير بطرابلس

---

[391]- كواندت، **الثورة والقيادة السياسية**، مرجع سابق، ص 188

وتداعياتها، يجدر بنا تلخيص أسباب الأزمة السابقة بين الحكومة وقيادة الأركان، و"الباءات" - المشار إليها- حتى نضع الصراع في سياقه التاريخي والسياسي وتتمثل في: [392]

1- الرغبة الجامحة التي سكنت "الباءات" التاريخيين للانفراد بالسلطة الثورية، حيث ظهرت هذه الرغبة مباشرة بعد نهاية مؤتمر الصومام 1956م، والدخول في صراع عنيف ضد عبان رمضان - الرجل السياسي القوي- بهدف إقصائه، ثم تدبير عملية تصفيته في ديسمبر- كانون الأول سنة 1957م

2- خطأ المجلس الوطني للثورة في دورته الثالثة ديسمبر- كانون الأول 1959، جانفي - كانون الثاني1960؛ حينما أقبل على إلغاء وزارة القوات المسلحة ليعوضها بلجنة وزارية للحرب"CIG" متكونة من "الباءات"، ثم أنشأ **"هيئة الأركان العامة"** بقيادة هواري بومدين وهو الأمر الذي خلق ازدواجية السلطة.

3- إقرار نفس الدورة السابقة للمجلس الوطني للثورة أمرا يقضي بضرورة دخول هيئة الأركان أرض المعركة داخل الوطن، وإصدار حكومة بن خده الثالثة أمرا تنفيذيا مماثلا حدد آخر أجل لتطبيقه بتاريخ 31 مارس- آذار1961م. لكن هيئة الأركان أدارت ظهرها للقرارين ولم تنفذهما ؟

4- رفض قيادة الأركان الدخول إلى الوطن- خوفا من خطي شارل وموريس المحكمين- والتذرع بحجة عدم استعداد الولايات في الداخل للانضواء تحت سلطتها وقيادتها الموحدة... وبالتالي شقها عصا الطاعة، لتتحول بالتدرج إلى معارض شرس منافس للحكومة.

5- إقبال قيادة الأركان العامة على تقديم استقالتها في جويلية - يوليو 1961م، وخروجها من تونس إلى ألمانيا، ثم العودة في ظل تردد حكومة بن خده في قبولها الاستقالة ! بل سعيها إلى إقناعها بالتراجع... وقد عزز من موقع قيادة الأركان في صراعها ضد الحكومة - بعد عودتها من ألمانيا في صورة أقوى، وبشرعية عسكرية جديدة- مكنتها من إحكام سيطرتها على جيش الحدود.

واكتفت الحكومة بمراسلة قادة ولايات الداخل تطلب دعمهم، وعدم التعامل مع قيادة الأركان؟ مع إرجاء بحث المشكلة في دورة المجلس الوطني للثورة القادمة... ومن ثم تأجيل الخلاف لتكون محطة طرحه في طرابلس. فكيف حدث ذلك ؟

(120 مكرر)- نفسه، ص 188

392- الزبيري، **تاريخ الجزائر المعاصر**، ج2، صص 355-358

كما سبق وأن ذكرنا فإن دورة طرابلس الأخيرة تعرضت إلى نقطتين أساسيتين:

الأولى: هي بحث تحديد برنامج دقيق - برنامج طرابلس- وقد تحدثنا عنه بإسهاب في العنصر السابق.

الثانية: انتخاب قيادة سياسية للثورة من خلال إنشاء المكتب السياسي، ليقود المرحلة الانتقالية في انتظار انتخاب المجلس التأسيسي الذي سيعين حكومة جديدة لإدارة الاستقلال.

وقد تم تداول اقتراحين في أروقة الدورة بهذا الخصوص؛ لتشكيل المكتب السياسي هما:

أ- اقتراح أحمد بن بلة: المتكون من سبعة (07) أعضاء وهم السادة: محمد خيضر، محمد بوضياف ، وآيت أحمد الحسين ، رابح بيطاط ، أحمد بن بله، محمدي السعيد، الحاج بن علة. وقد روعي في الاقتراح البعدين التاريخي والعسكري، دون الأخذ بعين الاعتبار لبعد التمثيل للمناطق، والهيئات والأجهزة، وكذا الكفاءة الفنية والعلمية.. الخ..

ب- اقتراح كريم بلقاسم : وقد تضمن تسعة (09) أعضاء وهم السادة : آيت أحمد، بوضياف، بن بله، خيضر، بيطاط، كريم، لخضر بن طوبال، عبد الحفيظ بوصوف، وسعد دحلب. يلاحظ أن الاقتراح الثاني أقرب إلى التمثيلية من الأول؛ ذلك أن كريم لم يقص التاريخين كلهم بما فيهم المسجونين، بينما عمد بن بله في اقتراحه إلى إقصاء كريم؛ وهو الرجل التاريخي النوفمبري؟ هذا الذي جعل كريم - حسب محمد عباس- ينتفض غاضبا ويقول: (**ها قد اتضح الموقف الآن، ألم أقل لكم أن هدف بن بلة هو الاستيلاء على السلطة وأؤكدها بوضوح أنني سأعترض سبيل كل محاولة للحكم الفردي.**) [393]

فعلا فإن كريم ناصر "**الشرعية**"؛ ممثلة في الحكومة المؤقتة حتى الاستقلال، ليخوض بعدها معارضة شرسة ضد بن بله وحلفائه بعد الاستقلال.

عرض الاقتراحان للتصويت فحازت قائمة بن بلة على أصوات 33 عضوا مقابل 31 صوتا لقائمة كريم، ويبدو فارق الصوتين (02) ضئيلا؛ مما يستوجب التوافق وإمكانية رفع العدد إلى 11 عضوا ليكون بذلك الكل ممثلا. أو الأخذ برأي ابن خده الذي طرح صيغتين للحل هما:

1- توسيع الحكومة إلى ثلاثة أعضاء آخرين وهم: عباس فرحات، بومدين، والحاج بن علة. وبذلك تتحول من 12 إلى 15 عضوا، كما يقع ضمان التمثيل السياسي لكل التيارات والفئات.

393 -Ben Khedda : **l'Algérie à l'indépendance**…op cit p21

2- تكوين المكتب السياسي برئيسين هما: **ابن خده، الحاج بن علة**، لكن الاقتراحان رفضا بالأغلبية من قبل أعضاء الحكومة. الأمر الذي دفع ابن خده -باعتباره رئيسا للحكومة- إلى إصدار قرار بعزل قيادة الأركان في 30 جوان- يونيو 1962، لكن القرار جاء بعد فوات الأوان؟ حيث رفض القرار واستأنفت المواجهة من جديد بين الطرفين.

من جهة ثانية فإن بن بله رفض تواجد"الباءات الثلاثة" بالمكتب السياسي القادم؛ باعتبارهم سرطان الأزمة في نظره. وحسب علي كافي [(394)] فإن اقتراح بن بله مرر بأقلية الأصوات، لكن المواجهة حصلت بشأن الأعضاء غير المسجونين؛ مما استدعى رفع الجلسة للتشاور في الكواليس، لإنقاذ الموقف؟ خاصة بعد شدة الخلاف والاعتراضات التي حصلت بشأن موضوع الوكالات، وتصحيحها الإجرائي. وكانت هذه الأخيرة بحوزة بوصوف وبن طوبال، وابن خده؛ وكلهم خصوم ابن بله ! مما جعل هذا الأخير يعترض عليها خشية أن تستعمل ضده وضد مطامح حلفائه في قيادة الأركان، متمثلة في الاستيلاء على المكتب السياسي . وعقد اجتماع تشاوري غير رسمي - حسب كافي دائما - بحضور 22 مسئولا من مختلف أجهزة الثورة وهيئاتها في الداخل والخارج... خرج باقتراح ثلاثة حلول كصيغ لحل الأزمة لضمان وفاق سياسي،هي:

1- ضرورة احترام الشرعية للحفاظ على وحدة الصف في هذه المرحلة الخطرة التي يجتازها للثورة .

2- تحاشي كل ما من شأنه أن ينال من الثورة فوق أراضي الأشقاء الليبيين، مما يؤثر سلبا على سمعتها ويصيبهم بخيبة أمل (الليبيون)؛ وهم أصحاب فضل ونصرة.

3- تفويت الفرصة على العدو (فرنسا) وقطع دابر دعايتها المنذرة بحدوث فوضى بعد رحيلها من الجزائر.

وقع الاتفاق على **"مكتب سياسي"** من سبعة (07) أعضاء هم: (الخمس المسجونين يضاف إليهم كريم بلقاسم بعد تنازل كل من بن طوبال، وبوصوف لتسهيل التسوية، والحاج بن علة) ، حسب كافي فقد كلف شخصيا بتبليغ القرار المختار لابن بله، وتمكن من إقناعه به ؛ لكن عمل الخفاء والتآمر لعب دوره من خلال **"رابح بلوصيف"** الذي اتصل بابن بله ليلا وقال له: **(لا تكن واهما فقد اتفقوا ضدك!)**(123مكرر). كان ذلك حسب روايته كافيا ليغير الرجل موقفه ويتصلب، وبالتالي تعود الأزمة إلى نقطة الصفر! أي إلى مسألة **تصحيح الوكالات**، التي كان قد قدمها العقيد الطاهر زبيري ولم يعلم بها الحكومة في حينها !؟ في اجتماع 04 جوان- يونيو 1962، وقع

---

[394]- على كافي **المذكرات**، مصدر سابق، ص 283-291

الإصرار على ذلك ! مما أدى إلى حدوث القطيعة النهائية؛ حيث انتهى الصراع بين الإخوة الأعداء بتموقع كل طرف إلى جانب حليفة:

* **مجموعة ابن بله:** مع هيئة الأركان والولايات: الأولى، السادسة، والخامسة.

* **مجموعة ابن خدة:** مع باقي الولايات (2-3-4-5) إضافة إلى فيدرالية الجبهة بفرنسا.

غير أن الطرف الأقوى المنتصر كان هو فريق ابن بله؛ بسبب اصطفاف قيادة الأركان إلى جانبه ودعمه، بذلك كرسوا سلطة القوة، لا قوة السلطة وشرعيتها القانونية والسياسية؛ في حسم النزاع بل أصبحت أسلوب جل خيارات المستقبل السياسة في جزائر الاستقلال!!

يعلق كافي على ذلك بالقول: (**شكل ذلك مأساة حقيقية وصدمة عنيفة لحاملي جذوة الوطنية والثورة.**) [395] بينما يبرر بومدين - قائد هيئة الأركان- سبب انحيازه إلى بن بله بـأن: (**أعضاء حكومة ابن خده عملوا على إنشاء سلطات إقطاعية بيروقراطية جمعت الانتهازيين وانحرفوا عن الثورة وهدفها...**)[396] وأن حقيقة الأزمة كانت بين **"ساسة تقليدين محترفين"** وبين **"مناضلين ثور رين"** ، و قد أبلغ القادة الخمس المسجونين بهذه التجاوزات والانحرافات، ليؤكد بأنه رحب بابن بلة لما جاءهم ووقف إلى جانبهم باعتباره **"ثوري مع الثوريين"**.

في المقابل فقد كانت هناك أصوات واقتراحات حسب سليمان الشيخ، لكنها لم تحظ بالصوت المسموع. [397] وقد انتهى كل ذلك العراك إلى قرار خطير؛ يمكن اعتباره -من ناحية أخرى- **"قرارا مسئول !"** حسب التبريرات المقدمة من أصحابه؛ يتمثل في انسحاب بن خده وحلفائه ليلة 06 إلى 07 جوان- يوليو1962م، وعودتهم إلى الجزائر. [****...] وبالتالي تعليق دورة المجلس دون إيقافها، ليفتح بذلك فصلا جديدا من المواجهة والصراع على السلطة بين الطرفين ولكن هذه المرة -ولأول مرة - على أرض الوطن.

يذكر الرائد بورقعة في مذكراته أن الصراعات التي تنامت بين أعضاء القيادة الثورية في مؤتمر طرابلس62 ؛ لم تحركها سوى دوافع السلطة والزعامة، لا مصلحة الوطن والثورة. قائلا: (**أن ما حدث في طرابلس كان شبه انقلاب على الحكومة المؤقتة.**) وهذا ما دفعه حسبه إلى الانحياز مع قيادة الولاية الرابعة

395- نفس المصدر.

396- لونيسي، **التجربة الديمقراطية**، مرجع سابق، ص 312.

397- لطفي الخولي ،**عن الثورة في الثورة**، **حوار مع بومدين**، منشورات التجمع الجزائري البومديني الإسلامي، الجزائر ؟ ص 93-115

(****...) انظر المحضر المحرر الموقع عليه من قبل الأعضاء الباقين في اجتماع طرابلس بالملحق رقم09 - صص466-467

وإلى ابن خده وجماعته. ليؤكد أن قيادة الولاية الرابعة كانت قد التزمت موقف الحياد لاحقا حيال الصراع الذي احتدم داخل الوطن بين الحكومة وقيادة الأركان (أو جيش الحدود كما يسمى آنذاك)، فيقول: (**إن التاريخ يسجل لبن يوسف بن خده أنه لم يشارك في إشعال نار الفتنة والتكالب على السلطة كغيره، وكان بإمكانه أن يفعل وهو رئيس الجمهورية** (يقصد الحكومة المؤقتة) **الجزائرية المؤقتة، وشريك مع غيره في السلطة... ربما لأن قاعدته الجهوية لم تستجب كما استجابت جهات أخرى لشخصياتها البارزة في السلطة المدنية والعسكرية.)** (398)

من جانبه برر ابن خده سبب انسحابه مع حلفائه بوضياف، وكريم وآخرون بالقول: (**بأنه خشي على الحكومة المؤقتة المسؤولة مباشرة عن توقيع اتفاقيات أيفيان، وخشي أيضا أن يقود استمرار الخلاف إلى تفجير الأوضاع، فتحمل المسؤولية كاملة.)** (399) غادر طرابلس حسب د. الزبيري ليلة 07 جوان - يونيو62 ، و يؤكد محمد حربي نفس التاريخ أيضا.

في نفس السياق يعلق محمد بوضياف عما جرى في طرابلس من صراع، وسقوط مستوى النقاش إلى الحضيض مع انفراط عقد المؤتمرين... وعودتهم تباعا إلى الجزائر؛ لاحتلال كل واحد منهم حصته وحظه من الكعكة - حسب تعبير مالك بن نبي- ، فيقول: (**منذ ذلك الحين بدأت أدرك حقيقة العبارة التي قالها لنا المرحوم محمد بن يحي وقد جاءنا يزورنا "بأولونو" :إن ثورتنا عبارة عن فيل برأس إبرة.)** (400) بينما يصف "كافي" ذلك الموقف الصعب والمحزن والمآل المجهول للمؤتمر ومصير الثورة...والجزائر كلها، بالقول: (**إنه مؤتمر الانفجار ونهاية الشرعية، وانتصار المغامرة... الغائب الأكبر في هذا الاجتماع الأخير هي روح أول نوفمبر.)** (401)

الملاحظ عند تفحص جل هذه التعليقات والمواقف، أنها تمثل في معظمها آراء المجموعة الثانية "**مجموعة ابن خده**"، وتنتصر لرأيها وتصرفها؛ مستندين في ذلك إلى أسس من الشرعية السياسية والقانونية، ظلت

---

[398]- لخضر بورقعة، ، **شاهد على اغتيال الثورة**، مرجع سابق، ص 103

[399]- الزبيري، **تاريخ الجزائر المعاصر**،... مرجع سابق، ص 280، كما قال في موضع آخر (**فضل مصلحة الدولة الجزائرية على صراعات عظيمة، وبالتالي الإبقاء على الحكومة المؤقتة كحارسة لاتفاقية أيفيان أمام المتطرفين الأوروبيين)**- أنظر رسالته إلى مؤتمر الجبهة سنة 1964.

[400]-محمد عباس، **ثوار عظماء**،مرجع سابق، ص 31.

[401]- كافي، **المذكرات**، مصدر سابق ، ص 291-292

الحكومة المؤقتة تتمتع بها كممثل للشعب الجزائري والثورة، خاصة وأن دورة طرابلس الأخيرة نفسها لم تتخذ أي قرارا بحلها، حتى حدث الانقلاب عليها في الداخل (العاصمة) أو بالأحرى في بومرداس صيف 1962م.

* فماذا يرى فريق ابن بلة في سلوكهم وسلوك الفريق الآخر المنتخب من الدورة ؟ وكيف سيتصرفون ؟ لقد بادر ابن بله وفريقه إلى اتهام الحكومة المؤقتة ورئيسها ابن خده بالتقصير، وأعد لائحة اتهام بهذا الخصوص، عرضها على التصويت لتحصل على عشرة (10) أصوات؛ أصحابها هم: "**ابن بله، خيضر، بيطاط، بومدين، ومحمدي السعيد، علي منجلي، عباس فرحات، أحمد فرانسيس،وأحمد بومنجل**". وقد حصل زواج غريب بين الثلاثي السياسي، مع الثلاثي العسكري، مع الثلاثي البياني في الترتيب المذكور؛ ولم يكن غريبا ما كان بين السياسيين التاريخيين والعسكريين؛ لكن الأغرب أن يتحالف عباس ضد الشرعية ! وهو الزعيم الديمقراطي الليبرالي الذي كان قد وصفه ابن بله- حليف اليوم من قبل بـ "**بالبرجوازي الاندماجي الذي يريد أن يحل محل الكولون**" [402] انه أمر غير مفهوم!

حسب السيد: مصطفى هشماوي فقد وضعت المجموعة المتبقية في طرابلس، مجموعة أحمد بن بله وحليفة القوى"هيئة الأركان" بقيادة هواري بومدين محضرا بما جرى مع إعلانها عن مكتب سياسي من طرفها؛ بديلا ليحل محل المجلس الوطني للثورة الجزائرية، الذي حل تلقائيا بانتهاء هذه الدورة وانتهت مهمته.

الملاحظ على المحضر- سبقت الإشارة إلى مضمونه- أن محرريه وموقعيه ادعوا التصويت بالإجماع على النقطة الثانية المتعلقة بتشكيل المكتب السياسي، وهو أمر لم يحدث؟ وإلا لماذا غادرت مجموعة ابن خده إذا كان ذلك صحيحا ؟ كما عبر كذلك عن قائمة المكتب السياسي"**بقائمة تصلح**" وهذا ما يعني عدم الإجماع حولها، بل إنها تمثل رغبة ورأي مجموعة بعينها. أخيرا الإقرار بأن دورة المجلس لم تكتمل بسبب مغادرة رئيس الحكومة ابن خده، مما يعني أن الدورة علقت، وقراراتها لم تخط بالموافقة والإجماع اللازمين ما عدا برنامج طرابلس62 ؛ وهو أمر يؤكد عدم شرعية ما صدر واعتمد من الجلسة، باستثناء ما ذكر وأجمع عليه؛ وهو برنامج طرابلس .

<u>تسوية صيف 1962... والشرعية المطعون فيها !</u>

كتب د. سليمان الشيخ بشأن تداعيات ما جرى في مؤتمر طرابلس الأخير، وتأثير ذلك على حدوث أزمة صيف 1962م قائلا: (**... هكذا فإن الجزائر بعد استفتاء أول جويلية تصل يوم 03 جويلية ، إلى الاستقلال في**

---

[402]- رابح لونيسي، **الجزائر في دوامة الصراع**، مرجع سابق، ص 56.

جو مضطرب خاص... وأخيرا فإن أزمة جبهة التحرير الداخلية فقد ساعدت على زيادة الإضراب العام، فكان وصول الجزائر إلى الاستقلال في مثل هذه الظروف كان نصرا بقدر ما كان هزيمة، كان نصرا لأن الهدف المعين للنضال قد بلغ (الاستقلال السياسي)، **وكان هزيمة لأن جبهة التحرير لم تستطع مجابهة مرحلة الاستقلال، ولم تستطع التغلب على خلافاتها... إنها في الحقيقة كل معقد متجه إلى نفس الغاية.)** [403]

في نفس الاتجاه والحكم، يقيم "كواندت" ما تمخض عن اجتماع طرابلس بعد تحليله لواقع الصراع بين جماعات النفوذ، والتخريج المسرحي الذي حصل بعد مغادرة فريق ابن خده للاجتماع؛ حيث استأثر بن بله وجماعته بالقرار والأمر كله، وذهبوا يتصرفون وكأنهم أصحاب **"سلطة شرعية"**، فجاء حكم "وليام كواندت" على دورة طرابلس قاسيا، لكنه موضوعي يقول: **(وباختصار فقد فشل اجتماع طرابلس في حل أي مشكلة سياسية، داخل القيادة، ونجح في تبني برنامج حول الأمور العامة، وحتى الاستقلال الذي تأكد فيما بعد باستفتاء الأول من تموز (جويلية)، فقد ظهرت أزمة القيادة الداخلية غير محلوله على شكل صراع مكشوف على السلطة.)** [404]

لعلنا إذا عمدنا إلى تفكيك عناصر الأزمة، بحثنا عن أسبابها العامة يمكننا القول: بأنها تعود بصفة خاصة إلى تلك التركيبة الهشة بل المفككة لجبهة التحرير خاصة، وغياب رؤية موحدة حول فكرة بناء الدولة والمجتمع لدى قيادتها الثورية، ثم إلى تعدد الأقطاب والرؤوس المسيرة والموجهة للثورة، وتنافرها إلى حد القطيعة: (ولايات الداخل، رئاسة الحكومة المؤقتة، هيئة الأركان المعتقلون الخمسة، الاتحاد الفرنسي لجبهة التحرير، وتنظيمات الطلبة الفرعية والعمال، الليبراليون الخارجون من الحكومة... الخ). بالتالي فإن التوفيق وتوحيد هذه القوى كان آمرا مستحيلا ؟ مما استوجب اللجوء إلى الحسم عبر **"القوة!"** وقد نقل عن ابن بلة أنه قال بشأن تحالفه مع قيادة الأركان: **(لم أتحالف معهم لأفكارهم ولكن لقوتهم.)** [405]

بذلك يكشف عن حقيقة الصراع والتحالفات القائمة؛ كونها لم تكن تنطلق من خلفيات وطنية أو ثورية أو حتى من مصلحة الجماهير المسحوقة، بقدر ما كانت تعبر عن نزعة السيطرة على السلطة والحكم، فهي المغذي الأول لها !... ولما لم تكن عند بن بله قناعات أيديولوجية واضحة، فإننا نجده تارة يظهر بأيديولوجية قومية

---

[403]- سليمان الشيخ، **الجزائر تحمل السلاح**، مرجع سابق، ص 138.

[404]- كواندت، **الثورة والقيادة السياسية**، مرجع سابق، ص 214.

[405]- نفس المرجع، ص 221.

عربية؛ كما فعل يوم نزل بمطار تونس يوم إطلاق سراحه، حيث صرح: " **نحن عرب** ، **نحن عرب، نحن عرب!!** ". وهو إيحاء ذو رسالتين: **الأولى** موجهة لكريم بلقاسم "**القبائلي**"، الذي طالما رغب في تزعم الثورة وحاول استعمال ورقة القبائل وعناصرها في الجيش والسلطة لبلوغ أهدافه. و**الثانية** موجهة لبورقيبة "**التغريبي - الفرانكفوني !**"، لكن هل التزم بن بله فعلا بذلك ؟ لا ! بل حمل شعار «الاشتراكية"، و"**الإسلام**" ثم الثلاث معا: " **الوطنية**، و**الاشتراكية**، و**الإسلام."** ومن ثم فقد استطاع أن يلعب هذه اللعبة بمحاباة كل من الليبراليين:عباس فرحات، وفرانسيس... وغيرهما. وقد صرح عباس عند دخوله تلمسان يوم 17 جويلية - يوليو 1962، بعد عودته من طرابلس قائلا: (**جئنا هنا للوقوف إلى جانب الشرعية الثورية .**)[406] ، ويمكن أن ندخل موقف عباس هذا في سياق موضوع "**تصفية حساب قديم !**" مع ابن خده؛ خصمه السياسي الذي حل محله في الحكومة الثالثة / أوت - آب 1961م، وتمكن بن بله من تجميع بعض قادة الولايات (1،2،5،6)، والعسكريين (بومدين ورفاقه...)؛ بل وصل به الآمر إلى حد توريط من يسمون بالمثقفين " و**الخبراء**" و"**التقنيين."** أمثال: **عمار أوزقان، محمد حربي ...** وآخرين، في لعبته للسيطرة والسطو على الحكم ! وكان ثمن هذه المساندة البرغماتية - الشخصية للفئات المذكورة كبيرا وباهظا ؛ حيث سرعان ما تلاشى هذا التحالف، كما ضعفت سلطة قيادة بن بلة، وكثر خصومه ومعارضيه. ليتحول ميزان القوى إلى وزير دفاعه بومدين؛ الذي سينقلب عليه في أول فرصة متاحة، ويكون بذلك بن بله ضحية تحالفاته السابقة !

في 22 جويلية - يوليو 1962، أعلن بن بلة رسميا تشكيل المكتب السياسي وفقا لقرار طرابلس، وبدأ المكتب يمارس صلاحياته السياسية كبديل فعلي وسياسي لمؤسسة الحكومة المؤقتة، والمجلس الوطني للثورة معا. اكتسى نشاطه طابعا حكوميا؛ فوزع المهام على أعضائه. لكن ايت أحمد استقال في 27 من نفس الشهر، وبدا موقف ابن خده أكثر تعقلا ورزانة ومسؤولية؛ تغليبا للمصلحة الوطنية. ليقوم بمبادرة دعوة قادة الثورة إلى الاجتماع بالعاصمة لحل المشاكل دون أو إراقة الدماء. بعد وقت قصير ينسحب بوضياف أيضا من الكتب السياسي؛ ليعلن معارضته لبن بله ومجموعته .

في ظل هذه الأجواء المسمومة بجو البلاغات والبيانات الدعائية بين الطرفين؛ وبتاريخ 24 جويلية - يوليو1962، وجهت الحكومة الفرنسية - بعد اجتماعها- إنذارا للطرفين المتصارعين؛ عبر عنه "**الآن بيرفيت**"

---

[406]- نفس المرجع ،ص: 221 .

مما جاء فيه: (**إذا تفاقم الوضع قد تتدخل فرنسا مباشرة لحماية مواطنيها، وليس من تعاون ممكن إذا تهددت حياة الفرنسيين وأملاكهم .**) [407]

تلقى طرفا الصراع التحذير على محمل الجد، وساهم ذلك - إلى جانب عوامل أخرى- باحتلال قسنطينة من قبل قوات الولاية الأولى، مدعومة بقوات الحدود الشرقية التابعة لهيئة الأركان، وانعزل كريم و بوضياف داخل الحكومة... وغيرها. قلت كل هذه العوامل وغيرها ساهمت في صناعة تسوية 02 أوت - آب 1962 م؛ حيث قبلت الحكومة المؤقتة بقيادة ابن خده الاعتراف "**بالمكتب السياسي**" المعلن، وبالتالي إعلان الجميع نهاية عمل المجلس الوطني للثورة وحله، نفس الأمر مس الحكومة للمؤقتة بصفة نهائية؛ كمؤسستين قياديتين موروثتين عن الثورة !... هكذا أصبح المكتب السياسي يتمتع بصلاحيات الحكومة، و جبهة التحرير معا! وكان الاتفاق الموقع بين الطرفين في مقر الولاية بالجزائر العاصمة من قبل محمد خيضر، ورابح بيطاط باسم المكتب السياسي مع بن خدة قد نص على:

1- إعادة النظر في المكتب السياسي.

2- انتخاب مجلس تأسيس وطني.

3- دعوة مجلس الثورة للانعقاد بعد أسبوع من الانتخابات التشريعية القادمة، من أجل دراسة أوضاع البلاد وتسوية مشكلة القيادة "المكتب السياسي" العالقة. [408] لكن ظروف الأزمة لم تمكن ابن بله من أن يدعو للاجتماع .

تم حسم الموقف عسكريا لصالح قوات جيش الحدود، ودخل بن بله وحلفائه العاصمة بالقوة، وسقط آلاف الشهداء على أيدي الجزائريين من الطرفين. ولم تنته المواجهة إلا بعد تحريك **اتحاد العمال الجزائريين** للشعب؛ الذي خرج في مظاهرات ومسيرات احتجاجية بالعاصمة، رافعا شعار "**سبع سنين بركات**" ،فكان الشعب بذلك مرة أخرى في الموعد.

هكذا انتهت المعارك برضوخ قيادة الولاية الرابعة ودخولها في مفاوضات مع المكتب السياسي، باتفاق 09 سبتمبر- أيلول 1962م. لتنسحب قوات الولاية الرابعة من الجزائر، وتدخلها قوات جيش الحدود، الذي أصبح

407- إبراهيم لونيسي، **التجربة الديمقراطية**، مرجع سابق، ص 321
408- محمد عباس، **ثوار عظماء**... مرجع سابق، ص 134

يسمى "**الجيش الوطني الشعبي**". وأعلن بن بله أن: (**الجيش الوطني الشعبي هو اليوم في الجزائر، ويمكن أن أقول لكم إن المكتب السياسي قد انتصر بفضل الشعب.**)[409]، ترى هل انتصر فعلا بسلطة الشعب أم بغيرها ؟ ثم بعد ماذا تحقق هذا الانتصار؟

لقد تضمن الاتفاق:

1- تأجيل انتخابات المجلس التأسيسي إلى 20 سبتمبر- أيلول1962، ودخول المكتب السياسي إلى العاصمة وتقلده مسؤولياتها.

2- إعلان قيادة الولاية الثالثة والرابعة ثقتهم في المكتب السياسي برئاسة ابن بله.[410]

فعلا بتاريخ 20 سبتمبر- أيلول 1962، جرت أولى انتخابات في جزائر الاستقلال، بموجبها زكى الشعب القوائم المقدمة من المكتب السياسي لعضوية المجلس التأسيسي، وفي 26 منه تم تعيين أول حكومة جزائرية في دولة الاستقلال بقيادة أحمد بن بلة .

بذلك تنتهي ويحسم في أزمة الصراع على السلطة مؤقتا؛ لتدخل البلاد مرحلة جديدة وعهدا جديدا من الخصومات السياسية، ونمو المعارضة السياسية والمسلحة لحكومة بن بله؛ وصلت إلى حد المواجهة المباشرة سنة 1963 مع معارضة ايت أحمد - رفيق ابن بله في الكفاح والسجن أيضا.[*******]

تركيزا لكل ما سبق ذكره يمكن القول: بأن أزمة صيف 1962، كانت امتحانا صعبا وعصيبا في تاريخ جزائر الثورة والاستقلال؛ حيث كشفت قصورا وعجزا شديدين لدى جبهة التحرير الوطني في إدارة شؤون الثورة والقيادة، و حل باقي المشكلات المطروحة. وقد بينت تفاصيل الصراع وحيثياته وأطرافه، أنه كان صراع بين أفراد حول السلطة، لا صراع أفكار ومشاريع وبرامج تنافسية لخدمة الشعب والوطن!؟ أشار إلى ذلك الرئيس بن خده حينما أكد أن الأزمة لم تكن إيديولوجية ولا سياسية، بل كانت أزمة شخصية أخلاقية قائلا: (**لا يمكن بأي حال من الأحوال اعتبار أزمة صيف 1962 أزمة اختلاف إيديولوجي أو عقائدي، فمجموعة تلمسان لم تكن أكثر ...اشتراكية ولا تجديدية من مجموعة الجزائر، فبرنامج طرابلس الذي أقر النظام الاشتراكي**

409- محمد حربي، **جبهة التحرير**، مرجع سابق، ص 304

410 -Le monde, 03 Janvier 1963

(*******)- للمزيد من التفاصيل حول (**أزمة صيف 1962**) و استمراريتها، أنظر د.زبيري، **تاريخ الجزائر**، م.س، ص 306-308 وجريدة **le monde** الأعداد الصادرة بتواريـــخ: 08-09-جويلية 1962، و13 جويلية ، 20 جويلية ، ومصـادر ومراجع أخـرى.

والحزب الواحد صادق عليه الجميع في المجلس الوطني دون استثناء) فالأزمة في نظره: **(أخلاقية بسبب روح اللامسؤولية والمغامرة والديماغوجية، والفردية التي طغت على المصلحة العامة."**[411]

يتفق ابن بله - خصمه الدود في الصراع - في نظرته للأزمة، حيث يقدم تبريرا بشأن أسلوب إدارته للأزمة ولجوئه إلى استعمال القوة؛ بتوجيه اتهام ضمني إلى خصومه في قيادة الحكومة المؤقتة بأنهم دكتاتوريين يسعون إلى فرض سلطتهم على الشعب، وباسم الشعب صارحهم فيقول: (**... كنا دائما ضد عبادة الشخصية من أجل ذلك حاربنا مصالي الحاج، وإذا كان هناك من شعب واحد في العالم يرفض الدكتاتورية، فهو الشعب الجزائري.)** [412]

ترى أين يمكن تصنيف بن بله في هذه الأزمة وطريقته في أخذه السلطة وإدارة جزائر الاستقلال ؟! ثم أسلوب تعامله مع خصومه السياسيين في الأزمة - رفقاء نوفمبر - تشرين الثاني 1954، نزلاء السجن معه من أكتوبر - تشرين الأول 1956 حتى وقف القتال سنة 1962- عندما أقصاهم من قائمة التزكية المعروضة على الشعب لعضوية للمجلس التأسيسي ؟ ثم إقصائهم من الجهاز التنفيذي، أمثال: (**لجنة الستة**) ما عدا بيطاط ومجموعة 22 ، وعناصر "mtld "، و بن خده، علي كافي، ابن طوبال، وصوت العرب (بوبنيدر) ... وأسماء أخرى كثيرة .

هكذا إذا بدأ **"الاستقلال الجريح "، "النازف"**، المتعثر بالدماء والدموع... المواجهات والتناقضات، التي تنخر جسد الجبهة والجزائر معا؛ يزيدهما جروحا إضافية شدة ضربات السواعد الجزائرية ! بعد الخروج من معركة قاسية ضد العدو الفرنسي. زاد الأمر سوءا غياب المؤسسات التنظيمية والسياسية الفاعلة والقوية؛ تلك التي تحكمها آليات العمل الديمقراطي، والأخلاقية الوطنية والروح الثورية... ناهيك عن غياب روح المسؤولية، والشراكة في اتخاذ القرار واحترام القرار السيد للمؤسسات الشرعية، وغياب التنسيق بين القيادات...الخ .

كلها في الحقيقة عوامل صنعت الأزمة وجذرتها، كما أخفت الكثير من العيوب والأمراض التنظيمية والسياسية داخل الجبهة؛ كالبيروقراطية، الاستبداد، والفئوية، وغيرها. إلى أن جاءت لحظة الانفجار؛ الذي لولا لطف الله ويقظة المخلصين، ووقفة الشعب من جديد...لكانت الكارثة، ولضاعت ثمرة كل التضحيات الجسام

---

[411] -Ibn Khedda, : **l'Algérie à l'indépendance, la crise du …**op cit 1962 p 85
[412] -Le monde, le 12/09/1962.

وسبع سنوات ونصف من الكفاح المسلح والثوري؛ تلك التي دفع فيها الشعب الجزائري أغلى ما يملك؛ من دمه ونفسه وماله في سبيل الانعتاق والتحرير.

فماذا عن الدروس المستخلصة من أتون المعركة المريرة، ومن واقع صراع الإخوة الأعداء؟ وكيف تعامل برنامج طرابلس 1962، ودورة المجلس الوطني للثورة الأخيرة مع كل ذلك ؟

المبحث الرابع: **أهمية برنامج طرابلس بالنسبة للثورة والدروس المستخلصة منه .**

في سياق تتبع مسار التطور الفكري والسياسي للثورة، يستوقفنا أمران:

الأول: يتعلق بمبدأ **القيادة الجماعية** باعتباره أحد ثوابت إيديولوجية الحركة الوطنية، بل لا نبالغ إذا قلنا بأنه أحد ثوابت الشخصية الجزائرية عبر التاريخ؛ حيث أن الجزائريين بدو أكثر ميلا في تجارب حياتهم إلى تجسيد **"الروح الجماعية"** قليلا ما يقبلون بسلطة الفرد أو الزعيم؛ حيث لا يكون ذلك في الغالب إلا من زاوية القبول بالسلطة الروحية- الدينية والأخلاقية، أو من منطلق الالتزام بالقيم الاجتماعية والتقاليد القبلية...الخ. -طبعا غير تلك التي سادت في أوروبا القرون الوسطى - التي تحمل من قيم التضامن، احترام الكبير، والعالم (البيت، القبيلة ، العرش... الخ).

ما عدا هذا فإن الشعب الجزائري لم يقبل بالفردية والزعامتية، والحلول المؤقتة للأزمات والمواجهات الحاسمة؛ خاصة تلك المرتبطة باسترجاع قيم الحرية وتحرير الأوطان، والدفاع عن الكرامة الشخصية والإنسانية. عند هذه فقط نجده يسلس القيادة لمن يتولى شؤونه حتى إذا أنجز الهدف وتحققت الغاية، عاد إلى تمثل البعد الشعبوي- الجماعي في حياته الاجتماعية والسياسية. وقد أدرك قادة الرأي الفكري والسياسي في الجزائر على عهد الثورة هذه الخاصية، فاستفادوا من مواقف التاريخ - خاصة تلك التي لم تحترم أو المخالفة لهذه القيم - كما حدث بشأن تمرد عناصر بداخل حركة الانتصار للحريات بقيادة **"اللجنة المركزية"** على الزعيم مصالي الحاج؛ حينما سعى إلى الانفراد بإدارة الحزب والاستبداد بالرأي والموقف سنتي 1953-1954 م.

وعليه فقد أكدت قيادة نوفمبر- تشرين الثاني 1954م هذا المبدأ **"الجماعية"** والتزمت به، و ظل الثابت الوحيد الحاضر دوما في كل محطاتها في كامل مؤسساتها: التنفيذية والتشريعية، السياسية منها والعسكرية. وكلما حدثت محاولة لتعطيل هذا المبدأ أو الانحراف بالقرار الثوري بعيدا؛ حيث الفردية والتسلط...الخ، إلا ووجدت مواجهة عنيفة، ومقاومة شرسة ضد أصحابها بهدف حماية هذا **"الثابت المقدس"** في نظر الجزائريين. حتى في فترة الأزمات والصراعات حول السلطة - كما رأينا- فقد ظل يمثل الخيط الرفيع الذي يجمع الكل، فباءت محاولات عبان وكريم، بل حتى بن بله لتعطيله بالفشل الذر يع !

أما الأمر **الثاني**: فهو موضوع المرجعية الفكرية والإيديولوجية، وهي قضية من الأهمية والحساسية بمكان، هذا ما جعل جماعة الستة (06) المحضرة للثورة في اجتماعاتها الأخيرة شهر أكتوبر- تشرين الأول 1954م تطرح سؤالا جوهريا هو: هل ننظم ثم نفجر الثورة، أم نفجرها أولا؟ فكان اختيارهم واستقرارهم على الخيار الثاني "**التفجير أولا**"، وتأجيل الحسم في الخيارات الفكرية والسياسية إلى ما بعد. ورغم ما تضمنه بيان الفاتح من نوفمبر- تشرين الثاني 1954م من مبادئ عامة وإشارات وعبارات تؤكد على مرجعية الثورة: الوطنية، القومية والحضارية. والأهداف التي رسمت من وحي هذه المرجعية - أشرنا إلى هذه المسألة تفصيلا من قبل في الفصل الأول- إلا أن تحرير إيديولوجية واضحة دقيقة ومفصلة بهذا الخصوص لم يحدث للأسف؟ نفس الأمر كان في وثيقة الصومام 1956م ؛ التي حاول محرروها التأسيس لهذه الإيديولوجية، لكن الجانب التنظيمي والسياسي كان هو صاحب الحظ الأوفر من مضمون الوثيقة .

بذلك فإن قيادة جبهة التحرير لم تول العناية الكافية لهذا الموضوع، مما جعل"**جبهة التحرير الوطني**" والثورة تظهران في الفترة ما قبل طرابلس 1962، كما وكأنهما فاقدتان لإيديولوجية تشكل المرجعية الفكرية المؤطرة والمحركة لهما. أنتج ذلك في واقعهما غيابا واضحا لرؤية مستقبلية للهدف وللغاية من بناء الدولة والمجتمع !؟ باستثناء أهداف عامة "**كالاستقلال**" والتحرير، ودعم الروح الوطنية... وما إلى ذلك من الشعارات الغامضة التي كثيرا ما أعطيت لها تفسيرات مختلفة ومتناقضة من قبل: أصحاب التيارات الفكرية والسياسية التي استوعبتها الجبهة وصنعت منها ائتلافا غير متجانس! هذا الذي شكل في كثيرا من الأحيان خطوطا متوازية لا تلتقي إلا حول فكرتي محاربة العدو والاستقلال.. .وتغذية الصراعات البينية حول السلطة .

لعل هذا بالضبط ما جعل محمد بوضياف - أحد القادة التاريخيين للثورة ومؤسس الجبهة - يقول: (**حقا إن جبهة التحرير نجحت في توحيد الشعب أثناء الكفاح، لكنها لم تكن في مستوى تسييره في مرحلة الاستقلال، فقد كانت قيادة فاتح نوفمبر مسلحة بأفكار عمل بسيطة من أجل الاستقلال، ولم تكن تدعي الكفاءة في وضع تصور متكامل لبناء المستقبل... وكانت في تقديري أن الجبهة انتهت سنة 1962**). [(413)] انه حكم قاس لكنه واقعي وموضوعي؛ ذاك الذي أصدره بحق الجبهة؛ رائدة كفاح التحرير، ومخيبة الآمال في نفس الوقت خاصة

---

[413]- محمد عباس، **ثوار عظماء**، مرجع سابق، ص 31

مع أزمة صيف1962م ! فكانت - كما يقول كواندت- **"أولى ضحايا الاستقلال"** هي وقيادتها المتنازعة، في ظل غياب مرجعية واضحة تحكم تصرفات الجميع، وتضمن سلطة الجبهة ومصداقيتها.

هذان الأمران مثلا محور حديثنا في هذا المبحث، وأهم درسين يستشفان من محطة طرابلس 1962م؛ حيث بدت إشكالية **"القيادة الثورية"** بين **"الفردية"** في ممارسة السلطة في ظل الحكومة المؤقتة بتشكيلاتها الثلاثة، وداخل أجهزتها القيادية الأخرى: **"اللجنة الوزارية"** للحرب بقيادة **"الباءات الثلاثة"**، و**"هيئة أركان"** جيش التحرير بقيادة العقيد هواري بومدين. وبين السعي المستمر داخل اجتماعات المجلس الوطني للثورة الجزائرية - كإطار جامح للكل- للحفاظ على مظهر **"الوحدة الثورية"** ومحاربة الفردية و الزعماتية، مع التأكيد دوما على **"الصفة الجماعية"** كمبدأ لإدارة شؤون الثورة. واستمر الجهد في سبيل تحقيق ذلك - رغم نقائصه- ولضمان تجسيد هذا المعنى و استمراريته، حتى محطة طرابلس 1962م. فكانت المحك والامتحان الصعب الذي بدا فيه وكأن الكل قد فشل في إيجاد تسوية مرضية، وأسقط فيه **"المبدأ"**؛ لصالح تحالفات سياسية وعسكرية؛ أتت عليه القواعد، وفتحت المستقبل والاستقلال الوليد على المصير المجهول!.

لقد نبه المفكر الجزائري مالك بن نبي لهذا المنحى الخطير، والانحراف عن **"الروح الجماعية"** لصالح الشوفينية الفردية، كما شخص العوامل المغذية لهذه النزعة الفردية متمثلة أساسا في: السعي المستمر إلى الحصول على الغنيمة المادية أو السياسية في جزائر الاستقلال؛ وكان لهذا التراجع والسقوط الأخلاقي والسياسي أثره في: (**... فصم... على نحو من الأنحاء عرى الروابط التي أنشأها (موثق) الثورة الوطنية.**)[414]
وقد حمل مسؤولية هذا الانزلاق لأعضاء الحكومة المؤقتة الذين - كما يقول- تخلوا عن **"مشروع كامل في طرابلس"** لم يستكمل تحريره بعد ! وهبوا ملتحقين بتونس لترتيب شؤونهم وتحالفاتهم للاستيلاء على الحكم الذي لا يزال لم يولد بعد .

من هنا فإن بن نبي في تحليله لهذه الأزمة وذلك التردي، يرجع دوافعها وأسبابها خاصة إلى إحلال **"النزاع الفردي"** على الحكم محل **"الإدارة الجماعية"** لمشروع الثورة والاستقلال، إلى جانب أسباب تاريخية وسياسية على عهد الثورة، وتراكماتها اللاحقة؛ لتنتج هذه **"الظاهرة المرضية"** في جزائر الاستقلال. يقول: (**في القاهرة وفي تونس لم تكن مشكلة الثورة لتثار بالنسبة إليهم في حدود التحرير ولكنه في حدود احتلال جديد.**)

414- مالك بن نبي، **القضايا الكبرى**، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1991، ص 114

[415] ؛ انتهى كل ذلك كما يقول الدكتور زبيري: **"بالانقلاب على الشرعي الثورية والسياسية"** [416] ؛ ممثلة في الحكومة المؤقتة من قبل هيئة قيادة الأركان، مدعومة بتحالفاتها مع بعض السياسيين التاريخيين على رأسهم ابن بله .

تلك هي خلاصة المشهد السياسي عشية الاستقلال، والصورة الدراماتيكية التي انتهت إليها الثورة في نهاية رحلتها التحررية الطويلة. في المقابل فإن واقع الأمة وحال الشعب الجزائري المصدوم، لم يكن قد انتبه إليه بالشكل المطلوب أولئك القادة المسكونين بحلم السلطة، وصراع الحكم؛ حيث بدا في وضعية أحالته إلى شعب متخلف تعششت في كل زوايا حياته آفات وأمراض، وحالات من الوهن كادت أن تخرجه من سياق التاريخ والحياة كلها.

وقد صور د. زبيري واقعه البائس عشية ميلاد الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، وإعلانها رسميا من قبل المجلس التأسيسي الوطني في 25 سبتمبر- أيلول 1962؛ حيث اتسمت بخصائص حياتية: اقتصادية، اجتماعية، وثقافية...الخ؛ أقرب إلى البدائية منها إلى المدنية. من هذه:

1- التفكك الاجتماعي وتأسيس بنية علاقاته على قيم وأخلاق المداهنة، والمراوغة والخوف، وازدواجية التعامل... الخ.

2- انقطاع التواصل بين العادات والتقاليد وسلوكيات الأفراد والجماعة... مع بنية ومقومات الشخصية الوطنية والقومية.

3- ارتفاع مستوى الأمية حيث تجاوزت 80% والنسبة الباقية تمثل أنصاف المتعلمين من المتعلمين المتفرنسين والمتغربين، والمعربين الصوريين. وطغيان طابع الشعوذة والخرافة والمرابطية على الإسلام كعقيدة وحضارة، وحصره في عبادات وطقوس محنطة لا تسمن ولا تغني من جوع .

4- سيادة وهيمنة إدارة متغربة يقودها أشباه إطارات رضعوا من لباس الثقافة الاستعمارية، واستمتعوا حياته: لغة وعوائد وسلوك حياة؛ ناصبين العداء للغة الضاد وثقافة العروبة، والإسلام. محافظين على حبلهم السري الذي

415- نفس المرجع، ص 116

416- الزبيري، **تاريخ الجزائر المعاصر**، مرجع سابق، ص 355

يصلهم بالوطن الأم **"فرنسا الميتروبول"** ؛ معتبرينها مصدر الإشعاع والحضارة، وان الانقطاع عنها سيؤدي حتما إلى وضع التخلف والتوحش والبدائية !!

5- الهجرة المتزايدة تجاه أوروبا وفرنسا الاستعمارية تحديدا، فمن المفارقات العجيبة أن قطاعا من الشعب بعد أن طرد فرنسا من الجزائر؛ نجده يلحق بها سعيا وراء لقمة العيش إلى هناك حيث الوطن الأم، تاركا الجزائر فراغا وخرابا ! أفرز ذلك في واقعهم تمزقا وخرابا في النسيج الاجتماعي، وعجزا في الهياكل والتنظيم الاقتصادي الموروث عن إدارة الاحتلال... الخ ! [417]

كل ذلك أوجد في واقع البلاد والعباد حالة من **"الفراغ السياسي والإيديولوجي"** كان له ما بعده؛ أنتج ذلك في واقع الجزائر والجزائريين تشتتا للطاقات الثورية والسياسية، وتعطيلا للمشروع الثوري في شقه الثاني متمثلا في **"البناء"**. كما وضع برنامج طرابلس على الرف؛ لتناقض نصوصه وتضارب مضمونها مع القناعات الإيديولوجية - خاصة مع الليبراليين- مع معظم عناصر الحكومة والمجلس التأسيسي؛ ليحل محل كل ذلك - **"كمرجعية للتوجيه"** يستلهم منها المزاجات والأهواء.

تلك خلاصة مشهد الثورة والجزائر ما بعد طرابلس 1962م، وذلك هو واقع السلطة السياسية الجديدة لجزائر الاستقلال، وهذه حال الجزائريين المسحوقين والمصدومين من هول ما مر بهم وما جرى..! وعلى الرغم من أن ابن نبي قد شاطر ابن بله في توجهه وخياراته وقال: (**أن الاشتراكية والعروبة والإسلام تمثل الصيغة التي توحد الشعب ضمن نشاطه المشترك الجديد، حيث أنها مسجلة في ميثاق الأمة.**)[418] إلا أن واحدة من تلك القيم المذكورة ظلت معطلة لم تطبق ؟ وظل برنامج طرابلس المتناقض مؤجل التنفيذ إلى حين... فمتى يتحرر مشروع الثورة من هوى الأفراد إلى برامج للتنمية تنفذها وتتجسد في سلطة المؤسسات والحكم الراشد ؟

417- نفس المرجع ، صص 288-290

418- ابن نبي، **القضايا الكبرى**، مرجع سابق، ص 119

1

2

3

01 د.لمين شريط، **التعددية الحزبية في تجربة الحركة الوطنية**، مرجع سابق، ص84
02 نفسه

03 محمد حربي، **جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع**، مرجع سابق، صص 246-247

04 د. محمد العربي زبير، **تاريخ الجزائر المعاصر**، مرجع سابق، ص 64

[05] صحيفة **المجاهد**، عدد 22، الصادر بتاريخ 1958/04/11م.

[06] **النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني**، مصدر سابق، ص04

[07] د. لمين شريط، **مرجع سابق**، ص 95

[08] النصوص الأساسية للجبهة ، مصدر سابق، ص 10

[09] نفسه ، صص 24-25

(*) سنأتي على بيان ذلك في المبحث اللاحق.

[10] محمد حربي. **جبهة التحرير بين الأسطورة والواقع**، مرجع سابق .ص 270

[11] **النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني**، مصدر سابق ، صص 70-71

[12] د. نصر الدين سعيدوني ، **ثوابت الأمة الجزائرية بين الشعارات ...** مرجع سابق، ص 260

[13] رابح لونيسي، **بيان أول نوفمبر وأسس الدولة الوطنية** ، مرجع سابق، ص 19

14 الزبيري، **تاريخ الجزائر المعاصر**. مرجع سابق، ص 115-130

(*) [illegible] 113 [illegible].

15 **النصوص الأساسية لجبهة. ت. و** ، مصدر سابق ، ص 04

16 د. سليمان الشيخ، **الجزائر تحمل السلاح**، مرجع سابق، صص 408-410

17 نفسه، صص 403-410

[18] صحيفة **المجاهد**، العدد 15 الصادر بتاريخ: 12 نوفمبر 1958م.

[19] إسماعيل قيرة وآخرون، **مستقبل الديمقراطية في الجزائر** ،ط1. مركز دراسات الوحدة العربية، القاهرة 2002، صص 86-87

[20] إبراهيم لونيسي، **التجربة الديمقراطية**، مرجع سابق، ص 263

[21] د. عبد الله شريط. **مع الفكر السياسي الحديث**، مرجع سابق، ص 150

[22] **النصوص الأساسية لجبهة. ت. و**... مصدر سابق ص 04

[23] - نفسه، ص 84

(***) أنظر تفصيلاً للمسألة في **الفصل الثاني** من هذه الأطروحة.ص 150 وما بعدها

[24] النصوص الأساسية، مصدر سابق ، ص 13

[25] نفسه، صص 15-17

26 نفسه، ص 3- 4

27 نفسه ، ص 05

[28] **النصوص الأساسية** ، مصدر سابق، ص 04

[29] نفسه، ص 21

[30] **المجاهد**، العدد 02، الصادرة عام 1956م

[31] **النصوص الأساسية**، مصدر سابق، ص 22-23

[32] نفسه ، ص 10

[33] الزبيري، **تاريخ الجزائر المعاصر**، مرجع سابق، ص 121

[34] نفسه، صص 158-159
[35] نفسه، ص 31

36 نفسه ص 07

37 أورده د.زبيري في: **تاريخ الجزائر المعاصر**، مرجع سابق ، ص 08

1962

[38] **النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني**، مصدر سابق، ص 48

[39] د.سلمان الشيخ ، **الجزائر تحمل السلاح**، مرجع سابق، ص 428

[40] وليام كواندت، **الثورة والقيادة السياسية الجزائرية**، مرجع سابق، ص 281

[illegible]

41 **النصوص الأساسية**، مصدر سابق، ص 50

42 الزبيري، **تاريخ الجزائر المعاصر** ، مرجع سابق ص 257

43 **النصوص الأساسية**، مصدر سابق ،ص69

[44] نفسه ، ص 70

[45] د.عبد الله شريط، **مع الفكر السياسي**، مرجع سابق، ص 167-168

[46] **النصوص الأساسية**، مصدر سابق، ص 71

[47] أورده الدكتور زبيري، **تاريخ الجزائر المعاصر**، مرجع سابق ، ص 369

[illegible]

48 نفسه ، ص 1369

(***) لقد أكد فرحات عباس في رسالة وجهها لنواب المجلس التأسيسي ليوم 12 أوت- آب-1963، رفض الاشتراكية العلمية الماركسية اللينينية، وإيمانه بالاشتراكية التي تأخذ بعين الاعتبار واقع المجتمع الجزائري المسلم ،باعتباره: (**شعب صادق الأيمان وشديد الارتباط بالتقاليد العربية الإسلامية... وأبعد ما يكون عن الثورة البيروليتارية**) المرجع السابق، ص 377

(..***) أنظر تفصيلاً أكثر في **الفصل الثالث** من هذه الأطروحة، ص220 وما بعدها.

[50] د.سعيدوني، **ثوابت الأمة الجزائرية**، مرجع سابق، ص 264

[51] د.سعد الله، **تأملات في مسار الثورة**، مقال ورد في كتاب:**الثورة الجزائرية أحداث وتأملات**، مرجع سابق، ص 04

[52] **النصوص الأساسية**، مصدر سابق، ص 04

[53] **نفسه** ، ص 05

[54] د.حميدة عميراوي، **فاتح الثورة الجزائرية مقارنة بالثورات العالمية**، مجلة المصادر ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، عدد 09، السنة 2004، ص 18

[55] نفسه ، ص 18

[56] د.محمد مجاود، **ثورة نوفمبر والدولة الوطنية** : كتاب **الأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية**، مرجع سابق، ص 81

[57] د.لمين شريط، **التعددية الحزبية**، مرجع سابق، صص 86-87

[58] نفس المرجع، ص 62

[59] د.مجاود. **ثورة نوفمبر والدولة الوطنية** ، مرجع سابق، ص 102-101

[60] إسماعيل قيرة وآخرون، **مستقبل الديمقراطية في الجزائر**، مرجع سابق ، ص 88

[61] **النصوص الأساسية**... مصدر سابق، ص 31

[62] نفسه، صص 35-38

[63] الزبيري، **تاريخ الجزائر المعاصر**، مرجع سابق، صص 08-09

[64] نفسه. ص 70

[65] قيرة وآخرون، **مستقبل الديمقراطية في الجزائر**، مرجع سابق ، ص 92

[66] أنظر صحيفة " **الخبر**" الجزائرية ليوم : 1999/09/29،ص 03

[67] حنيفي هلا يلي: **أبعاد المشروع الحضاري للثورة الجزائرية من خلال ابن نبي**، مرجع سابق، ص 215

[68] د. سعيدوني؛ **ثوابت الأمة الجزائرية**، مرجع سابق، ص 267

[69] د.سليمان الشيخ، **الجزائر تحمل السلاح**، مرجع سابق ، ص 428

[70] **النصوص الأساسية**... مصدر سابق، ص 58
[71] نفسه ، ص 62

[illegible]

[72] الزبيري ، **تاريخ الجزائر المعاصر**، مرجع سابق، ص 15

[73] نفسه ، صص 241-242

[74] نفسه ص 192

[illegible]

75 **النصوص الأساسية**... مصدر سابق، ص 08

76 د.شريط، **مع الفكر السياسي**، مرجع سابق، ص 110

[77] مالك بن نبي، **القضايا الكبرى** ، ط1دار الفكر ،دمشق سورية 1991، ص 97

[78] أورده ابن نبي، **نفس المرجع** ، ص 95

"populisme"

[79] سليمان الشيخ، **الجزائر تحمل السلاح**، مرجع سابق .ص 431

[80] نفسه، ص 442

"w. Kwindat"

[81] محمد حربي، **جبهة التحرير الوطني بين الأسطورة والواقع**، مرجع سابق، ص 250
[82] نفسه، ص 273

[83] وليام كواندت، **الثورة والقيادة السياسية الجزائرية**، مرجع سابق، ص 282

[86] لخضر بورقعه، **شاهد اغتيال الثورة**، مرجع سابق، ص 224

[87] د.سعد الله ، **تأملات في مسار الثورة** ، مرجع سابق ، ص 276

الخاتمة

إن حالة التحفز والوعي بالذات الذي صاحب تفاعل الجماهير الجزائرية مع انطلاقة الثورة الجزائرية عام1954م، وما صاحبها من زخم ثوري؛ هو أشبه ما يكون- كما يقول د. سعيدوني- **"بحالة الوحي"** بالنسبة للرسل. وقد عبر عن هذا المعنى الفيلسوف الألماني **"هيجل "** حينما شبهها: **(بالفاصل بين الإمكانيات المعبرة عن الوجود بالقوة وبين الواقع الموضوعي المعبر عن الوجود بالفعل.)**(1) من جانب آخر فان المفكر الجزائري مالك بن نبي كان قد نبه إلى الحالة نفسها ووصفها: **(بأنها حالة التوتر أو الفعالية التي تحرك الطاقات الاجتماعية وتوجهها، بفعل المبررات والدوافع الإنسانية إلى أسمى الغايات.)**(2)

من ثم فان إعادة بناء الأفراد وبعث الأمم ونهضتها، من الوجهة التاريخية - الثورية لا تتأتى إلا في مثل هذه الظروف والأجواء؛ المشبعة بالتهيؤ النفسي، المشحونة بالتفاعل الثوري الملتهب... وهي حالات من النادر حدوثها ولا تتوفر دوما، بل تمثل ما يشبه الطفرات في حياة الشعوب والأمم. ومن اللامعقول عدم ترقبها والسعي إلى الاستفادة من حدوثها؛ عبر مختلف أشكال الاستيعاب والتوجيه، والمحافظة على زخمها، وتغذيته بمزيد من التفاعل الخلاق والعطاء المتجدد.

والثورة الجزائرية التي اندلعت في الفاتح من نوفمبر- تشرين الثاني1954م،هي من قبيل هذه الحالات النادرة التي أحيت الأمة الجزائرية، وصنعت وجودها من جديد؛ وبدت بعدها ماثلة في عمق الإنسان الجزائري الجديد الناتج عن هذا التفاعل العظيم؛ بها وفي ظلها نراه قد استأنف المسيرة الإنسانية في أبهى صورها، كما تطلع إلى تجسيد معاني الحرية، والكرامة من خلال القيم التي أرستها. في المقابل فقد أنهت - إلى غير رجعة- حالة السكون واللاوعي التي كرستها الحقبة الاستعمارية الاستيطانية، طيلة قرن وثلث القرن من صور التعطيل لحركية الحياة وفاعليته داخل المجتمع الجزائري.

(1) د. نصر الدين سعيدوني، **الثورة بين متطلبات الواقع...** مرجع سابق، ص 171

(2) نفسه

ضمن هذا السياق جاءت الثورة التحريرية لتطرح جملة من المفاهيم والقضايا الجديدة، بعضها متعلق بالاستعمار، والبعض الأخر مرتبط بالمجتمع المستعمر؛ فرضت في كلتيهما مزيدا من بذل الجهد والتضحية...

لأجل التحرير والتحرر من قبضته، وقهره بسيكولوجيا وماديا؛ عتقا للإنسان والوطن، وفتحا لأفق الأمل الواعد للأجيال القادمة.

إن منظومة القيم الجديدة التي طرحتها ثورة نوفمبر- والتي في ظلها أصبح كل جزائري ملزما بان يعرف نفسه ويستكنه وجوده، ثم يتخذ موقفا مما يجري من حوله - وجبت عليه تبني خيارات حياتية تجسد القطيعة الكاملة مع الواقع الاستعماري ومذهبيته الحياتية. لان النظام الكولونيالي الفرنسي هو نظام تأسس على العنف والقهر، وجسد - بامتياز- الروح العنصرية المقيتة في تعامله وتعاطيه مع الإنسان الجزائري**"الأهلي"**، كما فرض وجوده العسكري والسياسي بسيف القوة، ووسائل الدمار المتقدمة. ولم يحمل البعد النظري المجرد في ذلك؛ بل اقترن فعله **"العنفي"** بالسلوك اليومي، والأدهى من ذلك كله، انه مد سلطان عنفه ليطال الماضي التاريخي والحضاري للجزائريين؛ فجرده واستنزفه من كل محتوى عزيز في نفوسهم، وذا قيمة في حياتهم؛ إمعانا في القهر النفسي والحياتي... ثم جهز من أدواته وآلياته ما يكفي لتغطية المستقبل واغتياله، و حرمان الأجيال من حقها الطبيعي والديمقراطي في اختيار نموذج حياتها بحرية وسلام. وبذلك قدم نفسه وصورة لطبيعته بوصفه **"عنفا أزليا"**(3) ، وجب القضاء عليه وإزالته من حياة الجزائريين، مهما كلفهم ذلك من ثمن.

لقد جاء التغيير الثوري في الجزائر كرد فعل - بحسب القانون الفيزيائي الشهير- وكان أقوى، وفي اتجاه معاكس لرغبة المحتل وضد مشروعه الاستيطاني. استنفر كل إمكانية ووسيلة متاحة لبحث تسوية سلمية مشرفة مع العدو- إن رغب جديا في ذلك- قبل أن يتحول إلى حل استراتيجي في ظل الرفض والتعنت الفرنسي.

(3) فرانز فانون ، **العام الخامس للثورة الجزائرية**، ترجمة ذوقان قرطوط ، ط1 دار الفارابي، لبنان200 ص201

ومن ثم فان مفجري الثورة لم يكونوا ينشدون في عملهم هذا الدخول مع المستعمر الفرنسي في مجادلة عقلية بين وجهتي نظر "المستعمر" و"المستعمَر"، كما لم يكن عملهم خطابا انتخابيا مسا واتيا بين الجزائريين والمستوطنين، ولا وفاقا سياسيا لتقاسم السلطة والمغنم...الخ. بقدر ما كان المشروع الثوري النوفمبري؛ تأكيدا لانتماء وعمق مختلف، وإرساء لمبادئ وقيم حياتية، وتنظيرا لفلسفة جديدة؛ تستوعب معطيات التاريخ

والحاضر، وتوجه مستقبل الجزائريين في كنف الحرية والسيادة... تختلف في كلياتها وجزئياتها، عن منظومة وفلسفة المستعمر: ماضيا وحاضرا ومستقبلا.

فنوفمبر البيان، وصومام التنظيم، وطرابلس البرنامج، أكدوا جميعا ميلاد إنسان جديد، ومنظومة حكم وحياة مختلفة؛ حلت محل إنسان قديم مستعمر في: قيمه ومنظومته الفكرية والحياتية، إحلالا كليا متكاملا نهائيا... للمجتمع الجزائري القائم والمتواصل. ومعركة التحرير الوطني - كما عبرت عنها صحيفة المجاهد- هي **"جهاد وطني"** (4) ، إنها حرب تقوم ضد الآخرين وضد أنفسنا أيضا؛ ضد العدو الخارجي، وضد العدو الداخلي في الوقت نفسه؛ أي ضد نقائصنا وعيوبنا ونقاط ضعفنا: الشخصية، الإيديولوجية، والتنظيمية...الخ.

وإذا رد **"الجهاد"** إلى أهم ما فيه، فانه لا يعني شيئا آخر غير أنه عبارة عن ظاهرة ديناميكية من الدفاع عن النفس، بغية استعادة وصيانة تراث من القيم العليا الضرورية للفرد والمدنية، وهو أيضا تعبير عن إرادة التكامل في كل المجالات. وبذلك فقد استهدف بالأساس محو النظام الاستعماري في كل هذه الميادين، وتحرير الإنسان والأرض، وإعادة تكوين الفرد المتحرر من قيود الاستعمار وكوابحه، مرتقيا بنفسه إلى مستوى إيديولوجية جبهة التحرير الوطني؛ العنوان الأبرز للثورة، الحاملة لأهم معالم

المشروع الوطني الحضاري لنهضة الأمة الجزائرية. لقد قادت جبهة التحرير الوطني على عهد الثورة المعركة في الميدان، وعبأت الشعب وأطرته، كما سعت للتعبير عن مختلف حاجيات حياته الكريمة.

(4) صحيفة **المجاهد**، العدد 01 ، سجل الميلاد

و طرحت حلا استراتيجيا **" للمشكل الجزائري"** ؛ تضمن أبعاد الشخصية الجزائرية الوطنية والقومية، ضمن إطار امتداداته التاريخية والحضارية. وقد تركزت خطوات هذا المشروع في العناصر التالية :

1- البعد المكاني أو المجال الجغرافي، ممثلا في الوطن الجزائري بحدوده الحالية.

2- البعد الزماني الذي كان حصيلة الماضي المشترك بكل مكوناته وتفاعلاته.

3 - البعد الحضاري الذي عبرت عنه العقيدة الإسلامية، والتراث العربي، والثقافة الأمازيغية؛ في انسجام ووئام، على مدى قرون الزمن وأحقابه المتباعدة.

4- البعد الوطني المرتكز بالإحساس العميق بالانتماء إلى الجزائر؛ وقد كرسته المقاومات الوطنية، والنشاط النضالي للحركات السياسية الوطنية، وتوجها عمل الثورة الجزائرية؛ عمقا وأصالة وتفتحا.(5)

كان الثمن المقدم غاليا في سبيل تامين ذلك؛ تجلى في **"ملحمة ثورية"** قل نظيرها في التاريخ المعاصر؛ تجاوزت قافلة شهدائها المليون ونصف المليون شهيدا. لكن حتمية دفع هذا الثمن الباهظ كانت أقوى؛ لأنه ضمن عودة إحياء **"ضمير الأمة"**، وعزز مناعتها الحضارية، كما فتح فرصة التحقق لتطلعات المستقبل... فشكلت به الثورة الجزائرية **"وثيقة بعث الأمة الجزائرية"**، وعودتها إلى مسرح التاريخ، لتحتل موقعها الطبيعي **"كفاعل"** فيه بفاعلية واقتدار...

إن خلاصة التعريف الفكري والسياسي للثورة، وعمل مفجريها التاريخيين؛ إنما هو كونها: إرهاص واستجابة لمشروع وطني وحضاري؛ تناقض نفسيا، اجتماعيا، ومنظوميا، مع المشروع الاستعماري.

كما جسد فكر القادة والمجاهدين الأوائل التناقض نفسه مع المتناقضين معهم؛ وهذا التناقض- كما يؤكد د.سعد الله- الملازم لمسيرة الثورة، هو الذي كان يحدث الشرارة الثورية بين الفينة والأخرى.

(5) د. سعيدوني، **مرجع سابق**، ص 158

هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد كشفت الثورة التحريرية عن **"مستوى السقوط"** و**"الانحدار"** الذي آلت إليه العقلية الأوروبية، والفرنسية تحديدا؛ إلى حد **"الخيانة العظمى"** للقيم الإنسانية - التي طالما رفعتها وتشدقت بها في أدبياتها الفكرية والسياسية - في الوقت الذي عكست فيه ثورتنا مشروعيتها؛ من خلال إثبات الشعب الجزائري مستوى من الاحترام لقيم **"الإنسان"**و **"التحضر"** في أدائه الجهادي، شهد بها العدو قبل الصديق.

لقد عبرت النصوص الأساسية للثورة، وأدبياتها الإيديولوجية والسياسية؛ ممثلة في **"بيان أول نوفمبر-54م"** ، و**"ميثاق الصومام56م"**، و**"برنامج طرابلس62م"** ، عن كل تلك القيم والمثل والخيارات- السالفة الذكر- وعكست حقيقة وواقع مجمل تطلعات الشعب الجزائرية، كما تضمنت مبادئ، وأفكار واتجاهات - حتى وان لم تنسجم في كامل تفاصيلها مع بعضها- مثلت الأسس المرجعية للإيديولوجية الوطنية. حيث توخت إعادة بناء الفرد الجزائري، وبعث دولته الوطنية، التي تضطلع بحاجياته المعنوية والمادية، في كنف الأصالة التاريخية الوطنية، والانتماء القومي العربي الإسلامي، والأبعاد الإنسانية؛ دون قلق أو اغتراب، أو انغلاق. من خلال ما سبق ذكره يمكن أن نخلص إلى نتائج البحث التالية :

1- إن الصدمة الاستعمارية الاستعمارية، والجرح الغائر الذي أحدثته في النفسية الجزائرية، وانعكست آثاره على كامل حياته على مدى فترة الاحتلال؛ قد ايقضت الإنسان الجزائري ودفعته إلى اكتشاف ذاته، والدفاع عن كيانه. وبالتالي خروجه وانتقاله من حالة اللاوعي إلى الوعي الثوري، ومن عهد العشيرة والقبيلة، إلى مرحلة الوطنية السياسية الناضجة، ومن عصر الإقطاع الاجتماعي والثقافي، إلى عهد الشعب والأمة الجزائرية. تلك كانت عملية تحول بطيئة ومؤلمة، لكنها كانت فاعلة ومثمرة. بدأت من مقاومة الأمير عبد القادر- مؤسس الوطنية الجزائرية - وانتهت خاتمتها باندلاع ثورة نوفمبر المجيدة.

2- الثورة التحريرية - بالنسبة للجزائريين- جاءت استجابة وتحقيقا لشروط روحية ومادية لازمة لميلادهم الجديد، وكان كفاحهم الوطني تاريخا جديدا رفع في وجه الطغيان الاستعماري؛ وقد مثلت الثورة العنوان الأبرز لهذا التاريخ؛ بكل دلالاته، عطاءاته، وتطلعاته، ومآسيه أيضا؛ فأعطوا بها معنى لحياتهم وموتهم؛ بعدما كانت - في ظل الاحتلال- بدون معنى أو قيمة تذكر.

3- صحيح أن الثورة حققت انتصارات عسكرية باهرة على العدو، وسجلت حضورا سياسيا ودبلوماسيا متميزا في الداخل والخارج، كما أعادت اللحمة الوطنية، وأنجزت الكثير من المكاسب الوطنية والقومية... الخ. لكن هل كان ذلك كافيا في منطق وتخطيط مفجريها، وبيانها التاريخي الأول؟ أبدا؛ إنها لم تحقق - في واقع الأمر- سوى الأهداف العاجلة ممثلة في**"الاستقلال السياسي"**، وبعض المكاسب المادية الظرفية. لكنها ظلت قاصرة

عن حسم خياراتها الإستراتيجية ميدانيا - التي سبقت الإشارة إليها- تلك التي تتحكم في توجيه مقدرات الجزائر في مرحلة الثورة وما بعد الاستقلال، لدخولها الألفية الثالثة. ويمكن إيجازها - بحسب تعبير د. سعيدوني- في: الحسم الحضاري، والتحرر الثقافي، والتحفز النفسي.

4- إن مواثيق الثورة الجزائرية ونصوصها الأساسية، على الرغم من الأدوار الفكرية والتوجيهية، السياسية، والتنظيمية... الخ، التي اضطلعت بها خلال معركة التحرير الوطني؛ إلا أنها - في نظرنا- لم تستطع تحقيق التواصل الروحي والإيديولوجي فيما بينها، ولم تقدم نفسها **"كمرجعية موحدة"** متناغمة، ذات مصداقية وطنية فاعلة؛ بل على العكس من ذلك فقد جسدت التناقض والقطيعة بهذا الخصوص. وللأسف فان **"البيان"** لم يكن مرجعية **"للصومام"**، ولا **"برنامج طرابلس"** مستوحى من سابقيه ؟ بل على العكس كان **"العقوق"** الفكري والإيديولوجي السمة البارزة في وثيقة الصومام56م، ليستكمل **"الانحراف"** الكامل عن الخط النوفمبري في برنامج طرابلس62 م. هذا الأخير تغشته **"المذهبية اليسارية"** التي زرعت بذورها في الصومام56م، وسكن النصين الأخيرين **"دوغماتية"** سياسية، أنتجت إيديولوجية غريبة عن أصالة الشعب الجزائري، وروح **"البيان"**، وتطلعات جيل الاستقلال.

5- بعد وقف إطلاق النار، وتوقيع اتفاقيات أيفيان في 19ماس- اذار1962م، اشتد الخلاف وبرزت قرونه بين قادة الثورة في مؤتمر طرابلس وبعده؛ فانقسموا إلى فريقين كل يدعي الشرعية التاريخية والثورية لنفسه دون الأخر، كما انطلق سباق محموم على السلطة أفضى إلى ما اصطلح عليه **"بأزمة صيف62م"**؛ التي كادت أن تعصف بالاستقلال الوليد. في هذا الجو المسموم، انطفأت شعلة الثورة في نفوس الأفراد، وبدأ التآكل يظهر جليا في الروح الوطنية؛ في ظل غياب إيديولوجية وطنية واضحة تقنع الشعب وتؤطره، كما تدفعه إلى استكمال المرحلة الثانية من معركة التحرير والتحرر للأرض والإنسان. فتوقفت بذلك مهمة الثورة ورسالتها في منتصف الطريق..؟ وكان سبب هذا التراجع في الزخم الثوري ناجم عن عدم البث المسبق في المسائل الخطيرة المتعلقة أساسا: بالهوية والانتماء والمصير، وعدم التفطن إلى خطورة ما يحمله المشروع الاستعماري بهذا الخصوص. فغياب **" مفهومية وطنية"** - بحسب تعبير المفكر مالك بن نبي- تستوعب التحول الحاصل، وتحضر لمرحلة البناء الجديد؛ هو الذي أحدث هذه **"الردة الثورية"**. وقد نبه إلى ذلك لاحقا ميثاق

الجزائر1964 بصراحة ووضوح حينما أكد: **(بأن الثورة لم تفهم أن القوة الثالثة تشكل عنصرا اجتماعيا سيتسرب إلى مؤسسات الثورة، بل طرح مسألة الثورة ذاتها.)**(6)

6- لقد كرس برنامج طرابلس62م مفهوما ماديا للاستقلال، وحول الثورة ومشروعها التحريري إلى ثورة شعبية ديمقراطية، فاعتقد محرروه والمصادقين على نصه بان قضايا: التنمية الاقتصادية، والترقية الاجتماعية،.. الخ، هي أساس البناء الجديد للأمة الجزائرية المستقلة، بدلا من إعداد الإنسان روحيا وتربويا ووطنيا. وصرف الاهتمام كله - بعد الاستقلال- للتخطيط للمعاش فقط ، وتلبية الحاجات البيولوجية والغريزية. في حين همش جانب التفكير الذهني، والتطلع النفسي والروحي، والفاعلية الاجتماعية والحضارية... فتضخم الأنا الفردي والنمو العضوي على حساب النمو الفكري والثقافي، والحيوية الحياتية. ومن شواهد ذلك: المثال المعبر الذي أورده الدكتور سعيدوني؛ حين رصد الحصيلة

الفكرية والثقافية لإنتاج الكتاب التاريخي من سنه 1962-1987م، حيث لم تتجاوز سقف 250 عنوانا.(7)

(6) نفس المرجع ، ص 167

7- غياب التنظير الفكري والفرز الإيديولوجي، انطلاقا من المفهوم الحضاري، والقناعات الوطنية الصادقة التي حملها البيان التاريخي الأول للثورة، واستطاع أن يجند كل الفعاليات الوطنية وعموم الشعب الجزائري حولها؛ هو الذي أفضى - في رأينا- إلى تجزئة المشروع الثوري، واختصاره في مجرد استقلال سياسي صوري، وأسقط الجزء الأكبر من دلالته. كما حولت جبهة التحرير الوطني- صانعة النصر والاستقلال- من حركة ثورية وطنية إلى مجرد هيكل واسم ورمز. وأصبح دورها هو منح **"شهادات التزكية"** لأناس همهم الاستيلاء على السلطة، وافتراس الحكم... فانتهى بذلك دورها الخصب مع الشعب، وتحولت إلى أداء وظيفة **"ساعي البريد"** تنقل للشعب تعليمات وأوامر القيادة. وأصبحت بالفعل حاجزا حقيقيا بين الطرفين؛ لتسرح بعد ذلك من الخدمة، وتفقد عنصر الحياة والفاعلية؛ وهكذا أصبح الاستقلال الوطني فاقدا للمحتوى والمضمون، بدون لون ولا طعم أو هوية.

تلك هي عصارة الاستنتاجات التي خلصنا إليها في ختام هذا البحث، توصلنا إليها من خلال متابعتنا التحليلية النقدية لموضوع **"وثائق الثورة الجزائرية"** ، حيث تكشفت لنا عن قصور كبير في عملية التواصل الثوري بين مرحلة التحرير إبان الثورة، ومرحلة البناء على عهد الاستقلال. كما ظهر لنا العجز الواضح في تحقيق الأهداف الإستراتيجية للمشروع التحرري المعلن ليلة الفاتح من نوفمبر1954م؛ خصوصا في جوانبه الفكرية والإيديولوجية، وآفاقه السياسية لمرحلة ما بعد الاستقلال.

والتساؤلات المنطقية المشروعة التي يجب أن تطرح، من وحي هذه الخلاصات الاستنتاجية هي: هل الثورة الجزائرية - بزخمها الثوري، ومبادئها التحررية، وأهدافها السياسية، وبرامجها التنموية...الخ - قابلة لاستئناف مشروعها، واستكمال رسالتها في الوقت الراهن؟ وهل آن أوان إخراج وثائقها الإيديولوجية - على رأسها بيان أول نوفمبر- من حال حكم **"وقف التنفيذ"** الذي طالها، وتحريرها من

دوامة الصراعات الشخصية والمذهبية، وقبضة النزعات الطائفية، والفئوية التاريخية والسياسية ؟ إلى

(7) نفسه، ص 170

رحاب العلمية، الوطنية، والإنسانية ؟ ما هي سبل وآليات إعادة الفاعلية المطلوبة للمشروع الثوري الوطني الحضاري، ونقله إلى واقع الحسم؛ ليتحول إلى سلاح جديد متجدد بيد النخب الوطنية، والقواعد الشعبية : زادا ومرجعية للمفكرين والباحثين، مناعة وحصانة فكرية للمتعلمين، إطارا أخلاقيا للمسؤولين والسياسيين، وتطلعا مشروعا للأجيال القادمة ؟ هل يمكننا أن نحلم حقيقة وواقعا بيوم نستكمل فيه الشطر الأهم من استقلالنا النفسي، الروحي، والثقافي؛ مدعوما بالاستقلال المادي، في إطار هويتنا التاريخية، وانتمائنا الحضاري، وتوجهاتنا الوطنية الصادقة.

إننا نعتقد جازمين في إمكانية تحقيق كل ذلك، وسوف نظل نعمل ونتطلع إلى ذلك اليوم المشهود؛ حتى ولو قدر لنا أن نقدم ثمنا موازيا أو يفوق ذلك الثمن الذي قدمه شهداء ثورة التحرير بالأمس، واقتضى الحال القيام بثورة جديدة - امتدادا لثورة نوفمبر- في النفوس، والعقول، والأجهزة. لكن حاجتنا للقيام بذلك تلزمنا وضع

معالم مشروع لتحرير الإنسان الجزائري، مستوحى من تجارب ماضينا التاريخي والثوري، ومنفتح على حقائق الواقع وآفاق المستقبل. ويمكن تلمس ذلك من خلال المقترحات التالية :

1- إعادة صياغة **"التعريف الفكري والسياسي"** للثورة الجزائرية، من خلال واقع التجربة النضالية الوطنية، واعتمادا على مواثيقها ونصوصها الأساسية؛ ليتجاوز المفهوم الكلاسيكي الذي لصق بها، بوصفها حربا عسكريا للتحرير، سلاحها البندقية والرشاش عل الأرض، والتفاوض السياسي على الطاولة، وخاتمته الاعتراف بالاستقلال السياسي، ورفع الراية الوطنية، واحترام رموز السيادة المتعارف عليها فحسب... إلى إعطائها مفهوما جديدا شاملا ومتكاملا، يستوعب حركية الإنسان والحياة كلها؛ بكونه وعي تاريخي، وبعث فكري وحضاري، وصياغة جديدة للإنسان الجزائري، وفق مقاييس تختلف كلية عن تلك المطبقة سابقا داخل المنظومة الكولونيالية الفرنسية.

2- التفعيل العملي للمبادئ والقيم والأهداف، الواردة في بيان الفاتح من نوفمبر- تشرين الثاني1954م؛ واعتمادها كمرجعية فكرية، وإيديولوجية سياسية، يتفق في القراءة الموحدة لها كل الجزائريين، خاصة في جوانبها المرتبطة **"بمشروع المجتمع"**، وضرورة التبني الرسمي والشعبي لها؛ حتى لا تكون مثار جدل أو تلاعب بين هذه المجموعة أو تلك. وتركيزنا على البيان كوثيقة مرجعية دون سواه، مرده إلى كونه الوحيد الذي جسد القيم الفكرية والمبادئ الوطنية بصراحة ووضوح، أجمعت عليها الأغلبية العظمى من الشعب الجزائري بالأمس في معركة التحرير، وبعد الاستقلال؛ كما هو الحال نفسه اليوم. في حين جاءت وثيقة الصومام56م كملحق تنظيمي: سياسيا وعسكريا، مفتقرة بشكل واضح إلى المعطيات الفكرية والإيديولوجية الضرورية. أما برنامج طرابلس62م فقد شذ عن الخط الثوري الأول، وتضمن فلسفة وتوجيه غريب ودخيل - شكلا ومضمونا- عما ورد في النصين السابقين؛ فكان بذلك نصا ظرفيا آنيا. وليد حسابات أشخاص وعصب متصارعة. موجه لخدمة أغراض وأهداف إيديولوجية معينة، لا صلة لها بالواقع التاريخي الوطني، ولا بطموحات الشعب الجزائري العربي المسلم.

3- إن منطق التاريخ والأحداث المعلمية الكبرى ، يؤكدان- بلا مواربة- أن كل الأمم الفتية المستقلة عادة ما تتجاذبها آثار دخان المعارك، وتصاحب ميلادها الجديد دورات عنف؛ بمظاهرها السياسية والمادية...وغيرها، كمرحلة انتقالية باتجاه الاستقرار والتطور، وبدوافع مختلفة ك: الانتصار، والانتقام، والطموح والمغامرة، والبحث عن التموقع في الواجهات الأمامية... الخ. وهو ما نعتقده في الحالة الجزائرية بعد إعلان الاستقلال مباشرة؛ وفيما عرف بأزمة صيف 1962م. وهي حالة وان كانت مرضية عنيفة، ومؤلمة، لها ما بعدها من الآثار والتداعيات السلبية؛ إلا إننا نعتقد في منطقها التاريخي الساري على الجميع. وقد آن الأوان للجزائريين- بعد مرور ما يقارب نصف القرن على تلك الأزمة - أن يعيدوا النظر في هذه المرحلة، ويستفيدوا من تلك التجربة القاسية؛ وأن تتجند النخب الفكرية، والإطارات الأكاديمية، وعموم الوطنيين الغيورين؛ ليضطلعوا جميعا بمهمة إعادة صياغة المشروع الوطني الثقافي- الحضاري؛ من وحي رصيد النضال التاريخي، ومراعاة حقائق العصر الحاضر، وآفاق المستقبل. فيكون هذا المشروع في مستوى مهام الثورة ومشروعها المتكامل، مستجيبا لمجمل العناصر المركبة المستوعبة للمنطق العملي، والفعالية الوطنية، وقيم: التنوع، والوئام، والجمال.

4- إعادة الاعتبار للشعور الوطني والروح القومية، وتفعيلهما في نفوس وضمير الجيل، ثم العمل على تجسيدهما في مشاريع أفعال وسلوكيات، والتزامات أخلاقية ووطنية؛ معبرة عن أعمق مطامح الأمة بكليتها، وتكون تتويجا وثمرة حية نابضة بروح التفاعل الوجداني للإرادة الشعبية الحرة. وبغير هذا فإننا نعتقد بأن هذه المشاعر والقيم ستظل جافة ميتة بلا روح؛ ولا تعدو أن تظهر فقط في صورة ديكور سياسي، وديماغوجية مقيتة؛ قليلة الفاعلية والتأثير، سريعة الزوال، محدودة الوفاء لتضحيات الشهداء والأحياء. يترتب عن كل ذلك - في واقع الحال- صدوعا وانقسامات خطيرة، بشأنها أن ترجع بالأمة - لا قدر الله- من مرحلة **"الوطنية السياسية"** إلى عهد القبيلة، ومن مستوى الدولة العصرية المنظمة، إلى الأفق المغلق للعشيرة، والإقطاع، وسلطة **"القياد الجدد"**، والفردية المستبدة والمدمرة.

تلك اقتراحات وآفاق الدراسة، كما تجلت لنا من خلال معايشتنا وتفاعلنا مع الموضوع على مدار السنوات الخمس لإعداده، نتطلع إليها - من وجهة النظر التاريخية العلمية - كمشروع حلم قابل للتنزيل الميداني؛ ندعي

انه يسكن وجدان وضمير جيل الاستقلال من الشباب، وكل مخلص غيور على هذا الوطن الشهيد. وهاهو القائد التاريخي محمد بوضياف يؤكد ويعزز هذا التطلع المشروع قائلا:(**مستقبل الجزائر بيد شبابها الذي لم تدنسه بعض الممارسات السياسية المتعفنة... وفي المستقبل القريب لا مفر من ممارسة لعبة الحقيقة مع الشعب من قبل جماعة مخلصة نظيفة وكفأه، تحظى بثقة الأغلبية العريضة.**)(8)

وإذا كان الزعيم أحمد سيكوتوري يقول: **" ليس يكفي أن تؤلف أغنية ثورية حتى تشارك في الثورة، وإنما يجب أن تصنع هذه الثورة مع الشعب، ثم تأتي الأغاني من تلقاء ذاتها."**(9) فإننا بدورنا - نسمح لأنفسنا- ونقول: ليس يكفي لجيل الاستقلال أن يتغنى بثورة المليون ونصف المليون شهيد، ويرتل أناشيدها الثائرة ويفتخر ببطولات الآباء والأجداد؛ ليدعي بعدها الوفاء للميراث الثوري وللوطنية.

(8) محمد عباس، **ثوار عظماء**، مرجع سابق، ص 34

(9) محمد حربي، **جبهة التحرير بين الأسطورة والواقع**، مرجع سابق، ص 298

بل يجب عليه أن يؤمن بمبادئ وقيم وأهداف تلك الثورة، ويعمل ميدانيا على تفعيل مشروعها الوطني التحرري مع شعبه؛ في صورة أعمال جليلة، وممارسات قويمة، وإبداع خلاق. تطور الحياة الوطنية، وتؤمن لنهضة قومية وحضارية عصرية، تعيد قطار الأمة الشارد إلى سكة التاريخ وصناعته، من موقع الفاعل المؤثر لا التابع المغلوب على أمره؛ تلك وحدها هي الضريبة التي يجب أن تدفع، والتضحية التي يجب أن تقدم.

آمل في ختام هذا العمل العلمي المتواضع، أن أكون قد ساهمت - كمواطن من جيل الاستقلال- في إثارة النقاش العلمي حول هذا الموضوع الفكري- التاريخي الحيوي:**"مواثيق الثورة الجزائرية"** ؛ عساني أكون قد أديت ولو جزءا من الواجب العلمي والتاريخي لشعبنا ووطننا... ولا أدعي لنفسي الإحاطة الكاملة بجوانب الموضوع، ولا لعملي هذا الكمال؛ فذاك إنجاز لا يقوى عليه جهد فردي مهما بلغ؛ بل هو محصلة وثمرة مجهود جماعي منظم. وحسبي أني اجتهدت، والكمال لله وحده، وفوق كل ذي علم عليم.

الملاحق

ملحق رقم: 01

القائمة الاسمية للأعضاء الحاضرين في اجتماع22 التاريخي 1954م

مصطفى بن بولعيد	احمد بوشعيب
العربي بن مهيدي	سعيد بوهالي
محمد بوضياف	زوبير بوعجاج
رابح بيطاط	عبد السلام حباشي
مراد ديدوش	علي مــلاح
الأخضر بن طوبال	محمد مرزوقي
محمد بلوزداد	محمد مشاطي
مصطفى بن عودة	بوجمعة سويداني
رمضان بن عبد المالك	زيغود يوسف
باجي مختار	عبد القادر بلحاج
عبد الحفيظ بوصوف	الياس دريش(*)

(*) المتفق عليه أن هذا الشخص هو صاحب البيت الذي انعقد فيه الاجتماع المذكور.

الملحق رقم :02

تقسيم المناطق الثورية للبلاد ليلة الفاتح نوفمبر- تشرين الثاني1954م

1)- المنطقة الأولى**"أوراس النمامشة"** بقيادة الشهيد مصطفى بن بولعيد.

2)- المنطقة الثانية **" الشمال القسنطيني"** بقيادة الشهيد مراد ديدوش.

3)- المنطقة الثالثة **" القبائل"** بقيادة المرحوم كريم بلقاسم.

4)- المنطقة الرابعة **" الجزائر العاصمة وضواحيها"** بقيادة المرحوم رابح بيطاط.

5)- المنطقة الخامسة **"الغرب- وهران "** بقيادة الشهيد العربي بن مهيدي.

مـلحق رقـم : **03**

بيان فاتـح نوفـمبر- تشرين الثاني- 1954

" أيها الشعب الجزائري،

"أيها المناضلون من اجل القضية الوطنية

" انتم الذين ستصدرون حكمكم بشأننا - نعني الشعب بصفة عامة ، و المناضلين بصفة خاصة - نعلمكم أن غرضنا من نشر هذا الإعلان هو أن نوضح لكم الأسباب العميقة التي دفعتنا إلى العمل ، بان نوضح لكم مشروعنا و الهدف من عملنا ، و مقومات وجهة نظرنا الأساسية التي دفعتنا إلى الاستقلال الوطني في إطار الشمال الإفريقي و رغبتنا أيضا هو أن نجنبكم الالتباس الذي يمكن أن توقعكم فيه الامبريالية و عملاؤها الإداريون وبعض محترفي السياسة الانتهاز

" فنحن نعتبر ، قبل كل شيء أن الحركة الوطنية - بعد مراحل من الكفاح - قد أدركت مرحلة التحقيق النهائية . فإذا كان هدف أي حركة ثورية - في الواقع - هو خلق جميع الظروف الثورية للقيام بعملية تحريرية ، فإننا نعتبر أن الشعب الجزائري ، في أوضاعه الداخلية متحدا حول قضية الاستقلال و العمل . أما في الأوضاع الخارجية فان الانفراج الدولي مناسب لتسوية بعض المشاكل الثانوية التي من بينها قضيتنا التي تجد سندها الدبلوماسي و خاصة من طرف إخواننا العرب و المسلمين .

إن أحداث المغرب و تونس لها دلالتها في هذا الصدد . فهي تمثل بعمق مراحل الكفاح التحريري في شمال إفريقيا . و مما يلاحظ في هذا الميدان أننا منذ مدة طويلة أول الداعين إلى الوحدة في العمل . هذه الوحدة التي لم يتح لها مع الأسف التحقيق أبدا بين الأقطار الثلاثة .

إن كل واحد منها قد اندفع اليوم في هذا السبيل ، أما نحن الذين بقينا في مؤخرة الركب فإننا نتعرض إلى مصير من تجاوزاته الأحداث وهكذا ، فان حركتنا الوطنية قد وجدت نفسها ، محطمة نتيجة لسنوات طويلة من الجمود و الروتين ، توجيهها سيء محرومة من سند الرأي العام الضروري ، قد تجاوزتها الأحداث ، الأمر الذي جعل الاستعمار يطير فرحا ظنا منه انه قد أحرز أضخم انتصاراته في كفاحه ضد الطليعة الجزائرية .

إن المرحلة خطيرة

" أمام هذه الوضعية التي يخشى أن يصبح علاجها مستحيلا ، رأت مجموعة من الشباب المسؤولين المناضلين الواعين التي جمعت حولها اغلب العناصر التي لا تزال سليمة و مصممة ، أن الوقت قد حان لإخراج الحركة الوطنية من المآزق التي أوقعها فيه صراع الأشخاص و التأثيرات لدفعها إلى المعركة الحقيقية الثورية إلى جانب إخواننا المغاربة و التونسيين .

وبهذا الصدد فإننا نوضح بأننا مستقلون عن الطرفين الذين يتنازعان السلطة ، أن حركتنا قد وضعت المصلحة الوطنية فوق كل الاعتبارات التافهة و المغلوطة لقضية الأشخاص و السمعة ، و لذلك فهي موجهة فقط ضد الاستعمار الذي هو العدو الوحيد الأعمى . الذي رفض أمام وسائل الكفاح السليمة

، أن يمنح أدنى حرية

" ونظن أن هذه الأسباب كافية لجعل حركتنا التجديدية تظهر تحت اسم : **جبهة التحرير الوطني.**

و هكذا نتخلص من جميع التنازلات المحتملة ، و نتيح الفرصة لجميع المواطنين الجزائريين من جميع الطبقات الاجتماعية ، و جميع الأحزاب و الحركات الجزائرية ، أن تنضم إلى الكفاح التحريري دون أدنى اعتبار آخر.

ولكي نبين بوضوح هدفنا فإننا نسيطر فيما يلي الخطوط العريضة لبرنامجنا السياسي:

الهدف: الاستقلال الوطني بواسطة:

1) إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية.

2) احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني.

الأهداف الداخلية:

-1) التطهير السياسي بإعادة الحركة الوطنية إلى نهجها الحقيقي و القضاء على جميع مخلفات الفساد وروح الإصلاح التي كانت عاملا هاما في تخلفنا الحالي.

-2) تجمع وتنظيم جميع الطاقات السليمة لدى الشعب الجزائري لتصفية النظام الاستعماري

الأهداف الخارجية

- تدويل القضية الجزائرية.
- تحقيق وحدة شمال إفريقيا في داخل إطارها الطبيعي العربي الإسلامي.
- في إطار ميثاق الأمم المتحدة نؤكد عطفنا الفعال تجاه جميع الأمم التي تساند قضيتنا التحريرية .

وسائل الكفاح:

"انسجاما مع المبادئ الثورية، و اعتبارا للأوضاع الداخلية و الخارجية، فإننا سنواصل الكفاح بجميع الوسائل حتى تحقيق هدفنا

" إن جبهة التحرير الوطني ، لكي تحقق هدفها يحب عليها أن تنجز مهمتين أساسيتين في وقت واحد و هما : العمل الداخلي سواء في الميدان السياسي أو في ميدان العمل المحض ، و العمل في الخارج لجعل القضية الجزائرية حقيقية واقعة في العالم كله ، و ذلك بمساندة كل حلفائنا الطبيعيين .

" إن هذه مهمة شاقة ثقيلة العبء، وتتطلب كل القوى و تعبئة كل الموارد الطبيعية "

و حقيقة أن الكفاح سيكون طويلا و لكن النصر محقق.

" وفي الأخير ، و تحاشيا للتأويلات الخاطئة و للتدليل على رغبتنا الحقيقية في السلم ، و تحديدا للخسائر البشرية وإراقة الدماء ، فقد اعددنا للسلطات الفرنسية وثيقة مشرفة للمناقشة ، إذا كانت هذه السلطات تحدوها النية الطيبة ، و تعترف نهائيا للشعوب إلي تستعمرها بحقها في تقرير مصيرها بنفسها .

-1) الاعتراف بالجنسية الجزائرية بطريقة علنية و رسمية، ملغية بذلك كل الأقاويل و القرارات و القوانين التي تجعل من الجزائر أرضا فرنسية رغم التاريخ والجغرافيا و اللغة و الدين و العادات للشعب الجزائري .

-2) فتح مفاوضات مع الممثلين المفوضين من طرف الشعب الجزائري على أسس الاعتراف بالسيادة الجزائرية وحدة لا تتجزأ

-3) خلق جو من الثقة و ذلك بإطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين و رفع كل الإجراءات الخاصة لإيقاف كل مطاردة ضد القوات المكافحة

و في المقابل :

-1) فان المصالح الفرنسية ، ثقافية كانت أو اقتصادية و المتحصل عليها بنزاهة ، ستحترم وكذلك الأمر بالنسبة للأشخاص و العائلات .

-2) جميع الفرنسيين الذين يرغبون في البقاء بالجزائر يكون لهم الاختيار بين جنسيتهم الأصلية و يعتبرون بذلك كأجانب تجاه القوانين السارية، أو يختارون الجنسية الجزائرية وفي هذه الحالة يعتبرون كجزائريين بما لهم من حقوق و ما عليهم من واجبات.

-3) تحدد الروابط بين فرنسا و الجزائر و تكون موضوع اتفاق بين القوتين الاثنتين على أساس المساواة و الاحترام المتبادل .

" أيها الجزائري إننا ندعوك لتبارك هذه الوثيقة. وواجبك هو أن تنضم إليها لإنقاذ بلادنا و العمل على أن نسترجع له حريته ، إن جبهة التحرير الوطني هي جبهتك ، و انتصارها هو انتصارك.

" أما نحن ، العازمون على مواصلة الكفاح ، الواثقين من مشاعرك المناهضة للامبرياليين ،فإننا نقدم للوطن أنفس ما نملك .

فاتح نوفمبر 1954

الأمانة الوطنية

<u>المصدر</u>: حزب جبهة التحرير الوطني ، **<u>النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني</u>**، نشر وتوزيع قطاع الإعلام والثقافة والتكوين ، ص03- 06

ملحق رقم: 04

نـــــــــداء

من جيش التحرير الوطني الجزائري

إلى الجزائر المسلمة

أيها الشعب الجزائري...

مثلما حطمت الشعوب المستعمرة قيود الذل و الاضطهاد ، و مثلما كافح إخوانك في تونس و مراكش أولئك الذين تربطك بهم قرون من التاريخ و الحضارة و الآلام يجب إلا تنسى لحظة واحدة إن مستقبلنا جميعا واحد ، و لذلك انه لا يوجد أي داع لكي لا توحد و لا تجمع و لا تشد من أزر كفاحنا . إن خلاصنا واحد و إن تحريرنا واحد ، وان العمل على تجزئة القضية المغربية عمل ينافي واقع التاريخ الذي يعود إلى سنة و 1830 يسبب شقاء الجميع .

و فضلا عن هذا يجب أن تفكر قليلا في الحياة المشينة التي تعيشها حياة المستعمر المغلوب على أمره الذي أصبح فوق أرضه و في وطنه في حالة صعبة خادما تستغله حفنة من أصحاب الامتيازات يمثلون الطبقة المسيطرة الحاكمة ، و يمتازون بالأنانية التي لا تبحث إلا عن منفعتها وراء ستار المدنية و التقدم ستار الكذب و الخادعة .

فاذكر أيها الشعب بعض التواريخ لتعرف هذه المدنية و ذلك التقدم . اذكر سنة 1830 وما حدث فيها من جرائم و نهب باسم حق القوى – و اذكر سنة 1870 وما تبعها من مذابح و اعتداءات على الأملاك ذهب ضحية لها ألاف الجزائريين و اذكر سنة 1945 و الخمسة و الأربعين ألف شهيد - واذكر سنة 1948 و الانتخابات المزيفة وما تبعها – واذكر سنة 1950 و المؤامرة الشهيرة التي دبرت فيها – وانظر كيف أن العدالة و الديمقراطية و المساواة ليست إلا كذبا و خديعة يستعملها الاستعمار لمخادعتك و دفعك يوما فيوما إلى الشقاء الذي عرفته و أدركته .

فإذا أضفنا إلى كل هذه المحن فشل جميع الوسائل التي استعملت حتى اليوم بقي ل كان تؤمن بضرورة استعمال طرق أخرى في الكفاح. ولذلك ونظرا لخطورة الساعة فإننا ندعوك إلى ترك الاستسلام ورفع راسك لاستعادة حريتك بدمائك الزكية وان تعمل جنبا لجنب مع إخوانك في غرب الجزائر وغربها أولئك الذين يجازفون بحياتهم لكي يحيا وطنهم حرا .

وإننا لا نعلم علم اليقين ما تستطيع أن تقوم به من كفاح ، ولكننا نريد أن نوجه نظرك قبل كل شيء إلى طرق العمل لفائدة قوات التحرير التي أقسمت اليمين المقدس لتضحية كل شيء في سبيلك .

1 – حافظ على هدوء أعصابك وحافظ عن النظام ولا تترك للفوضى منفذا لتدخل صفوفك فيستغلها العدو.

2- إن الواجب يحتم عليك مساعدة إخوانك المجاهدين بكل الوسائل .

3- كن يقظا منتبها فان العدو يراقب وينظر إلى جميع حركاتك كي يتمكن من مضايقتك.

4- حذار من البلاغات المزيفة ومن الأكاذيب ومن الفساد ومن الوعود التي لا يقصد منها إلا توجيهك إلى طريق غير التي سطرها ديننا الحنيف وواجبنا الوطني .

و في الختام فان كل غفلة تتسبب في عدد من الضحايا ، ولذلك لا تضيع الوقت و اشرع في تنظيم عملك بجانب قوات التحرير التي يجب أن تقدم لها المساعدة و المعونة وان تحميها في كل وقت و في كل مكان. فانك بخدمتها تخدم قضيتك .

إن عدم المبالاة بالكفاح جريمة ومضايقة عمل المكافحين خيانة . وان الله مع المجاهدين من اجل القضايا العادلة . ولا تستطيع قوة أن تصدهم سوى الموت في ميدان الشرف و المجد أو التحرير القومي.

يحيا جيش التحرير...

تحيا الجزائر المستقلة...

الجزائر في 30-10 -1954

المصدر:

Fathi Dib ; abd-nacer and the algerian révolution (in arabic) p

؟

الملحق رقم: 05

أعضاء المجلس الوطني للثورة الجزائرية المنبثق عن مؤتمر الصومام1956م

أ - الدائمون:

مصطفى بن بولعيد

عبان رمضان

العربي بن مهيدي

فرحات عباس

محمد بوضياف

رابح بيطاط

حسين آيت احمد

بن يوسف بن خده

محمد خيضر

سعد دحلب

بلقاسم كريم

محمد الأمين دباغين

عمار أوعمران

زيغود يوسف

محمد يزيد

توفيق المدني

ب- المؤقتـون:

الأخضر بن طوبال

محمد بن يحي

عبد الحفيظ بوصوف

بشير شيحانى

عيسات أيدير

سليمان دهيليس

احمد فرانسيس

محمد لبجاوي

احمد محساس

عبد الحميد مهري

علي مــلاح

إبراهيم مزهودي

محمدي سعيد

عبد المالك تمام

الطيب تعلبي

عمار بن عودة

المصدر: صحيفة **المجاهد** عدد: 04 نوفمبر- تشرين الثاني 1956م .

الملحق رقم: 06

مقتطفات من منـهج الصومام * 20 أوت 1956 *

[illegible]

[illegible]:

[illegible]
[illegible] :

1) الحالة السياسية الحاضرة

2) البوادر العامة

3) وسائل العمل والدعاية

تحارب الجزائر منذ عامين ببطولة وباس شديد في سبيل الاستقلال الوطني.

وان الثورة الوطنية المناهضة للاستعمار لجادة في السير .

وإنها لتفرض إعجاب الراى العام العالمي .

ا) المقاومة المسلحة

لقد خرج جيش التحرير الوطني من أول اختبار في القتال موقفا فائزا في وقت قصير نسبيا، بعد أن كان منحصرا في جبال الاوراس وفي بلاد القبائل .

فقد أحبط التطويق و الإبادة التي شنها جيش قوي عصري هو في خدمة النظام الاستعماري لدول من اكبر دول العالم .

وعلى الرغم من قلة السلاح الوقتية استطاع جيش التحرير الوطني توسيع نطاق عمليات العصابات و المناورات و الإتلاف التي أصبحت اليوم نعم التراب الوطني كله .

وما انفك يدعم مراكزه بتحسين خطته وفنه ونفوذ عمله.

واستطاع أن ينتقل بمزيد السرعة من حرب العصابات إلى مستوى الحرب الجزئية.

وأجاد تنسيق الأساليب المجربة في الحروب ضد الاستعمار مع الأساليب العادية وتطبيقها تطبيقا منظما يتماشى وخصائص البلاد. وأقام البرهان الكافي الآن وقد تم توحيد نظامه العسكري على انه متمكن من الفن المطلوب لحرب تشمل عامة القطر الجزائري .

إن جيش التحرير الوطني يحارب من اجل قضية عادلة

انه يضم وطنيين ومتطوعين ومجاهدين عازمين مصممين على الكفاح والنضال باذلين النفس والنفيس إلى أن يتم تحرير الوطن الشهيد.

ولقد تعزز جانبه بمن انضم إليه من الضباط والجنود المحترفين اللذين استيقظت فيهم مشاعر الوطنية فهاجروا صفوف الجيش الفرنسي بما لهم من سلاح وجهاز.

ولأول مرة في التاريخ العسكري لم تعد فرنسا تستطيع أن تعول على" إخلاص " الجنود الجزائريين بل اضطرت إلى نقلهم إلى فرنسا وألمانيا .

وعصابات * الحركة – القومية * التي كونتها السلطة الفرنسية بمن اختارتهم من العاطلين وغرتهم في اغلب الأحيان في حقيقة ((العمل)) الذي دعهم إليه ، أخذت تهرب وتتوارى في الجبال والغابات ، أما البعض هذه *الحركات* فقد عمدت السلطة إلى تجريدها من السلاح وحلها لشدة استيائها من النتيجة .

وذخائر جيش التحرير الوطني من الرجال وافرة لا تنفذ ، وكثيرا ما يضطر الجيش إلى رفض تجنيد الجزائريين شبانا وشيوخا ، من الحواضر ومن البوادي وهم ينتظرون بفارغ الصبر ، أن يتاح لهم إحراز الشرف بالجندية في* جيشهم * .

وان الجيش ليتمتع بحب الشعب الجزائري حبا عميقا وتأييده التحمس الشديد وتضامنه الفعال المعنوي والمادي، التام الكامل المتين .

فكبار الضباط وقادة المناطق والمحافظون السياسيون ، وإطارات جيش التحرير وجنوده ، يعظمون ويكرمون تعظيم وتكريم الأبطال الوطنيين ، ويمجدون في الأغاني الشعبية التي نفذت إلى الكوخ الحقير والخيمة البائسة ، كما تسربت إلى الغرفة المنزوية بين الأزقة الضيقة والى الردهات والبيوتات الرفيعة .

تلك هي الأسباب الجوهرية * للمعجزة الجزائرية * ؛ جيش التحرير الوطني يخيب سعي القوة الهائلة التي ينطوي عليها الجيش الاستعماري الفرنسي المعزز بالفيالق " الذرية "

المأخوذة من القوات المخصصة للدفاع عن أوروبا الغربية ، ذلك الذي اضطر الجنرالات الفرنسيين إلى الاعتراف بان الحل العسكري مستحيل لتسوية القضية الجزائرية ، رغم ما يتصلون به من النجدات المتوالية التي سرعان ما تعد غير كافية ، ورغم خطة تقسيم البلاد المعروفة **"بكادرياج "** أو غيرها من الخطط التي لم يكن لها تأثير كما لم يكن تأثير لما أطلقوه من النار و آلات الدمار .

و يجب علينا أن ننبه على الخصوص إلى ما تكون في المدن من المنظمات المقاومة الكثيرة التي أصبحت تؤلف جيشا ثابتا بدون بزة عسكرية .
وقد أبدت الأفواج المسلحة في المدن والقرى بما قامت به من الغازات على الشرطة ومراكز الجند رمة وإتلاف المباني العمومية وإشعال الحرائق والقضاء على أصحاب الرتب من الشرطة والوشاة والخونة .

وهذا مما يضعف الهيكل العسكري والشرطي للعدو الاستعماري تضعيفا لا يستهان به، ويبالغ في تشتيت قواه في عامة البلاد، بل يزيد في وهن معنوية الجنود الذين يستبقون

دائما في حالة انزعاج وتعب بما يضطرون إليه من الانتباه المستمر و الاحتراز المطرد المقلق.

فمن الأمور التي لا ينكرها احد أن نشاط جيش التحرير الوطني قد قلب الجو السياسي في الجزائر .

لقد احدث صدمة نفسية أيقظت الشعب من سباته وخلصته من روعه ، وأزالت عنه ريبته .

وبعث في الشعب الجزائري الشعور بكرامته القومية .

الاجتماع الوطني الذي يغذي الكفاح المسلح وكون اتحادا روحيا وسياسيا بين جميع
الجزائريين فحصل ذلك الاجتماع الوطني الذي يغذي الكفاح المسلح ويجعل انتصار الحرية حتما لابد منه .

ب) تنظيم سياسي فعال

أصبحت جبهة التحرير الوطني رغم كون نشاطها سريا هي المنظمة الوطنية الحقيقية الوحيدة. ونفوذها في عامة القطر الجزائري واقع لا يقبل ولا يتجادل فيه احد.

ففي فترة من الزمن قصيرة جدا وقفت الجبهة إلى التفوق على سائر الأحزاب السياسية الموجودة منذ عشرات السنين .

ولم يحدث ذلك عرضا و مصادفة، و لكن كان نتيجة توفر الشروط الضرورية الآتية:

1) منع النفوذ الشخصي و إقرار مبدأ الإدارة الجماعية المؤلفة من رجال أطهار أمناء يتنزهون عن الرشوة ، شجعان لا يردهم الخطر و لا السجن ولا رهبة الموت .

2) وضوح المذهب، فالغاية المنشودة هي الاستقلال الوطني و الوسيلة هي الثورة بتدمير الحكم الاستعماري

3)اتحاد الشعب تحقق في الكفاح ضد العدو المشترك، بدون تحيز أو تعصب لقد أكدت جبهة التحرير الوطني في أول عهد الثورة أن **" تحرير الجزائر سيكون عمل جميع الجزائريين.لا عمل جزء فقط من الشعب الجزائري . مهما كان هذا الجزء كبيرا . ولذا فان جبهة التحرير ستعتبر في كفاحها جميع القوى المضادة للاستعمار، وان هي لم تزل خارجة نطاق إشرافها ".**

4)الاستنكار النهائي لتقديس الشخصية والكفاح العلني ضد الصعاليك و الوشاة و خدام الإدارة و الشرطيين و عيونهم . ومن ثم كانت قدرة جبهة التحرير الوطني على إحباط المناورات السياسية و أبطال مكائد المنظمات الشرطية الفرنسية.

وليس معنى هذا أن المصاعب أزيلت كلها فان نشاطنا قد عاقته في أول مرة العوائق الآتية:

1)قلة الإطارات وقلة الوسائل المادية و المالية .

2) ضرورة القيام بعمل طويل شاق في توضيح الجو السياسي و بيان الموقف بأناة وصبر وثبات للتغلب على الاضطراب الذي لا بد منه مثل الاضطراب في الجسم أبان البلوغ .

3) الواجب الاستراتيجي الذي يقتضي تعليق كل شيء بجبهة الكفاح المسلح .

وان هذا الضعف الذي هو عادي ولا بد منه في البداية قد أصلح وأمكن استدراكه فبعد المدة التي كانت جبهة التحرير فيها تكتفي بإلقاء الأوامر بمقاومة الاستعمار، قد شهدنا بروزا حقيقيا في ميدان الكفاح السياسي .

وقد امتازت هذه النهضة بالإضراب التذكاري الذي أعلن في فاتح نوفمبر 1955 ذلك الإضراب الذي كان يعد الحادث الحاسم سواء لماله من مظهر أو لماله من نتيجة ايجابية وصفة بعيدة لمدة حيث كان يدل على نفوذ الجبهة في جميع طبقات الأمة.

لا يتذكر جزائري أن أية منظمة سياسية حصلت على اضطراب عظيم كهذا في مدن الوطن وقراه.

ومن جهة أخرى فان النجاح الذي وفقت إليه جبهة التحرير الوطني في دعوتها إلى عدم التعاون السياسي مع الفرنسيين لم يكن برهانه اضعف من برهان الإضراب. لقد كان من شان استقال النواب الوطنيين التي تلتها استقالة النواب الموالين للإدارة أن أرغمت الحكومة الفرنسية على العدول عن تمديد نيابة النواب في المجلس الوطني الفرنسي وعلى حل المجلس الجزائري أما المجالس العمالية و البلدية والجماعات فقد أصبحت في خبر كان . ومما زاد في هذا الفراغ ووسع رقعته استقالة عدد كبير من الموظفين و أعوان السلطة الاستعمارية من **"قياد"**ورؤساء أقسام و حراس. ولما لم تجد الإدارة الفرنسية مترشحا أو عضوا انفكت أوصالها وانحلت أجزاؤها وأصبح هيكلها لا يكفي ولم تجد أي تأييد من الشعب فهي تكاد تجد سلطة جبهة التحرير قائمة معها في جميع الجهات .

وهكذا الانفكاك الذي هو بطيء ولكنه بعيد المدى في الإدارة الفرنسية قد مكن من نشوء ازدواج النفوذ ونموه ، تقوم الآن إدارة الثورة بما لها من جماعات سرية و مرافق تشتغل بالتموين وجباية الضرائب والقضاء و تجنيد المجاهدين والأمن و الاستعلامات وستقدم إدارة جبهة التحرير بمرحلة جديدة بما تؤسسه من مجالس شعبية ينتخبها سكان القرى قبل الذكرى السنوية الثانية لثورتنا.

وقد ثبت الوعي السياسي لجبهة التحرير ثبوتا جليا باهرا بانضمام الفلاحين إلى صفوفنا لان الحصول على الاستقلال الوطني معناه أيضا في نظرهم الحصول على الإصلاح الزراعي الذي سيملكهم الأراضي التي يستثمرونها بأيديهم.

ونجم عن هذا كله نشوء جو ثري انتشر بسرعة في كافة البلاد .

وكان بشان وجود أفراد من الحضر ذوي أدراك سياسي واسع وحنكة بالغة تحت إشراف جبهة التحرير وتسييرها البصير إن آمكن من التنبيه السياسي للنواحي المتأخرة . وكانت مساعدة الطلبة والطالبات كبيرة النفع لاسيما في الميدان السياسي والميدان الإداري الصحي . والشيء المحقق هو أن الثورة الجزائرية قد اجتازت مرحلة أولى تاريخية بعزة وشرف.

أنها حقيقة حية قد أبطلت الرهان العابث الذي تقدم به الاستعمار الفرنسي حيث ادعى انه يقضي عليها في أشهر قلائل.

أنها ثورة منضمة وليست بحركة ثورية فوضوية.

أنها كفاح وطني يهدف إلى تدمير حكم الاستعمار الفوضوي وليست بحرب دينية أنها سير إلى الأمام في الاتجاه التاريخي للإنسانية وليست برجوع إلى النظام الإقطاعي .

الحاصل أنها كفاح في سبيل نهضة دولة الجزائرية في شكل جمهورية ديمقراطية واجتماعية وليست في سبيل إعادة حكم ملكي أو حكم قائم على ما يعبر عنه باللاهوتية وتلك نظم قد اضمحلت ودالت دولتها .

ج- إخفاق المنظمات السياسية السابقة

من آثار الثورة الجزائرية على الشعب الجزائري أنها عجلت بنضجه السياسي.

فقد شحذت ذهنه ، واذكت فيه روح النقد و التحميص وأبدت له على ضوء التجربة الحاسمة ، تجربة النضال في سبيل الحرية و عجز المذهب الإصلاحي ، و عقم الشعوذة الخادعة المناهضة للثورة.

لقد ظهر إخفاق الأحزاب القديمة للعيان جهارا، وتفككت المنظمات المختلفة. فأما الأعضاء الاساسيون فانضموا إلى جبهة التحرير الوطني ، و أما حزب البيان المنحل وجمعية العلماء فأيدا بشجاعة مواقف جبهة التحرير وأما جمعية الطلبة المسلمين الجزائريين التي تضم سائر الجامعيين و تلاميذ المدارس الثانوية فنادت بنفس العاطفة على لسان مؤتمرها الذي وافق على الأمر بإجماع

وأما الهيئة المركزية لحركة انتصار الحريات الديمقراطية فقد ذهبت و لم يبق لها اثر سواء بصفتها مجمعا للزعماء السابقين أو بصفتها نزعة السياسة.

مذهب مصالي انهار

لم تكن الحركة القومية الجزائرية لتقوى على التغلب على الأزمة التي أودت بحركة انتصار الحريات الديمقراطية . رغم ما تظاهرت به من خدمة الشعب لاستمالته إليها. أنها لم تحتفظ بهيكل أساسي إلا في فرنسا لوجود مصالي بها و هو في المنفى و لجهل المهاجرين الجزائريين ب فرنسا للحقيقة الجزائرية جهلا تاما.

فمن هناك كانت تصدر الأوامر و الأموال و الرجال لتنظيم أفواج مسلحة ومناطق منشقة للمقاومة ولم يكن الغرض منها المساهمة في محاربة العدو الممقوت أي النظام الاستعماري و جيشه و شطرته ولكن للقيام بعمليات التحدي و الاستفزاز و إفساد الثورة الجزائرية و إحباط عمل زعمائها العسكريين و السياسيين بما تبثه من روح الهزيمة وما تدخله من الاضطرابات وما تقترفه من القتل.

كل نشاط الحركة القومية الجزائرية المشتت القصير المدى قد ظهر علانية في بعض المدن القليلة ومنها مدينة الجزائر في شكل طائفة مناهضة للثورة قامت بعمليات التلهية و التفرقة **(كالحملة ضد بني ميزاب)** و اللصوصية **(كابتزاز أموال التجار)** و التشويش و الافتراء**(كتقديم مصالي بصفته مؤسسا و قائدا لجيش التحرير الوطني).**

إن مذهب مصالي قد فقد قيمته كتيار سياسي و أصبح شيئا فشيئا حالة نفسية تذوب و تضعف بتوالي الأيام

.

وحسبنا دليلا على قيمة هذا المذهب إن آخر المعجبين بمصالي والمدافعين عنه هم الصحفيون والأدباء القريبون من رئاسة الحكومة الفرنسية . فهم يذهبون إلى استنكار جحود الشعب الجزائري الذي لم يعد يعترف " بفضل مصالي ومزايا الاستثنائية وهو الذي انشأ القومية الجزائرية قبل ثلاثين سنة " .

إن نفسية مصالي أشبه شاء باعتقاد الديك الأحمق الذي جاء عنه في القصص انه لا يكتفي بمشاهدة شروق الشمس ولكنه ينادي بأنه * هو الذي يجعل الشمس تشرق * .

وان القومية الجزائرية التي يدعي مصالي بوقاحة انه هو محدثها هي حادث عالمي نتيجة تطور طبيعي تسير عليه جميع الشعوب التي تفيق من سباتها .

فكما أن الشمس تشرق دون أن يكون للديك في شروقها يد فكذلك الثورة الجزائرية تنتصر دون أن يكون لمصالي فيها فضل أو مزية .

لقد كان هذا المدح المذهب مصالي في الصحافة الفرنسية دليلا جديا على ما كان يجري من إعداد لجو مصطنع موافق لمناورة واسعة النطاق ضد الثورة الجزائرية.

تلك هي التفرقة التي هي السلاح العادي للاستعمار.

فقد حاولت الحكومة الفرنسية عبثا أن تقاوم جبهة التحرير الوطني بتنظيم الهيئات المعتدلة وحتى جماعة " ال 16 " ولما استيقن الاستعمار الفرنسي انه لا يستطيع أن يعول على السايح أو فارس لان فكرة * بني وي وي * قد كسدت سوقها وزالت بصفة نهائية لا رجوع بعدها . طمع في استخدام رئيس ((الحركة القومية الجزائرية)) في مكيدته الشيطانية الخيرة كي يسلب الشعب الجزائري انتصاره.

ومصالي في ذلك خير آلة للسياسة الاستعمارية لأنه رجل ذو غرور وعجرفة ، ليس له ضمير ولا أنفة .

وعلى هذا لم يكن من المصادفة قول جاك سوستيل للأستاذ ماسينيسون في شهر نوفمبر 1955 : ((إن مصالي هو وسيلتي الأخيرة)) .

ولا يتورع الوزير المقيم لا كوست من التعبير للصحافة الاستعمارية الجزائرية عن سروره بملاحظة أن ((الحركة القومية الجزائرية إنما تدأب على إضعاف جبهة التحرير الوطني ليس إلا .

وقد كشفت الجريدة الاشتراكية الأسبوعية ((دوما / غدا)) عن الخلافات القائمة بين الساسة الفرنسيين في الخطة التي يجب سلوكها فكتبت أن بعض الوزراء مستعدون لإطلاق الحرية لمصالي لمنع جبهة التحرير الوطني من أن يتعزز جانبها ((وإنما المشكلة الوحيدة هي التامين على حياة الزعيم الجزائري)) .

واذ ما ذكرنا إن مصالي قد تحمل حملة عنيفة على البلاد العربية – وهذا لا محالة – مما يسر سوستيل و لاكوست و بورجو و أمثالهم تحققنا إن نقله من ((انفولام)) إلى ((بل أيل)) يثبت الفكرة التي

عرضتها جريدة ((دومان)) . و إذا كانت حياة مصالي نفسية والى هذا الحد عند الاستعمار الفرنسي فهل نعجب من أن نراه يتدهور إلى الخيانة عن خبرة ودارية ؟

الشيوعية غائبة

لم يستطع الحزب الشيوعي الجزائري أن يلعب دورا يستحق الذكر رغم وقوعه في حالة غير قانونية ورغم الدعاية الصاخبة التي أضفتها عليه الصحافة الاستعمارية لتبرير اشتراكه المزعوم في الثورة الجزائرية.

إن الإدارة الشيوعية التي هي إدارة مكتبية لا صلة لها بالشعب لم تكن قادرة على تحليل الحالة الثورية تحليلا صحيحا. و لذا فقد استنكرت **" الإرهاب "** و أمرت أعضاء الحزب من سكان أوراس الذين قدموا إلى الجزائر في الأشهر الأولى من نشوب الثورة ليأخذوا الأوامر و التعليمات بلا يحملوا السلاح.

لقد كان خضوع الحزب الشيوعي الجزائري للحزب الشيوعي الفرنسي خضوع **"بني وي وي "** نظرا إلى الصمت الذي لزمه بعد موافقة البرلمان الفرنسي على إطلاق النفوذ للحكومة .

فان الشيوعيين الجزائريين لم يكن لهم الشجاعة الكافية لاستنكار هذا الموقف الانتهازي الذي وقفته الكتلة البرلمانية الشيوعية و ليس هذا فقط بل أنهم لم يقولوا و لا كلمة على ما تقرر في فرنسا من الكف عن المساعي النشيطة المحسوسة ضد حرب الجزائر كالظاهرات ضد إرسال النجدات العسكرية و الإضراب في وسائل النقل وفي البحرية التجارية و في الموانئ البحرية لشحن العتاد الحربي.

لقد اضمحل الحزب الشيوعي الجزائري بصفته منظمة جدية و دلك على الخصوص لكثرة ما فيه من الأوروبيين الذين تضعضعت عقائدهم القومية الجزائرية فأظهرت ما فيهم من تناقص أمام المقاومة المسلحة.

و الأصل في انعدام هذا الانسجام في السياسة المضطربة الناشئة منه هو البلبلة و الاعتقاد أن التحرير الوطني الجزائري مستحيل الوقوع قبل انتصار ثورة طبقة العمال في فرنسا. وهذه الأيدلوجية التي تذكر الحقيقة التي تدعو إلى سياسة الإدماج السلبي و هي من آثار نظريات الخلية الفرنسية الأممية المالية **(s.f.i.o)**الانتهازي.

فهي تنكر صفة الثورة لطبقة الفلاحين و للفلاحين الجزائريين على الخصوص و تدعى أنها تحمي طبقة العمال الجزائريين من خطر مريب خطر الوقوع تحت سيطرة **" البورجوازية العربية"** كان الاستقلال الوطني الجزائري سيسلك حتما طريق الثورات الخائبة بل يتقهقر إلى نظام إقطاعي ما .

إن جامعة الشغل العامة **"س.ج.ت."** الخاضعة للتأثير الشيوعي هي في مثل موقف الحزب الشيوعي تدور و تدور في الفراغ دون أن تستطيع أن تصدر أو تنفذ أمرا.

فالجمود الذي رغم حركة العمال المنظمة و أثقله موقف نقابات **" القوة العمالية " (ق. ع)** و الجامعة الفرنسية للعمال المسيحيين **(ج. ف. ع. م.)** ليس وليد ضعف في عزيمة عمال المدن و لكنه ناجم عن جمود الأركان النقابية للاتحادية العامة للنقابات الجزائرية التي تنتظر و هي مكتوفة الأيدي أوامر باريس.

لقد برهن عمال ميناء الجزائر على قوة عزيمتهم بالمساهمة في الإضراب السياسي التذكاري في فاتح نوفمبر 1955.

و كثير من أعمال أدركوا أن ذلك اليوم الوطني كان تصطبغ بصبغة الإجماع الوطني بصبغة أوسع بيانا و أقوى نشاطا و اكبر فائدة لو دعيت منظمات العمال إلى الكفاح العام بحذاقة و لباقة من طرف هيئة نقابية مركزية وطنية حقيقية وهذا الحكم الصحيح ثبته إثباتا كليا التوفيق التام الذي أحرزه الإضراب العام الوطني في 5 يوليه 1956.

و لذلك استقبل العمال الجزائريون نشأة الاتحاد العام للعمال الجزائريين **(إ.ع .ع . ا)** الذي كان نموه مطردا لا يقهر بصفته اللسان المعبر عن رغتهم و تشويقهم إلى مساهمة أقوى و أنشط في تدمير الاستعمار المسؤول عن حالة البؤس و البطالة و الهجرة و المهانة .

وانتشار الشعور الوطني هذا مع ارتفاع مستواه إلى مرتبة ارقي لم يلبث أن قوض الأساس العمالي للحزب الشيوعي الجزائري كما يقوض المبنى على الرمل وكان ذلك الأساس نفسه قد ضعف بعد ضياع عناصره الأوربية المترددة المتذبذبة.

على إننا نسجل بعض الإعمال الفردية الصادرة عن بعض الشيوعيين الذين انضموا إلى صفوف جبهة التحرير وجيش التحرير . ومن الممكن إيقاظ بعض الفرد والانتباه إلى تصحيح رأيهم في التحرير الوطني .

والمحقق أن الحزب الشيوعي الجزائري سيحاول في المستقبل أن يستثمر هذه المواقف الفردية ليخفي عزلته التامة، وتغيبه عن الجهاد التاريخي ، الذي تقوم به الثورة الجزائرية . **ب) إستراتيجية الاستعمار الفرنسي**

لقد أبطلت الثورة الجزائرية جميع التكهنات الاستعمارية التي أضفي عليها غطاء من التفاؤل المزيف ، وهاهي ذي تستمر في نموها واتساعها بعزيمة خارقة في تطور متصاعد بعيد المدى .

وهي في تقدمها هذا تزعزع وتقوض ما بقي من الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية المتدهورة.

وحكومات باريس المتتالية كلها تجد نفسها عرضة لازمة سياسية لم يسبق لها نظير ، فبعدان أرغمت على التخلي عن المستعمرات آسيا اعتقدت أنها تستطيع أن تحتفظ بمستعمرات إفريقيا ، ولما أحست بأنها لا تقوى مجابهة ((فساد الحالة)) في إفريقيا الشمالية أطلقت العنان لتونس والمغرب عساها أن تمسك الجزائر .

ا) عظة التجارب التونسية والمغربية

إن هذه السياسة ليست لها أسس واقعية قد أسفرت بالخصوص عن سلسلة من الهزائم المعنوية التي تعاقبت بسرعة في كل الميادين : الاستياء في فرنسا – حركات الاضطراب من العمال – ثورات التجار – اضطرابات الفلاحين – العجز في الميزانية – التضخم المالي – ضعف الإنتاج – الكساد الاقتصادي – القضية الجزائرية في هيئة الأمم المتحدة – تسليم إقليم السار لألمانيا .

ثم إن الزحف الثوري في شمال إفريقيا على الرغم من انعدام خطة سياسية مشتركة لضعف لجنة تحرير المغرب في أساسها قد اضطر الاستعمار الفرنسي إلى تدبير خطة دفاعية ارتجالية مستعملا كل أنواع القمع الاستعبادي التقليدي .

والمحادثات الفرنسية التونسية التي كان المفروض أن تقوم بمثابة حاجز استعماري على الطريقة الجديدة ، قد أصبحت متأخرة من اثر السخط الشعبي ومن الضربات التي انهالت على الاستعمار في الثلاثة الشقيقة .

وكان تطور الأزمة المغربية السريع ودخول الجبلين في الكفاح بالسلاح معززين جانب المقاومة في الحضر ولاسيما اثر الثورة الجزائرية كل ذلك كان من العوامل الفعالة في انقلاب الموقف الرسمي الفرنسي وفي حصول الاستقلال المغربي.

وهذا التغيير الفجائي في سلوك الحكومة الاستعمارية التي تخلت عن الجمود و أوغلت في طريق البحث عن حل عاجل إنما دعت إليه أسباب إستراتيجية هي:

1) منع تكوين جبهة ثانية حقيقية بإنهاء بين الكفاح المسلح في الريف بالمغرب وفي الجزائر.

2) إلغاء وحدة الكفاح في بلدان شمال إفريقيا الثلاثة .

3) عزل الثورة الجزائرية التي كانت صبغتها الشعبية تجعلها اشد خطرا.

ولكن جميع تقديرات المستعمرين قد خابت. فقد كان الغرض من المفاوضات التي أجريت على حدة هو مخادعة بعض زعماء البلدين الشقيقين أو إغراؤهم ودفعهم إلى التخلي على علم أو على جهل عن الميدان الحقيقي للكفاح الثوري إلى النهاية.

والذي يمتاز به الوضع السياسي في شمال إفريقيا أن القضية الجزائرية مندمجة في القضية المغربية وفي القضية التونسية بحيث أن القضايا الثلاث لا تكون إلا قضية واحدة.

والواقع ان استقلال المغرب وتونس بدون استقلال الجزائر لغو .

فالتونسيون والمغاربة لم ينسوا أن فتح فرنسا لبلادهم قد عقب فتح الجزائر.

وقد أصبحت شعوب المغرب العربي ألان مقتنعة بعد التجربة بان الكفاح المتشتت ضد عدو مشترك ليس له مآل غير الهزيمة للجميع لان كل واحد يمكن قهره على حدة.

وانه لخطا فاحش وضلال بعيد أن يعتقد احد أن باستطاعة المغرب وتونس التمتع باستقلال حقيقي إذا ما بقيت الجزائر رازحة تحت نير الاستعمار.

فان الساسة الاستعماريين الخبراء في الغش الدبلوماسي الذين يأخذون بيدي ما يعطونه باليد الأخرى لا يفوتهم أن يفكروا في إعادة فتح هذين البلدين بمجرد ما تبدوا لهم الظروف الدولية مواتية.

بيد انه من الأمور الهامة جدا أن الزعماء المغربة والتونسيون شرعوا يعبرون في تصريحاتهم الأخيرة المتكررة عن وجهات نظر جبهة التحرير الوطني .

ب) سياسة الحكومة في الجزائر

ما لبثت الحكومة ذات الرياسة الاشتراكية آن رجعت في 6 فبراير بعد المظاهرة الاستعمارية في الجزائر عن الوعود التي وعدت بها(الجبهة الجمهورية) قبل الانتخابات من إعادة السلم إلى الجزائر عن طريق المفاوضة ورد الجنود إلى منازلهم وتحطيم(الإقطاعيات) الإدارية والمالية والإفراج عن المعتقلين السياسيين وإغلاق المحتشدات .

ولئن كان منديس فرنس يمثل في الحكومة – قبل استقالته – النزعة الراغبة في المفاوضة ضد النزعة المعارضة التي يشرف عليها بورجيس مونوري لاكوست ويدعوان إليها بكل قوة وحقد فان سياسة لاكوست هي التي أصبحت تحظى بالإجماع ، وهي الحرب العوان تشن على الشعب الجزائري لغرض هو من قبل الوهم والخيال وهو محاولة فصل الثورة عن الشعب المحق والإبادة .

ولا يمكن أن يقع أي خلاف أمام هذا الهدف الذي وافقت عليه الحكومة بإجماع ألا إذا أخفقت سياسة الإبادة هذه التي تدعى ((سياسة التهدئة)) . انه لجلي واضح أن الأهداف السياسية التي أعلنها غي مولي من جديد ليس الغرض منها إلا ستر المشروع الحقيقي الذي هو القضاء على جميع قوانا الحية قضاء مبرما.

فالحملة العسكرية المشفوعة بحملة سياسية هي معرضة لا محالة للفشل الذر يع .

لقد ظل ((الاعتراف بالشخصية الجزائرية)) قولا مبهما لا ينطوي على معنى حقيقي ملموس دقيق ، والحل السياسي الذي أعلن باختصار لم يكن قائما إلا على مبدأين اثنين : مشاورة الجزائريين بواسطة انتخابات حرة ووقف القتال ، ولم يكن إعلان الإصلاحات الجزئية الطفيفة إلا كصرخة في واد لا يبالي بها احد وهي ترمي إلى إلغاء تمثيل الجزائر في البرلمان بصفة مؤقتة وحل المجلس الجزائري وتطهير الشرطة تطهيرا خفيفا وتبديل ((ثلاثة)) من كبار الموظفين والزيادة في الأجور الفلاحية وتعيين

المسلمين في الوظائف العمومية في بعض المناصب الإدارية والإصلاح الزراعي والانتخابات في هيئة ناخبة واحدة، واليوم تعلن حكومة غي مولي وجود ستة أو سبعة مشاريع لوضع دستور الجزائر الذي تكون خطته الأساسية هي إنشاء مجلسين احدهما تشريعي والثاني اقتصادي مع حكومة تتألف من وزراء ومندوبين ويرأسها وجوبا وزير من أعضاء الحكومة الفرنسية .

وهذا يدل من جهة على التطور الذي وقع في الرأي العام بفرنسا بفضل جهادنا كما يدل من جهة أخرى على الحلم الجنوني الذي لا يزال يحلم به الساسة الفرنسيين حين يعتقدون أننا سنرضى بتواطؤ مخجل كهذا .

ثم إن محاولة التفريق بين هيئة المقاومة و تضامن الشعب الجزائري التي دعا إليها نيجلان في الميدان الداخلي قد تقرر شفعها بمحاولة فصل الثورة الجزائرية عن تضامن الشعوب المناهضة للاستعمار في الميدان الخارجي و تولى بينو القيام بها .

و لكن جبهة التحرير الوطني ستخيب مساعي العدو المقبلة كما خيبتها في الماضي.

و سنتحدث عن الموقف الدولي في القسم الثالث.

2) البوادر السياسية

لقد قام الدليل على أن الثورة الجزائرية ليست بحركة تمرد فوضوية محدودة دون انسجام و لا إدارة سياسة معرضة للفشل.

لقد قام الدليل على إنها بالعكس ثورة حقيقية منظمة وطنية شعبية لها إدارة مركزية تقودها أركان حرب قادرة على الوصول بها إلى النصر النهائي.

لقد قام الدليل على أن الحكومة الفرنسية التي أيقنت باستحالة الحل العسكري للقضية أصبحت مضطرة إلى البحث عن حل سياسي .

و في المقابل ، يجب على جبهة التحرير الوطني الاقتناع بمبدأ: المفاوضات تأتي تتويجا لكفاح مستمر ضد عدو غاشم ، وليست قبل أبدا .

وموقفنا في هذا الباب يعتمد على ثلاثة اعتبارات جوهرية للانتفاع بتوازن القوى :

1) اتخاذ مذهب سياسي واضح .

2) توسيع نطاق الكفاح المسلح توسيعا مستمرا إلى أن تصير الثورة عامتا.

3) القيام بنشاط سياسي واسع النطاق .

ا) لماذا نحارب ؟

للثورة الجزائرية مهمة تاريخية هي القضاء بصفة لا رجعة فيها على النظام الاستعماري البغيض المنحط الذي يحول دون الرقي و السلم .

أولا) الأهداف الحربية

ثانيا) وقف القتال

ثالثا) المفاوضات للسلم

أولا) أهداف الحرب

أهداف الحرب هي نهاية الحرب التي منها يبدأ تحقيق أهداف السلم .

أهداف الحرب هي الحالة التي نوصل إليها العدو لنحمله على قبول أهدافنا السليمة.

وهذه الحالة إما أن تكون هي النصر العسكري المبين (الاستسلام من دون قيد و لا شرط أو الانهزام أو الانكسار التام)

و إما أن تكون هي البحث عن وقف للقتال أو هدنة بقصد المفاوضة.

الحاصل أن أهدافنا الحربية بالنظر إلى موقفنا سياسية و عسكرية هي:

1) إضعاف الجيش الفرنسي إضعافا تاما بحيث يستحيل عليه الانتصار بالسلاح.

2) إتلاف الاقتصاد الاستعماري على نطاق واسع بعمليات الإفساد و التخريب بحيث تصبح إدارة البلاد العادية متعذرة

3) الإخلال إلى أقصى حد ممكن بالحالة في فرنسا في الميدان الاقتصادي و الاجتماعي بحيث يستحيل عليها مواصلة الحرب.

4) عزل فرنسا سياسيا في الجزائر و في العالم

5) توسيع الثورة إلى حد يجعلها مطابقة للقوانين الدولية (إعطاء الجيش شخصية و تنظيم حكم سياسي يمكن الاعتراف به و احترام قوانين الحرب و تنظيم إدارة عادية للمناطق التي يحررها جيش التحرير الوطني)

6) مؤازرة الشعب مؤازرة ثابتة دائمة أمام الجهود التي بذلها الفرنسيون لإبادته

ثانيا) وقف القتال

ا- الشروط السياسية

1) الاعتراف بالشعب الجزائري شعب واحد لا يتجزأ و هذا الشرط ينفي الوهم الاستعماري **"** جزائر فرنسية **"**

2) الاعتراف باستقلال الجزائر و سيادتها في جميع الميادين بما فيها الدفاع الوطني و الدبلوماسية.

3) الإفراج عن جميع الجزائريين و الجزائريات الأسرى و المعتقلين و المنفيين بسبب نشاطهم الوطني قبل و بعد نشوب الثورة الوطنية في فاتح نوفمبر 1954 .

4) الاعتراف بجبهة التحرير الوطني بصفتها الهيئة الوحيدة التي تمثل الشعب الجزائري و أنها وحدها الأهل للقيام بأي مفاوضة ، و جبهة التحرير الوطني في مقابل ذلك هي الكفيلة بوقف القتال و المسؤولية عنه بالنيابة عن الشعب الجزائري .

ب) الشروط العسكرية:

الشروط العسكرية تبين فيما بعد .

ثالثا) المفاوضات للسلم

1) إذا توفرت شروط القتال أمكن إجراء المفاوضات، و المفاوض الصحيح الوحيد هو جبهة التحرير الوطني و جميع الوسائل المتعلقة بتمثيل الشعب الجزائري هي من خصائص جبهة التحرير وحدها **(** الحكومة و الانتخابات الخ.... **)** و عليه فلا يقبل أي تدخل في الأمر من طرف الحكومة الفرنسية.

2) تجري المفاوضات على أساس الاستقلال بما يشمله من الدبلوماسية و الدفاع الوطني .

3) تحديد نقط المفاوضات.

- حدود القطر الجزائري **(** الحدود الحاضرة بما تتضمنه من الصحراء الجزائرية **)**

- الأقلية الفرنسية **(** على أساس الخيار بين الجنسية الجزائرية أو الجنسية الأجنبية – لا تخص نظام تفضيلي – و لا جنسية مزدوجة جزائرية و فرنسية **)**

- الأملاك الفرنسية: أملاك الدولة الفرنسية. أملاك المواطنين الفرنسيين.

- نقل الاختصاصات **(** الإدارة **)**

- أشكال المساعدة الفرنسية في الميادين الاقتصادية والنقدية والاجتماعية والثقافية الخ .

- مسائل أخرى.

في الطور الثاني تقوم بالمفاوضات حكومة جزائرية تكلف بتبيان محتوى الفصول وتنشا هذه الحكومة من مجلس تأسيسي ينشا هو نفسه من انتخابات عامة.

اتحاد شمال إفريقيا

ستعنى الجزائر الحرة المستقلة بتحطيم الحواجز العنصرية التي أقيمت على الحيف الاستعماري وتعزيز الوحدة والإخاء على أسس جديدة في الشعب الجزائري الذي ستسفر نهضته عن إشعاع شخصيته المزدهرة.

غير أن الجزائريين سوف يتركون حبهم للوطن _ وهو تلك العاطفة النبيلة الكريمة _يستحيل إلى وطنية متعصبة ضيقة عمياء.

فهم شمال إفريقيون مخلصون يتعلقون تعلقا شديدا ومتبصرا بالتضامن الطبيعي الضروري بين بلدان المغرب الثلاث .

أن شمال إفريقيا مجموعة كاملة تؤلفها الجغرافيا والتاريخ والغة والحضارة والمصير .

ومن ثم يجب أن يسفر هذا التضامن بالطبع عن تأسيس اتحاد لدول شمال إفريقيا الثلاث .

وان من مصلحة الشعوب الشقيقة الثلاث أن تبدأ بتنظيم دفاع مشترك واتجاه ونشاط دبلوماسي مشترك وحرية المبادلات وخطة مشتركة ومفيدة في التجهيز والتصنيع وسياسة نقدية مشتركة والتعليم وتبادل الأركان الفنية والاختصاصية والمبادلات الثقافية واستثمار مخبآت الأرض والنواحي الصحراوية التابعة لكل بلد .

المهام الجديدة لجبهة التحرير الوطن

في إعداد الثورة الشاملة .

إذا بدرت بوادر لافتتاح مفاوضات للسلم فينبغي أن لا يكون ذلك مدعاة للانتشاء بالفوز لأنه ينجز عنه لا محالة تراخ عن التيقظ والانتباه مخطر، وفتور في العزائم قد يضعضع التناسق السياسي في الشعب .

بل إن الطور الحاضر للثورة الجزائرية يقتضي مواصلة الكفاح بالسلاح بشدة وقوة وتدعيم المواقف وتنمية القوى العسكرية السياسية للمقاومة.

وافتتاح المفاوضات والمضي فيها إلى النهاية الناجحة متوقفان أولا على النسبة التي تكون بين القوى المتقابلة ولذا يجب في الحال العمل معا بدقة وإتقان على تحويل الجزائر إلى معسكر محصن منيع. تلك هي المهمة التي يجب على جبهة التحرير الوطني وجيشها أن ينجزاها بشرف وبدون تأخير ولهذا الغرض فان الأمر الأساسي والأكثر أهمية هو: كل شيء لتدعيم جبهة الكفاح المسلح وكل شيء لنيل النصر الحاسم.

لم يعد استقلال الجزائر ذلك المطلب السياسي وذلك الحلم الذي طالما علل الشعب الجزائري نفسه وهو رازح تحت نير السيطرة الفرنسية.

بل انه اليوم الغاية الأولى التي أخذت تدنو بسرعة خاطفة لتصير في العاجل حقيقة ناصعة. إن جبهة التحرير الوطني تتقدم بخطى واسعة لتهيمن على الحالة في الميدان العسكري والميدان الدبلوماسي .

الأهداف الجديدة: العناية من الآن وبصفة منتظمة دائبة بإعداد الثور العامة التي لا تنفصل عن التحرير الوطني.

ا)إضعاف الهيكل العسكري والشرطي والإداري والسياسي للاستعمار .

ب) التوفر من الوسائل المادية والاهتمام بذلك من دون انقطاع .

ج) تدعيم تناسق العمل السياسي والعسكري وترقيته.

مجابهة المناورات التي لا بد أن يقوم بها العدو للتفرقة أو التلهية أو العزل ومعارضتها بحملة معاكسة متبصرة وشديدة قائمة على إحكام الثورة الشعبية التحريرية وتعزيز جانبها.

ا) تمتين الاتحاد الوطني المناهض للامبريالية .

ب) الاعتماد بالخصوص على الطبقات الاجتماعية التي هي أكثر عددا واشد فقرا وأميل إلى الثورة وهي طبقات الفلاحين وعمال الفلاحة.

ج) إقناع المتأخرين بصبر وثبات وتشجيع المترددين والضعفاء والمعتدلين وتنبيه الغافلين.

د) عزل المتطرفين من الاستعماريين بالسعي في الحصول على تأييد الأحرار من الاروبيين أو اليهود وان كان عملهم ليزال فاترا أو محايدا .

وفي الميدان الخارجي يجب السعي للحصول على أقوى ما يمكن من التأييد المادي والمعنوي والروحي .

1) تصعيد تأييد الرأي العام.

2) تنمية الإعانة الديبلوماسية بجذب حكومات البلاد التي جعلتها فرنسا في الحياد أو التي لم تطلع اطلاعا كافيا على الصفة الوطنية لحرب الجزائر وحمل هذه الحكومات على مناصرة القضية الجزائرية .

3)وسائل العمل والدعاية

البوادر السياسية العامة التي سبق وصفها تبرز قيمة وحقيقة وسائل العمل التي لابد لجبهة التحرير أن تستخدمها لتحقيق النصر التام في الكفاح الجليل الذي تقوم به في سبيل استقلال الوطن الشهيد.

ونحن نحاول هنا أن نبين مجمل هذه الوسائل في الميدان الجزائري والشمال الإفريقي والفرنسي والأجنبي .

1) كيفية تنظيم و قيادة ملايين الرجال للكفاح العظيم

إن الاتحاد الروحي و السياسي للشعب الجزائري الذي التحم و توطد في الكفاح المسلح قد أصبح اليوم حقيقة تاريخية.

و هذا الاتجاه القومي الوطني المناهض للاستعمار هو القاعدة الأساسية للقوة السياسية و العسكرية للمقاومة .

ويجب أن يحفظ هذا الاتحاد تاما كاملا غير ممسوس و لا منقوص نشيطا حازما كما يجب اجتناب الأخطاء التخريبية والانتهازية وهي أخطاء لا تغتفر لان من شانها أن تسير للعدو مناورته ومكائده الشيطانية .

وأفضل وسيلة لذلك هي إبقاء جبهة التحرير الوطني بصفتها المرشد الوحيد للثورة الجزائرية. وينبغي أن لا يؤول هذا الشرط بحب الظهور الأناني أو بالزهو والغرور الذي هو خطير بقدر ما هو حقير .

إنما هو عبارة عن مبدأ ثوري إلا وهو تحقيق وحدة القيادة في هيئة أركان حرب قد برهنت على مقدرتها وبعد نظرها وإخلاصها لقضية الشعب الجزائري .

فلا ننسى أبدا أن قوة الاستعمار الفرنسي لم تكن قبل اندلاع الثورة متكونة من قوته العسكرية والشرطية فحسب بل كانت متكونة أيضا من ضعف بلادنا التي كانت تحت السيطرة متفرقة غير متأهبة للكفاح المنظم . ومما زاد في قوة زعماء مختلف أجزاء الحركة المناهضة للاستعمار أمدا طويلا .

أما وجود جبهة تحرير وطني قوية لها عروق بعيدة في كافة طبقات الشعب فهو ضمان من الضمانات الضرورية .

ا) تنصيب جبهة التحرير الوطني تنصيبا نظاميا في عامة البلاد في كل مدينة وكل قرية وكل عرش وكل حارة وكل معمل وكل جامعة وكل مدرسة الخ .

ب) نشر الوعي السياسي في مراكز الثورة .

ج) انتهاج سياسة تقوم على إطارات مدربة تدريبا سياسيا و محنكة تحرص على احترام هيكل المنظمة و متيقظة و قادرة على الابتكار.

د) الرد بسرعة و بوضوح على جميع الأكاذيب و استنكار أعمال الاستفزاز و تعريف أوامر جبهة التحرير الوطني بنشر مكاتب كثيرة و متنوعة تبلغ جميع الدوائر حتى المحصورة منها.

إكثار مراكز الدعاية و تزويدها بالات الكتابة و الطباعة و الورق **(** لنسخ الوثائق الوطنية العامة و طبع المنشورات المحلية **)**

طبع رسائل في الثورة و نشرة داخلية للتعليمات و الإرشادات الموجهة للإطارات .

يجب التشبع بالمبدأ: ليست الدعاية ذلك الهرج و المرج المتميز بعنف القوى الذي يكون عقيما كالزبد يذهب جفاء. أما و قد أصبح الشعب الجزائري مدركا للأوامر و مستعدا للعمل المسلح الايجابي المثمر فان كلام جبهة التحرير يجب أن يكون معبرا عن رشد الشعب باتخاذه شكلا جديا متزنا معتدلا دون أن ينقصه الحزم و الصدق و الحماس الذي هو من شان الثورة .

كل منشور أو تصريح أو حديث أو نداء من قبل جبهة التحرير الوطني أصبح له اليوم صدى في المحافل الدولية و لذا يجب علينا أن نعمل و نحن يحدونا شعور حقيقي بالمسؤولية و بشرف السمعة العالمية التي تتمتع بها الجزائر السائر قدما في طريق الحرية و الاستقلال .

2) تصفية الجو السياسي

يجب علينا للمحافظة على اتجاه المقاومة القائمة كلها لتدمير العدوان أن تزيل جميع الحواجز و العراقيل التي نصبتها في طريقنا كل العناصر الشاعرة أو غير الشاعرة بعملها المفسد الذي أبدت التجربة سوءه و مضراته.

3) تحويل السيل الشعبي إلى طاقة خلاقة

يجب أن تكون جبهة التحرير الوطني قادرة على تصريف الأمواج الجبارة التي تهيج الحماس الوطني و يجب أن لا تضيع الغضبة الشعبية ذات القوة الهائلة للشعب التي لا تقاوم كما تضيع قوة السيل الجارف حيث تغور في الرمل.

و لتحويل هذه القوة إلى طاقة خلاقة منتجة شرعت جبهة التحرير الوطني في عمل جبار لاستخدام الملايين من الرجال. لأنه يجب أن تكون الجبهة حاضرة في كل مكان.

و يجب تنظيم فروع النشاط البشري في أشكال عديدة كثيرا ما تكون مركبة معقدة.

ا) الحركة الفلاحية

إن الأغلبية الساحقة للفلاحين والخماسين والعمال الزراعيين في الثورة والنسبة القوية التي يمثلونها بين المجاهدين والمسبلين في جيش التحرير الوطني قد دل دلالة بالغة على الصفة الشعبية التي تتصف بها الثورة الجزائرية .

وحسبنا لتقدير تلك الأهمية الاستثنائية أن ننظر إلى الانقلاب الكبير الذي وقع في السياسية الزراعية الاستعمارية .

فبينما كانت هذه السياسة مؤسسة بالخصوص على اغتصاب أراضي الأوقاف والاعراش والملاك وقد استمرت إجراءات نزع الملكية إلى غاية سنتي 1945و 1946 أصبحت الحكومة الفرنسية تدعو اليوم إلى إصلاح زراعي فلا ترعي عن الوعد بتوزيع قسم من الأراضي المسقية بتنفيذ قانون **"** ما رتان **"** الذي ظل حبرا على

ورق لاعتراض موظف كبير من خدام الاستعمار الجبار . وهذا لاكوست ذاته يجرؤ على التفكير في إجراء تدبير ثوري وهو نزع الملكية من بعض الأملاك الكبرى .

ولحفظ التوازن وتامين كبار المعمرين وإسكان هائج اعتراضهم قررت الحكومة الفرنسية إجراء إصلاح في الخماسة . وهو تدبير خادع يريد أن يوهم بوجود خلاف بين الفلاحين والخماسين والواقع أن الزراعة تطورت تطورا طبيعيا نحو وضعية أكثر إنصافا دون تدخل الدوائر الرسمية وتحولت بصفة عامة إلى **"** شركة بالنصف. **"**

وان تغيير الأسلوب هذا ليدل على ما اعترى الاستعمار من الذبذبة والبلبلة حيث أضحى يعتمد إلى خداع الفلاحين ليصرفهم عن الثورة.

وهذه المؤامرة الفاحشة لا تخدع الفلاحين الذين سبق وان أحبطوا خرافة **"** مسالة السكان الأصليين **"** التي تدعو إلى تقسيم _ بصفة مصطنعة _ الجزائريين إلى برابرة وعرب_ بغية خلق العداوة بينهم.

لكن الفلاحين قد صاروا موقنين بان حبهم للأرض لا يمكن أن يشفى غليله إلا بتحقيق الانتصارات والاستقلال الوطني.

فالإصلاح الحقيقي الذي هو الحل الوطني لمشكلة البؤس التي تتخبط فيها البوادي ملازم لهدم النظام الاستعماري هدما تاما شاملا.

ويجب على جبهة التحرير الوطني أن تخوض في هذه السياسة العادلة الاجتماعية المشروعة وستكون نتائجها كالتالي:

ا) الحقد الشديد على الاستعمار الفرنسي وإدارته وجيشه وشرطته والخونة المساعدين له .

ب) تكوين قوات احتياطية لا تنفذ لجيش التحرير والمقاومة .

ج) نشر أسباب الخطر في البوادي (بإعمال الإتلاف وإحراق المزارع وتحطيم محلات الجمعيات التعاونية للتبغ وللخمر التي هي رمز وجود الاستعمار) .

د) إحداث شروط تعزيز وتنظيم المناطق المحررة الجديدة وتنظيمها.

ب) الحركة العمالية

ينبغي لطبقة العمال أن تساهم مساهمة اقوي نشاطا يكون لها الأثر البالغ في تطور الثورة السريع وفي قوتها ونجاحها النهائي

وجبهة التحرير الوطني تحبي تأسيس ((الاتحاد العام للعمال الجزائريين)) كرد فعل سليم يقوم به العمال ضد التأثير الذي كانت تستعمله جامعة الشغل العامة (س . ج . ت .) والقوة العمالية (ف .او .) والجامعة الفرنسية للعمال المسيحيين (س .ف .ت . س .) لشل حركة العمال وعرقلتها.

ويعمل الاتحاد العام للعمال الجزائريين على إخراج الإجراء من الظلمات إلى النور ومن الغموض إلى الوضوح ومن الانتظار والتردد إلى الإقدام والسير إلى إلمام .

وقد قلقت الحكومة الفرنسية الاشتراكية وقلقت معها إدارة نقابة القوة العمالية " ف ، او " ذات النزعة الاستعمارية الجديدة قلقا كبيرا مع انضمام الاتحاد العام للعمال الجزائريون إلى الجامعة الدولية للنقابات الحرة التي كانت مساعدتها لكل من الاتحاد العام للشغالين التونسيين والهيئة المركزية للعمال المغاربة ايجابية مفيدة في مختلف الميادين الوطنية والخارجية .

وفعلا فقد احدث ميلاد الاتحاد العام للعمال الجزائريين وتطوره ضجة بعيدة المدى واثار بروزه إلى الوجود اضطرابا عنيفا في صفوف جامعة الشغل العامة التي انصرف العمال عنها انصرافا كليا .وقد حاول المسؤولين الشيوعيون أن يحتفظوا بالرؤساء الواعين من العمال ببعث روح النقابة القديمة التي كان شعارها استقلال الجزائر ولكنه اقبر بعد تكوين الوحدة النقابية في سنة 1935 .

ولكن هذه الهيئة النقابية التي هي فرع للجامعة العامة التي مقرها بباريس لا يكفيها لتصبح هيئة مركزية وطنية أن تغ اسمها وتبدل وكذلك لا يكفي ((الاتحاد العام للنقابات الجزائرية)) " ا . ج . س . ا ." أن يغير شكله أو مظهره الخارجي ليلتئم مع الوظائف الجديدة للحركة العمالية التي بلغت النضج التام ، وكل من يتأمل مناورات الشيوعية لا يلبث أن يجد نفس الوسائل التي درج عليها الاستعماريون الذين اشرفوا على تحويل المجلس المالي إلى ذلك المجلس الجزائري الفاسد الوضيع .

وان ارتفاع بعض أعضائها العاملين إلى مراكز ومناصب في الإدارة النقابية ليذكر بالترقية الرمزية لبعض النواب الموالين للإدارة. وفي كلتا الحالتين كان ينبغي تغيير الهدف والطبيعة والمحتوى سواء في النادي المدني " الفوابي سيفيل " أو في قصر كارنو (مركز المجلس الجزائري) .

وما كان لعجز إدارة الحزب الشيوعي الجزائري في الميدان السياسي إلا أن يبدو أثره في الميدان النقابي و ينجز عنه نفس الفشل و الإخفاق .

و ما الاتحاد العام للعمال الجزائريين إلا صورة تعكس التحول العميق الذي طرأ على الحركة العمالية بعد مدة طويلة من التطور و خاصة عقب الانقلاب الثوري الذي اثاره الكفاح من اجل الاستقلال الوطني.

وتختلف الهيئة المركزية الجديدة عن سواها من المنظمات النقابية في جميع الميادين و تختلف عنها خاصة بانتفاء الوصاية عليها و باختيار القادة و الهيكل المحكم و التوجيه السليم و التضامن الأخوي في الجزائر و في شمال إفريقيا و في العالم اجمع.

1) إن الطابع الوطني يبدو في حرية ذاتية أساسية تقضي على جميع التناقضات التي تلازم كل وصاية خارجية و لكنه يبدو أيضا في حرية كاملة فيما له علاقة بالدفاع عن العمال الذين تلتحم مصالحهم الحيوية بمصالح كل الشعب الجزائري .

2) الإدارة ليست متآلفة من أعضاء يختارون من بين أقلية جنسية لم تعرف الاضطهاد الاستعماري و في نفسها نزعة إلى الحنو الأبوي و لكنها متآلفة من رجال وطنيين لهم وعي وطني يشحذ فيهم روح الكفاح ضد الاستغلال الاجتماعي و البغض العنصري.

3) " عمودها الفقري " لا يتكون من ارستقراطية عمالية **(** كالموظفين و عمال السكة الحديدية **)** و لكنه يتألف من الطبقات التي هي أكثر عددا و أشدها تعرضا للاستغلال الفادح **(** كعمال المواني و المناجم و العمال الزراعيين أي المنبوذين الذين تركوا كالفرنسية تحت رحمة السادة أصحاب مزارع المكروم ....**)**

4) إن الريح الثورية لا تطهر الجو النقابي باستئصال روح الاستعمار الجديد و التعصب الوطني المتولد منه فحسب بل تطهره أيضا بتكوين الظروف و الشروط الملائمة لإظهار الأخوة بين العمال لا تنفذ إليها الروح العنصرية .

5) إن الحركة النقابية التي طالما حصرت في نطاق المطالب الاقتصادية و الاجتماعية وبقيت بمعزل عن النشاط العام الشامل قد اجل الحرية والعدالة الاجتماعية بعد أن كانت عائقا يعطل هذا

الكفاح .

6) إن الطبقة العاملة الجزائرية التي كانت تعتبر قاصرة لا تستحق الترشيد قد جاءها الوقت الذي تقوم فيه لا بدور ثانوي منحط في الحركة الاجتماعية الفرنسية ولكن بدور التعاون الزاهر مع الحركة العمالية في شمال إفريقيا وفي العالم .

7) إن الاتحاد العام للنقابات الجزائرية (ا . ج . س . ا) سيضطر حتما إلى الانحلال والاضمحلال شانه في ذلك شان شبيهاته من المنظمات النقابية في تونس والمغرب ويفسح المجال للاتحاد العام للعمال الجزائريين الذي هو النقابة الوطنية الحقيقية الوحيدة التي التف حولها جميع العمال الجزائريين دون تفريق.

وينبغي لجبهة التحرير الوطني أن لا تهمل الدور السياسي الذي يمكن لها أن تقوم به لمساعدة الاتحاد العام للعمال الجزائريين وتكمل عمله النقابي الحر في سبيل تعزيز هذه الهيئة النقابية وتقويتها.

وعليه ، يجب على المناضلين في جبهة التحرير الوطني أن يكونوا من اشد الناس إخلاصا لها وأقواهم نشاطا وأكثرهم اهتماما باحترام القواعد الديمقراطية جريا على عادة التقاليد في كل حركة عمالية حرة ولهذا الغرض يجب تحاشي التعميم ويجب اعتبار كل حالة ملموسة وتحديد إشكال النشاط طبقا للظروف الوقتية (مثل وقف الشغل وقفا محدودا وتنظيم إضرابات محلية للتضامن) .

- إشراك العمال الأوروبيين في الحركة .

- تحقيق العطف على جيش التحرير الوطني بتحويل المقاومة إلى تأييد عملي عن طريق الاكتتاب وتجهيز المجاهدين والقيام بإعمال الإتلاف والاضطرابات التضامنية والاضطرابات السياسية .

ج) حركة الشباب

يمتاز الشباب الجزائري بما طبع عليه من النشاط و الحيوية و الإخلاص و البطولة .كما انه يمتاز بأمر نادر و هو انه يمثل ما يقرب من نصف مجموع السكان بسبب ازدياد المواليد بصفة استثنائية.

و يمتاز أيضا بالنضج المبكر ، فهو بعامل البؤس و الشقاء و الاضطهاد الاستعماري ينتقل من طور الطفولة إلى طور الرجولة بسرعة مختصرا مرحلة المراهقة إلى الحرية التي يصبو إليها بولع و شغف مع ازدراء الخوف و استهانة بالموت .

و هو يجد في الثورة الجزائرية و مآثر جيش التحرير الوطني و النشاط الذي تقوم به جبهة التحرير الوطني يستجيب لشجاعته الذي يغذيها شعور وطني شريف نبيل.

فهو بذلك يمثل الجانب الأعظم من قوة جبهة التحرير الوطني و ركبنا متينا أركان مقاومتها الجبارة

د) المثقفون و أصحاب المهن الحرة

مما دل دلالة واضحة على سلامة التوجيه السياسي و صحته عودة المثقفين أو أصحاب المهن الحرة إلى حظيرة الوطن الجزائري و كون وعيهم الوطني لم تقض عليه محاولة **"**فرنستم **"** و كذلك إقلاعهم عن المواقف المثالية الو الفردية أو القابلة للإصلاحات و عليه فيجب :

1) تكوين لجان نشاط من بين المثقفين الوطنيين للأمور الآتية:

ا) القيام بالدعاية لاستقلال الجزائر .

ب)الاتصال بالديمقراطيين الأحرار من الفرنسيين .

ج) فتح اكتتابات .

و يجب على جبهة التحرير أن تسند إليهم بطريقة حكيمة صائبة مهمات معينة محدودة في الميدان الذي يمكنهم أن يقوموا فيه بعمل نافع مفيد كأعمال السياسية و الإدارية و الثقافية و الصحية و الاقتصادية وما إلى ذلك ..

2) تنظيم مصالح صحية تشتمل على :

ا) جراحين و أطباء و صيادلة يكونون على اتصال بعمال المستشفيات **(** مثل الأطباء**)**

ب) تنظيم العلاج و الحصول على الأدوية و الضمادات.

ج) تنظيم عيادات في الأوطان للإشراف على معالجة المرضى و من يكون منهم في طور النقاهة.

ه) التجار و الصناع

كانت النقابة التجارية الجزائرية التي يحتكرها شيا فينو سيد الغرفة التجارية بالتعاون مع حركة بوجاد العنصرية الاستعمارية الفاشستية لا تجد بجانبها إلا الفراغ التام لعدم وجود هيئة تجارية استعمارية و صناعية حقيقية يديرها وطنيون كفيلون بالدفاع عن الاقتصاد الجزائري .

ومن اجل هذا فان الاتحاد العام للتجار الجزائريين سيتبوأ مكانة هامة بجانب المنظمة الشقيقة الاتحاد العام للعمال الجزائريين.

ومن واجب جبهة التحرير الوطني أن تساعد هذه المنظمة النقابية على التطور و التوسع بتكوين الظروف و الشروط السياسية المناسبة.

1) مكافحة الضرائب.

2) مقاطعة كبار التجار الاستعماريين، البرجوازيين الذين يمدون الحرب الاستعمارية بمؤازرة نشيطة .

و) الحركة النسائية

توجد في الحركة النسائية إمكانيات واسعة تزداد و تكثر باطراد.

و إنا لنحبي بإعجاب و تقدير ذلك المثل الباهر الذي تضربه في الشجاعة الثورية الفتيات و النساء الزوجات و الأمهات ذلك المثل الذي تضربه جميع أخواتنا المجاهدات اللائي يشاركن بنشاط كبير و بالسلاح أحيانا في الكفاح المقدس من اجل تحرير الوطن .

ولا يخفى أن الجزائريات قد ساهمن مساهمة ايجابية فعالة في الثورات الكثيرة التي توالت و تجددت في بلاد الجزائر منذ سنة 1830 ضد الاحتلال الفرنسي .

وان الثورات الرئيسية كثورة أولاد سيدي الشيخ في سنة 1864 بالجنوب ألوهراني و ثورة القبائل في سنة 1871 و ثورة سنة1961 في الاوراس و ناحية معسكر قد تركت لنا صورا حية خالدة لوطنية الجزائريات اللائي ضحين بأنفسهن في كثير من المناسبات .

والمراة الجزائرية اليوم موقنة أن الثورة الحالية ستنتهي لا محالة بالحصول على الاستقلال .

وان المثل الذي ضربته أخيرا تلك الفتاة القبائلية التي رفضت الفتى الذي تقدم لخطبتها لأنه ليس من المجاهدين لدليل رائع على ما تمتاز به الجزائريات من المعنوية السامية و الإحساس النبيل.

وعلى هذا فان من الممكن في هذا الميدان أيضا تنظيم وسيلة من اخطر وسائل الكفاح واجداها بطرق خاصة مناسبة لعادات البلاد و تقاليدها الخاصة و ذلك:

ا) بمؤازرة المحاربين و المقاومين مؤازرة أدبية

ب) بتقديم الأخبار و المشاركة في الاتصالات و التموين و تهيئة الملاجئ

ج) مساعدة عائلات و أبناء المجاهدين و الأسرى المعتقلين

4) البحث عن الانتصار

يعتمد الجزائريون أول ما يعتمدون في تحرير بلادهم على أنفسهم .

و النشاط السياسي يوصى مثل العلم العسكري و فن الحرب بعدم إهمال أي عامل من العوامل و لو كان ظاهرة قليل الأهمية لتحقيق النصر.

ومن اجل هذا شرعت جبهة التحرير الوطني و كانت موفقة في تعبئة جميع العزائم الوطنية و لكنها لن تدع العدو الاستعماري يستند إلى جميع الأقليات و يحرمنا من تضامن الدول معنا.

أ) الأحرار الجزائريون

للأقلية الأوروبية في الجزائر أهمية من حيث العدد ينبغي أن يحسب لها حسابها على خلاف ما في تونس و المغرب و هذه الأقلية الأوروبية تعززها هجرة إلى بلادنا مستمرة تتمتع بإعانة رسمية و هي تمد النظام الاستعماري بقسم كبير من اشد اعوانة تعنتا و عنصرية .

و لكن السكان الأوروبيين لا يؤلفون كتلة متراضية حول المسيرين من كبار المعمرين.

وكذلك بسبب التفريق بينهم في توزيع الامتيازات و بسبب الدور الذي يلعبونه في المراتب الاقتصادية و الإدارية و السياسية في نطاق النظام الاستعماري .

إن روح التفوق العنصري عندهم هام و لمن مظاهره تختلف من الحالة الجنوبية المعروفة عند أهل الجنوب من الولايات المتحدة إلى النفاق المختفي وراء العطف الأبوي.

و الاستعمار الفرنسي القابض على أزمة الإدارية الجزائرية والشرطة والصحافة والإذاعة قد استطاع غير ما مرة ان يضغط عن الراى العام ويحوله إلى فكرة رجعية .

ومما يدل على مهاراته و مقدراته في التدبير الدسائس في الاستفزاز ما جرى من مظاهرات الصاخبة بمناسبة ذهاب سوستيل و يوم 6 فبراير، وكانت نتيجتها خضوع رئيس الحكومة الفرنسية و استسلامه .

و قد عمد الاستعمار لبلوغ هدفه إلى قذف الفزع في القلوب ، فاتهم الحكومة بإهمال الأقاليم الأوربية غير الإسلامية و إلقائها بين يدي (الوحشية العربية) و تركها ضحية (للحرب الدينية) و إسلامها لمكيدة

أفظع من " سان بارتليمي" المشهورة.

و يبدو ان الشائعات التي اختلقها بوق الاستعمار " ريجاس " وأذاعها الجلاد " باتكي كريفو" في الصورة البشعة "الحقيبة أو الموت " أصبحت اليوم تافهة .

و الأحزاب الوطنية القديمة لم تولى هذه المسالة ما تستحقه من الأهمية ، فهي لم تكن تهتم إلا بالرأي العام الإسلامي و كثيرا ما غفلت عن التصريحات النابية التي كان يدلي بها من حين لأخر بعض الدجالين المرابين الذين كانوا في الواقع يعينون العدو الأكبر .

ان توقف السموم وال يومنا هذا بقي الهجوم المعاكس ضعيفا فان الصحافة الديمقراطية في (فرنسا لا تستطيع التي يبثها الاستعمار ، ووسائل التعبير التي بيد جبهة التحرير الوطني غير كافية .

ومن حسن الحظ أن المقاومة الجزائرية لم ترتكب أخطاء خطيرة تبرر التصريحات التي تنشرها الصحافة الاستعمارية الموالية للمصلحة البسيكولوجية للجيش الاستعماري وقد دل على أكاذيبها المفضوحة ما شهد به الصحافيون الفرنسيون والأجانب .

وهذا الذي جعل الكتلة الاستعمارية العنصرية التي ظهرت متراصة يوم 6 فبراير تأخذ في التصدع وأخذت البلية تزول وتفسح المجال شيئا فشيئا للشعور الواقعي.

وثبت أن الرأي القائل بالحل العسكري الذي يهدف إلى إبقاء الوضع على ما هو عليه إنما هو وهم باطل .
وأصبحت مسالة الساعة اليوم هي بعد رجوع السلم عن طريق المفاوضة : ما هي الوضعية التي ستخصص للذين يعتبرون الجزائر وطنا كريما سخيا حتى بعد زوال حكم بورجو؟ وقد ظهر في هذا الشأن ميول مختلفة .

1) أصل هذه الميول هي فكرة الحياد وهي تعبر عن الأمل في ترك الغلاة من الاستعماريين يدافعون عن امتيازاتهم التي يهددها الوطنيون ((المتطرفون)) .

2) أنصار الحل الوسط أي المفاوضات لإنشاء جماعة جزائرية في مقام وسط بين الاستعمار الفرنسي والاستعمار العربي المتأخر وذلك بإحداث جنسية مزدوجة.

3) أقوى الآراء جرأة هي التي تقبل استقلال الجزائر والجنسية الجزائرية بشرط الاعتراض على التدخل الأمريكي والبريطاني والمصري.

وهذا في الواقع تحليل مختصر لا يهدف إلى شيء سوى إبراز الخلاف الموجود في الراى العام الأوروبي

وعليه فمن الخطأ الفادح الذي لا يغتفر أن ينظر إلى جميع الأوروبيين واليهود من سكان الجزائر بعين واحدة كما أن الخطأ الذي لا يغتفر توهم الوصول إلى كسبهم جميعا لقضية التحرير الوطني.

والهدف الذي يجب إدراكه هو عزل الاستعمار الذي يضطهد الشعب الجزائري، لذلك ينبغي لجبهة التحرير الوطني أن تعمل على تعزيز وتطور هذه الظاهرة النفسانية بالقضاء على نشاط جزء كبير من السكان الأوروبيين.

وليست غاية الثورة الجزائرية أن " تلقي في البحر " بالسكان الأوروبيين ولكنها تحطم نير الاستعمار الفرنسي الوحشي . وليست الثورة الجزائرية حربا أهلية ولا حربا دينية .

وإنما تريد الثورة الجزائرية أن تسترد الاستقلال الوطني لإقامة جمهورية ديمقراطية اجتماعية تضمن مساواة حقه بين جميع سكان الوطن بدون تفريق ولا تمييز.

ب) الأقلية اليهودية

تقرير المبدأ الأساسي الذي تقبله جميع المبادئ الأخلاقية العالمية يساعد على خلق في الراى العام الإسرائيلي استمرار تعايش سلمي ترجع أصوله إلى آلاف السنين .

فقد كانت الأقلية اليهودية بادئ الأمر متأثرة بالحملة التي شنها الاستعماريون لإضعاف معنوياتهم فنادى ممثلوها في المؤتمر اليهودي العلمي الذي انعقد بلندن بتمسكهم بالجنسية الفرنسية التي تجعلهم في مكانة ارقي بالنسبة إلى مواطنيهم المسلمين .

ولكن انطلاق البغض للجنس السامي الذي أعقب المظاهرات الاستعمارية الفرنسية قد احدث في نفوسهم اضطرابا عميقا لم يلبث أن تبعه رد فعل سليم للدفاع عن النفس .

وكان أول رد فعل من جانبهم هو الاحتماء من خطر الوقوع بين أعضاء لجنة (8 نوفمبر) والحركة البوجادية . فقد خشي اليهود أن تثير حركة هؤلاء سخطا يتسبب في الانتقام من الطائفة كلها.

ولقد أبدت المقاومة الجزائرية استقامة لا خلل فيها قصرت ضرباتها كلها على الاستعمار وحده فأدرك المترددون القلقون من اليهود أن هذه المقاومة تمتاز بالإباء والشهامة ما هي ألا غضبة الضعفاء ضد الطغاة المتجبرين.

فقام في الحين رجال مثقفون وطلبة وتجار وبادروا إلى إثارة حركة في الرأي العام تدعو إلى شل أيدي كبار المعمرين وإعداد اليهود .

وذلك لأنهم لم يكونوا بقصار الذاكرة . فأنهم لم ينسوا نظام فيشي الوضيع الذي اخرج 185 مرسوما من القوانين والأوامر التي بمقتضاتها حرموا من حقوقهم طيلة أربع سنوات وطردوا من الإدارات والجامعات واخرجوا من ديارهم ومتاجرهم وجردوا من حليهم وجواهرهم .-وفرضت على إخوانهم في فرنسا ضريبة جماعية بمليار فرنك . وكانوا يطاردون ويقتلون في محتشد " درا نسي " ويرسلون في قطارات إلى بولونيا حيث قضى أكثرهم نحبه في بيوت التعذيب والنار ذات الوقود.

وبع تحرير فرنسا سرعان ما استرد اليهود الجزائريون حقوقهم وأموالهم بفضل تأييد النواب المسلمين وبالرغم من اعتراض الإدارة المتمسكة بمذهب ((بيتان)) .

هل بلغ اليهود من السذاجة بحيث أصبحوا يعتقدون اليوم أن انتصار الاستعماريين الغلاة يجعلهم في مأمن من الأهوال والويلات التي عرفوها وهم الذين صبوها عليهم فيما مضى ؟

لا يزال اليهود الجزائريون إلى اليوم لم يتغلبوا على اضطراب ضمائرهم ولا عرفوا بعد أية وجهة يتخذونها .
وأملنا أن يسوي الكثير على اثر أولئك الذين استجابوا لنداء الوطن الجزائري الكريم وصادقوا الثورة بمطالبتهم منذ ألان في فخر وعز بالجنسية الجزائرية .

وان اختيارهم هذا ليعتمد على التجربة والخبرة والعقل السليم والتبصر بالأمور .

وعلى الرغم من الصمت الذي يلزمه حاخام الجزائر العاصمة على نقيض كبير الأساقفة الذي وقف موقفا كريما حيث قام بشجاعة وبمرأى ومسمع من الدنيا فندد بالظلم الاستعماري، فان أغلبية الجزائريين لم يعدوا الطائفة اليهودية واقفة بصف العدو بصفة نهائية .

قد قضت جبهة التحرير الوطني على الاستفزازات الكثيرة التي دبرها الأخصائيون في ولاية الجزائر لا تكون شيئا امة . وإذا استثنينا العقوبات الفردية التي أنزلت بالشرطة و الحركة الإرهابية المضادة المسئولتين عن جرائم اقترفت ضد السكان الأبرياء فقد تمت صيانة البلاد الجزائرية من كل ثورة ضد اليهود . ومقاطعة التجار اليهود . و مقاطعة التجار اليهود قد قمعت في مهدها و قبل انطلاقها و كان المفروض أن تعقب مقاطعة التجار الميزابيين

هذا الذي يفسر كون النزاع العربي الإسرائيلي ، لم يكن له في الجزائر صدى خطير . الأمر الذي كان ـ لو وقع) يصفق له أعداء الشعب الجزائري .

و قد برهنت الثورة الجزائرية بالفعل على أنها جديرة بثقة الأقلية اليهودية و أنها جديرة بان تكفل لليهود حظهم من السعادة في الجزائر المستقلة و لا تحتاج الثورة لاكتساب هذه الصفحة إلى البحث عما سجله تاريخ بلادنا من دلائل على التسامح الديني و التعاون في ارقي وظائف الدولة و التعايش الصادق النزيه .

فان اضمحلال النظام الاستعماري الذي استخدم الأقلية اليهودية و اتخذها درعا لتخييف الضربات النازلة على الاستعمار ليس معناه القضاء حتما على هذه الأقلية بالفقر .

و ليس أسخف من الفرض القاتل أن **"** الجزائر لا تكون شيئا مذكورا إذا انفصلت عن فرنسا**"**

إن الازدهار الاقتصادي الذي تناله الشعوب المحررة أمر بديهي ظاهر للعيان، و فعلا فان الإيراد الوطني يزداد أهمية و يضمن لجميع الجزائريين حياة أكثر رفاهية و رخاء.

و بناء على ما سلف ذكره توصي جبهة التحرير الوطني بما يلي:

1) تشجع و مساعدة تأليف لجان و حركات من بين الديمقراطيين الأحرار الجزائريين حتى الذين لهم أهداف معينة محدودة باديي الأمر، ومثال ذلك:

أ) لجنة للسعي ضد الحرب في الجزائر

ب) لجنة تدعو للمفاوضة و السلم .

ج) لجنة تدعو للجنسية الجزائرية .

د) لجنة لمساعدة ضحايا القمع .

ه) لجنة لدراسة القضية الجزائرية

و) لجنة للدفاع عن الحريات الديمقراطية

ز) لجنة لتجريد منظمات البوليس المدني من السلاح

ح) لجنة لإعانة العمال الزراعيين و مؤازرة النقابات و تأييد الإضرابات وحماية الأطفال و النساء الذين يستغلهم الاستعمار.

2) مضاعفة الدعوة بين المجندين و الجنود .

أ) بتزويدهم بالكتب و الجرائد و المجلات و المناشير المناهضة للاستعمار

ب) بإنشاء لجان لاستقبال الجنود أثناء الإجازة.

ج) بتمثيل روايات مسرحية تحرص على الكفاح الوطني في سبيل الاستقلال.

3) زيادة اللجان التي تضم نساء المجندين للمطالبة بتسريح أزواجهم من الجندية.

ج) نشاط جبهة التحرير في فرنسا

1) توسيع تأييد الرأي العام الديمقراطي :

من شان تحليل الآراء السياسية عند الديمقراطيين الأحرار في الجزائر أن يساعد على إدراك وجوه الخلاف الموجود في الرأي العام الفرنسي الذي يتأثر بسرعة طبقا للشعور الشعبي.

وما من شك في أن جبهة التحرير الوطني تعلق نوعا من الأهمية على المساعدة التي يمكن أن تقدمها لقضية المقاومة الجزائرية الطبقة المتفتحة من الشعب الفرنسي الذي لا يطلع اطلاعا كافيا على ما يرتكب باسمه من الفظائع التي لا يأتي على وصفها بيان.

وانأ لنقدر مساعدة الممثلين للحركة الديمقراطية الحرة الفرنسية التي تهدف إلى فرض الحل السياسي حقنا للدماء الذاهبة هدرا.

و قد أصبحت إدارتها مدعمة معززة ـ وهي مهمة سياسية كبيرة لا بطال المفعول السلبي للنشاط الذي تقوم ب الرجعية الاستعمارية وذلك مثل:

1) القيام باتصالات سياسية مع المنظمات و الحركات و اللجان القائمة ضد الحرب: بالصحافة و الاجتماعات الشعبية و الإضرابات التي تنظم ضد ترحيل الجنود و شحن الآلات الحربية .

2) تنظيم الهجرة الجزائرية في فرنسا : يعتبر الجزائريون المهاجرون إلى فرنسا رأس مال ثمين بالنسبة إلى عددهم و طابعهم الذين يمتازون به من الفتوة و حب الكفاح و قوتهم السياسية .

وان مهمة جبهة التحرير في تعبئة هذه القوى كلها كبيرة الخطورة لا سيما و إنها تستلزم في نفس الحين كفاحا شديدا لا هوادة فيه لاستئصال شافة النزعة المصالية.

3) إنارة الرأي العام الفرنسي و الأجنبي بنشر الأخبار و المقالات في الصحف و المجالات و ينبغي في هذا الشأن جمع كل المكافحين ذوي الخبرة و الدارية و المثقفين و الطلبة .

4) الدأب بصفة مستمرة بلا ملل و لا كلل على بيان إخفاق النزعة المصالية كتيار سياسي و تورطها مع القبائل القريبة من الحكومة الفرنسية الأمر الذي يفسر أن هذه النزعة ليست موجهة ضد الاستعمار ولكنها موجهة ضد جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني.

د) تضامن الشمال الإفريقي

لقد فشل الاستعمار وفشلت مشروعاته وتصميماته فشلا ذريعا أمام تشدد جبهة التحرير الوطني ومواصلة جيش التحرير الوطني لكفاحه القوي الشديد كما فشل أمام الاتحاد التام العام الذي جمعه ورص بنيانه مثلها الأعلى في الاستقلال الوطني .

ومن جهة أخرى فان حكومتي تونس والمغرب وقد وقفتا بفضل ضغط الشعبين الشقيقين – موقفا صريحا من هذه المشكلة التي يرتهن بها التوازن في شمال إفريقيا .

وهذا ما يدعو جبهة التحرير الوطني إلى الحفز والتشجيع على :

1- تنسيق السعي الحكومي في البلدين الشقيقين للضغط على الحكومة الفرنسية في الميدان الدبلوماسي .

2- توحيد النشاط السياسي بإنشاء لجنة تنسيق بين الأحزاب الوطنية الشقيقة وجبهة التحرير الوطني .

ا- إنشاء لجان شعبية لتأييد الثورة الجزائرية .

ب- التدخل بمختلف الوجوه في جميع المناطق .

3- الاتصال الدائم بالجزائريين المقيمين في المغرب وتونس (القيام بعمل ايجابي ملموس لدى الرأي العام والصحافة والحكومة) .

4- التضامن بين الهيئات النقابية المركزية : الاتحاد العام التونسي للشغل والاتحاد المغربي للشغل والاتحاد المغربي للشغل والاتحاد العام للعمال الجزائريين .

5- التعاون بين الاتحاديات الثلاث للطلبة.

6- تنسيق نشاط الهيئات الاقتصادية المركزية الثلاث.

5) الجزائر أمام العالم

قامت الدبلوماسية الفرنسية بنشاط كبير في الميدان الدولي للحصول حيثما أمكن ولو لمدة قصيرة على مساعدة أدبية ومادية. أو حياد في شيء من العطف أو يلتزم موقفا سلبيا وكان أقصى ما أحرزته المساعي الدبلوماسية الفرنسية بعض التصريحات القلقة التي أفضى بها الممثلون للولايات المتحدة وبريطانيا العظمى والحلف الأطلسي على سبيل المداراة والمجاملة .

بيد أن الصحافة العالمية والصحافة الأمريكية بصفة خاصة لم تفتا تندد بالأعمال الإجرامية والفضائح الحربية التي يقوم بها جنود اللفيف الأجنبي وجنود المظلات مثل التنكيل بالشيوخ والنساء والأطفال وتقتيل المثقفين والمدنيين الأبرياء وتعذيب المساجين السياسيين الوطنيين وإكثار المعتقلات وإعدام الرهائن .

وتطالب الصحافة العالمية الاستعمار الفرنسي بالاعتراف العلني الرسمي بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره بكامل الحرية .

وان الكفاح الجبار الذي يقوم به جيش التحرير الوطني وانتصاراته الباهرة التي أثبتت للجميع انه جيش لا يقهر بفضل أجماع الشعب الجزائري على التعلق بالحرية مثله الأعلى الذي يسعى من اجله قد اخرج القضية الجزائرية من النطاق الفرنسي الذي قيدها فيه الاستعمار الفرنسي .

ويرجع الفضل في هدم هذه الأسطورة الشرعية القائلة ((بالجزائر الفرنسية)) إلى مؤتمر باندونغ والى الدورة العاشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة .

وهل يعقل أو يمكن تغيير جنسية شعب لمجرد غزو بلاده واحتلاله من طرف جيش أجنبي ؟

إن الجزائريين لم يقبلوا في وقت من الأوقات ((فرنسة الجزائر)) لاسيما وان هذه الصفة التي أريد فرضها عليهم لم تمنع الاستعماريين من اعتبارهم غرباء في وطنهم يحرمون حتى مما يتمتع به الأجانب تحت سمائه من الحرية والتقدير .وقد خنق الاستعمار أنفاس اللغة العربية التي هي اللغة القومية لغة الأغلبية الساحقة من السكان محا تعليمها العلي محوا كليا منذ بدء الاحتلال بتشتيت شمل الأساتذة والطلاب وباغتصاب الأوقات .

والديانة الإسلامية قد انتهكت حرمتها ومسخ وجهها السمح بتسخير القائمين عليها واستئجارهم من طرف الإدارة الاستعمارية .

وقد حارب الاستعمار الفرنسي الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء وأيد الطوائف الطرقية المسخرة برشوة بعض شيوخ الزوايا .

وكم يظهر خبث بيد ولت لاكوست سوستيل والكاردينال فلتأن خبثا مشينا قد أوقع أصحابه في هوة من النذالة والخيانة عندما يحاولون مغالطة الرأي العام الفرنسي وتضليله زاعمين أن الثورة حركة قائمة على التعصب الديني في خدمة نشر الإسلام في العالم .

وان الثورة الجزائرية لا تميز نفسها على مختلف الطوائف الدينية التي تسكن البلاد الجزائرية. ولكنها تميز فقط أنصار الحرية والعدل والكرامة الإنسانية من جهة أخرى . وليس أدل على هذا من إنزال العقاب الشديد بالخونة من رجال الدين في حرم المساجد.

وعلى عكس ذلك فبفضل النضج السياسي الذي بلغه الشعب الجزائري وبفضل الحكمة والبصيرة اللتين تمتاز بهما إدارة جبهة التحرير الوطني أمكن فضح وإحباط مساعي الاستعمار المتجددة في التحدي والاستفزاز بإثارة الفتن والاضطرابات ضد المسيحيين وإعلان العداء للأجانب .

وما الثورة الجزائرية رغم كل الدسائس التحريضات التي تقوم بها الدعاية الاستعمارية إلا كفاح وطني يعتمد على أساس قومي وسياسي واجتماعي .

وليست الثورة الجزائرية تابعة للقاهرة أو لندن أو موسكو أو واشنطن . وإنما جارية مجراها الطبيعي طبقا للتطور التاريخي للإنسانية الذي لم يعد يرضى بوجود أمم أسيرة فوق الأرض.

هذا الذي جعل استقلال الجزائر الشهيدة قضية عالمية والمشكل الذي يتحكم في جميع مشاكل الشمال الإفريقي . وسترفع الدولة الإفريقية الأسيوية قضية الجزائر إلى الأمم المتحدة من جديد .

وإذا لوحظ عن هذه الدول الصديقة إبان الدورة الأخيرة لجمعية الأمم اهتمام بالغ بالتوفيق بين الجانبين بحيث أفضى بها إلى سحب مناقشة القضية الجزائرية من جدول أعمال الهيئة الأممية فليس لها اليوم مثل هذا العذر بعد أن نكثت فرنسا جميع الوعود التي قطعتها على نفسها .

وقد كان موقف البلاد العربية عامة ومصر خاصة سببا في ذلك الفتور فقد كان تأييدها للشعب الجزائري محدودا ورهينا بتطورات دبلوماسية ، ذلك أن فرنسا كانت تضغط على بلاد الشرق الأوسط عن طريق المساعدة الاقتصادية والعسكرية والمعارضة لحلف بغداد وقد حاولت بصفة خاصة أن تضغط بكل قواها لشل الأسلحة النفسية والأدبية التي بيد جيش التحرير الوطني ومنها على الخصوص إذاعة ((صوت العرب)) .

أما البلاد غير العربية من الكتلة الإفريقية الأسيوية فقد كانت حريصة على أن لا تبدو اشد تحمسا من البلاد العربية من جهة وكانت راغبة من جهة أخرى القيام بدور محدد في قضايا مثل نزع السلاح والتعايش السلمي .

وعلى كل حال فان تدويل القضية الجزائرية في طورها الحاضر قد قوى شعور العالم باستعجال تسوية هذا النزاع الحربي الذي قد يمتد إلى عامة البحر الأبيض المتوسط وإفريقيا والشرق الأوسط بل قد يعم العالم اجمع .

كيف نوجه نشاطنا الدولي ؟

القاعدة الأساسية لنشاطنا في هذا الميدان تقع في البلاد العربية وفي مصر بوجه خاص . ولم تكن اتصالاتنا بساسة البلاد الشقيقة و لا تزال سوى اتصالات حليف مع حلفائه ولم تكن اتصال آلة بيد مستعملها

ومن واجبنا أن نحرص بانتظام على المحافظة على استقلال الثورة الجزائرية استقلالا تاما كما ينبغي القضاء على البهتان الذي أشاعته الحكومة الفرنسية ودبلوماسيتها وصحافتها الكبرى لإظهار ثورتنا في مظهر ثورة مصطنعة زائفة مدبرة من الخارج وليس لها عروق في الشعب الجزائري الأسير وذلك :

1) حمل دول مؤتمر باندونغ على استعمال ضغط سياسي ودبلوماسي واقتصادي مباشر على فرنسا علاوة على مساعيها لدى الأمم المتحدة .

2) السعي في الحصول على تأييد الدول والشعوب الأوروبية بما فيها البلاد الشمالية الديمقراطيات الشعبية وكذلك بلاد أمريكا اللاتينية .

3) الاعتماد على الهجرة العربية في بلدان أمريكا اللاتينية .

ولهذا الغرض عززت جبهة التحرير جانب الوفد الجزائري القائم بالمأمورية الخارجية وقد أصبح لها :

ا) مكتب دائم لدى هيئة الأمم المتحدة وفي الولايات المتحدة .

ب) وفد في البلاد الأسيوية .

ج) وفود متنقلة لزيارة العواصم والمشاركة في التجمعات العالمية الثقافية ، وتجمعات الطلبة والنقابات وغيرها .

د) دعاية مكتوبة قائمة على وسائلنا الخاصة من تنظيم مكاتب صحفية ونشر التقارير وعرض الوثائق بالصور والأفلام .

الخلاصة

منذ عشر سنوات وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية حدث انفجار هائل زعزع أركان الامبريالية .

فقد انطلق تيار التحرير الوطني المكتوب منذ زمن بعيد فهز الشعوب الأسيرة ووقعت انتفاضة شاملة فدفعت البلاد المستعمرة الواحدة تلو الأخرى إلى السعي وراء مستقبل زاهر من الحرية والسعادة.

وفي خلال هذه الحقبة القصيرة من الزمن استطاع ثمانية عشر (18) شعبا أن تخرج من الظلمات العبودية الاستعمارية وتتبوأ مقعدها تحت الشمس الحرية والاستقلال الوطني .

فحطمت شعوب سوريا ولبنان و الفيتنام والهند والفزان وإغلالها وغادرت سجن الاستعمار الفرنسي المظلم .

ثم أعربت شعوب المغرب الثلاثة بدورها عن عزمها وقدرتها على أن تأخذ مكانها في مجمع الأمم الحرة .

وان الثورة الجزائرية التي نشبت في فاتح نوفمبر 1954 لسائرة في طريقها السوي .

لاشك في أن الكفاح لا يزال شاقا شديدا ومريرا.

ولكن هذا الجهاد المسلح الطويل الذي يقوم به الشعب الجزائري الصمود تحت إشراف جبهة التحرير الوطني وإدارتها الحازمة سيكلل بالنصر لا محالة .

وسيمحى يوم 5 يوليو 1830 الأسود المشئوم بالقضاء على نظام الاستعمار الممقوت .

لقد اقترب اليوم الذي يجني فيه الشعب الجزائري الثمار الطيبة اللذيذة لتضحياته المريرة الأليمة وشجاعته السامية الكريمة :

استقلال الوطن الذي سيخفق فوقه العلم الجزائري رمزا للحرية والسيادة

المصدر: النصوص الأساسية لجبهة.ت.و ... صص07- 47

ملحق رقم:07

القائمة الاسمية لأعضاء أول حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية، سبتمبر- أيلول 1958م

فرحات عباس	رئيس الحكومة
بلقاسم كريم	نائب الرئيس
احمد بن بله	وزير دولة (احد المعتقلين الخمسة منذ أكتوبر-تشرين الثاني56م)
محمد بوضياف	وزير دولة (= = = = = =)
حسين آيت احمد	وزير دولة (= = = = = =)
رابح بيطاط	وزير دولة (= = = = = =)
محمد خيضر	وزير دولة (= = = = = =)
محمد الأمين دباغين	وزير الخارجية
الأخضر بن طوبال	وزير الداخلية

محمد الشريف   وزير التسليح والتموين

عبد الحفيظ بوصوف   وزير الاتصالات والعلاقات

احمد فرانسيس   وزير المالية

عبد الحميد مهري   وزير شؤون شمال إفريقيا

محمد يــزيد   وزير الإعلام

بن يوسف بن خده   وزير الشؤون الاجتماعية

توفيق المدني   وزير الشؤون الثقافية

لمين خان   سكرتير دولة

عمر اوصديق   سكرتير دولة

مصطفى اسطنبولي   سكرتير دولة

المرجع : وليام كواندت، **الثورة والقيادة السياسية**... مرجع سابق ، ص 374

القائمة الاسمية لأعضاء للحكومة المؤقتة الثانية، جانفي- كانون الثاني1960م

فرحات عباس   رئيس الحكــومة

بلقاسم كريم   نائب الرئيس ووزير الخارجية

احمد بن بله   نائب الرئيس (أحد المعتقلين الخمسة منذ أكتوبر-تشرين الثاني56م)

حسين آيت احمد   نائب الرئيس (= = = = = =)

رابح بيطاط   نائب الرئيس (= = = = = =)

محمد بوضياف   نائب الرئيس (= = = = = =)

محمد خيضر   نائب الرئيس (= = = = = =)

محمدي السعيد   وزير دولة

عبد الحفيظ بوصوف   وزير التسليح والعلاقات العامة(الاستخبارات)

الأخضر بن طوبال   وزير الداخلية

احمد فرانسيس	وزير الشؤون الاقتصادية والمالية
محمد يـزيد	وزير الإعلام
عبد الحميد مهري	وزير الشؤون الاجتماعية والثقافية.

المرجع نفسه

القائمة الاسمية لأعضاء للحكومة المؤقتة الثالثة، أوت – آب 1961م

بن يوسف بن خده	رئيس الحكـومة
بلقاسم كريم	نائب الرئيس ووزير الداخلية
احمد بن بله	نائب الرئيس (أحد المعتقلين الخمسة منذ أكتوبر-تشرين الثاني56م)
حسين آيت احمد	وزير دولة (= = = = = =)
رابح بيطاط	وزير دولة (= = = = = =)
محمد بوضياف	نائب الرئيس (= = = = = =)
محمد خيضر	وزير دولة (= = = = = =)
محمدي السعيد	وزير دولة
عبد الحفيظ بوصوف	وزير التسليح والعلاقات العامة(الاستخبارات)
محمد يــزيد	وزير الإعلام
سعد دحلب	وزير الشؤون الخارجية

المحضر الأصلي عن ترك بن خده اجتماع المجلس الوطني للثورة الجزائرية في 07 جويلية- حزيران 1962 م

- العام ألف وتسعمائة واثنان وستون، السابع من حزيران / يونيو

- أعضاء الولايات/اللجان/ الموقعون أدناه، الحاضرون في طرابلس بمناسبة انعقاد م.و.ث.ج. – دورة 27 أيار/ مايو1962؛ وبما انه لدى افتتاح الأعمال، وضع م.و.ث.ج. جدول أعمال وفقا للنظام، و بالإجماع؛ ويضم جدول الإعمال هذا نقطتين:

- النقطة الأولى: دراسة مشروع برنامج الثورة الديمقراطية الشعبية وتبنيه.

- النقطة الثانية: تعيين قيادة سياسية كما هو وارد في البرنامج المشار إليه.

بما انه جرى تبني النقطة الأولى بالإجماع، بعد دراستها في اللجان وفي جلسة بكامل الأعضاء؛ وبما انه تم تعيين لجنة لاختيار القيادة السياسية؛ وبما أنها لم تنجح، رغم جهود متواصلة طوال أيام عديدة، في إقناع كل الحاضرين بتشكيل فريق يعمل معا.

وبما أنها تمكنت بالمقابل من استخلاص أسماء الإخوة الذين يصلح وضعهم في مراكز القيادة؛ وبما انه عندئذ، غادر الأخ رئيس المجلس طرابلس في ليل 6-7 حزيران/ دون إبلاغ مكتب م.و.ث.ج. وزملائه في الحكومة، واضعا هكذا الجمعية أمام استحالة اختتام مهمتها بشكل عادي ووفق النظام:

وضع المجتمعون، بالتالي، هذا المحضر في ست نسخ مرقمة من واحد إلى ستة، وقعوا شخصيا أو بالوكالة.

مجلس الولاية الأولى

الطاهر زبيـر

محمد الصالح يحيا وي

عمار مــلاح

إسماعيل محفوظ مصطفى

بن النوى

مجلس الولاية الثانية

الرائد العربي

الرائد رابح

مجلس الولاية الثالثة

العقيد السعيد باسمه وباسم

العقيد آكلي محند اولحاج،

الرواد الطيب، وحميمي،

ومحمد واعلي.

مجلس الولاية الرابعة

احمد بن الشريف، الأخضر،
يوسف، محمد، حسن

مجلس الولاية الخامسة

عثمان

بوبكــر

عبد الوهاب

مجلس الولاية السادسة

محمد شعباني

محمد روينه

سليمان سليماني

ناصر الشريف خير الدين

عباس عمار سخري

هيئة الأركان العامة

علي منجلي، سليمان، بومدين

أعضاء المجلس الوطني للثورة الجزائرية

احمد بن بله، فرحات عباس، خيضر، فرانسيس،

بومنجل، حاج علا، بالوكالة عن بيطاط:

خيضر والعقيد ناصر.

أعضاء مجلس الثورة الذين لم يوقعوا محضر التقصير ضد بن خده:

الوزراء، بن طوبال، بوصوف، بوضياف، كريم، يزيد، بن خده د، دحلب، آيت احمد.

مكتب المجلس: بن يحي، علي كافي، عمر بوداود

فيدرالية فرنسا: رابح بوعزيز، عبد الكريم سويسي، العدلاني، علي هارون.

فيدرالية تونس: طربوش.

فيدرالية المغرب: بن سالم.

الولاية الثانية: العقيد صالح بوبنيدر، الرائد الطاهر بودر بالة، وكحل الراس.

منطقة الجزائر: الرائد عزا لدين، وعمر اوصديق.

أعضاء آخرون بمجلس الثورة:

العقيد دهيليس، بن عودة، الحاج لخضر، الرائد قاسي.

المرجع: محمد حربي، **جبهة التحرير الأسطورة والواقع...** مرجع سابق، ص325-326



الفهـــــــــــارس

الخاتمة

إن حالة التحفز والوعي بالذات الذي صاحب تفاعل الجماهير الجزائرية مع انطلاقة الثورة الجزائرية عام1954م، وما صاحبها من زخم ثوري؛ هو أشبه ما يكون- كما يقول د. سعيدوني- **"بحالة الوحي"** بالنسبة للرسل. وقد عبر عن هذا المعنى الفيلسوف الألماني **"هيجل "** حينما شبهها: (**بالفاصل بين الإمكانيات المعبرة عن الوجود بالقوة وبين الواقع الموضوعي المعبر عن الوجود بالفعل.**)(1) من جانب آخر فان المفكر **التوتر أو الفعالية التي تحرك** الجزائري مالك بن نبي كان قد نبه إلى الحالة نفسها ووصفها: (**بأنها حالة الطاقات الاجتماعية وتوجهها، بفعل المبررات والدوافع الإنسانية إلى أسمى الغايات.**)(2)

من ثم فان إعادة بناء الأفراد وبعث الأمم ونهضتها، من الوجهة التاريخية - الثورية لا تتأتى إلا في مثل هذه الظروف والأجواء؛ المشبعة بالتهيؤ النفسي، المشحونة بالتفاعل الثوري الملتهب... وهي حالات من النادر حدوثها ولا تتوفر دوما، بل تمثل ما يشبه الطفرات في حياة الشعوب والأمم. ومن اللامعقول عدم ترقبها والسعي إلى الاستفادة من حدوثها؛ عبر مختلف أشكال الاستيعاب والتوجيه، والمحافظة على زخمها، وتغذيته بمزيد من التفاعل الخلاق والعطاء المتجدد.

والثورة الجزائرية التي اندلعت في الفاتح من نوفمبر- تشرين الثاني1954م،هي من قبيل هذه الحالات النادرة التي أحيت الأمة الجزائرية، وصنعت وجودها من جديد؛ وبدت بعدها ماثلة في عمق الإنسان الجزائري الجديد الناتج عن هذا التفاعل العظيم؛ بها وفي ظلها نراه قد استأنف المسيرة الإنسانية في أبهى صورها، كما تطلع إلى تجسيد معاني الحرية، والكرامة من خلال القيم التي أرستها. في المقابل فقد أنهت - إلى غير رجعة- حالة السكون واللاوعي التي كرستها الحقبة الاستعمارية الاستيطانية، طيلة قرن وثلث القرن من صور التعطيل لحركية الحياة وفاعليته داخل المجتمع الجزائري.

(1) د. نصر الدين سعيدوني، **الثورة بين متطلبات الواقع...** مرجع سابق، ص 171

(2) نفسه

ضمن هذا السياق جاءت الثورة التحريرية لتطرح جملة من المفاهيم والقضايا الجديدة، بعضها متعلق بالاستعمار، والبعض الأخر مرتبط بالمجتمع المستعمر؛ فرضت في كلتيهما مزيدا من بذل الجهد والتضحية... لأجل التحرير والتحرر من قبضته، وقهره بسيكولوجيا وماديا؛ عتقا للإنسان والوطن، وفتحا لأفق الأمل الواعد للأجيال القادمة.

إن منظومة القيم الجديدة التي طرحتها ثورة نوفمبر- والتي في ظلها أصبح كل جزائري ملزما بان يعرف نفسه ويستكنه وجوده، ثم يتخذ موقفا مما يجري من حوله - وجبت عليه تبني خيارات حياتية تجسد القطيعة الكاملة مع الواقع الاستعماري ومذهبيته الحياتية. لان النظام الكولونيالي الفرنسي هو نظام تأسس على العنف والقهر، وجسد - بامتياز- الروح العنصرية المقيتة في تعامله وتعاطيه مع الإنسان الجزائري**"الأهلي"**، كما فرض وجوده العسكري والسياسي بسيف القوة، ووسائل الدمار المتقدمة. ولم يحمل البعد النظري المجرد في ذلك؛ بل اقترن فعله **"العنفي"** بالسلوك اليومي، والأدهى من ذلك كله، انه مد سلطان عنفه ليطال الماضي التاريخي والحضاري للجزائريين؛ فجرده واستنزفه من كل محتوى عزيز في نفوسهم، وذا قيمة في حياتهم؛ إمعانا في القهر النفسي والحياتي... ثم جهز من أدواته وآلياته ما يكفي لتغطية المستقبل واغتياله، و حرمان الأجيال من حقها الطبيعي والديمقراطي في اختيار نموذج حياتها بحرية وسلام. وبذلك قدم نفسه وصورة لطبيعته بوصفه **"عنفا أزليا"**(3) ، وجب القضاء عليه وإزالته من حياة الجزائريين، مهما كلفهم ذلك من ثمن.

لقد جاء التغيير الثوري في الجزائر كرد فعل - بحسب القانون الفيزيائي الشهير- وكان أقوى، وفي اتجاه معاكس لرغبة المحتل وضد مشروعه الاستيطاني. استنفر كل إمكانية ووسيلة متاحة لبحث تسوية سلمية مشرفة مع العدو- إن رغب جديا في ذلك- قبل أن يتحول إلى حل استراتيجي في ظل الرفض والتعنت الفرنسي.

(3) فرانز فانون ، **العام الخامس للثورة الجزائرية**، ترجمة ذوقان قرطوط ، ط1 دار الفارابي، لبنان200 ص201

ومن ثم فان مفجري الثورة لم يكونوا ينشدون في عملهم هذا الدخول مع المستعمر الفرنسي في مجادلة عقلية بين وجهتي نظر "المستعمر" و"المستعمَر"، كما لم يكن عملهم خطابا انتخابيا مسا واتيا بين الجزائريين

والمستوطنين، ولا وفاقا سياسيا لتقاسم السلطة والمغنم...الخ. بقدر ما كان المشروع الثوري النوفمبري؛ تأكيدا لانتماء وعمق مختلف، وإرساء لمبادئ وقيم حياتية، وتنظيرا لفلسفة جديدة؛ تستوعب معطيات التاريخ والحاضر، وتوجه مستقبل الجزائريين في كنف الحرية والسيادة... تختلف في كلياتها وجزئياتها، عن منظومة وفلسفة المستعمر: ماضيا وحاضرا ومستقبلا.

فنوفمبر البيان، وصومام التنظيم، وطرابلس البرنامج، أكدوا جميعا ميلاد إنسان جديد، ومنظومة حكم وحياة مختلفة؛ حلت محل إنسان قديم مستعمر في: قيمه ومنظومته الفكرية والحياتية، إحلالا كليا متكاملا نهائيا... للمجتمع الجزائري القائم والمتواصل. ومعركة التحرير الوطني - كما عبرت عنها صحيفة المجاهد- هي **"جهاد وطني"** (4) ، إنها حرب تقوم ضد الآخرين وضد أنفسنا أيضا؛ ضد العدو الخارجي، وضد العدو الداخلي في الوقت نفسه؛ أي ضد نقائصنا وعيوبنا ونقاط ضعفنا: الشخصية، الإيديولوجية، والتنظيمية...الخ.

وإذا رد **"الجهاد"** إلى أهم ما فيه، فانه لا يعني شيئا آخر غير أنه عبارة عن ظاهرة ديناميكية من الدفاع عن النفس، بغية استعادة وصيانة تراث من القيم العليا الضرورية للفرد والمدنية، وهو أيضا تعبير عن إرادة التكامل في كل المجالات. وبذلك فقد استهدف بالأساس محو النظام الاستعماري في كل هذه الميادين، وتحرير الإنسان والأرض، وإعادة تكوين الفرد المتحرر من قيود الاستعمار وكوابحه، مرتقيا بنفسه إلى مستوى إيديولوجية جبهة التحرير الوطني؛ العنوان الأبرز للثورة، الحاملة لأهم معالم

المشروع الوطني الحضاري لنهضة الأمة الجزائرية. لقد قادت جبهة التحرير الوطني على عهد الثورة المعركة في الميدان، وعبأت الشعب وأطرته، كما سعت للتعبير عن مختلف حاجيات حياته الكريمة.

(4) صحيفة **المجاهد**، العدد 01 ، سجل الميلاد

و طرحت حلا استراتيجيا **" للمشكل الجزائري"** ؛ تضمن أبعاد الشخصية الجزائرية الوطنية والقومية، ضمن إطار امتداداته التاريخية والحضارية. وقد تركزت خطوات هذا المشروع في العناصر التالية :

1- البعد المكاني أو المجال الجغرافي، ممثلا في الوطن الجزائري بحدوده الحالية.

2- البعد الزماني الذي كان حصيلة الماضي المشترك بكل مكوناته وتفاعلاته.

3 - البعد الحضاري الذي عبرت عنه العقيدة الإسلامية، والتراث العربي، والثقافة الأمازيغية؛ في انسجام ووئام، على مدى قرون الزمن وأحقابه المتباعدة.

4- البعد الوطني المرتكز بالإحساس العميق بالانتماء إلى الجزائر؛ وقد كرسته المقاومات الوطنية، والنشاط النضالي للحركات السياسية الوطنية، وتوجها عمل الثورة الجزائرية؛ عمقا وأصالة وتفتحا.(5)

كان الثمن المقدم غاليا في سبيل تامين ذلك؛ تجلى في **"ملحمة ثورية"** قل نظيرها في التاريخ المعاصر؛ تجاوزت قافلة شهدائها المليون ونصف المليون شهيدا. لكن حتمية دفع هذا الثمن الباهظ كانت أقوى؛ لأنه ضمن عودة إحياء **"ضمير الأمة"**، وعزز مناعتها الحضارية، كما فتح فرصة التحقق لتطلعات المستقبل... فشكلت به الثورة الجزائرية **"وثيقة بعث الأمة الجزائرية"**، وعودتها إلى مسرح التاريخ، لتحتل موقعها الطبيعي **"كفاعل"** فيه بفاعلية واقتدار...

إن خلاصة التعريف الفكري والسياسي للثورة، وعمل مفجريها التاريخيين؛ إنما هو كونها: إرهاص واستجابة لمشروع وطني وحضاري؛ تناقض نفسيا، اجتماعيا، ومنظوميا، مع المشروع الاستعماري.

كما جسد فكر القادة والمجاهدين الأوائل التناقض نفسه مع المتناقضين معهم؛ وهذا التناقض- كما يؤكد د.سعد الله- الملازم لمسيرة الثورة، هو الذي كان يحدث الشرارة الثورية بين الفينة والأخرى.

(5) د. سعيدوني، **مرجع سابق**، ص 158

هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد كشفت الثورة التحريرية عن **"مستوى السقوط"** و**"الانحدار"** الذي آلت إليه العقلية الأوروبية، والفرنسية تحديدا؛ إلى حد **"الخيانة العظمى"** للقيم الإنسانية - التي طالما رفعتها وتشدقت بها في أدبياتها الفكرية والسياسية - في الوقت الذي عكست فيه ثورتنا مشروعيتها؛ من خلال إثبات الشعب الجزائري مستوى من الاحترام لقيم **"الإنسان"**و **"التحضر"** في أدائه الجهادي، شهد بها العدو قبل الصديق.

لقد عبرت النصوص الأساسية للثورة، وأدبياتها الإيديولوجية والسياسية؛ ممثلة في **"بيان أول نوفمبر-54**م" ، و**"ميثاق الصومام56**م"، و**"برنامج طرابلس62**م" ، عن كل تلك القيم والمثل والخيارات- السالفة الذكر- وعكست حقيقة وواقع مجمل تطلعات الشعب الجزائرية، كما تضمنت مبادئ، وأفكار واتجاهات - حتى وان لم تنسجم في كامل تفاصيلها مع بعضها- مثلت الأسس المرجعية للإيديولوجية الوطنية. حيث توخت إعادة بناء الفرد الجزائري، وبعث دولته الوطنية، التي تضطلع بحاجياته المعنوية والمادية، في كنف الأصالة التاريخية الوطنية، والانتماء القومي العربي الإسلامي، والأبعاد الإنسانية؛ دون قلق أو اغتراب، أو انغلاق. من خلال ما سبق ذكره يمكن أن نخلص إلى نتائج البحث التالية :

1- إن الصدمة الاستعمارية الاستعمارية، والجرح الغائر الذي أحدثته في النفسية الجزائرية، وانعكست آثاره على كامل حياته على مدى فترة الاحتلال؛ قد ايقضت الإنسان الجزائري ودفعته إلى اكتشاف ذاته، والدفاع عن كيانه. وبالتالي خروجه وانتقاله من حالة اللاوعي إلى الوعي الثوري، ومن عهد العشيرة والقبيلة، إلى مرحلة الوطنية السياسية الناضجة، ومن عصر الإقطاع الاجتماعي والثقافي، إلى عهد الشعب والأمة الجزائرية. تلك كانت عملية تحول بطيئة ومؤلمة، لكنها كانت فاعلة ومثمرة. بدأت من مقاومة الأمير عبد القادر- مؤسس الوطنية الجزائرية - وانتهت خاتمتها باندلاع ثورة نوفمبر المجيدة.

2- الثورة التحريرية - بالنسبة للجزائريين- جاءت استجابة وتحقيقا لشروط روحية ومادية لازمة لميلادهم الجديد، وكان كفاحهم الوطني تاريخا جديدا رفع في وجه الطغيان الاستعماري؛ وقد مثلت الثورة العنوان الأبرز لهذا التاريخ؛ بكل دلالاته، عطاءاته، وتطلعاته، ومآسيه أيضا؛ فأعطوا بها معنى لحياتهم وموتهم؛ بعدما كانت - في ظل الاحتلال- بدون معنى أو قيمة تذكر.

3- صحيح أن الثورة حققت انتصارات عسكرية باهرة على العدو، وسجلت حضورا سياسيا ودبلوماسيا متميزا في الداخل والخارج، كما أعادت اللحمة الوطنية، وأنجزت الكثير من المكاسب الوطنية والقومية... الخ. لكن هل كان ذلك كافيا في منطق وتخطيط مفجريها، وبيانها التاريخي الأول؟ أبدا؛ إنها لم تحقق - في واقع الأمر- سوى الأهداف العاجلة ممثلة في**"الاستقلال السياسي"**، وبعض المكاسب المادية الظرفية. لكنها ظلت قاصرة

عن حسم خياراتها الإستراتيجية ميدانيا - التي سبقت الإشارة إليها- تلك التي تتحكم في توجيه مقدرات الجزائر في مرحلة الثورة وما بعد الاستقلال، لدخولها الألفية الثالثة. ويمكن إيجازها - بحسب تعبير د. سعيدوني- في: الحسم الحضاري، والتحرر الثقافي، والتحفز النفسي.

4- إن مواثيق الثورة الجزائرية ونصوصها الأساسية، على الرغم من الأدوار الفكرية والتوجيهية، السياسية، والتنظيمية... الخ، التي اضطلعت بها خلال معركة التحرير الوطني؛ إلا أنها - في نظرنا- لم تستطع تحقيق التواصل الروحي والإيديولوجي فيما بينها، ولم تقدم نفسها **"كمرجعية موحدة"** متناغمة، ذات مصداقية وطنية فاعلة؛ بل على العكس من ذلك فقد جسدت التناقض والقطيعة بهذا الخصوص. وللأسف فان **"البيان"** لم يكن مرجعية **"للصومام"**، ولا **"برنامج طرابلس"** مستوحى من سابقيه ؟ بل على العكس كان **"العقوق"** الفكري والإيديولوجي السمة البارزة في وثيقة الصومام56م، ليستكمل **"الانحراف"** الكامل عن الخط النوفمبري في برنامج طرابلس62 م. هذا الأخير تغشته **"المذهبية اليسارية"** التي زرعت بذورها في الصومام56م، وسكن النصين الأخيرين **"دوغماتية"** سياسية، أنتجت إيديولوجية غريبة عن أصالة الشعب الجزائري، وروح **"البيان"**، وتطلعات جيل الاستقلال.

5- بعد وقف إطلاق النار، وتوقيع اتفاقيات أيفيان في 19ماس- اذار1962م، اشتد الخلاف وبرزت قرونه بين قادة الثورة في مؤتمر طرابلس وبعده؛ فانقسموا إلى فريقين كل يدعي الشرعية التاريخية والثورية لنفسه دون الأخر، كما انطلق سباق محموم على السلطة أفضى إلى ما اصطلح عليه **"بأزمة صيف62م"**؛ التي كادت أن تعصف بالاستقلال الوليد. في هذا الجو المسموم، انطفأت شعلة الثورة في نفوس الأفراد، وبدأ التآكل يظهر جليا في الروح الوطنية؛ في ظل غياب إيديولوجية وطنية واضحة تقنع الشعب وتؤطره، كما تدفعه إلى استكمال المرحلة الثانية من معركة التحرير والتحرر للأرض والإنسان. فتوقفت بذلك مهمة الثورة ورسالتها في منتصف الطريق..؟ وكان سبب هذا التراجع في الزخم الثوري ناجم عن عدم البث المسبق في المسائل الخطيرة المتعلقة أساسا: بالهوية والانتماء والمصير، وعدم التفطن إلى خطورة ما يحمله المشروع الاستعماري بهذا الخصوص. فغياب **" مفهومية وطنية"** - بحسب تعبير المفكر مالك بن نبي- تستوعب التحول الحاصل، وتحضر لمرحلة البناء الجديد؛ هو الذي أحدث هذه **"الردة الثورية"**. وقد نبه إلى ذلك لاحقا ميثاق

الجزائر1964 بصراحة ووضوح حينما أكد: **(بأن الثورة لم تفهم أن القوة الثالثة تشكل عنصرا اجتماعيا سيتسرب إلى مؤسسات الثورة، بل طرح مسألة الثورة ذاتها.)**(6)

6- لقد كرس برنامج طرابلس62م مفهوما ماديا للاستقلال، وحول الثورة ومشروعها التحريري إلى ثورة شعبية ديمقراطية، فاعتقد محرروه والمصادقين على نصه بان قضايا: التنمية الاقتصادية، والترقية الاجتماعية،.. الخ، هي أساس البناء الجديد للأمة الجزائرية المستقلة، بدلا من إعداد الإنسان روحيا وتربويا ووطنيا. وصرف الاهتمام كله - بعد الاستقلال- للتخطيط للمعاش فقط ، وتلبية الحاجات البيولوجية والغريزية. في حين همش جانب التفكير الذهني، والتطلع النفسي والروحي، والفاعلية الاجتماعية والحضارية... فتضخم الأنا الفردي والنمو العضوي على حساب النمو الفكري والثقافي، والحيوية الحياتية. ومن شواهد ذلك: المثال المعبر الذي أورده الدكتور سعيدوني؛ حين رصد الحصيلة

الفكرية والثقافية لإنتاج الكتاب التاريخي من سنه 1962-1987م، حيث لم تتجاوز سقف 250 عنوانا.(7)

(6) نفس المرجع ، ص 167

7- غياب التنظير الفكري والفرز الإيديولوجي، انطلاقا من المفهوم الحضاري، والقناعات الوطنية الصادقة التي حملها البيان التاريخي الأول للثورة، واستطاع أن يجند كل الفعاليات الوطنية وعموم الشعب الجزائري حولها؛ هو الذي أفضى - في رأينا- إلى تجزئة المشروع الثوري، واختصاره في مجرد استقلال سياسي صوري، وأسقط الجزء الأكبر من دلالته. كما حولت جبهة التحرير الوطني- صانعة النصر والاستقلال- من حركة ثورية وطنية إلى مجرد هيكل واسم ورمز. وأصبح دورها هو منح **"شهادات التزكية"** لأناس همهم الاستيلاء على السلطة، وافتراس الحكم... فانتهى بذلك دورها الخصب مع الشعب، وتحولت إلى أداء وظيفة **"ساعي البريد"** تنقل للشعب تعليمات وأوامر القيادة. وأصبحت بالفعل حاجزا حقيقيا بين الطرفين؛ لتسرح بعد ذلك من الخدمة، وتفقد عنصر الحياة والفاعلية؛ وهكذا أصبح الاستقلال الوطني فاقدا للمحتوى والمضمون، بدون لون ولا طعم أو هوية.

تلك هي عصارة الاستنتاجات التي خلصنا إليها في ختام هذا البحث، توصلنا إليها من خلال متابعتنا التحليلية النقدية لموضوع **"وثائق الثورة الجزائرية"** ، حيث تكشفت لنا عن قصور كبير في عملية التواصل الثوري بين مرحلة التحرير إبان الثورة، ومرحلة البناء على عهد الاستقلال. كما ظهر لنا العجز الواضح في تحقيق الأهداف الإستراتيجية للمشروع التحرري المعلن ليلة الفاتح من نوفمبر1954م؛ خصوصا في جوانبه الفكرية والإيديولوجية، وآفاقه السياسية لمرحلة ما بعد الاستقلال.

والتساؤلات المنطقية المشروعة التي يجب أن تطرح، من وحي هذه الخلاصات الاستنتاجية هي: هل الثورة الجزائرية - بزخمها الثوري، ومبادئها التحررية، وأهدافها السياسية، وبرامجها التنموية...الخ - قابلة لاستئناف مشروعها، واستكمال رسالتها في الوقت الراهن؟ وهل آن أوان إخراج وثائقها الإيديولوجية - على رأسها بيان أول نوفمبر- من حال حكم **"وقف التنفيذ"** الذي طالها، وتحريرها من

دوامة الصراعات الشخصية والمذهبية، وقبضة النزعات الطائفية، والفئوية التاريخية والسياسية ؟ إلى

(7) نفسه، ص 170

رحاب العلمية، الوطنية، والإنسانية ؟ ما هي سبل وآليات إعادة الفاعلية المطلوبة للمشروع الثوري الوطني الحضاري، ونقله إلى واقع الحسم؛ ليتحول إلى سلاح جديد متجدد بيد النخب الوطنية، والقواعد الشعبية : زادا ومرجعية للمفكرين والباحثين، مناعة وحصانة فكرية للمتعلمين، إطارا أخلاقيا للمسؤولين والسياسيين، وتطلعا مشروعا للأجيال القادمة ؟ هل يمكننا أن نحلم حقيقة وواقعا بيوم نستكمل فيه الشطر الأهم من استقلالنا النفسي، الروحي، والثقافي؛ مدعوما بالاستقلال المادي، في إطار هويتنا التاريخية، وانتمائنا الحضاري، وتوجهاتنا الوطنية الصادقة.

إننا نعتقد جازمين في إمكانية تحقيق كل ذلك، وسوف نظل نعمل ونتطلع إلى ذلك اليوم المشهود؛ حتى ولو قدر لنا أن نقدم ثمنا موازيا أو يفوق ذلك الثمن الذي قدمه شهداء ثورة التحرير بالأمس، واقتضى الحال القيام بثورة جديدة - امتدادا لثورة نوفمبر- في النفوس، والعقول، والأجهزة. لكن حاجتنا للقيام بذلك تلزمنا وضع

معالم مشروع لتحرير الإنسان الجزائري، مستوحى من تجارب ماضينا التاريخي والثوري، ومنفتح على حقائق الواقع وآفاق المستقبل. ويمكن تلمس ذلك من خلال المقترحات التالية :

1- إعادة صياغة **"التعريف الفكري والسياسي"** للثورة الجزائرية، من خلال واقع التجربة النضالية الوطنية، واعتمادا على مواثيقها ونصوصها الأساسية؛ ليتجاوز المفهوم الكلاسيكي الذي لصق بها، بوصفها حربا عسكريا للتحرير، سلاحها البندقية والرشاش عل الأرض، والتفاوض السياسي على الطاولة، وخاتمته الاعتراف بالاستقلال السياسي، ورفع الراية الوطنية، واحترام رموز السيادة المتعارف عليها فحسب... إلى إعطائها مفهوما جديدا شاملا ومتكاملا، يستوعب حركية الإنسان والحياة كلها؛ بكونه وعي تاريخي، وبعث فكري وحضاري، وصياغة جديدة للإنسان الجزائري، وفق مقاييس تختلف كلية عن تلك المطبقة سابقا داخل المنظومة الكولونيالية الفرنسية.

2- التفعيل العملي للمبادئ والقيم والأهداف، الواردة في بيان الفاتح من نوفمبر- تشرين الثاني1954م؛ واعتمادها كمرجعية فكرية، وإيديولوجية سياسية، يتفق في القراءة الموحدة لها كل الجزائريين، خاصة في جوانبها المرتبطة **"بمشروع المجتمع"**، وضرورة التبني الرسمي والشعبي لها؛ حتى لا تكون مثار جدل أو تلاعب بين هذه المجموعة أو تلك. وتركيزنا على البيان كوثيقة مرجعية دون سواه، مرده إلى كونه الوحيد الذي جسد القيم الفكرية والمبادئ الوطنية بصراحة ووضوح، أجمعت عليها الأغلبية العظمى من الشعب الجزائري بالأمس في معركة التحرير، وبعد الاستقلال؛ كما هو الحال نفسه اليوم. في حين جاءت وثيقة الصومام56م كملحق تنظيمي: سياسيا وعسكريا، مفتقرة بشكل واضح إلى المعطيات الفكرية والإيديولوجية الضرورية. أما برنامج طرابلس62م فقد شذ عن الخط الثوري الأول، وتضمن فلسفة وتوجيه غريب ودخيل - شكلا ومضمونا- عما ورد في النصين السابقين؛ فكان بذلك نصا ظرفيا آنيا. وليد حسابات أشخاص وعصب متصارعة. موجه لخدمة أغراض وأهداف إيديولوجية معينة، لا صلة لها بالواقع التاريخي الوطني، ولا بطموحات الشعب الجزائري العربي المسلم.

3- إن منطق التاريخ والأحداث المعلمية الكبرى ، يؤكدان- بلا مواربة- أن كل الأمم الفتية المستقلة عادة ما تتجاذبها آثار دخان المعارك، وتصاحب ميلادها الجديد دورات عنف؛ بمظاهرها السياسية والمادية...وغيرها، كمرحلة انتقالية باتجاه الاستقرار والتطور، وبدوافع مختلفة ك: الانتصار، والانتقام، والطموح والمغامرة، والبحث عن التموقع في الواجهات الأمامية... الخ. وهو ما نعتقده في الحالة الجزائرية بعد إعلان الاستقلال مباشرة؛ وفيما عرف بأزمة صيف 1962م. وهي حالة وان كانت مرضية عنيفة، ومؤلمة، لها ما بعدها من الآثار والتداعيات السلبية؛ إلا إننا نعتقد في منطقها التاريخي الساري على الجميع. وقد آن الأوان للجزائريين- بعد مرور ما يقارب نصف القرن على تلك الأزمة - أن يعيدوا النظر في هذه المرحلة، ويستفيدوا من تلك التجربة القاسية؛ وأن تتجند النخب الفكرية، والإطارات الأكاديمية، وعموم الوطنيين الغيورين؛ ليضطلعوا جميعا بمهمة إعادة صياغة المشروع الوطني الثقافي- الحضاري؛ من وحي رصيد النضال التاريخي، ومراعاة حقائق العصر الحاضر، وآفاق المستقبل. فيكون هذا المشروع في مستوى مهام الثورة ومشروعها المتكامل، مستجيبا لمجمل العناصر المركبة المستوعبة للمنطق العملي، والفعالية الوطنية، وقيم: التنوع، والوئام، والجمال.

4- إعادة الاعتبار للشعور الوطني والروح القومية، وتفعيلهما في نفوس وضمير الجيل، ثم العمل على تجسيدهما في مشاريع أفعال وسلوكيات، والتزامات أخلاقية ووطنية؛ معبرة عن أعمق مطامح الأمة بكليتها، وتكون تتويجا وثمرة حية نابضة بروح التفاعل الوجداني للإرادة الشعبية الحرة. وبغير هذا فإننا نعتقد بأن هذه المشاعر والقيم ستظل جافة ميتة بلا روح؛ ولا تعدو أن تظهر فقط في صورة ديكور سياسي، وديماغوجية مقيتة؛ قليلة الفاعلية والتأثير، سريعة الزوال، محدودة الوفاء لتضحيات الشهداء والأحياء. يترتب عن كل ذلك - في واقع الحال- صدوعا وانقسامات خطيرة، بشأنها أن ترجع بالأمة - لا قدر الله- من مرحلة **"الوطنية السياسية"** إلى عهد القبيلة، ومن مستوى الدولة العصرية المنظمة، إلى الأفق المغلق للعشيرة، والإقطاع، وسلطة **"القياد الجدد"**، والفردية المستبدة والمدمرة.

تلك اقتراحات وآفاق الدراسة، كما تجلت لنا من خلال معايشتنا وتفاعلنا مع الموضوع على مدار السنوات الخمس لإعداده، نتطلع إليها - من وجهة النظر التاريخية العلمية - كمشروع حلم قابل للتنزيل الميداني؛ ندعي

انه يسكن وجدان وضمير جيل الاستقلال من الشباب، وكل مخلص غيور على هذا الوطن الشهيد. وهاهو القائد التاريخي محمد بوضياف يؤكد ويعزز هذا التطلع المشروع قائلا:(**مستقبل الجزائر بيد شبابها الذي لم تدنسه بعض الممارسات السياسية المتعفنة... وفي المستقبل القريب لا مفر من ممارسة لعبة الحقيقة مع الشعب من قبل جماعة مخلصة نظيفة وكفأه، تحظى بثقة الأغلبية العريضة.**)(8)

وإذا كان الزعيم أحمد سيكوتوري يقول: **" ليس يكفي أن تؤلف أغنية ثورية حتى تشارك في الثورة، وإنما يجب أن تصنع هذه الثورة مع الشعب، ثم تأتي الأغاني من تلقاء ذاتها."**(9) فإننا بدورنا - نسمح لأنفسنا- ونقول: ليس يكفي لجيل الاستقلال أن يتغنى بثورة المليون ونصف المليون شهيد، ويرتل أناشيدها الثائرة ويفتخر ببطولات الآباء والأجداد؛ ليدعي بعدها الوفاء للميراث الثوري وللوطنية.

(8) محمد عباس، **ثوار عظماء**، مرجع سابق، ص 34

(9) محمد حربي، **جبهة التحرير بين الأسطورة والواقع**، مرجع سابق، ص 298

بل يجب عليه أن يؤمن بمبادئ وقيم وأهداف تلك الثورة، ويعمل ميدانيا على تفعيل مشروعها الوطني التحرري مع شعبه؛ في صورة أعمال جليلة، وممارسات قويمة، وإبداع خلاق. تطور الحياة الوطنية، وتؤمن لنهضة قومية وحضارية عصرية، تعيد قطار الأمة الشارد إلى سكة التاريخ وصناعته، من موقع الفاعل المؤثر لا التابع المغلوب على أمره؛ تلك وحدها هي الضريبة التي يجب أن تدفع، والتضحية التي يجب أن تقدم.

آمل في ختام هذا العمل العلمي المتواضع، أن أكون قد ساهمت - كمواطن من جيل الاستقلال- في إثارة النقاش العلمي حول هذا الموضوع الفكري- التاريخي الحيوي:**"مواثيق الثورة الجزائرية"** ؛ عساني أكون قد أديت ولو جزءا من الواجب العلمي والتاريخي لشعبنا ووطننا... ولا أدعي لنفسي الإحاطة الكاملة بجوانب الموضوع، ولا لعملي هذا الكمال؛ فذاك إنجاز لا يقوى عليه جهد فردي مهما بلغ؛ بل هو محصلة وثمرة مجهود جماعي منظم. وحسبي أني اجتهدت، والكمال لله وحده، وفوق كل ذي علم عليم.

فهرس الأعلام:

أ

ب

ت

ح

حمدان خوجة: 22

حسين آيت احمد: 75-76-77-88-93-100-103-104-146-157-201-205-274-306-314-386-

حسين الأحول: 91-94-102

ر

رمضان عبان: 103-105-109-111-113-146-147-153-155-156-157-158-160-161-167-177-191-
202-209-247-378-391

رابح بيطاط: 88-93-154-159-273-274-306-311-315

رضا مالك: 164-273-383-377

ز

زيغود يوسف: 146-154-155-161-164-173-179-210-375-379

زكريا مفدى: 71

س

سعد دحلب: 155-177-209-213-263-306

ش

شكيب أرسلان: 41-42

شارل ديغول- 52-57217-231-237-238-249-256-275-280

ص

صلاح الدين الأيوبي: 35

ع

عبد الحميد بن باديس: 35-37-38-42-43-50-52-67-68-70

عباس فرحات: 26-30-31-32-37-42-48-49-50-51-52-53-54-55-56-63-67-72-108-110-137-150-
160-179-235236-248-265-285-307-311-362- 386

عمار أوزقان: 60-64-90-114-150-164-191-213-246-273-314-350-355-375

عبد الحفيظ بوصوف:174-211-212-214-235-247-248-250-251-253-267-269-306-307-327

علي كافي: 103-105-154-155-161-179-185-210-240-251-255-277-319

ي

فهرس الأحزاب والمنظمات:

هيئة الأركان العامة MALG :242-254-256-263-264-267-269-303

اللجنة الوزارية للحرب CIG :251-253-254-256-267-303

منظمة الجيش السري (الإرهابية) OAS :275

منظمة الأمم المتحدة UN :199

الحزب الشيوعي الفرنسي PCF :33-34-60-61-111-191

المؤتمر الإسلامي الجزائري CIA :34-49-55-66-69-71-143

جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها FDL

جبهة تحرير الجزائر FLA :106-107-108

المجلس التأسيسي الوطني CFN : 315

<u>ببلوغرافية المصادر والمراجع</u>:

أ- <u>باللغة العربية</u>: **1-** ***<u>المصادر</u>***:

1- **النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني 1954-1962**، نشر وتوزيع قطاع الإعلام والتكوين "حزب جبهة التحرير الوطني"، الجزائر 1987

2- العربي بوهالي: **إلى الأمام الجزائر حرة ديمقراطية**، ط؟ الجزائر 1947

3- الجنرال شارل ديغول،: **مذكرات الأمل "التجديد" 1958-1962** ، ترجمة سموحي فوق العادة، منشورات عويدات، بيروت لبنان 1971

4- احمد محساس: **الحركة الثورية في الجزائر**، ط ؟ دار القصبة للنشر الجزائر2003

5- الفضيل الورتلاني: **الجزائر الثائرة**، ط ؟ دار الهدى الجزائر 1992

6- بن يوسف بن خده،: **اتفاقيات افيان**، ترجمة لحسن زغدار ومحل العين جبالي، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر؟

7- جون بول سارتر،:**عارنا في الجزائر**، ترجمة عايدة وسهيل إدريس، ط2 دار الآداب بيروت1958

8- هنري سيمون: **ضد التعذيب في الجزائر**، ترجمة بهيج شعبان ، ط1، دار العلم للملايين، بيروت 1957

9- لخضر بورقعة،: **شاهد على اغتيال الثورة**، تحرير الصادق بخوش، ط1، دار الحكمة للترجمة والنشر، الجزائر 1990

10- مصطفى الأشرف: **الجزائر الأمة والمجتمع**،، تعريب حنفي بن عيسى ط ؟ المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983

11- محمد البشير الإبراهيمي: **في قلب المعركة**، ط1، دار الأمة، الجزائر 1997

12- محمد قنانش: **الحركة الاستقلالية في الجزائر بعد الحربين 1919-1939** ،ط؟ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982

13- محمد قنانش: **المسيرة الوطنية واحداث08ماي1945م**، ط؟ منشورات دحلب الجزائر1982

14- محمد حربي،: **جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع**، ترجمة كميل قيصر، ط1، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت لبنان 1983

15- محمد حربي، ، **الثورة الجزائرية سنوات المخاض**، ترجمة نجيب عياد وصالح مثلوني، ط1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر1994

16- محمد لبجاوي، ترجمة علي الخش: **الثورة الجزائرية والقانون**، ط1، دار اليقظة العربية، القاهرة 1961

17- مالك بن نبي: **في مهب المعركة**، ط1 ، ترجمة عمر مسقاوي ، دار الفكر دمشق- سوريا1986

18- = = : **شروط النهضة** ، = = ، = _

19- = = : **مذكرات شاهد للقرن**، = = ، = _

20- = = : **القضايا الكبرى** ، = = ، _ 1991

21- محمد عودة وآخرون، **الجزائر ارض اللهب والدم**، المكتب الدولي للترجمة والنشر، القاهرة1957

22- عباس فرحات،: **ليل الاستعمار**، ترجمة الحاج مسعود وآخر، ط ؟ مطبعة فضالة المحمدية- المغرب، 2003

23- عمار أوزقان، **الجهاد الأفضل**، ط1، مطبعة بيروت- لبنان 1962

24- عمار ملاح: **محطات حاسمة في تاريخ الثورة**، ط1، دار الهدى عين مليلة، الجزائر 2004

25- علي كافي: **مذكرات من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962**م، ط1، دار القصبة الجزائر 1996

26- عبد الرحمان بن العقون: **الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر**، ط1، ج1+ج3 ،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984- 1985

27- حسين ايت احمد،: **روح الاستقلال مذكرات مكافح1942-1952م**، ترجمة سعيد جعفر، ط1، منشورات البرزخ، الجزائر 2002

28- توفيق المدني: **حياة كفاح، مع ركاب الثورة الجزائرية**، ط1، ج3، الشركة الوطنية. ن.ت، الجزائر 1989م

29- سعد دحلب، **المهمة المنجزة** ، ط1، منشورات دحلب، الجزائر1998

30- سعد زغلول، **عشت مع ثوار الجزائر،** ط1، دار الديمقراطية الجديدة، مصر 1957

31- روبرت مول،: **مذكرات احمد بن بله،** ترجمة العفيف لخضر، ط2، دار الكتاب بيروت 1979

32- رضا مالك،: **الجزائر في افيان 1956-1962**، ط1، ترجمة فارس غضوب، دار الفارابي بيروت- لبنان، 2003

33- ريمون أرون،: **مأساة الجزائر،** ترجمة سعيد صالح، ط1، منشورات جمعية متخرجي المقاصد، بيروت 1957

34- فرانز فانون: **معذبو الأرض،** ترجمة السيدة منور، ط ؟ موفم للنشر، الجزائر1990

35- = : **العام الخامس للثورة الجزائرية،** ترجمة ذوقان فرطوط، ط1، دار الفارابي لبنان 2000

2- المـراجـع:

36- ابوالقاسم سعد الله: **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**،ط1،ج1،دار الغرب الإسلامي،بيروت1996

37- = = ، **الحركة الوطنية الجزائرية،** ط3،ج3، المؤسسة.و.ك، الجزائر 1986

38- = = ، = = ، =، ج2، = = ، = =

39- = = ، **تاريخ الجزائر الثقافي** ، ط1، ج 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت1996

40- احمد الخطيب: **حزب الشعب الجزائري**، ط1، المؤسسة. و.ك، الجزائر 1981

41- إسماعيل قيرة وآخرين: **مستقبل الديمقراطية في الجزائر،** ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، القاهرة 2002

42- محمد عباس: **رواد الوطنية،** ط1، دار هومة الجزائر 2005

43- = : **مثقفون في ركاب الثورة،** ط1، = =

44- = : **ثوار عظمـاء** ، = ، = =

45- = : **اغتيال حلـــم** ، = ، = =

46- = : **فرسان الحرية** ، = ، = ؟

47- مومن العمري: **الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير**(1926-1954)م، ط1، دار الطبع للنشر ، قسنطينة الجزائر 2003

48- محمد مجاود: **الأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية،** ط1، دار الغرب للنشر،وهران الجزائر2005

49- محمد لحسن زغيدي، **مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الجزائرية** (1954-1962)م، ط1، المؤسسة. و.ك، الجزائر 1989

50- مصطفى هشماوي: **جذور أول نوفمبر 1954 في الجزائر**، منشورات المركز الوطني للحركة الوطنية والثورة الجزائرية، الجزائر2001

51- محمد الأمين بلغيث: **تاريخ الجزائر المعاصر**، ط1، دار البلاغ (الجزائر)+ دار ابن كثير (لبنان) 2001

52- مولود قاسم نايت بلقاسم: **الجزائر وهيبتها الدولية**، ط1، المؤسسة.و.ك، الجزائر 1986

53- محفوظ قداش و جيلالي صاري: **المقاومة السياسية؛ الطريق الإصلاحي والطريق الثوري**، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1987

54- محمد العربي الزبيري: **تاريخ الجزائر المعاصر**، ط1، ج1، دار هومة الجزائر 2000

55- محمد العربي زبيري: **الثورة الجزائرية في عامها الأول**، ط1، دار البعث قسنطينة، الجزائر 1984

56- عبد الكريم بوصفصاف: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية**(1931-1945)م، ط1، دار البعث قسنطينة الجزائر 1981

57- عبد الكريم بوصفصاف: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الوطنية الأخرى**، ط1، المؤسسة الوطنية للاتصال والإشهار، الجزائر 1996

58- عبد الكريم بوصفصاف وآخرين: **القيم الفكرية والإنسانية في الثورة الجزائرية**(1954-1962)، ط1، ج1، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري قسنطينة- الجزائر2003

59- عبد الله شريط: **مع الفكر السياسي الحديث والمجهود الإيديولوجي في الجزائر**، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986

60- عبد المجيد عمراني، **النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية 1954-1962**، ط1، دار الشباب باتنة- الجزائر1995

61- لطفي الخولي: **عن الثورة في الثورة، حوار مع بومدين**، ط1، منشورات التجمع الجزائري البومديني الإسلامي، الجزائر...؟

62- لمين شريط: **التعددية السياسية في تجربة الحركة الوطنية** (1919-1962)م، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر1981

63 - نبيل بلاشي: **الاتجاه العربي الإسلامي ودوره في تحرير الجزائر**، ط1، الهيأة العامة المصرية للكتاب، القاهرة ؟

64- سليمان الشيخ،: **الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين**، ترجمة محمد حافظ الجمالي، ط1، دار القصبة للنشر، الجزائر 2003

65- فتحي الذيب: **عبد الناصر والثورة الجزائرية**، ط؟ ، دار المستقبل العربي، القاهرة 1984

66- يحي بوعزيز، **الايديولوجات السياسية للحركة الوطنية من خلال ثلاث وثائق جزائرية**، ط1، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر 1986

67- وليام.ب. كواندت: **الثورة والقيادة السياسية الجزائرية** (1954-1968)، ط؟ ترجمة ونشر مركز الدراسات والأبحاث العسكرية، دمشق سوريا 1981

الرسائل العلمية الجامعية:

1- إبراهيم لونيسي: **التجربة الديمقراطية في الوطن العربي "الجزائر نموذجا"**، رسالة دكتوراه غير منشورة، نوقشت بقسم التاريخ جامعة الجزائر 2004

2- قادرة شايب: **الحزب الدستوري التونسي الجديد، وحزب الشعب الجزائري (دراسة مقارنة)**، رسالة دكتوراه غير منشورة، نوقشت بقسم التاريخ جامعة منتوري قسنطينة- الجزائر 2007

3- محمد شرقي، **القيادات السياسية والعسكرية في الثورة الجزائرية(1954-1962)م**، رسالة دكتوراه غير منشورة، نوقشت بقسم التاريخ جامعة منتوري قسنطينة - الجزائر2007

4- رمضان بورغدة: **الجنرال ديغول والثورة الجزائرية**، رسالة دكتوراه غير منشورة، نوقشت بقسم التاريخ جامعة منتوري قسنطينة- الجزائر 2007

5- حسينـة حماميد: **المنظمة العسكرية السرية الفرنسية في الجزائر1961- 1962**، رسالة دكتوراه غير منشورة، نوقشت بقسم التاريخ جامعة باتنة- الجزائر2006

6- بن الشيخ حكيم: **الأمير خالد الهاشمي...** رسالة ماجستير غير منشورة، نوقشت بقسم التاريخ جامعة الجزائر2002

7- مصطفى سعداوي: **المنظمة الخاصة السرية o.s**، رسالة ماجستير غير منشورة، نوقشت بقسم التاريخ جامعة الجزائر 2007

8- نبيل احمد بلاشي: **جبهة التحرير ودورها في الجزائر في حرب الجزائر**، رسالة ماجستير منشورة، معهد الدراسات الإفريقية، جامعة الدول العربية، القاهرة 1976

9- يوسف قاسمي: **المثقفون الجزائريون المعربون والثورة التحريرية**، رسالة ماجستير غير منشورة، نوقشت بقسم التاريخ جامعة باتنة- الجزائر 2002

المقالات والدوريات باللغة العربية:

1- د. ابوالقاسم سعد الله: **تأملات في مسار الثورة**، منشور بكتاب: الثورة الجزائرية أحداث وتأملات، ط1، مطبعة عمار قرفي باتنة- الجزائر1994

2- الطيب العلوي: **الشهيد مصطفى بن بولعيد القائد والدور**، جريدة السلام، العدد 1353 الجزائر؟

3- احمد شقرون: **عملية كانتات**، مجلة المصادر(الجزائرية)، المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، عدد07، السنة 2002

4- الطاهر جبلي: **مؤتمر الصومام والقاعدة الشرقية**، مجلة المصادر(الجزائرية)، المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، عدد09، السنة 2004

5- د. حميدة عميراوي: **فاتح الثورة الجزائرية مقارنة بالثورات العالمية**، مجلة المصادر(الجزائرية)، المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، عدد09، السنة 2004

6- محمد مجاود: **إيديولوجية الثورة الجزائرية بين النظرية والتطبيق**، منشور في كتاب: الإبعاد الحضارية للثورة الجزائرية، ط1، دار الغرب للنشر وهران- الجزائر 2005

7- د. محمد العربي ولد خليفة:**الخطوات الأولى في التطبيق الميداني لأهداف الثورة الجزائرية**، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، عدد02، السنة1999

8- مسعود خرنان: **الوحدة المغاربية من خلال مواثيق الثورة الجزائري**، منشور في كتاب: القيم الفكرية والإنسانية للثورة الجزائرية(1954-1962)، ط1، ج1، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري قسنطينة- الجزائر2003

9- د. نصر الدين سعيدوني: **نظرة في البعد التاريخي للثورة؛أي المشروع الحضاري للثورة**، منشور بكتاب: معالم بارزة في ثورة نوفمبر 1954 ،ط1، مطبعة عمار قرفي باتنة- الجزائر1992

10- د. نصر الدين سعيدوني: **ثوابت الأمة الجزائرية بين الشعارات والواقع المعيش**، منشور بكتاب: الثورة الجزائرية أحداث وتأملات، ط1، مطبعة عمار قرفي باتنة- الجزائر1994

11- د. رابح بلعيد: **العقد الحاسم وميلاد جمعية العلماء.م.ج**، جريدة رسالة الأطلس، عدد107 ، أكتوبر- تشرين الأول الجزائر 1996

12 - د. رابح بلعيد: **فرحات عباس يقضي على ابن باديس**، جريدة رسالة الأطلس، عدد 110 ، نوفمبر- تشرين الثاني الجزائر1996

13- د. رابح بلعيد: **نهاية حركة الانتصار للحريات الديمقراطية**، جريدة رسالة الأطلس، عدد150 ،جويلية- يوليو ، الجزائر1997

14- د. رابح بلعيد، أعداد:117 مارس 1997، وعدد 120 جانفي 1997 ، وعدد129 مارس1997، وعدد 147 ،1997.

15- رابح لونيسي: **بيان أول نوفمبر وأسس الدولة الوطنية "الجذور الفكرية والمضمون"** مجلة المصادر(الجزائرية)، المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، عدد07، نوفمبر2002

16- د.سعيد عليوان: قيم **الإسلام في مواثيق الثورة الجزائرية...** منشور في كتاب: القيم الفكرية والإنسانية للثورة الجزائرية(1954-1962)، ط1، ج1، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري قسنطينة- الجزائر2003

17- د. عامر رخيلة: **البعد الإنساني في الثورة الجزائرية،** مجلة المصادر(الجزائرية)، المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، عدد07، نوفمبر 2002

18- د. 18- يوسف قاسمي: **المنطلقات الفكرية للثورة الجزائرية،** مجلة الحوار الفكري، عدد06، مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري قسنطينة- الجزائر 2004

19- يوسف قاسمي: **نماذج من سياسة القمع والتعذيب في الولاية الأولى التاريخية، دراسة** منشورة في كتاب: الثورة الجزائرية والاستعمار الفرنسي، ط1، منشورات جامعة 20اوت 1955 سكيكدة 2007

20- صحيفة **المجاهد** - اللسان الناطق باسم الثورة الجزائرية- أعداد: 09 الصادر في 20 أوت 1957 ، وعدد 12 في 15 نوفمبر1957 ، وعدد 15 في نوفمبر 1958 ، وعدد 22 في 11 افريل1958 ، وعدد 32 في 29 نوفمبر 1958 ، وعدد 51 في 29 فيفري 1959 ، وعدد 75 في 19 ديسمبر 1960 وغيرها.

21- جريدة **الحرية liberté** ، عدد 02 نوفمبر 1954 م.

22- جريدة **الخبر** (الجزائرية)، عدد يوم: 29 سبتمبر1999.

باللغـة الفرنسيـة:

أ-***المصادر والمراجع:***

1- Ch. R. Ageron, **Colonial au Maghreb politiques**, P.u.f, Paris 1972

2- Ch. R. Ageron**, Les algériens musulmans et la France 1871-1919**, paris 1969

3- A. Benachenhou, **L’état Algérien en 1830, SOS** institution sous l’Amir Abdelkader, Alger, s.d.f ?

4- Mahfoud Kaddache, **Histoire du nationalisme algérienne ; question nationale et politique Algérienne 1919-1951**. **CNED**, Alger, T1, 1980

5- Jean Marie de Rage : **L'enseignement du musulman en Algérie** ; revue de mouvement social, 1970

6- Ahmed hannache : **La langue marche de l'Algérie combattante (1830-1962)**, Edition Dahleb, Alger 1990

7- FLN Commission centrale d'orientation**: La charte d'Algérie, Alger 1964**

8- **Les mémoires de Messali hadj**, Ed J. C. Lattes, Paris 1982

9- Pierre Fontaine, **Dossier secret de l'Afrique du nord**, Ed, les sept couleurs, paris 1967

10- A. Mahsas, **Le mouvement révolutionnaire en Algérie de la 1ere guerre mondiale à 1954**, Ed… ? Alger ?

11- Med Yousfi, **Le combat d'Algérie 1950-1954**, Entreprise nationale de livre, Alger 1986

12- George. A. Taliasdoros, **La culture politique arabo-islamique et naissance du nationalisme Algérien 1830- 1962**, ?

13- André Moine : Ma guerre d'Algérie, Ed , 'SOCIALES ' , paris 1978

14- C. Collet et J. R. Henry**, Le mouvement national Algérien, texte 1912-1954**, Ed ; ip4, Alger 1978

15- Ferhat Abbas, **Autopsie d'une guerre,** Éditions Garnier, 19 Rue de la plante, paris 1980

16- Ben Youcef Benkhedda, **Les origines du 1ere novembre**, Ed. Dahleb, Alger 1988

17- Ben Youcef Benkhedda**, Aban, Ben M'hidi, Leur apport à la révolution Algérienne**, Dahleb Alger 2000

18- Ben Youcef Benkhedda, **L'Algérie à L'indépendance, la crise de 1962** ; Dahleb, Alger 1997

19 - Khelfa Maàmeri, **Aban. R. Hors la loi**, le seuil 1968

20- Med Harbi, **Une vie de bout, Mémoires politiques 1945-1962**,T1, Alger 2001

21- Francis Jeanson**, L'Algérie hors la loi,** le seuil, 1955

22- Courier (Yve), **La guerre d'Algérie**, paris 1968

23- Guentari Med, **Organisation politico-administrative et militaire de la révolution Algérienne 1954-1962**, volume1, Alger 1994

24- Belhoucine Mabrouk**, Le courrier Alger-le Caire 1954-1962 et la Congrès de Soummam dans la Révolution** (casbah éditions), Alger 2000

25- H. Ait Ahmed, **Guerre et après guerre**, Ed. minit, Paris 1964

26- Henri Aleg, **La guerre d'Algérie**, T2, tempsachels, Paris 1981

27- Alain Jacob, **D'une Algérie à l'autre**, Gracier 1963.

ب ـ***الصحف والمجلات***:

1- B .H. Simon, **La réalisation du l'intellectuelle**, Le Monde ; 28 /09/1960 + n° de :13/07/62, et de :08/09/62+ de : 12/09/196 2.

2**- La dépêche de Constantine**, Le 02/11/1954

3- **El Moujahid**, n° 04(n° spécial), T1, imprimé en Yougoslavie, juin 1962

فهرس الموضوعات: